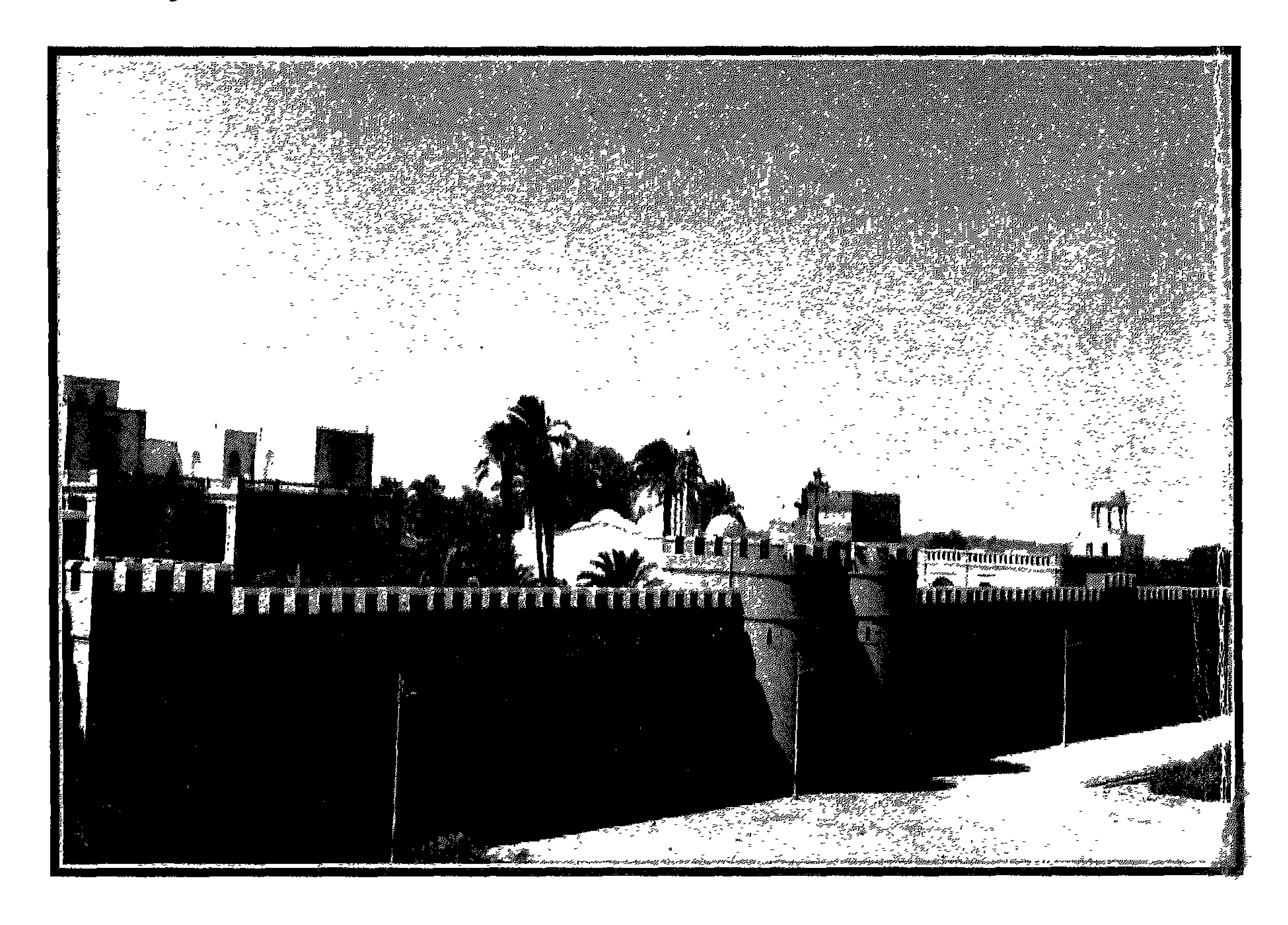
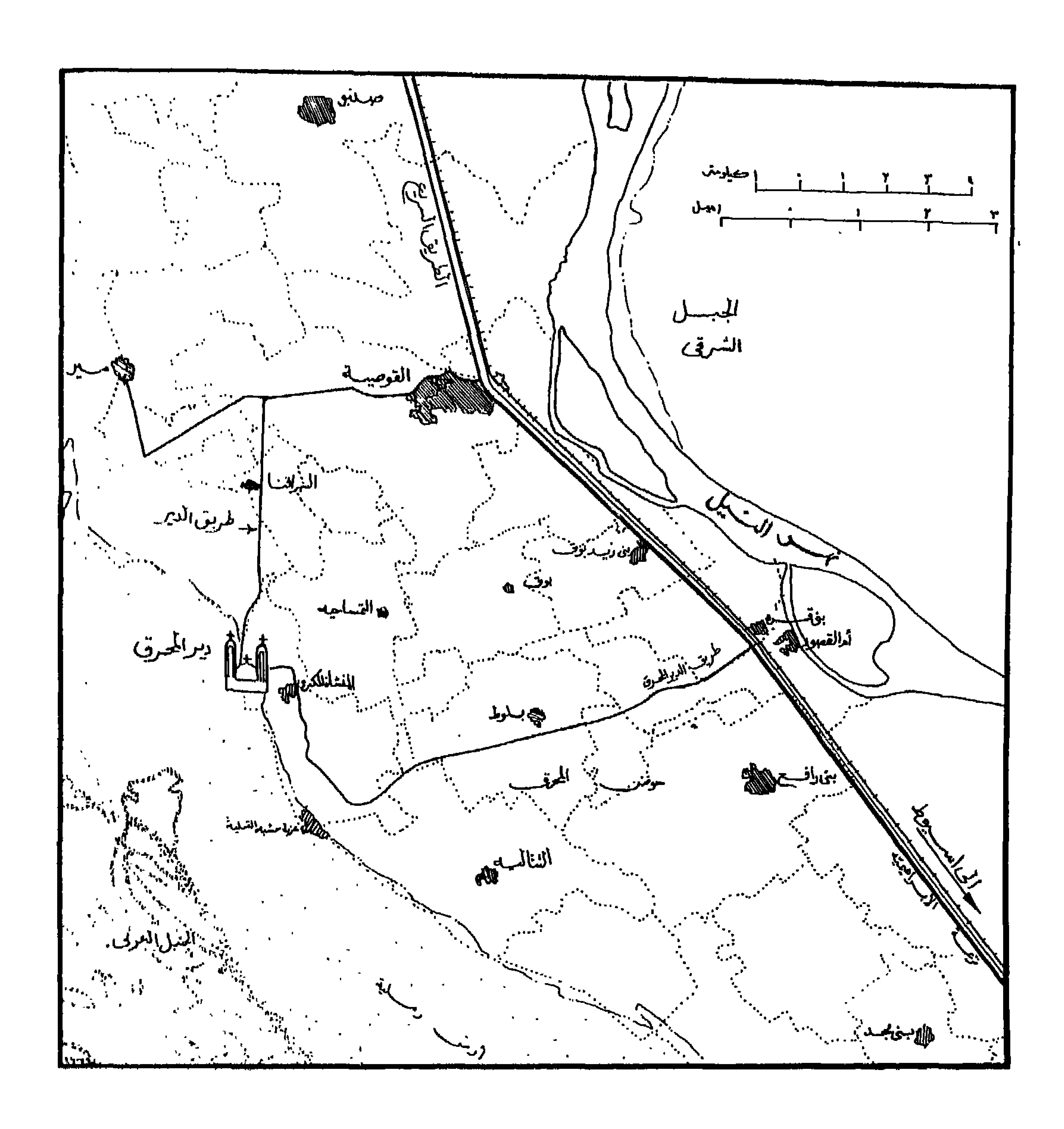
دير
جبل قسقام



قدس ـ تراث



صورة الغلاف الأمامي : منظر عام للدير

صورة الغلاف الخلفي : ● مخطوطة قديمة

● البوابة الرئيسية الكبرى من الداخل

دير السيدة العذراء
المحرق



قدس - تراث

عبر عشرين قرناً من الزمان

تقديم
الأنبا ساويرس
أسقف ورئيس الدير

طبعة ثانية
مزيدة

طبعة ثانية مزيدة

إصدار : دير السيدة العذراء بالمحرق ـ القوصية ـ أسيوط

الطبعة الأولى : فبراير ١٩٩٠

الإعداد الفنى والجمع التصويرى وفصل الألوان : جى. سى. سنتر ـ مصر الجديدة

الطباعة : دار نوبار للطباعة ـ شبرا

رقم الإيداع : رقم الإيداع : ١١٦١٩ / ٩٥

الرقم الدولى : الرقم الدولي : I.S.B.N. 977-5713-00-5



أيقونة والدة الإله

من القرن التاسع عشر الميلادى



قــداســة الــبابا الــمعظم
الأنبا شنودة الثالث



نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير المحرق

تقـديــم

شهية هى أخبار القديسين كما أنها شهية هى أخبار الأديرة والبرارى التى تتمخض بقديسين عظام... والأشهى هو خبر زيارة العائلة المقدسة للمدن والقرى والبرارى فى قفار مصر العظيمة التى تباركت وتقدست برحلة العائلة المقدسة التى حطت رحالها فى نهاية الرحلة بدير السيدة العذراء الشهير بالمحرق ـ بجبل قسقام فى صحراء القوصية الغربية.

ولما لهذا الدير العظيم ـ عبر العصور والأزمان ـ علامات مضيئة فى تاريخ كنيستنا الأورثوذكسية منذ زيارة العائلة المقدسة إلى هذا اليوم فى نهاية القرن العشرين... دبر رب المجد يسوع أن يترهب بالدير آباء غيورين على البحث والتنقيب والغوص فى بطون المخطوطات والكتب، قديماً منها وحديثاً. وأن يتفرغوا للبحث والدراسة وتكوّن منهم فرقة تخصصت فى ذلك وأخرجت للكنيسة هذا البحث القيّم لتاريخ الدير عبر العصور والأزمان.

لذا أشكر الله كثيراً لإخراج هذا البحث بين يدى القارئ العزيز راجياً أن يشبع منه تاريخياً وروحياً لإنطلاق النفس البشرية نحو خالقها الذى أراد أن يباركنا ويتقدس به ديرنا العامر، كما أنه قائم فى قلوبنا جميعاً...

ليتمجد الله فى كل عمل وفى حياتنا بشفاعة العذراء القديسة مريم صاحبة هذا المكان المقدس وبصلوات صاحب الغبطة والقداسة الجالس على كرسى مارمرقس

البابـا شـنوده الثـالث

أطال الله حياته

أنبـا سـاويرس

دير المحرق

عيد تكريس كنيسة السيدة العذراء الأثرية
بدير المحرق ـ بجبل قسقام

٦ هاتور ١٧١٢ ش
١٦ نوفمبر ١٩٩٥ م

(محتويات الكتاب)

الموضـــوع	الصفحة

مقدمـة الطبعـة الأولـى

هذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارئ الحبيب هو أحد الثمار المقتطفة من جهد بدأ منذ أكثر من ثلاث سنوات مضت فى الدراسة والبحث المستمر بمؤازرة رب المجد بنعمته ومحبته الفائقة..

قصة هذا الكتاب :

كتب الكثيرون عن دير السيدة العذراء بجبل قسقام وكنيسته الأثرية فى القرنين التاسع عشر والعشرين بلغات مختلفة إما فى شرح مقتضب أو فى تفصيلات تخص علم الآثار..

وكان أول من فكر فى كتابة تاريخ للدير هو القمص عبد المسيح واصف المحرقى (الأنبا لوكاس الأول مطران منفلوط ١٩٣٠ ـ ١٩٦٥م)، ونوه عن ذلك فى كتابه «بلوغ المرام فى تاريخ حياة خليفة الأنبا أبرآم المتنيح القمص ميخائيل البحيرى كوكب برية جبل قسقام، ١٩٢٥»، ولكنه لم يستكمله لأسباب غير معروفة.. وبعد البحث والاستقصاء سمح الرب بأن تصل إلى أيدينا بعض من الشذرات الخاصة بهذا التاريخ.

وفى عام ١٩٦٢م طبع الدكتور ميناردوس Otto Meinardus كتاب عن أديرة مصر

Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts

ذكر فيه بعضاً من المعلومات عن تاريخ الدير مستقياً معلوماته من بعض المراجع ومن القمص قزمان بشاى ـ رئيس الدير فى ذلك الوقت ـ إلا أن المعلومات التى حصل عليها من المراجع جعلته يصل إلى نتيجة مؤداها ـ وعلى حد قوله ـ أن تاريخ الدير لا يعرف عنه شئ قبل القرن الثانى عشر الميلادى. وله عذره فى ذلك لأنه رجع لبعض المصادر التى كانت متوفرة آنذاك ـ عام ١٩٦٢م ـ كما أنه لم يتفرغ تفرغاً كاملاً لدراسة تاريخ الدير لأن الدير كان ضمن عشرات الأديرة التى كان يجب أن يكتب عنها فى كتابه المذكور.

وبعد ذلك ـ وفى الستينيات أيضاً ـ ترهب الدكتور وهـيب عطاالله بدير المحـرق باسم الراهب باخوم المحرقى ثم سامه البابا كيرلس السادس عام ١٩٦٧ أسقفاً للدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى باســم الأنبا غريغوريوس. وقد أحب الدير من قلبه فاهتم بدراسة تاريخه وإخراج كتاب عنه بتعضيد القمص قزمان بشاى ـ رئيس الدير فى ذلك الوقت ـ وتشجيعه. فاستقصى نيافته عن المعلومات من الآباء شيوخ الدير ومن مذكرات القمص قزمان بشـاى، كما رجع نيافته لعدة مصادر عربية وأجنبيـة وللوثائق العقارية بالدير.. جمع خلاصة كل هذا وأخرج كتاباً قيماً باللغة العربية ـ ولأول مرة ـ وذلك فى عام ١٩٦٩ أصبح بعد ذلك مرجعاً علمياً للكثير من الكتاب الذين رغبوا فى كتابة نبذة عن دير المحرق فى مؤلفاتهم، نذكر منهم على سبيل المثال :

د. رؤوف حـبيب فى كتابه : تاريـخ الرهبنـة والديريـة فى مصـر وآثارهما الإنسـانية على العـالم.

د. رياض سوريال فى كتابه : المجتمع القبطى فى مصر (القرن ١٩).

ونحن الآن بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على صدور كتاب نيافته قد صدرت فى هذه الفترة كتب كثيرة فى الداخل والخارج، وظهرت دوائر معارف عديدة، ونظمت كثير من المكتبات العالمية بأسلوب علمى يسهل البحث الأمر الذى كان غير متوفر فى الستينيات. لذلك فقد عقدنا العزم مستأثرين كل فكر فى طاعـة المسـيح للبحث والدراسة بقدر الإمكان استكمالاً للعمل القيم الذى قام به نيافته فى كتابه (وهذه طبيعة الأبحاث عموماً فهى دائماً فى جديد حيث يصل باحث إلى نقطة فيأتى من بعده من يكمل لظهور حقائق ومعلومات جديدة ـ ولاشك أنه فى المستقبل ستظهر معلومات جديدة ـ وهكذا فالبحث لا ينتهى).. ونظراً لأن العلوم والموضوعات كثيرة ومتشعبة فى مجال دراستنا هذه وقد طبع فيها المجلدات الضخمة، فقد آثرنا أن نسمى هذا العمل الذى بدأنا فيه منذ أكثر من ثلاث سنوات باسم «موسوعة دير المحرق».

وقد بدأ العمل أولاً بدراسات تمهيدية فى عدة علوم دينية حتى لا يشت أو ينحرف هدف البحث عن مساره، ثم تلاها مهمة شاقة وهى البحث عن التراث العريق لدير المحرق بإرشاد الرب ومعونته. ووضعت ـ على حسب المقدرة ـ كل الإمكانيات المتاحة لخدمة هذا العمل الذى شجعه مجمع رهبان الدير وعلى رأسهم نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس.

قسم العمل بعد ذلك إلى دراسات رئيسية متخصصة كل منها يخدمه دراسات فرعية أو نصوص مباشرة من المراجع ودوائر المعارف وهى :

(١) كل ما كتب أو قيل عن الدير قديماً وحديثاً فى مدح أو فى ذم فى الكتب العربية أو الأجنبية (ونأسف كثيراً على تلك المعلومات غير الصادقة أو غير الدقيقة التى وصـلت إلينا من الكـتب أو المجلات).

(٢) السجلات والوثائق القديمة التى تفيد فى تاريخ الدير.

(٣) دراسة متخصصة فى مئات المخطوطات التى يمتلكها الدير.

(٤) دراسة متخصصة فى آثار الدير وتطورها شاملة الكنائس والحصن والمبانى والمنشآت فى الدير.

(٥) دراسات متخصصة للمنطقة القائم فيها الدير من الوجهة التاريخية والجغرافية والعمرانية وأيضاً نشأة البلاد القريبة للدير، وطبوغرافية أراضى المنطقة مع الاستعانة بعلم الجيولوجيا فى دراسة طبيعة الأرض لمنطقة جبل قسقام.

(٦) دراسة فى تاريخ الرهبنة عموماً وعلاقة ذلك بنشأة الحياة الرهبانية بالدير.

(٧) دراسات متنوعة فى مخطوطات ميمر قسقام، مع دراسة لابد منها لسيرة البابا ثيؤفيلس البطريرك ٢٣ (٣٨٥ ـ ٤١٢م) سيتم نشرها فى كتاب مستقل..

(٨) تغطية كل الدراسات بدوائر المعارف المتخصصة والمراجع المختلفة للعلوم الهامة مثل :

علم الآثار Archaeology، علم الأزمنة والأوقات Chronology.

علم الاجتماع والدراسات الإنسانية Sociology (الدراسات التى طبعت عن تاريخ المجتمع المصرى وعادات وتقاليد الشعب المصرى عبر العصور)، علم المفردات Philology، وعلم أصـل الكلمات

وتاريخها (علم الاشتقاق) Etymology، علم الأساطير Mythology، ذلك بالاضافة إلى الاستعانة بمجموعات :

ـ أقوال الآباء الشرقيين.	Patrologia Orientalis
ـ الكتاب المسيحيون القدامى.	Ancient Christian Writers
ـ المصادر المسيحية.	Sources Christiennes
ـ آباء ما قبل نيقية.	Anti-Nicene Fathers
ـ آباء نيقية وما بعد نيقية.	Nicene and Post-Nicene Fathers
ـ آباء الكنيسة.	Fathers of the Church
ـ باقى كتب الآباء.	Patrology

وهى عديدة ومن الصعب أن نحصرها فى عجالة كهذه.

والجدير بالذكر أنه تم الرجوع بقدر الإمكان إلى أقدم كتابات للمؤرخين الثقات فى التاريخ المسيحى عموماً وفى الكنيسة القبطية خصوصاً ـ والتاريخ الإسلامى من المصادر الموثوق فيها لدى عامة الباحثين والمتخصصين فى دراسة التاريخ ـ وليست مبالغة إذا قيل إنه تم الرجوع لعدة آلاف من الكتب والمراجع العربية والأجنبية، والمئات من المجلات الدينية الشرقية والغربية، قديماً وحديثاً. كما فحصت مئات المخطوطات وعشرات دوائر المعارف التى استخدمت فى إعداد الموسوعة.

وقد رأينا أنه ليس من الصواب إرهاق القارئ العزيز فى قراءة قائمة طويلة لأسماء مراجع ومؤلفات يصل عددها إلى الآلاف ـ وهو رقم غير مبالغ فيه ـ وقد أشرنا فى بعض هوامش الكتاب إلى بعض هذه المراجع.

ونود أن ننوه إلى أنه جارى إعداد الفهارس الكاملة للمراجع المستخدمة فى إعداد الموسوعة بمشيئة الرب عند انتهاء كل دراسة فتسجل مراجعها وحواشيها الخاصة بها، وسيتم طبع المناسب طبعه من تلك الدراسات لتكون فى خدمة الباحثين أو المهتمين بالدرس وخصوصاً أن تلك الدراسات تحت الإعداد فى صورة أكاديمية إن شاء الرب وعشنا.

ونود أن نلفت نظر قارئنا الحبيب إلى أنه :

(١) ذكر فى ثنايا الكتاب بعض المعلومات غير مشروحة تفصيلياً.. وهذا يعنى أنها تحت الدراسة التى لم تنته بعد.

(٢) إذا ذكرت كلمة أجمع أو اتفق فهى تعنى أنه إجماع واتفاق شامل.

(٣) إذا ذكرت كلمة الباحثين أو الدارسين فهى تعنى العاملين فى مجال الدراسات والأبحاث الأكاديمية أو الجامعية.

(٤) الأحداث التى لم نستطع إيجاد الدليل القاطع على صحتها أو التى كانت أدلتها ضعيفة أسبقناها بكلمة ربما أو يبدو أو من المحتمل أو يرجح أو ما شابه ذلك.

ولابد أنه قد مرت برغم كل الجهود أخطاء مطبعية أو لغوية ولن يخفى صوابها على القارئ وإن كان ذلك لا يغنى عن الاعتذار.

شكر وعرفان بالجميل :

ونحن نقدم جزيل شكرنا وخالص امتناننا للآباء الفرنسيسكان واليسوعيين والدومينيكان على حسن معاونتهم لنا فى الاطلاع على كتبهم القيمة المحفوظة فى مكتباتهم الزاخرة.

ولا ننسى المجهود الكبير للأستاذ جرجس داود مدير المتحـف القبطى الذى بذله لأجل مدنا بالمراجع القيمة للبحث وبالملاحظات المفيدة للغاية. كما لا يفوتنا هنا تهنئة القمص صموئيل السريانى على عمله القيم الذى قام به فى دراسة الأديرة والكنائس الأثرية بمصر بالاشتراك مع قسم العمارة القبطية بمعهد الدراسات القبطية، الرب يبارك هذا العمل لأجل مجد اسمه القدوس.

ونشكر جميع الأحباء الذين ساهموا بمجهوداتهم أو قدموا مساعداتهم المعنوية أو المادية فى اعداد الموسوعة وأعمال ترجمة اللغات وكذلك الأحباء الذين راجعوا هذا الكتاب لغوياً. الرب يعوض تعبهم فى ملكوت السموات.

كما نشكر دار نوبار للطباعة وجى. سى. سنتر والعاملين فيهما على مجهوداتهم الطيبة فى إخراج هذا الكتاب. نطلب لهم من الرب كل توفيق.

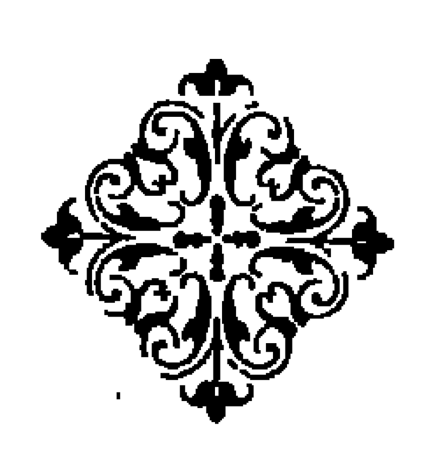
الرب يبارك هذا العمل ليكون فائدة لكثيرين.

دير المحـرق

تذكار نياحة السيدة العذراء

٢١ طوبة ١٧٠٦ ش

١٩٩٠ م



مقدمــة الطبعــة الثانيــة

نشكر الرب الذى أعاننا وعضّدنا بنعمته وأيّدنا بحكمته حتى مكّننا أن نقدم الطبعة الثانية لكتاب ديرنا العامر فى هذه الصورة بعد مسيرة طَويلة من البحث والدراسة لأنه من غير المستطاع وصف مقدار عظمة أبوته ولجّة صلاحه ورأفاته التى لا تحد.

فى هذه الطبعة التى بين يديك أيها القارئ الحبيب تم تغطية بعض من الدراسات التى ذُكر فى الطبعة الأولى ـ يناير سنة ١٩٩٠ ـ إنها تحت الإعداد، كما أضيفَ إليها بعض المعلومات، ونتائج من الدراسات التى تمت بعد ذلك.

والجدير بالذكر أنه وردت إلينا معلومات غير دقيقة كانت قد طُبعت فى كتب ونُشرتْ. وقد تم إعداد الردود الخاصة لبعضها وجارى إعداد البعض الآخر حتى تكون تحت طلب الباحث فى التاريخ الكنسى، إن شاء الرب وعشنا.

وبقدر المستطاع، حاولنا تلبية رغبة المهتمين بالبحث بإعداد الفهارس والملاحق الخاصة بهذه الطبعة*.

إن هذا الكتاب هو ثمرة حب قدمناها ونقدمها لكَ أيها القارئ الحبيب. ولك يا كنيستنا المجيدة ولكِ يا مصرنا... وطننا الحبيب الذى إستقبل رب المجد وإرتوت أرضه بدماء الشهداء الأبرار.

ونقدم هذه الطبعة فى أهم مناسبة تخص ديرنا العامر وهى :

أبريل ١٩٩٦ م، بدء العام الـ ٢٠٠٠ لمجئ العائلة المقدسة إلى قسقام

دير المحـرق

* القارئ الحبيب... إذا أردت أن تحصل على ملحق الفهارس الخاصة بهذه الطبعة رجاء مخاطبتنا على العنوان التالى:
لجنة الدراسات والبحث ـ دير السيدة العذراء المحرق ـ القوصية ـ أسيوط
موضحاً إسمك وعنوانك بالتفصيل بخط واضح.


الرهبنة في المسيحية

صفحة

أصــل الرهبنــة

تأسست الحياة الروحية فى الكنيسة المسيحية الأولى على مفاهيم إنجيلية، عاشها تلاميذ الرب ورسله، وتذوّقوا أعماقها المقدسة من السيد المسيح له المجد ينبوع الحياة الحقيقى.

لقد تشبعت حياة هؤلاء الآباء الأُول بالتطبيق العملى للوصية ملتهبة قلوبهم بما عرفوه وشاهدوه وتعايشوه حيث كانت الآية الإنجيلية بمفهومها الروحى المستمد من شخص السيد المسيح له المجد، لها حافزها القوى على تغيير حياتهم «.. **لأن كلمة الله حية وفعالة... وخارقة إلى مفرق النفس والروح... ومميزة أفكار القلب ونيّاته**» (عب ٤ : ١٢).

وكانت الآية الإنجيلية أيضاً فى مفهومهم خالية من التعقيد الفلسفى فى منطق التفسير وخالية أيضاً من الرمزيات المخلّة للمعنى المقصود. لذلك كانوا بسطاء للغاية... لا يلتمسون شيئاً إلا الحياة مع ربنا يسوع المسيح فى ملكوته الأبدى...

فمنذ عصر الرسل إشتعل فى قلوب المسيحيين إيمان راسخ بأن حياة النسك الإنجيلى هى الوسيلة الصحيحة للحياة فى المسيح يسوع له المجد الذى غمر كل حياتهم فأصبحوا لا ينظروا إلى العالم كما ينظره غيرهم بل كانوا «.. **غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى بل التى لا تُرى. لأن التى تُرى وقتية وأما التى لا تُرى فأبدية**» (٢كو ٤ : ١٨).

لذلك إعتنقوا مفاهيم جديدة لها أسلوب روحى بحت خالى من أى فلسفة أرضية، منها النسك والتجرد وحياة البتولية.

أ ـ النســـك والتجـــرد :

إن حياة السيد المسيح له المجد وتعاليمه توضح لنا هذا الأمر، فقد عاش فقيراً ولم يكن له مكان ليسند رأسه (مت ٨ : ٢٠). وعندما «.. **عَلمَ أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً إنصرف أيضاً إلى الجبل وحده**» (يو ٦ : ١٥). وقال «.. **مملكتى ليست من هذا العالم**» (يو ١٨ : ٣٦). وقد حذر من المال وسلطانه ومحبته : «**لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض.. بل إكنزوا لكم كنوزاً فى السماء لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً**» (مت ٦ : ١٩ ـ ٢١) راجع أيضاً (لو ١٢ : ٣٣، ٣٤).

وقال للشاب الغنى : «.. **إن أردت أن تكون كاملاً فأذهب وبع أملاكك واعط للفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال إتبعنى**» (مت ١٩ : ٢١). «... **وتعال إتبعنى حاملاً الصليب**» (مر ١٠ : ٢١) راجع أيضاً (لو ١٨ : ٢٢). وعندما أرسل الأثنى عشر «**أوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط لا مزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً فى المنطقة بل يكونوا مشدودين بنعال ولا يلبسوا**

ثوبين» (مر ٦ : ٨، ٩) راجع أيضاً (مت ١٠ : ٩، ١٠).

كما تذوق القديس بولس أعماق الحياة الإنجيلية حيث قال **«لكن ما كان لى ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة بل أنى أحسب كل شئ أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه..»** (فى ٣ : ٧ ـ ٩). فضلاً عن كتاباته التى تغذى الرغبة فى التجرد بقوله : **«وأما التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشئ وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشئ. فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرّة تُغرق الناس فى العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذ إبتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة.. وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة. جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية التى اليها دُعيتَ...»** (١تى ٦ : ٦ ـ ١٢).

وقد فهم المسيحيون أقوال الرب هذه كما خرجت من فمه الإلهى الطاهر ونفّذوها حرفياً مثلما فعل القديس بطرس وقال : **«.. ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك»** (مت ١٩ : ٢٧). وأيضاً **«جميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شئ مشتركاً والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد إحتياج»** (أع ٢ : ٤٤ ـ ٤٥ راجع أع ٤ : ٣٤ ـ ٣٦).. مفضلين بذلك حياة الفقر الإختيارى والتجرد من المقتنيات، مقتدين بحياة السيد المسيح له المجد وتعاليمه.

لقد احتلت الروح النسكية الأصلية مكانة خاصة فى الكنيسة الأولى وترعرعت فى النفوس وغدت الآية الانجيلية تعمل فيهم بفاعلية الروح القدس وأصبح تطبيقها هو الطموح الأوحد والأسمى فى فكرهم بالغلبة على هذا العالم والانتصار عليه فلم تقتصر حياتهم على التجرد من المقتنيات فقط بل شملت أيضاً كل الممارسات التى تغذى هذا الإنطلاق، مثل الصلاة الدائمة والصوم والعفة... الخ.

لأن رب المجد تكلم عنها كثيراً موضحاً أهميتها بقوله :

- **«اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة»** (مت ٢٦ : ٤١) وأيضاً (مر ١٤ : ٣٨).
- **«ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل»** (لو ١٨ : ١).
- وعندما تكلم عن نهاية العالم قال **«إسهروا إذاً وتضرعوا فى كل حين لكى تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع المزمع أن يكون وتقفوا قدام إبن الإنسان»** (لو ٢١ : ٣٦).
- وعندما سأله تلاميذه عن الأرواح النجسة أجاب **«وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم»** (مت ١٧ : ٢١).

يذكر اكليمنضس الإسكندرى أن القديس متى الإنجيلى كان يقتات بالبقول فقط والقديس چيروم يذكر عن القديس يعقوب الصغير (أخو الرب) بأن حياته كلها صوم دائم وإنه منذ طفولته إلى موته لم يأكل لحماً ولم يشرب خمراً، وكان مأكله ومشربه الخبز والماء فقط. وأن جسده يشبه جثة محترقة مجردة من اللحم بالكلية (من مروج الأخبار تحت يوم ١١ أيار صـ ٢٢٤).

أما عن القديس بولس الرسول فكانت حياته «**فى تعب وكد فى اسهار مراراً كثيرة فى جوع وعطش فى أصوام مراراً كثيرة فى برد وعرى**» (٢كو ١١ : ٢٧) راجع (١كو ٤ : ١١ ـ ١٣)، (٢كو ٦ : ٤ ـ ٦) وتعاليمه أيضاً تحث على هذا «**حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا**» (٢كو ٤ : ١٠)، «.. **أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً**» (١كو ٩ : ٢٧).

وقد تجلّى هذا الاتجاه فى حياة كثير من أباء الكنيسة الأولى نذكر منهم على سبيل المثال :

- أوائل المؤمنين الإسكندريين : قيل أن أعضاء كنيسة الإسكندرية مع القديس مرقس الإنجيلى كانوا يتناولون الطعام كل يوم مرة واحدة بعد الغروب وبعضهم كان يصوم ثلاثة أيام، وكانوا يأكلون خبزاً ويشربون ماءاً فقط.
- مدرسة الاسكندرية اللاهوتية : وقد مدح المؤرخون معلميها وتلاميذها حيث كانوا يمارسون الصلاة والصوم وعدم الاهتمام بأباطيل العالم والزهد فى الزمنيات. ومنهم العلامة أوريجانوس (١٨٥ م ـ ٢٥٤ م) الذى قال : يجب على المتشبه بالمسيح أن يتدرب على الإنفصال عن أقاربه وكل الرغبات العالمية والممتلكات فهذا فقط هو الذى يمكّنه من إعداد مسكن للرب فى قلبه ـ ويتكلم عن التدريب النسكى بقوله : إن الإنفصال الكامل عن العالم لا يمكن إقتناءه إلا بالتدريب النسكى خلال العمر كله. ويقول أيضاً : السهر المتعاقب يقهر قوة الجسد والصوم المتواتر يهزمه والدراسة المتواصلة نهاراً وليلاً فى الكتب المقدسة تساعد على التركيز فى الأمور الإلهية.
- اكليمنضس الإسكندرى (١٥٠ ـ ٢١٥ م) قال : النسّاك هم الجزء المختار من الناس المختارين.
- العلامة ترتليان : لقد أسس مذهب عُرف بالمذهب الترتليانى تميز بالشدة والزهد والتقشف.
- هيبوليتس (١٧٠ م ـ ٢٣٥ م) قال : (النساك محسوبون فى الكنيسة ضمن الطغمات السمائية السبعة).

ب ـ البتوليـــة

لقد وجد هؤلاء الآباء فى مفهوم البتولية، ضالتهم المنشودة، خصوصاً بعدما عاشها السيد المسيح له المجد ورفعها إلى درجة العطية السمائية، «.. **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين**

أعطىَ لهم» (مت ١٩ : ١١)، موضحاً فى مكان آخر أنها تشبه حياة الملائكة (مت ٢٢ : ٣٠).

أما معلمنا القديس بولس الرسول فقد تحدث عن البتولية باستفاضة شديدة مبيناً فيها سموها وقوتها، ومفضلاً إياها متمنياً أن يكون الجميع مثله بتوليين، «.. **أقول لغير المتزوجين.. أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا.. فأريد أن تكونوا بلا هَمْ... إذاً من زوّج فحسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن»** (راجع رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس الأصحاح السابع».

وبهذا ألهبت هذه الوصايا بأياتها النارية قلوب المؤمنين منذرين حياتهم للسيد المسيح له المجد. فغمر الحماس الشديد كثيرين للسمو عن الجسد حتى إنه لم تقتصر البتولية على غير المتزوجين بل تعدتهم إلى المتزوجين أيضاً، فعاش بعضهم كإخوة وأخوات مثلما فعل «الرسل وأخوة الرب وصفا (بطرس)» (١كو ٩ : ٥) راجع أيضاً (مت ١٩ : ٢٧).

ويذكر السنكسار القبطى تحت يوم التاسع من شهر برمهات سيرة القديس كونن الذى وُلد بالشام وقت إنتشار الرسل للتبشير، ولما كبر أرغمه والداه الوثنيان على الزواج، فعاش مع زوجته فى حياة البتولية والطهارة بإتفاقهما معاً.

ويقول أيضاً ليتزمان :

أنه فى تلك الفترة عرف الزواج الروحى، وهو أن يعيش رجل مع امرأة فى بيت واحد كإخوة روحانيين دون أى علاقة جسدية.

Leitzmann : A History of the Early Church

Vol. 1. p. 136

ويؤيد ذلك، البابا ديمتريوس الكرام الـ ١٢ الذى رأس الكنيسة لمدة ٤٢ سنة من عام ١٨٨م إلى ٢٣٠م، وكان متزوجاً، ولكن كان يحيا حياة البتولية الكاملة مع زوجته.

ولقد كشف لنا سفر الرؤيا عن مكانة البتوليين فى أورشليم السمائية حينما ذكر المائة والأربعة والأربعين الفاً البتوليين (رؤ ١٤ : ١ ـ ٥) وأيضاً معظم الآباء الرسل كانوا بتوليين مثل يعقوب أخو الرب (الصغير) والقديس يوحنا الحبيب والقديس بولس الرسول والقديس لوقا الانجيلى وغيرهم ممن آمنوا وعاشوا وبشروا بالحياة التى هى فى المسيح يسوع. ولا يخفى أيضاً بأنه كانت لسيرة يوحنا المعمدان وايليا النبى وكلية الطهر والدة الإله العذراء القديسة مريم، أثره العميق للغاية لمحبى حياة البتولية.

والقارئ لكتب التاريخ وسير آباء الكنيسة فى الشرق والغرب، يجد مدى تغلغل حب البتولية فى نفوس المؤمنين. وأن آباء الكنيسة ومعلميها، مدحوا البتولية، ونظروا إلى الزواج على أنه سر مقدس من أسرار الكنيسة ولكنه يأتى بعد التبتل فى درجة السمو. ومن أمثلتهم القديس بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول واغناطيوس وهرماس واثيناغوراس وايريناوس واكليمنضس الإسكندرى وترتليانوس والقديس

غريغوريوس أسقف نيصص الذى أفرد لهم كتابات خاصة. ومن أمثلتهم أيضاً القديس والشهيد كبريانوس أسقف قرطاجنة والقديس چيروم، والقديس إمبروسيوس أسقف ميلان الذى كتب ثلاثة كتب عن البتولية إلى أخته مرسللينا وفيها يقول : (ليست البتولية مستحقة المديح من حيث أنها توجد فى الشهداء بل لأنها هى نفسها تصنع الشهداء، ومن يستطيع أن يدرك بفهمه البشرى ذلك الذى لا تحويه الطبيعة فى قوانينها؟ أو من يقدر أن يشرح فى أسلوب مألوف ذلك الذى هو فوق مستوى الطبيعة؟ لقد استحضرت البتولية من السماء ما يمكن أن نحاكيه على الأرض).

✣ ✣ ✣

طرق معيشة البتوليين فى القرون الأولى :

عند الحديث عن هذا الموضوع، يجب التفريق بين :

أ ـ نشأة الحياة النسكية عموماً التى تعتبر الأساس الأصيل لظهور الأنظمة الرهبانية.

ب ـ نشأة الحياة النسكية كنظام له قواعده وترتيبه الروحى (وهو النظام الرهبانى).

لأن الحياة النسكية بدأت منذ الكرازة بالإنجيل، مرتكزة دعائمها على تعاليم رب المجد نفسه (كما ذكر أنفاً) وبدخولها مصر على يد القديس مرقس البشير، وجدت لها الأرض الخصبة لنموها وتطورها وسموها. وبالتدريج أصبحت فى صورة الرهبنة (كنظام له قواعد ومنهج روحى). لذلك فأنه على الباحث فى الدراسات الرهبانية، عدم الخلط بين نشأة الرهبنة كنظام، ونشأة الحياة النسكية كأساس بنى عليه النظام الرهبانى (لأنه قد اغفل بعض الدارسين والمؤرخين النقطة الأخيرة واعتبروا أن بدء الحياة النسكية كان مع بدء نظام الرهبنة، وانها لم تظهر إلا على أيدى الأنبا انطونيوس وقبله الأنبا بولا أول السواح).

لكن فى الحقيقة أن بذور النسك الانجيلى الأصيل، قد غرست على ضفاف وادى النيل، منذ ظهور المسيحية فى مصر، وبناء كنيستها، على أسس ثابتة الدعائم. ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الإنسان المصرى. فالإنسان المصرى متدين بفطرته، ومحب للتأمل. حتى فى عصور الوثنية استطاع بعمق تفكيره واستعداده الروحى، أن يصل إلى مستويات سامية في الحياة الدينية ـ إذا ما قورن بغيره من الشعوب المعاصرة فى العالم القديم. وقدم للعالم من يعتبرون آباء الفكر والفلسفة والحضارة المصرية القديمة ـ التى ما تزال مخلفاتها قائمة فى المعابد والتماثيل والمسلات والأهرام وغيرها ـ وكل ذلك يشهد بما لا يدع مجالاً للشك أن الدين ـ على الأخص عقيدة الخلود والحياة الآخروية ـ كان هو الباعث الأول والأكبر على قيام تلك الحضارة.

ولا يخفى أن عمل النعمة المستمر والمستمد من الحياة فى المسيح له المجد، ومفعول الليتورچية الذى ملأ المؤمنين بروح القوة والإيمان، ومنحهم الرجاء وقدّس أرواحهم وأجسادهم وأفكارهم، أحدثا معاً تفاعلاً مقدساً عجيباً مع طبيعة الإنسان المصرى نتج عنه حاسة روحية عارمة ألهبت القلوب

وأشعلت النفوس نحو الشهادة للمسيح يسوع له المجد والشوق لمجيئه الثانى المخوف المملوء مجداً. وجعلتهم يشعرون بالحقيقة الهامة ألا وهى أنهم غرباء ونزلاء فى هذا العالم. فأصبحوا لا ينظروا إلى العالم كما ينظره غيرهم بل كانت نظرتهم دائماً إلى الحياة الأبدية. قائلين مع أبينا داود النبى : «**غريب أنا فى الأرض لا تخف عنى وصاياك**» (مز ١١٩ : ١٩). ومتذكرين قول معلمنا يعقوب الرسول : «.. **لأنه ما هى حياتكم إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل**» (يع ٤ : ١٤) وأيضاً القديس بطرس يقول «.. **أطلب اليكم كغرباء ونزلاء**...» (١بط ٢ : ١١). فضلاً عن تعاليم القديس بولس الرسول : «**فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغرّبون عن الرب، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان فنثق ونُسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب**» (٢كو ٥ : ٦ ـ ٨)، «**لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة**» (عب ١٣ : ١٤) وأيضاً «**فأقول هذا أيها الأخوة الوقت منذ الآن مقصّر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم. والذين يبكون كأنهم لا يبكون. والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول**» (١كو ٧ : ٢٩ ـ ٣١).

«... **هؤلاء أجمعون... أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض... ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً..**» (عب ١١ : ١٣ ـ ١٦).

هكذا انطلق هؤلاء المؤمنين الأول العمالقة البسطاء ليقتفوا أثر الرب يسوع ورسله. وإمتلأت حياتهم بالتطبيق العملى للوصية الإنجيلية مشتعلة قلوبهم بما سمعوه وعاينوه وتعايشوه فأصبحت حياتهم وأقوالهم نبراساً لكل من يريد قدوة أو توضيح لمعالم الطريق، فغدوا عمالقة فى الروح، وأبطالاً فى النسك، حتى إندفع الكثيرون نحو الإستشهاد فى أوقات الإضطهاد، وأندفعت نماذج فردية وجماعية فى وقت السلم للحياة فى عزلة على أطراف المدن والقرى لطلب الوحدة والسكون، حباً فى حياة الكمال الإنجيلى. إلا أنه مع التجربة والإختبار تبين أنه غير كاف، فآثروا الإبتعاد أكثر إلى الصحارى والقفار، فأصبح هناك ثلاثة أشكال تطبيقية للحياة النسكية :

أ ـ الذين تبتلوا وعاشوا فى وسط أسرهم، أو فى بيوت خاصة بهم.

ب ـ الذين تبتلوا وعزلوا أنفسهم على أطراف المدن والقرى.

جـ ـ الذين تبتلوا واعتزلوا العالم إلى القفار.

وأصبح الاتجاه الأخير يزداد خلال القرون الثلاثة الأولى مع الإشعال المستمر للروح القدس العامل فى الكنيسة. إلا أنه لم يكن لأولئك المعتزلين أى منهج روحى أو نظام محدد إلى أن أراد الرب ظهور أول نظام رهبانى فى العالم على يد القديس العظيم الأنبا أنطونيوس....

وسنذكر هنا بعض من الدلائل التى تشهد على تطور الحياة النسكية فى الكنيسة عموماً (فى

مصر وخارجها).

أ ـ العزلة فى بيوت خاصة :

نشأت فكرة بيوت العذارى فى أواخر القرن الأول الميلادى ثم أنتشرت حتى وصلت فى القرن الثالث الميلادى إلى أوج عظمتها وكانت هذه البيوت تجمع النساء فقط من العذارى والأرامل تحت علم وإشراف الكنيسة وبمباركتها منتخبات واحدة منهن لتقودهن، حيث كانت هذه البيوت تمارس فيها حياة النسك بأكثر شدة وبالتزام تحت ملاحظة وتدريب أمهن الروحية. وفى أحد هذه البيوت وضع القديس أنطونيوس أخته، كما أودع فيها القديس ديمتريوس الكرام (١٨٨ ـ ٢٣٠م) زوجته، كما وضع القديس آمون زوجته أيضاً... ألخ. على أن هذه البيوت وصلت إلى كمال أنتشارها فى البلاد المصرية فى القرن الثالث الميلادى وفيما كانت تسمى هذه البيوت فى مصر بيوت العذارى، كان تسميتها فى بلاد ما بين النهرين (بيوت أبناء العهد) أو (بنات العهد) حيث كانت هناك بيوت للرجال وبيوت للنساء، أما فى مصر فكان من يريد حياة العزلة وممارسة النسك من الرجال عليه أن يعتزل خارج بلدته مقيماً فى أحد الأكواخ أو المقابر أو المنازل المهجورة.. (واستمرت هذه الحالة حتى نشأة النظام الرهبانى على يد القديس أنطونيوس أب الرهبان).

ب ـ ممارسة حياة النسك بجوار المدن والقرى :

كانت هذه الحياة ينفرد بها الرجال دون النساء لصعوبة العيشة فى العراء للنساء فعلى غرار تخصص بيوت للعذارى وفى نفس التزامن تقريباً ـ قامت هذه الفكرة الإنعزالية للرجال خارج المدن والقرى.

ونجد أنه كان يوجد أفراد منعزلين عن المجتمع فى أواخر القرن الأول الميلادى، وعلمنا هذا من قول القديس اكليمنضس الرومانى عندما كان يذهب يتفقد رعيته، بقوله : (إن وجد هناك قديس «ناسك» ندخل عنده ونلتجئ إليه.. ويقوم «الناسك» بإعداد المرقد حتى ننام.. كل هذه الأمور يصنعها بنفسه المكرس الموجود فى الموضع الذى نحن فيه.. أما بقية الأخوة الذين فى نفس الموضع فكل واحد منهم يتبعه فى تنفيذ خدمة الضروريات لكن لا يكون فى ذلك الوقت بيننا إمرأة أو صبية..). فيستشف من ذلك أنه كان يوجد هناك نساك فى تلك الآونة أى فى أواخر القرن الأول الميلادى، كما أنه واضح من قوله أنهم مجموعة تحت قيادة أب دعاه بإسم (القديس).

أما فى مصر فقد عاش عدد من النساك المنعزلين خارج المدن والقرى على الرغم من أنه لم تكن تربطهم أى قاعدة عامة..

وكان لكل فرد من هؤلاء النسّاك صومعة أو كوخ يحيا فيه الليالى والأيام فى التأملات الطويلة والتراتيل الروحية، مواظباً على السهر والوقوف الطويل وإماتة الحنجرة والصوم والعطش، ولم تكن صوامعهم وأكواخهم بعيدة عن القرى والمدن إلا قليلاً حسب ما أفاد القديس أثناسيوس.. ولم يزل

خَلَفْ هؤلاء السائحين يأخذ عن السَلَفْ هذه الطريقة إلى أيام القديس أنطونيوس الذى جمع شملهم ونظّم أحوالهم.

جـ ـ العزلة داخل الجبال والبرارى :

كانت طبيعة مصر الجغرافية إحدى العوامل الهامة فى تشجيع حياة النسك فى الجبال والصحارى والقفار. فمصر عبارة عن وادٍ ضيق تحيط به الصحارى والقفار من الشرق والغرب، وتكتنفه بعض الجبال والتلال. وان منظر القفار يبعث على الزهد فى الدنيا ويميت فى القلب إتجاهات الشهوة نحو العالم والعالميات كما يقول مار اسحق السريانى. كما إن طقس مصر ومناخها المتجانس تقريباً صيفاً وشتاءاً وقلة أمطارها ساعد على صلاحية الجبال والصحارى المصرية لسكنى الرهبان والمتوحدين. بالإضافة إلى المغائر والكهوف المنتشرة فى بطون الجبل الشرقى والجبل الغربى من أقصى جنوب مصر حتى أقصى شمالها.

ولكن تعتبر هذه هى أصعب مرحلة يعيشها النسّاك على الرغم من علمهم بخطورتها، لإمكان تعرّضهم للوحوش الضارية أو قسوة الجو والعطش والجوع... إلا أن كل هذا يهون.. لأجل محبتهم فى الملك المسيح.. ولم يعرف عن تاريخ هؤلاء، سوى معلومات طفيفة منها، وقد ورد فى مجموعة حـياة القديسـين Acta Sanctorum التى بدأ بجمعها مجموعـة الإخـوة الرهـبان البولندوسـين Pollandists نسبة إلى مؤسسها J. Bollandus سنة ١٦٤٣م بمدينة أنتورب ببلجيكا، تحت يوم ١٤ أبريل إنه فى عهد الإمبراطور انطونيوس بيوس (١٣٨م ـ ١٦١م) نزح أحد أثرياء الإسكندرية ويدعى فرنتونيوس Frontonius حوالى سنة ١٥٠م إلى برية نتريا وفى صحبته سبعون مسيحياً ليعيشوا عيشة الرهبان، زاهدين فى الحياة الدنيا وراغبين فى التقشف والعزلة، إلا أنها أندثرت معالمها بموته. ويعلق العلامة والس بدج Wallis Budge على ذلك بأن تلك الحملة الرهبانية المنظمة لم تكن بطبيعة الحال إلا واحدة من حملات متعددة كانت تخرج تباعاً دون أن تسجلها الكتب المعاصرة، وذلك يرجع إلى حدوثها فى الخفاء بغير ضوضاء أو إعلان، لأن المسيحية أساسها إنكار الذات وعدم المباهاة بأمثال هذه الضروب من العبادة والتقشف، فكانت تحث الزهّاد والمعتزلين على الإحتفاظ بأعمالهم سراً مكنوناً لا يعلمه إلا فاحص القلوب. وهذا يعتبر السبب الجوهرى فى قلة الوثائق التى تتحدث عن الحياة الرهبانية فى القرون الثلاثة الأولى ـ إذا قيس بما كتب فى ذلك خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

ومن أروع الأمثلة هو القديس الأنبا بولا السائح الذى بدأ عزلته فى القرن الثالث الميلادى ولولا أن عثر عليه القديس الأنبا أنطونيوس بترتيب الهى، لظل أمره مجهولاً.

وتذكر المخطوطات القديمة لسير بعض القديسين والشهداء أسماء بعض من السواح والمتوحدين الذين عاشوا فى القرن الثالث الميلادى (إلا إنه لم تعرف سيرهم وأقوالهم) منهم : الأب القديس الذى تتلمذ على يديه الأنبا ديوسقورس والأنبا اسكلابيوس بجبل أخميم فى منتصف القرن الثالث

الميلادى. والأنبا إيساك المتوحد بالجبل الشرقى (عند قرية القصر والصياد حالياً ـ مركز نجع حمادى). والأنبا إسحق السائح الذى عاش بجبل إسنا.

بذلك يمكـن الجزم بأن الأمثلة المجهولة من هؤلاء المعتزلين المتوحدين أكثر بمراحل من المعروفة.

عصـــر الاســتشهاد :

بالرغم من أن كتب التاريخ التى تطرقت لفترة الإضطهاد الشنيع الذى شنّه ديوكلتيانوس وأعوانه فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ـ تذكر نماذج عديدة من النساك والمتوحدين الذين ألتهبت قلوبهم فى محبة السيد المسيح، وقدموا ذواتهم للاستشهاد فى تلك الفترة، إلا أن العديد من الدارسين لتاريخ الرهبنة المسيحية The History of Christian Monasticism قد أغفلوا هذه الفترة الهامة فى دراستهم، مع إنها تلقى ضوءاً جديداً على روحانية النسك الإنجيلى فى حياة هؤلاء القديسين فى ذلك الحين. وتعتبر دليلاً آخر على وجود الحياة الرهبانية فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى قبل ظهور الأنظمة الرهبانية المعروفة. والجدير بالذكر أن القديس الأنبا أنطونيوس أب الرهبان أشتهى فى ذلك الوقت أن يصير شهيداً... ومن أجل هذا ترك وحدته فى الجبل ونزل إلى الإسكندرية وكان يزور المسجونين ويعزّيهم ويشجعهم، ولكن لم يسمح الرب له بأن يصير شهيداً لأجل أن يحفظه للرسالة السامية المعد لها.

وخلاصة القول : إن أصول الرهبنة فى مصر بعيدة الغور، وتاريخها أقدم من تاريخ الأنبا انطونيوس، ولكن لم يتبع نساكها نظاماً معيناً ولم يقتبسوا أحكاماً من طائفة أخرى، كما أنهم لم يتأثروا بسنّة من السنن ولا بقاعدة من القواعد، بل إتبعوا ما أوحى به إليهم بنعمة الروح القدس الكامن داخلهم. وفيما بعد أخذت الرهبنة وضعها الثابت المعروف على يدى القديس الأنبا أنطونيوس حتى أصبح المؤرخون يسمّون الرهبنة التى فى عهده بالرهبنة الأنطونية نسبة إليه.



اللهيب الروحانى

عندما بدأت بشائر السلام بصدور مرسوم ميلان فى عهد قسطنطين الكبير سنة ٣١٣م وأصبحت المسيحية معترفاً بها فى أنحاء الامبراطورية الرومانية. كان رد الفعل الطبيعى فى مصر بعد تلك الموجة العارمة من الاضطهاد المريع المصحوب بأروع صور الإستشهاد حباً فى الملك المسيح، هو ظهور نوع آخر من الاستشهاد ولكن بدون سفك دم، عن طريق إماتة الذات وهجر العالم، وإحتمال المشقات فى أعماق القفار إنتصاراً على أهواء الجسد وتقديم الذات ذبيحة حية للسيد المسيح كل يوم.. فأصبحت الرهبنة كأنها أمتداد لعصر الإستشهاد من ناحية ولتجنب خطر الإنحراف من ناحية أخرى لأنه فى أواخر القرن الرابع كانت هناك موجة شديدة وكثيفة من الفساد والإنحلال الأخلاقى والمغالاة فى الرفاهية وبناء القصور بصورة تدل على شدة البذخ.

وعلى منوال المسيحيين الأُول فى أورشليم، تخلّوا عن إستخدام أو إمتلاك متاع الدنيا وكوّنوا جماعات منظمة تتألف من أصحاب الميول الواحدة رجالاً أم نساء، فأصبحوا كطيور مغردة، يسبّحون فى الفردوس. هؤلاء الذين يجاهدون حقاً ويعيشون حياة المسيح كلها فى أوان (أجساد) أنهكتها الصلوات والأصوام المتواترة.

فكانوا أشبه بالسدود العظيمة التى تختزن مياهاً كثيرةً فى حال من الصفاء والهدوء حتى إذا أنفتحت هذه السدود ظهر ما كانت تخفيه من قوة شديدة لأن مياهها تندفع لتغمر ما حولها، ولذلك قال القديس يوحنا ذهبى الفم : (فإذا فتح الراهب فاه شملك بالطيب الذكى فإن أفواه الرهبان القديسين «ينابيع عسل جارية» تفيض المياه النقية).

وأصبحت الحياة الرهبانية ذكصولوجية تُرتّل لا بالشفاه فقط بل بالكيان كله ففضلوا البرارى حيث السكون والهدوء جالسين فى حضرة الرب متمتعين به عارفين إياه عن قرب فصاروا أصدقاء ومعارف خصوصيين له، وتكملت إلى أن صارت لهم دالة ومحبة معه فآمنوا بحياة العبادة وأقتنعوا بصحتها وسلامتها، فكرسوا أنفسهم لها فى هذيذ دائم ودهش مطلق وفحص مستمر للنفس ومراقبة دائمة لحركاتها وسكناتها حتى وصلوا إلى درجات عالية من النقاوة والطهارة وبالتالى الإتحاد بالله.

وبهذا تلذذوا بالرب وطابت لهم العشرة معه حتى نسوا أهلهم وذويهم كما قال الشيخ الروحانى : (محبة المسيح غرّبتنى عن البشر والبشريات). فتعبقت البرارى والجبال ببخور صلواتهم وينابيع دموعهم وذبائح أصوامهم ونسكياتهم وإنسحاقهم. هذا مما دفع القديس يوحنا ذهبى الفم بقوله : (لو قصدت برية مصر فى يومنا لوجدتها تفوق الحدائق نضارة، بزهور قديسيها وجمهور نساكها.. فالسماء بنجومها وكواكبها أقل بهاء من مناسك مصر وصوامعها. والخبير بسالف عوائد المصريين وقف على تبدل حالتهم وأعتقد الاعتقاد التام بقوة السيد المسيح).

نشـأة الأنظمــة الرهبانيــة

مع التطور الطبيعى للحياة النسكية فى القرون الثلاث الأولى. أجمع الباحثون فى تاريخ الرهبنة المسيحية على أن تلك القلوب المنيرة الملتهبة حباً لفاديها والنماذج الحية لحياة الكمال المسيحى. إختارت طريقة للمعيشة تتفق مع متطلبات الحياة النسكية فى شكل نظامين :

١ـ النســك التوحــدى :

أ ـ التوحد الإنفرادى : «وهو الطابع الأقدم» ومن أعظم أمثلته الأنبا بولا السائح (كما ذكر آنفاً).
ب ـ التوحد فى وسط جماعة من المتوحدين : (وهو الرهبنة الأنطونية).

لقد سـلك القديس العظيم الأنبا أنطونيوس نفسه نظام العزلة التامة فى بداية حياته النسكية قبل أن يجتمع حوله محبى الوحدة. وهذا شأن الكثير من المتوحدين فأنهم لم يعيشوا دائماً فى وحدة كاملة، فغالباً ما يصبحون أباء روحيين لتلاميذهم الذين يلتفون حولهم. ولكنه يعتبر مؤسس هذا النسق من الحياة الرهبانية، لذلك سمّى هذا النظام بالرهبنة الأنطونية. ويعتبر ما سبقه مقدمات مرتجلة مهدت لهذا النظام الجديد.

قدم للعالم أسلوباً جديداً عملياً لتطبيق الحياة حسب الإنجيل. وإجتذبت شخصيته الفذّة الحلوة أعداداً كبيرة من الرهبان الذين تتلمذوا عليه، وأصبح هو فى نظرهم المثل الأعلى للحياة الكاملة، يقتدون به، وينسجون على منواله، لأنهم وجدوا فيه إنجيلاً معاشاً، حتى أن الصحراء أصبحت تعج بجماعاتهم فى جبالها وصحاريها.

وظل النظام الأنطونى نظاماً فردياً فى أساسه يعتمد على العزلة والتقشف والصوم. وممن تتلمذ على يديه الناسك العظيم ايلاريون مؤسس الرهبنة فى فلسطين، ومقاريوس المصرى الكبير ـ أب الاسقيط فيما بعد ـ والأنبا أمون أب رهبان نتريا..... وكثيرون.... وبذلك تعد هذه أول جماعة حقيقية تكونت للرهبان ليس فى مصر فقط بل فى العالم أجمع. وسرعان ما تتابع تكوين مثل هذه الجماعات فى أنحاء مصر.

٢ـ حياة النسك الديرية (مجمع الرهبان) :

(وهو الطابع الأحدث) بدأ هذا النمط من الحياة الديرية على شكل جماعات رهبانية متفرقة فى أنحاء مصر. إلتف كل منها حول أب روحى مرشد مختبر بينما إحتفظ كل منهم بعزلته عن رفقائه عند الصلاة والعبادة في صومعته الخاصة وبالرغم من إنه لم يكن لتلك الجماعات رئيس بالمعنى المعروف، إلا أن ذلك الأب القديس الذى إجتمعوا حوله أصبح بمثابة رائدهم فأصطلحوا على تسميته أباهم الروحى وتتلمذوا عليه وأخذوا تعاليمهم عنه وإحتذوا به. وهكذا نشأت جماعات رهبانية كثيرة فى مناطق مختلفة فى مصر، ولكن كانت بدون أسس ثابتة أو قواعد تنظيمية.

إلا أن الأنبا باخوميوس (٢٨٦م ـ ٣٤٦م) يعتبر هو الرائد الأول لنظام الحياة الديرية الذى وضع أسسها وتنظيماتها، والذى بنى أول دير فى العالم (فى صعيد مصر) لذا يلقب بأب الشركة (وقد نقلها فيما بعد القديس بنديكتوس إلى الغرب فى القرن الخامس) ومع إنتشار الرهبنة الباخومية فى صعيد مصر وإنضمام بعض الجماعات الرهبانية إليها فى ذلك الوقت، صارت أيضاً بعض من الجماعات الرهبانية الأخرى مستقلة بذاتها، وبعض أخر نقل من القوانين الباخومية إليه وإستفاد منها...

ثم يأتى النظام الديرى للأنبا شنودة رئيس المتوحدين (٣٣٣م ـ ٤٥١م) فى مرحلة لاحقة لنظام الشركة الباخومى الذى كان له طابعه الخاص....

وهنا يجب إيضاح ملاحظة هامة وهى :

✤ إن كان هذا تقسيماً علمياً لكن ـ فى الواقع ـ كان البعض يبدأ بحياة التوحد وبعد فترة بسبب حلول الأمراض فى الجسد وعدم مقدرته على إتمام نسكياته التوحدية وإحتياجه إلى من يعاونه يضطر النزول إلى الحياة فى المجمع الرهبانى. وبالعكس فكان البعض الآخر ممن عاشوا حياة المجمع الرهبانى إشتاقوا إلى التوحد فأنعزلوا عن الحياة المجمعية، وعاشوا فى المغائر والكهوف...

✤ كما أن هذه الأنظمة والجماعات الرهبانية لم تكن من ترتيب بشرى أو حكمة أرضية بل كانت بترتيب سمائى دبرته العناية الإلهية :

ـ فالأنبا أنطونيوس عاش فى البرية وأسس نظامه الرهبانى بإرشاد الهى.

ـ والأنبا مقاريوس الكبير ظهر له الكاروبيم وأعلمه بأن الرب أعطاه جبل وبرية شيهيت ميراثاً له ولأولاده...

ـ والأنبا باخوميوس ظهر له الملاك وأعلمه بالقواعد الأساسية للنظام الرهبانى الذى سيقوده، وهى حياة الشركة.

ـ والأنبا شنودة دُعِىَ رئيساً للمتوحدين بناء على دعوة من السماء سمعها القديس الأنبا بيجول (خاله).

(غير الأمثلة الكثيرة المذكورة فى تاريخ الرهبنة المسيحية) وهذا شأن كل مؤسسى الأنظمة والجماعات الرهبانية وقوّادها حيث كانوا معدّين بتدبير إلهى عجيب!

ومن أجمل ما قيل عن الرهبان فى مصر، ما قاله شاهد عيان لهم وهو مؤرخ تاريخ الرهبان فى مصر فى أواخر القرن الرابع الميلادى History of the Monks in Egypt بقوله :

رأيت فى مصر آباءاً كثيرين عائشين عيشة الملائكة، جاعلين حياتهم مماثلة لحياة الفادى. ورأيت غيرهم من الشبان، وكأنهم أنبياء يأتون أعمالاً إلهية عجيبة، وهم فعلاً خدام المسيح، لا يهتمون بهذا العالم، ولا يشغل عقولهم أى شئ يتعلق بالأمور الزمنية. ولكن كانوا فى الظاهر يعيشون على الأرض، فإن مسكنهم الحقيقى فى السماء. لأن بعضهم لا يشعر بأنه مقيم فى العالم، ولا يعلم بوجود شرور ترتكب فيه. وكأن حالهم تمثل فيما ورد فى المزمور ١١٩ ع ١٦٥ «سلامة جزيلة لمحبى شريعتك» وفيما هو مكتوب فى كورنثوس الثانية ص ٦ ع ١٨ «وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شئ».

وكثير منهم عندما كانوا يسمعون الكلام الذى يقال فى العالم كانوا يستغربونه، وقد نسوا جميع الأشياء الحسنة فى هذه الدنيا وجميع همومها، لأن إنساناً رآهم منزرعين فى البرية، وكأبناء حقيقيين ينتظرون أباهم المسيح وكأنهم مارسوا الحق، وخدام أشراف ينتظرون قدومه لا يهتمون بالمسكن أو المأكل أو الملبس، ولا همٌّ لهم سوى مجئ المسيح رجائهم. وإن نقص أحدهم كثير من الضروريات، فلا يقصد مدينة أو قرية أو أخ أو صديق أو قريب أو أبناء أو خدام طلباً للأشياء اللازمة له، بل يرفع يديه للتضرع، ويقدم اعتراف شفاهة لله. وعندما يختم صلواته، يجد أمامه كل ما يحتاج إليه. ومالى أطيل الشرح فى إيمانهم (بالمسيح)، وهذا الإيمان يستطيع أن ينقل الجبال. وكثيرون منهم كانوا يوقفون المساقى والجداول التى تجرى فيها المياه، ويمشون فوق النيل، ويبيدون الحيات ويشفون المرضى ويصنعون الآيات ويأتون الأعمال القديرة كالأنبياء الأطهار والرسل الأبرار بقوة ربهم. وكان كل ساكن فى تلك الديار يعلم أن الدنيا قائمة فى الوجود بصلواتهم وأن حياة أبناء البشر ثمينة عند الله بواسطتهم.

ورأيت أيضاً بمصر أمة كبيرة من الرهبان لا يحصى عددها، وفيهم أناس من كل نوع ومنزلة. ويعيشون فى البرية والقرى، ولم يوفق أى ملك أرضى إلى أن يضم فى خدمته عدداً كبيراً كهذا، فلا توجد قرية أو مدينة بمصر أو فى الصعيد إلا واكتنفتها الأديرة كأنها أسوار لها وجماعات عديدة من الناس يعتمدون على صلواتهم كإعتمادهم على الله. ويعيش بعض الرهبان بالقرب من المدن والقرى فى المغائر والأرض الفضاء والبعض الآخر بعيد عنها.... وإذ قد حصلت منهم على فائدة عظمى وفحصت بدقة متاعب معيشتهم وأعمالهم أتقدم إلى وضع هذا التاريخ لأشجع الرهبان الناجحين على زيادة الغيرة بالسيَر التى أنقلها إليهم ولفائدة وتثقيف الذين أخذوا يتبارون فى قوانين معيشتهم.

وسأبدأ بنعمة الله بتاريخ حياة وأعمال الآباء الأطهار العظام الذين صنع ربنا على أيديهم فى الوقت الحاضر ما صنعه على أيدى أنبيائه ورسله لأن الرب نفسه هو الذى صنع كما أنه يصنع إلى الآن كل شئ لكل إنسان.

وقفة هادئة من أجل الحقيقة :

- من العجيب... أن بعض العلماء أضاعوا مجهوداتهم الفكرية فى المقارنة بين الرهبنة المسيحية والرهبنات الأخرى غير المسيحية. وصرفوا أوقاتاً فى هذه الدراسات لإيجاد إثبات أو دليل، لتأييد الرأى الذى يريدون الوصول إليه، ألا وهو : أن الرهبنة المسيحية تأثرت بالرهبنات الأخرى غير المسيحية. ولم يفطنوا بأن ينبوع الفكر النسكى فى الرهبنة المسيحية هو إنجيلىّ محض. أُخذَتْ مبادئه وتدعمت من السيد المسيح له المجد، ومن شخصيات الكتاب المقدس التى عاشت حياة النسك والتجرد.

ولقد تم عمل دراسة مركّزة فى هذا الشأن من عشرات المراجع المتخصصة وأخذت عنوان : الفلسفات النسكية قبل الميلاد (عند الهنود واليونان والمصريين واليهود).

ونظـراً لأن المجـال هنا لا يسـع لسـرد هـذه الدراسـة، فسنوجز هنا بعض من النقـاط التوضـيحية :

- إتفق المؤرخون الذين درسوا وكتبوا عن الديانات على تلقيب جميع الحركات النسكية سواء على المستوى الفردى أو على المستوى الجماعى بحركات رهبانية فكلمة راهب لا تطلق على من هم نساك مسيحيين فقط، بل على كل من إتخذ النسك طريقاً له سواء كان مسيحياً أو غير مسيحى.

أ ـ **النسـك** : النسك هو العبادة والطاعة والزهد والتقشف وكل ما يقرّب الإنسان إلى الله، ويقول الاعرابى : قيل للمتعبد ناسكٌ لأنه خلّص نفسه وصفاها لله تعالى من دنس الآثام كالسبيكة المخلّصة من الخبث، وأجاب الثعلبى عن النّاسك عندما سئل من هو فقال : أنه مأخوذ من النسيكة وهو سبيكة الفضة المصفاه. كأن خلّص نفسه وصفّاها لله عز وجل. وفى اللغة القبطية يوجد كلمتان تقتربان من كلمة نسك لفظاً ومعنىً وهما :

١ـ NICWK وتعنى (المسوح) : وكان يلبس علامة للتوبة (مت ١١ : ٢١) أو الحزن (تك ٣٧ : ٣٤، ٢صم ٣ : ٣١)... أو النوح (حز ٧ : ١٨).

٢ـ NICϵK وهى تعنى (الزهّاد أو من أمتنعوا عن كل شئ).

ب ـ **الرهبنة** : الرهبنة أسم من معنى الراهب أى أتخاذ طريقة الرهبان.

ترّهب الرجل : أى صار راهباً يخشى الله. أى يخاف الله، ويقول إبن كثير أن أصلها من الخوف وتعنى أيضاً المبالغ فى الخوف، والترهب بمعنى التعبد.

وكلمة راهب باليونانية واللاتينية والقبطية تعنى (متوحد ـ منفرد).

✥ إجتهد روّاد الفكر الفلسفى ـ منذ القدم ـ فى محاولة للتوصل إلى : ما هى الوسائل التى تجعل من الإنسان سعيداً؟.

فوجدوا أنه ليس بالمال والجاه ولا بالمرح والرفاهية.... ألخ ـ بل بالحياة الصالحة، وبحثوا كيف يقتنى الإنسان الحياة الصالحة؟!... ومرّت القرون على هذا السؤال... إلا أنه لم يكن أحد فى زمانهم يحتكم على إجابة مريحة لطالبها!!

من هنا برزت مجموعات فى أزمنة متباعدة ومجتمعات متباينة الاختلاف، تلهث بفرح الروح معلنة أنها ملكت الإجابة!!..

كما أتفق الجميع علي الرغم من شدة التباعد الزمنى والتباين التربوى والإجتماعى، على أن إقتناء الحياة السعيدة يكون بالحياة الصالحة وهو البعد عن الرذيلة، ووجدوا أن هناك علاقة وثيقة بين الرذيلة (الشر أو الشهوة الرديئة) والجسد.

لهذا بدأت عملية النسك الجسدى التى نمى معها النسك الروحى، وتوصّل البعض منهم لأمور فى المعرفة الروحانية بالنسبة للنفس والروح والجسد.

كما وضعوا قوانين توحى ـ لأول وهلة ـ أن هؤلاء كُشفَ لهم نور إلهى غمرهم بمعرفة طالما هم اشتاقوا إليها. ومنها بدأت عمليات إذلال الجسد وكَبح جماحه بطرق فى منتهى القسوة والخشونة، يحيون حياة الموت الإرادى فى مغائر وأكواخ، فى شقوق وعراء، غير مبالين بقسوة برودة الشتاء أو شدة حرارة الصيف، ولما كانت معرفتهم بالخلاص والسعادة قاصرة على الإماتة الذاتية، لهذا نظروا إلى الجسد كعدو ورضخوا تحت نير فرائض وضعوها كسياط تلهب أجسادهم لاعتقادهم أنهم بذلك سوف يصلون إلى غرضهم المنشود!!.

هذا غير عقائدهم الكثيرة جداً، منها فكرة خلق العالم أو التناسخ أو زواج الآلهة.... وغيرها من العقائد التى تجارى الأسلوب الفكرى للمجتمعات الوثنية.

هكذا أعتنق الكثيرون... فلسفات وعقائد أعتقدوا فيها، أنها الوسيلة للوصول إلى السمو الحقيقى!... ولكن بينما تثبت هذه الجماعة دقة معتقداتها الجديدة ووصولها لمبدع الخير الأعظم، تظهر أخرى ـ وبأكثر جدية ـ تنادى بمبادئ تختلف عن مثيلتها... وهكذا تظهر هذه وتختفى تلك... وأُرهق الإنسان وعجز فكره البشرى فى الوصول إلى الله ولم يصل.

ومع هذا أصرّوا أن هذا العالم زائل وما هو إلا ظل للعالم الحقيقى الذى تسود فيه المثل العليا للحق والخير والجمال. وأصرّوا على أن الحقيقة ليست وقتية أو مادية إنما روحية أبدية لذلك قادهم بحثهم عن الحق إلى حد، مظهرين أفضل ما يمكن أن يقوم به الإنسان للبحث عن الله بالعقل.

وبكل جرأة العقل والروح فالحق يقال أنه ما كانت هذه الفلسفات سوى سماح من الله المحب ليعد الفكر لإقتبال فكرة الخلاص، والتجسد، فما خلق الله الإنسان إلاّ لكى يعرفه ويحبه ويخدمه، وهذه هى غاية الإنسان الكبرى، وسبب سعادته، فالله هو كل شئ بالنسبة للإنسان..

«أنا هو الألف والياء البداية والنهاية» (رؤ ١ : ٨)

✥ وقد تبين أن كثير من العلماء قد انقسموا إلى مذاهب مختلفة فى البحث عن اصول الرهبنة المسيحية. وتم دراسة أدعاءاتهم عن الرهبنة المسيحية القبطية فى مصر والتى قال عنها بعضهم أنها مأخوذة من البوذية وآخرين قالوا أنها مأخوذة من جماعات المتزهدين اليونان فى مصر أو أنها مشتقة من الوثنية المصرية.

واتضح أنه مع الأسف كانت دراساتهم سطحية، ولم يحاولوا الدخول إلى العمق فى فكر الرهبنة المسيحية الأصيل وأصبحت آراؤهم ينقصها الدليل وتعوزها الحجة والبرهان وبعيدة عن صدق الروح، وتخلّوا عن المنطق العلمى المستنير لإسلوب الدراسة الصحيح.

لأن الدارس المتعمق فى التاريخ المبكر للكنيسة عامة يتضح له جلياً أن أسس الحياة النسكية فى المسيحية مستمدة من شخص السيد المسيح له المجد نفسه، وليست مستوحاه من أختبارات شخصية مارستها جماعة معينة من البشر لهدف ما، أو لغرض معين، ولكنها أنجيلية أصيلة، مستمدة من تعاليم السيد المسيح له المجد ومن أسلوب كرازته لملكوت السموات.

لذا فأنه لا يوجد أساس للنظرية القائلة أن الرهبنة المسيحية مستمدة من أنظمة النسك غير المسيحية كالبوذية وغيرها.: **لأن جوهر العمق الروحى والتفاعل الداخلى فى حياة الراهب المسيحى، يختلف كل الاختلاف عنه فى حياة الراهب البوذى أو البراهمى... ولا يوجد وجه تشابه جوهرى صميم.. لأن سر التفاعل الروحى داخل كيان الراهب فى المسيحية، هو الاتحاد اللانهائى بشخص المسيح يسوع له المجد، والاضطرام المستمر بنار الحب الإلهى المنسكب بفعل الروح القدس، وفعل العناية الإلهية من لدن الآب السماوى.** هذا التفاعل العجيب من الآب والابن والروح القدس، داخل كيان الراهب المسيحى، يجعل من الرهبنة المسيحية مكانة لا تقارن بغيرها من الرهبنات غير المسيحية.

كما أن الرهبنة المسيحية فى مصر، كان لها هدف وأسلوب مختلف تماماً عن تلك الحركات التصوفية غير المسيحية. لأن الرهبان الأوائل الذين أسسوا هذا الطريق، ولم تكن ظروفهم البيئية أو العلمية ـ إن وجدت تمكنهم من الاطلاع، أو حتى مجرد السماع عن هذه الحركات حتى يقلدونها، بل خرجوا إلى الصحارى بدافع من الروحانية والزهد، للسمو فى الكمال الإنجيلى محبة فى الرب يسوع المسيح له المجد، وطاعة لوصاياه، واشتياقاً إلى الملكوت.

وفى الحقيقة أن الدراسات العلمية الدينية المفتقرة إلى الروحانية أو على الأقل المفتقرة إلى نعمة الروح القدس لهى دراسات تعتبر ميتة لا حياة فيها، فى منطق روحانية الفكر المسيحى الأصيل حيث أن الأصالة فى المسيح يسوع له المجد، لا تكون بفلسفة العلم الخالى من حكمة الإنجيل، ولكن تكون بحكمة الإنجيل التى تخلق الفلسفة الحقيقية والمنطق الروحانى.

وخلاصة القول إن : الإنجيل هو الينبوع الأوحد للفكر الرهبانى المسيحى الأصيل.

الرهبنة حياة انجيلية ملتهبة
بروحانية الشركة فى الألم مع الرب يسوع

يقــول رب المجــد : «إن أراد أحــد أن يأتــى ورائــى فلينكــر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى»

(لو ٩: ٢٣، مت ١٦: ٢٤، مر ٨: ٣٤)

وعندما سـأله الشاب الغنى عما يفعل ليرث الحياة الأبدية كان جوابه **«اذهب بع كل مالك واعطى الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعالى اتبعنى حاملاً الصليبْ»** (مر ١٠: ٢١)

إذاً لكى اتبع المسيح احمل الصليب.

والعجيب فى حمل الصليب أنه يقول «نيرى هين وحملى خفيف».. ما أعظمك يارب القوات!

ويقول معلمنا القديس بولس الرسول :

«مع المسيح صُلِبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى».. (غلاطية ٢: ٢)

«أما من جهتى فحاشـا لى أن أفتخر إلا بصـليب ربنا يسـوع المسـيح الذى به قد صـلب العالم لى وأنا للعالم» (غلاطية ٦: ١٤)

«لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته» (فيلبى ٣: ١٠)

ما أكثر ما كتبه معلمنا بولس الرسول عن الألم والضيقات التى يعتبرها هبة روحية من الله للإنسان بقوله :

«لأنــه وهــب لكــم لأجــل المســيح لا أن تؤمنــوا بــه فقــط بــل أيضــاً أن تتألمـوا لأجــله»
(فيلبى ١: ٢٩)

ولأن هذا الباب الضيق ـ أى حمل الصليب ـ هو الطريق المضمون للحياة مع المسيح إلى الأبد فقد سلكه جميع القديسين الذين قال عنهم القديس بولس الرسول :

«وآخــرون تجربوا فى هزء وجــلد ثم فى قيــود أيضاً وحَبْس. رُجموا نُشروا جربوا ماتوا قتلاً بالسيف طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مُذَلين ـ وهم لم يكن العالَم مستحقاً لهم تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (عب ١١: ٣٦ ـ ٣٨)

إن آبائنا القديسين وهم يحملون ثقل الصليب فى ثقة قد استعذبوا الألم وصار لهم حمل الصليب هواية مريحة للنفس واصبحت كأس الألم بالنسبة لهم كأس فرح وبهجة وسرور.. والأشواك فى الطريق شاهدوها ورود ذات رائحة كريمة.

فقد قال أحد الآباء [إن الفرح فى الألم هو مقياس حرارة حب النفس للمسيح. والإنسان الكامل يرحـب بالألم ويفـرح به والفاتر يهـرب منه ويضيق به ذرعاً]. فما كانوا يتضـجرون من ليل مظلم ولا من برد قـارص ولا من طريق وعرة ولا من وحشة الصحراء والوحدة. ولا من تل منحدر بل جالوا معذبين مكروبين تائهـين فى الجبـال والبـرارى من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح. ومبدأ التعب فى الطريق وحمل الصليب والألم ضرورى للحياة مع المسيح فيقول القديس اغسطينوس [لا ترجع النفس إلى الله إلا إذا أنتزعت من العالم... ولا ينتزعها بحق إلا التعب والألم].

أما معلمنا القديس بولس الرسول : فيكتب بايضاح فى رسالته إلى أهل أفسس الأصحاح السادس أهمية وكيفية حمل الصليب قائلاً : «**أخـيراً يا اخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتـوا ضـد مكايد إبليس فإن مصـارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤسـاء مع السـلاطين مع ولاة العـالم على ظلمـة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحيـة فى السـماويات. من أجل ذلك احمـلوا سـلاح الله الكـامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير وبعد أن تتمـموا كل شئ أن تثبتوا. فاثبتـوا ممنطقين أحقـائكم بالحق ولابسـين درع البر وحـاذين أرجلكم باسـتعداد انجيل السـلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمـان الذى به تقدرون أن تطـفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خـوذة الخـلاص وسـيف الروح الذى هو كلمـة الله. مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين ولأجلى لكى يعطى لى كـلام عند افتتـاح فمى لا علم جهاراً بسـر الإنجيل. الذى لاجله أنا سـفير فى سلاسل. لكى أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم**». (٦ : ١٠ _ ٢٠)

✝ والصليب بالنسبة للراهب اليوم

- هو ترك العالم وكل حياته وكل مشتهياته، وتحديد المصير للسير فى الطريق الضيق الذى للرهبنة، واتخاذ القرار وترك الأهل والأحباب والأصدقاء... أليس هذا حمل الصليب!

- والجهاد من أجل تقويم إعوجاج النفس، وتغيير الشكل بتجديد الذهن. أليس هذا صليب يحتاج إلى صبر وعرق ودموع.. وقال أحد الآباء [إن كل إنسان يسلم نفسه لشدة بهواه بارادته من أجل الله، فلى إيمان أن الله يحسبه مع الشهداء، وذلك البكاء الذى يذرفه فى تلك الشدة يحسبه الله عوض الدم].

- التجرد للحرب والدخول مع عدو الخير والانتصار عليه فى حروب متتالية. صليب ذو غُصّة وذات مرارة كبيرة، إذ ليست حربنا مع لحم ودم بل مع قوات الشر فى السماويات. فالرهبنة إذاً هى شركة مع المسيح فى حياته الفصحية وشركة فى ذبيحة الصليب. إذ ينفتح قلب الراهب لقبول الصليب مقدماً حياته كلها ذبيحة حية وقرباناً مقدساً للمسيح له المجد.

- وحيـاة الراهب ممارسـة حيـة لحياة الاستشهاد اليومى بالصليب. ويقول القديس باخوميوس أب الشركة الرهبانية [هل تظن أن تقطيع الأعضاء والحريق وحدهما شهادة؟ لا بل تعب

النسك والضربات التى من الشياطين والأمراض. فمن يحتمل كل ذلك بشكر فذلك هو الشهيد. وإلا فما الحاجة لأن يكتب معلمنا بولس الرسول : «انى أموت كل يوم» فإنه لم يكن يموت فى الظاهر كل يوم بل كان بصبر يحتمل كل ما يأتى عليه].

✥ فالرهبان يجاهدون ويقاسون التعب والألم فى فرح عجيب لا ينطق به. فهم لم يحملوا الصليب متذمرين بل راضـين وفرحين وشاكرين. وقد أوصى أباؤنا القديسون كثيراً بالفرح فى حمل الصليب، فيقـول القديـس باخومـيوس أب الشـركة الرهبانيـة [تقبل كل التجارب بفرح عالماً بالمجد الذى يتبعها فإنك إذا تحققت من ذلك فلن تملّ من احتمالها لدرجة أنك تطلب من الله أن لا يرفعـها عنك]. ويقـول مار اسحق السـريانى [لا تكره الشدائد فباحتمالها تنال الكرامة وبها تقترب إلى الله لأن النيـاح الإلهى كائن داخلها ومحب الصلاح هو الذى يحتمل البلايا بفرح].

وأباؤنا القديسـون الذين اختـبروا المفهـوم الإنجيلى فى حكمـة الدخـول بفرح من الباب الضيق، أوصـوا أولادهـم كثيراً جداً بالفرح فى التعب وحمل الصليب، ففى عظة وداعية قالها القديس مقاريوس الكـبير لأولاده الرهبـان : من ذا الذى تكلل قط بدون جـهاد؟ ومن استـغنى بـدون عمـل؟ ومن ربح ولم يتعب أولاً؟ أى بطّـال جمـع مـالاً؟ وأى عاطـل لا تنفـذ ثروتـه؟ انه بضـيقات كثـيرة ندخـل ملكـوت السـموات. فيحـرص كل منكم على قبول الأتعاب بفرح عالماً أن من ورائهـا كل غـنى وراحـة]. ولا يسـع المجال هنا فى الحـديث عن صليب النسك والصوم والهدوء والصلاة والجهاد فى ضبط الفكر والعقل..

والسـطور التاليـة كواكـب من نور تسطع فى سماء البسيطة، وكنغم موسيقى شجى يريح الأنفس الملتاعة. وهى لسـان حـال راهـب حـمل الصليب خلف يسوع، فلهج لسانه بتلك الكلمـات فقال : ارتضـيت يارب أن تحـمل الصليب عنى سائراً بخطى ثابتة حتى إلى القبر.. حامـلاً ثقـل الصـليب .. وقسـوة السـياط .. ونزيـف الدمـاء .. واكليـل الشوك.. وطول الطريق.. وقد وجهـت نظـر الخليقة كلها بأن تحمل الصـليب خلفـك. وهـا أنـا يـارب أقـدم ذاتى وحياتى كلها لك لأحمل الصليب صليب الجهـاد ولا أخاف من عواقـب الطـريق لأنى خلفك أسير.. أحمل صليب الآلام ولا أخور لأنى خلفـك أسير.. فى خلوتى سـأحمل صـليبى فى جهاد وعرق ودموع وصلاة معك حتى إلى الجلجثة.. فأصـلـب ذاتى وأسـمّر كل شـهواتى معك على الصـليب.. بعـت كل شئ من أجـل حبك العظيم.. لكن أعطنى مع كل صـليب صبراً واحتمالاً.. لكى أستحق أن أدفن معك فى القبر لأعاين نور قيامتك..

نعم إن الرهبنة الحقيقية هى تلمذة للسـيد المسـيح له المجد. **«ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً»** (مت ١٤ : ٢٧)

ونجد القديس برصنوفيوس يخاطب الذين تصغر نفوسهم فى الأحزان ولا يحملون الصليب بفرح وبشكر فيشجعهم قائلاً : [لماذا تصغر نفسك فى الأحزان مثل انسان جسدانى. ألم تعلم أن الأحزان

موضوعة للقديسين؟ ألم تسمع أن كثيرة هى أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب؟ أم تعلم أن الصديق يمتحن بالأحزان كما يمتحن الذهب بالنار فان كنا صديقين فبالأحزان نختبر وإن كنا خطاه فبالأحزان نؤدب.

✞ هبات الطريق الضيق وحمل الصليب :

إن وصية الانجيل تناشد الكمال.. **«كونوا انتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل.»** (مت ٥ : ٤٨).

والرهبنة كحياة سعى إلى المسيح من خلال الفضيلة وتقويم إعوجاج النفس لتسعى إلى الكمال... تنفيذ وصية الإنجيل..

يقول الشيخ الروحانى فى هذا الصدد :

(الشيخ الروحانى هو القديس ماريوحنا سابا وقد لقب أيضاً بالعظيم فى العارفين لجمال ما كتبه فى الروحيات)

أولئك يارب الذين أشرقت عليهم بشعاع من حبك لم يحتملوا السكنى بين الناس بل ألقوا عنهم كل حب جسدانى وتغربوا فى كل شئ فى طلب المحبوب. نزعوا كل أفراحهم وذهبوا يلتمسون طريق الحبيب بالدموع. بكوا لما وجدوا أنفسهم فى الطريق غير مستأهلين لجمال المحبوب... نفضوا كل لذة جسمية ونبذوا كل تمتع بشرى وأحبوا الشقاء والتعب ليحننوا قلب الحبيب عليهم! تركوا الأب والأم والأخ والصديق وسعوا خلف الغنى بحبه لأنهم أدركوا أن فى قلبه لهم حباً كثيراً وفى محبته لهم عزاء يفوق كل عزاء! ساعة أن أدركوا شهوة حب الوحيد ما صبروا أن يبقوا فى أفراح العالم لحظة، ولما لم يجدوا عندهم شيئاً يليق أن يقدم له قدموا ذواتهم بالحب على مذبحه، وأسلموا أجسادهم حتى الموت فرحين إذ وجدوا شيئاً يقدمونه إليه!

يجرون فى طريق الأحزان بلا شبع ويسرعون حاملين عذاباتهم. صلبوا الأعضاء مع الشهوات مسرورين وشربوا مرارة المر متلذذين. آه منك أيها الحبيب! لقد سلبت منهم كل شئ حتى ذواتهم فلم يشعروا أنهم أحياء بل أنت هو الحى فيهم.. حينما تحيط بهم الشدائد من كل جهة لا يرغبون فيما يعينهم على الخلاص بل يطلبون المزيد مع قوة للاحتمال من أجلك أنت محبوبهم!

هؤلاء سكروا بالحب ولما سمعوك تقول «طوبى للباكين الآن» لم يكفوا عن البكاء!! من هذا الذى أشتعل بالحب فانشق قلبه وخرج منه ينبوع مياه الحياة؟ فلما لم تحتمله ركبتاه فى الصلاة خرّ على وجهه وكلما قام سقط، ومن حرارته انفلقت مقلتاه فخرجت منهما ينابيع دموع أحرقت الخدود بحرارتها، وانحدرت على الأرض فغسلت لعنتها.

آه أيها الحبيب الإلهى! رفعت النفس حتى أجلستها فى نور خالقها وطهرتها حتى تشبهت بسيدها فاستأنست الوحوش بها وإذا رأت فيها صورة خالقها لم تكف عن أن تستنشق رائحته وليست

الوحوش وحدها هى التى خضعت لها بل والشياطين أيضاً فزعت لما رأت النفس مستنيرة بالحب وولّت لما رأت فيها صورة سلطان الله.

هؤلاء كل درجة يرتفعون بها نحو المجد يظنون أنهم قد وجدوا الانتهاء فإذا ما ارتقوا أيضاً وأستناروا بنور أكبر نسوا درجتهم الأولى وظنوا أن هنا نهاية المنتهى هذا لأنهم ليسوا هم المتحركين نحو المجد إنما هو فعل الروح القدس فيهم..

✝ لذا فان هذا الطريق الصعب الحلو :

- ✥ يرتبط بالكمال فى تنفيذ الوصية «إن أردت أن تكون **كاملاً** فاذهب وبع.. **واعط.. وتعال اتبعنى**» (مت ١٩ : ٢١) «**حاملاً الصليب**» (مر ١٠ : ٢١).
- ✥ ويرتبط به الكمال الروحى والثبات فى المسيح والقوة والتمكين «**وإله كل نعمة الذى دعانا إلى مجده الأبدى فى المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم.**» (١بط ٥ : ١٠)
- ✥ وهو أيضاً يولّد فضيلة الاتضاع التى تجعل الإنسان ينسحق أمام الله «**اتضعت فخلصنى**» (مز ١١٦ : ٦).
- ✥ وينمّى فضيلة الصبر والاحتمال «**الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص**» (مت ١٠ : ٢٦)، **وبصبركم اقتنوا انفسكم** (لوقا ٢١ : ١٩).
- ✥ وهو يطرد محبة العالم «**لأن محبة العالم عداوة لله، لأن من أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله**». (يعقوب ٤ : ٤).

يقول القديس أغسطينوس [لا ترجع النفس إلى الله إلا إذا انتزعت عن العالم.. ولا ينتزعها بحق إلا التعب والألم] والبعد عن العالم يقوى شعور الغربة المتأصل فى البشرية منذ البداية الذى يظهر واضحاً فى سيرة وحياة ابرار العهد القديم والجديد والذين يقول عنهم بولس الرسول «**فى الإيمان مات هؤلاء اجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض**». (عب ١١ : ١٣).

ويقول أيضاً لأهل كورنثوس : «**فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب**». (٢كو ٥ : ٦ ـ ٨).

ويقول : «**لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح**». (فى ١ : ٢١). «**لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً.**» (فى ١ : ٢٣). ويقول معلمنا بطرس الرسول «**أيها الأحباء أطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس**».

(١بط ٢ : ١١).

والسيد المسيح له المجد يوضح تماماً ذلك فى عظته على الجبل بقوله «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ حيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوز فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت ٦ : ١٩ ـ ٢١).

إن كان الألم وحَمْل الصليب هو الطريق إلى المجد الأبدى فالمحبة هى الطاقة العاملة على استمرارية السير فى هذا الطريق.

«من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار. قد حسبنا مثل غنم للذبح ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا. فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا» (رومية ٨: ٣٥ ـ ٣٩).

وعند الصليب.. كل امجاد العالم لا تساوى شئ لذا نجد معلمنا بولس الرسول لا يفتخر إلا بالصليب!

فالصليب باب الملكوت.. والسعى للدخول إلى الملكوت يحتاج إلى جهاد وتعب وحمل للصليب. وهذا مما توفره الرهبنة من جهاد وتعب وعرق ومعارضة كل الشهوات ولكل الإنسان العتيق.

✥ والصليب أيضاً فرح الملائكة.. والرهبان قيل عنهم أنهم ملائكة أرضيين أو بشر سمائيين لذلك حِمْل الصليب فى حياة الرهبنة فرح للملائكة.

✥ الصليب قداسة القديسين والرهبان يسلكون طريق القداسة بالصليب.

✥ الصليب شهادة الشهداء والراهب شهيد كل يوم بدون سفك دم. ولذلك صار الصليب شهادة فى حياة الراهب وصارت حياة الراهب صليب لذلك قال أحد الأباء [الراهب إنسان سمّر نفسه بارادته على صليب ربنا يسوع المسيح].

✥ أخيراً الصليب كرازة الكارزين.. والرهبنة كرازة صامتة من خلال الصليب فيصير الراهب انجيلاً متحركاً وعظة صامتة ليكرز لكل الناس بحياته التى تعتبر صليباً يكرز به.

والحديث عن الصليب فى حياة الرهبنة شيق للغاية ليعطينا الله أن نحمل الصليب خلف يسوع المسيح من مجد إلى مجد..

وهنا بعض من كلمات الوصية التى تقرأ على الراهب تناشده فيها أن يحمل الصليب، تقول :

اناشدك أيها الأخ أمام الملائكة وأخوتك وأمام الله. اعلم مقدار هذه النعمة التى ادركت ومقدار الدرجة التى اقتنيت لأنك تمنطقت بمنطقة القوة وصرت خادماً وجندياً لرب الصباؤوت ولبست خوذة الخلاص ووضعت على هامتك قلنسوة البر.. فاحفظ نفسك من الآن لتكون جندياً صالحاً

وترث ملكوت السموات وتقاوم الحرب الحقيقية التى لابليس وجنوده الأشرار وشد حقويك وابرز شجاعة تجاه اعدائك. قوِّم الجهاد الحسن الذى للفضيلة.. كن جلد العزم شجاع فى الحرب.

☦ الرهبنة حياة قيامة مع المسيح :

مشهد رائع لو اتيحت للإنسان فرصة حضور صلاة سيامة أحد الأخوة راهباً لارتعبت فرائصه من هول المنظر.. انها لحظات رهيبة تحوطها علامات استفهام كثيرة من عيون الناظرين.

ينام الأخ أمام الهيكل ووجهه متجهاً نحو الشرق مثلما يوضع نعش الميت عند الصلاة عليه فى الكنيســة.. يغطّى بستر.. وتبدأ عليه صلوات تجـنيز الميـت.. يا للروعـة.. يا للجمـال.. أى منظر هذا الذى يستحق الوقوف والصمت. لقد تشهد لهذا المنظر العجيب كل خلجات القلب.. ويقف الناظر مبهوراً انه امام موت حقيقى.. جثة بلا حراك.. موضوعة أمام باب الهيكل.. انها نفس الصلوات التى تتلى على الموتى.. ماذا حدث؟!

أتراك أيها الأخ مت بالفعل.. أم هى تمثيلية.. أم مجرد مداعبة للواقف.. يا للعجب انه موت حقيقى موت عن العالم.. عن الشهوات.. عن الرغبات الأرضية والمطامع والمراكز والجاه والمال والصيت.. موت عن العاطفة والارتباط باللحم والدم انه موت كامل الإرادة الحرة وبكامل العقل والفكر والنية. كامل الدراسة والتدارس وقرار حكيم.. وصاحب هذا القرار يرقد تلك الرقدة تحت الستر ويموت ولا يعود ينظر إلى الوراء مرة أخرى. انه وضع فى قلبه أن يموت بارادته مثل حبة الحنطة التى لا تنتج ثمراً إلا إذا ماتت فى الأرض ودفنت.

لذلك خاطـب القديس انطونيوس ابيه بعد موتـه قائلاً (لقد خرجت من العالم بدون ارادتك ولكن سوف اترك أنا العالم وأخرج منه بارادتى قبل أن يخرجونى بغير ارادتى..) وترك بالفعل العالم وكل ما فيه ليعيش أجمل حياة.. ففاح اريج عطرها فملأت الكون والأرجاء وعلى مر العصور والأزمان..

وبعد انتهاء صلوات التجنيز يقوم الأخ لكى يقف أمام باب الهيكل بحياة جديدة ويعمل ميطانية لرئيس الدير والآباء والاخوة واضعاً معهم عهد أن يعيش بينهم فى طاعة وخضوع ووداعة وحب وصيت حسن.

يا له من منظر رائع انها قيامة.. ليست تمثيلية ولا مسرحية ولسنا أمام مشهد روائى ـ انه موت وقيامة. موت عن العالم وقيامة بالمسيح فى حياة جديدة. لا يشعر بها إلا الشخص نفسه فى اعماقه الداخلية بفعل سرائرى عجيب. يعمل فيه الروح القدس حتى ان هذا جذب أحد الأباء القديسين ليقول : (لقد رأيت القوة التى تحل على المعمد هى نفسها تحل على الراهب يوم أن يلبس الأسكيم الرهبانى).

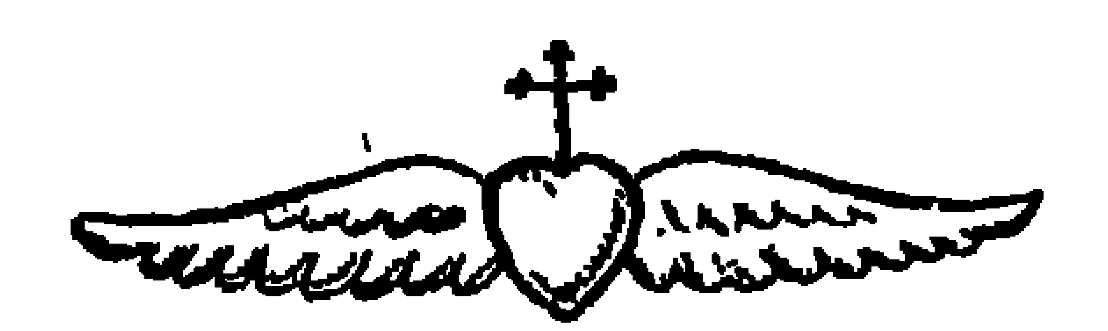
أما الشيخ الروحانى فقال :

(فليست حياة الراهب سوى تذوق لمعنى الأبدية والقيامة السعيدة).

يقول القديس يوحنا القصير :

بعد ما يقلد الراهب الاسكيم الرهبانى... عندما يتعهد. عندما يموت ليقوم مع المسيح... حينذاك يرتدى رمز حياته الجديدة). ليس الثوب الرهبانى ليميز الراهب عن الذين فى العالم بقدر ما هو لتذكيره بمعنى الحياة الرهبانية حياة القيامة.

هكذا... فان حياة الراهب هى حياة سعى متواصل نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع (فيلبى ٣: ١٤) مشتهاه ومراده. سعى مصطبغ بصبغة حمل الصليب لا ينقطع، بل يستمر أيام حياته كلها..



الرهبـــــنة

حياة إنجيلية سامية ذات حكمة فائقة

جـــذبـت

إليهـــا

قلوبـــاً روحيــة

لتشـتعل بنـار الحـب الإلهـى

ماذا قدمت الرهبنة للمسيحية وللعالم أجمع ؟

هذا هو سؤال كل الأجيال..

وللرد على هذا السؤال يجب أولاً الاطلاع على كل ما كتب فى العلوم الدينية والدنيوية قديماً وحديثاً، وبعدها حتماً سيصل القارئ إلى نتيجة مذهلة ألا وهى :

إن للرهبنــة آثــاراً عميقــة وبعيــدة المــدى سواء على الكنيسة أو على المجتمع الإنسانى عموماً ولا يتسـع المجــال هنا فى هذا الكتــاب الصــغير لسرد ما تم التوصل إليه فى الدراسات المطولة فى هذا الشـأن ونترك موجـز القـول فى هذا الموضـوع لطيب الذكر المتنيح الأنبا يوأنس أسـقف الغربية [عالم التاريخ الكنسى (١٩٧١ ـ ١٩٨٧ م] وللعالم الكبير المرحوم الدكتور/ مراد كامل.

١ـ فضل الرهبنة على الكنيسة

أ ـ **الجانب الروحى** : ومن أبـرز معالمـه حـياة القدوة وحـياة الصـلاة، ولسنا بحاجة إلى إبراز ناحية القدوة التى تعدت تأثيراتها حدود إقليم مصر إلى خارجه، فوفد إليها رجال ونساء من أنحاء كثيرة من أوروبا وآسيا وأفريقيا ـ العالم القديم ـ ثم بعد أن تتلمـذوا جيـداً فى بـرارى مصـر عادوا إلى بلادهم وقد حملوا مشاعل الروح فاشتعل متوهجاً وأضاء الظلمات. وأيضاً سيرة القديس العظيم الأنبا انطونيوس التى دونها البابا أثناسـيوس فى منفـاه فى أوروبا، وأشعلت ـ كما يقول أحد المؤرخين ـ الرغبة النسكية فى كل أنحاء غرب أوروبا، وكانت سبباً فى توبة كثيرين ومنهم القديس أغسطينوس الذى بسبب توبته وحياته وأقواله تاب، ومازال يتـوب فى كل يـوم كـثيرون وكثيرون.. أما بالنسبة لما قدمه الرهبان للكنيسة بواسطة الصلاة، فيقول ليست الرهبنة ضرباً من الأنانية فالراهب وإن كان يموت عن العالم بإرادته لكنه يحيا حباً لله وللكنيسة يذكر احتياجاتها ويطلب لأجل نموها ونجاتها. لقد ترك الراهب العالم ليتفرغ لعمـل الصلاة، وحتى يكون وقوفـه أمام الله بدالة.. لقد صلَّى الآباء الرهبان، ومازالوا يصلون لأجل كنيسـة المسـيح ككل ولأجـل كل إخوتهم المؤمنين. إننا نعتقد يقيناً أن بقاء المسيحية فى مصر على مر الأجيال ـ رغم الضغـوط العنيفة التى واجهتها فيما مضى والتى فاقت فى بعض الأحيان كل تصور ـ إنما يرجع الفضل الأكبر فيه إلى الآباء الرهبان بفضل صلواتهم وقيادتهم.

ب ـ الجانب الإيمانى والعقيدى : جاهدت الكنيسة المسيحية منذ قيامها ضد البدع والهرطقات وحرمت من شركتها كل من يحيد عن الإيمان السليم. ولم يكن آباء الكنيسة من باباوات وأساقفة هم وحدهم الذين ناضلوا فى هذا الميدان، بل شاركهم فى ذلك كثير من الرهبان، فالأنبا انطونيوس نزل لمساندة البابا أثناسيوس فى جهاده ضد البدعة الآريوسية، وكذلك الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ترك وحدته ورهبانه ورافق البابا كيرلس الكبير فى ذهابه إلى مدينة أفسس، بآسيا الصغرى حيث انعقد المجمع المسكونى الثالث سنة ٤٣١ م.

وقيل عن القديس الكبير الأنبا أغاثون إن أناساً مضوا إليه لمّا سمعوا بعظم إفرازه وكثرة دعته. فأرادوا أن يجربوه فقالوا له : أأنت أغاثون الذى نسمع عنك إنك متعظم؟ فقال نعم، الأمر هو كذلك كما تقولون. فقالوا له : أأنت أغاثون المهزار المحتال؟ قال لهم نعم أنا هو. قالوا له أأنت أغاثون الهرطوقى؟ أجاب : حاشا وكلا إنى لست هرطوقياً. فسألوه قائلين لماذا احتملت جميع ما قلناه لك، ولم تحتمل هذه الكلمة؟ فأجابهم قائلاً : إن جميع ما تكلمتم به علىَّ قد اعتبرته ربحاً ومنفعة إلاَّ الهرطقة لأنها تبعدنى عن الله، وأنا لا أشاء أن أبتعد عنه فلما سمعوا تعجبوا من إفرازه. وللمركز الهام الذى كان يتمتع به كثير من الرهبان فى نظر معاصريهم روحياً ولاهوتياً، فقد ركز بعض الملوك الهراطقة لكسب هؤلاء، اعتقاد منهم إن ذلك سيسهل مهمتهم فى إقناع أفراد الشعب ولكن باءت جهودهم بالفشل مثلما حدث مثلاً مع القديس الأنبا صموئيل المعترف والقديس إبراهام الفرشوطى..

جـ ـ الجانب التأليفى فى العلوم الدينية :

وفضلاً عما تقدم فقد كان بين الرهبان علماء أفذاذ فى شتى العلوم الدينية، ولاهوتيون عظام ساندوا الكنيسة بعلمهم ومؤلفاتهم فى شتى ميادين العلوم الدينية تلك المؤلفات التى ذخرت بها مكتبات الأديرة، والتى صارت مادة خصبة ودسمة لخدام الكنيسة على مر العصور.

أضف إلى هذا إنتاج الرهبان فى ميدان نسخ المخطوطات فى الوقت الذى لم تكن الطباعة قد عرفت فيه، وكان لهذا العمل أثره فى نشر التراث القبطى.. (**محاضرات فى الرهبنة ـ للأنبا يؤانس أسقف الغربية**).

٢ـ فضل الرهبنة على المجتمع

أ ـ الناحية التعليمية : اهتم الأنبا باخوميوس أب الشركة بالتعليم.. فقضى على الأمية فى أديرته بأن جعل القراءة والكتابة شرطاً للالتحاق فى أديرته.

والأنبا شنودة رئيس المتوحدين اهتم بتثقيف رهبانه. هذا غير العظات التى خلفها الأنبا أنطونيوس أب الرهبان والأنبا مقاريوس أب الإسقيط. بالإضافة إلى أن الحياة الإنجيلية التى عاشها مؤسسو الرهبنة

كانت مثلاً تربوياً عملياً لمن تتلمذوا عليهم. كما اعتبرت الأديرة مراكز تعليمية تربوية عظيمة للعلوم الدينية سندت الكنيسة فى كل العصور.

ب ـ الناحية الاجتماعية : كان للرهبنة آثار بعيدة فى هذه الناحية. فقد تأثر بها المجتمع القبطى، فسادته موجة من الزهد، وأخذ يقتدى بالرهبان وينقل عنهم كثيراً من ممارستهم وأصوامهم ولما ذاعت فضائل الرهبان آثر الشعب أن يختار قادته الروحيين منهم. وكانوا يحملونهم قسراً إلى المدن لتولى مناصب الأسقفية والبطريركية. كما إن النماذج الحية للفضيلة والتقوى وإنكار الذات التى تآلفت فى حياة أولئك الرهبان المصريين كانت أعظم دليل على إن الفضيلة ووصايا الرب أمور واقعية يمكن الوصول إليها وليست مجرد مثل عليا أو مبادئ نظرية. ولعل ما حفظ للمجتمع المصرى طابعه الدينى على مر العصور.

وثمة نقطة أخرى هامة وهى أن المرضى والرازحون تحت آلام الحياة وأعبائها يلتمسون التعزية والمشاركة والطمأنينة من أناس عمرت قلوبهم بالإيمان، فغمر السلام قلوب كثيرين بفضل صلواتهم وتعزياتهم وإرشاداتهم وقدوتهم تلك التى كان لها أكبر الأثر فى تجديد الرجاء لمن يقصدونهم، لقد كانت الأديرة أشبه بموانى السلام فى أوقات الأوبئة والحروب والمجاعات إذ يجد اللاجئون إليها الأمن والدواء والطعام. وعن ذلك قال هرناك المؤرخ الألمانى : إن النساك المصريين كانوا يعتبرون فى جميع العصور ـ حتى فى نظر الغرب ـ آباء ونماذج للحياة المسيحية الحقيقية. **(من كتاب حضارة مصر فى العصر القبطى ـ للدكتور مراد كامل ص ٢١٥ ـ ٢١٨).**



صـــلاة

أيها السيد الرب الإله ضابط الكل أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، يا من جمّلت العالم بأفخر زينة، وخلقت الإنسان على صورتك ومثالك. إليك نرفع أصوات الشكر والتمجيد من أجل عظم مجدك.

أيها الرب المالك على السموات، والاشراق البهيّ، يا من أنرت العالم أسره بضيائك لأنك أنت نور من نور. أنر عقولنا وقلوبنا وأضئ أفهامنا لنفهم أقوالك المحيية.

يا من كل الخليقة قائمة بنعمتك ورجاء اقطار الأرض كلها، نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، فليملك سلامك على العالم وارفع عنه الموت، والغلاء، والوباء، والفناء، وسيف الأعداء، وشر الحريق والغرق، والزلازل، والأهوال، ومؤامرة الشياطين، ومقاومة الأشرار وكيد الفجار، وكل أمر مخيف...

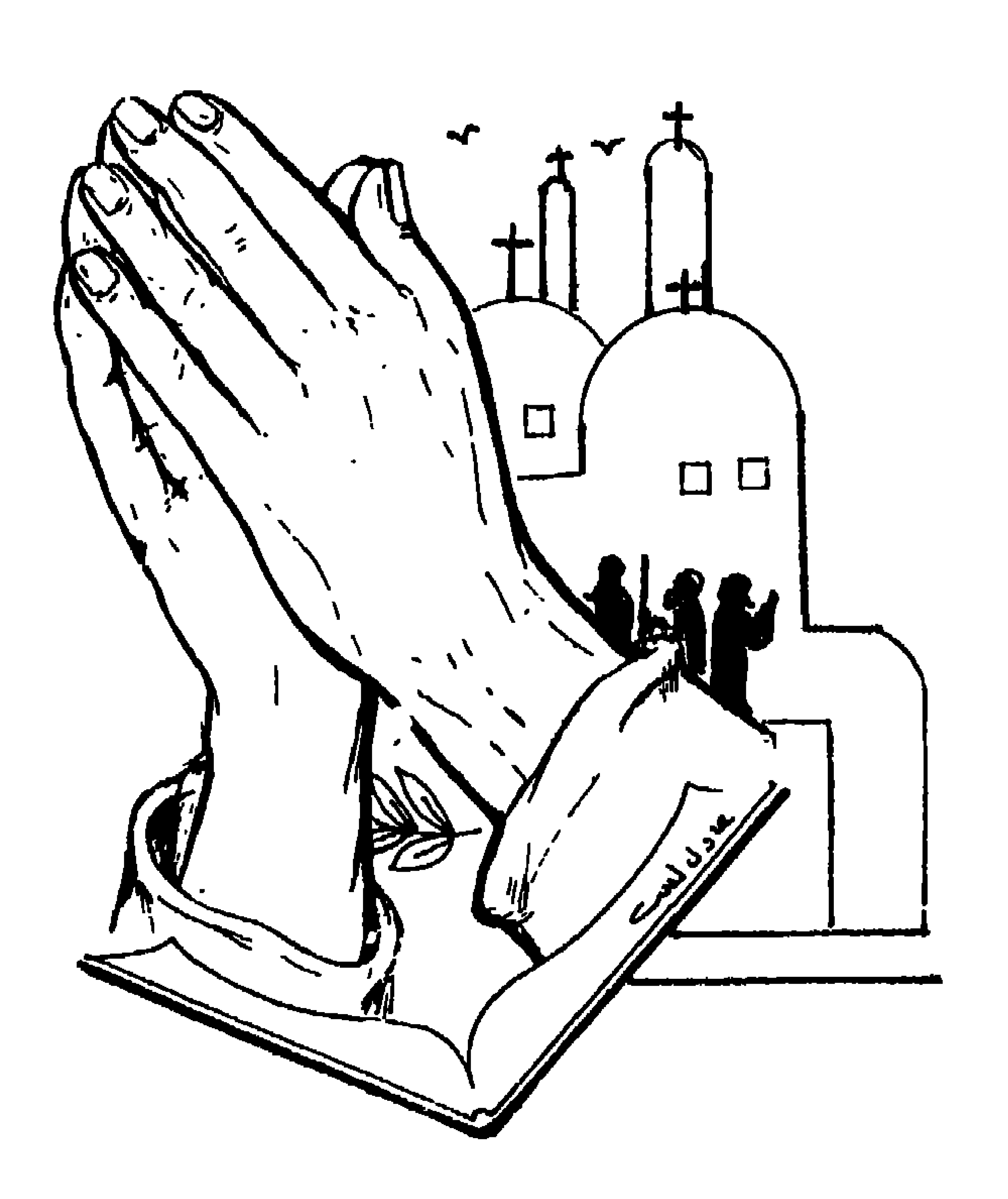
يا إله الرحمة والرأفة ورب كل عزاء، أقم الساقطين، ثبّت القائمين، رد الضالين، عل الأرامل والأيتام، اسعف المعوزين، أحكم يارب للمظلومين، والمحبوسين أفرج عنهم. خلص الذين فى الشدائد والضيقات والأحزان، حل المأسورين برباط الشياطين، أقبل توبة التائبين، افتقد مرضى شعبك واشفهم من أجل اسمك القدوس. إشبع الجياع من الخيرات لأن أعين الكل تترجاك لأنك أنت الذى تعطيهم طعامهم فى حينه. عزِّ صغيرى القلوب والنفوس أيها الطبيب الحقيقى يارجاء كل الملتجئين إليك.

يارب خلص شعبك، بارك ميراثك، أرعهم وسسهم إلى الأبد.

لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين.

[مستخلصة من صلوات الآباء القديسين والصلوات الليتورجية].

تاريخ الدير عبر العصور



صفحة



إن التاريخ صُوَرٌ من الواقع الحى الذى أصبح جزءاً من الماضى قد دخل فى سجل الخلود. فهو عظات ودروس تفيد الحاضر ومبادئ عامة وعبارات نافعة لها قيمتها..

وإن كان يتضح فى التاريخ كل الحقيقة بما فيها من صالح وطالح وضعفات كثيرين فليس معناه هو الترصد بمسك الأخطاء وإدانة تلك الشخصيات المذكورة فيه لأنه ليس ديان إلا الرب ولكن ذكر تلك الضعفات والهفوات والأخطاء هى لا تكون إلا دروساً وعبراً.

فتاريخ الكنيسة مدرسة لكل الأجيال وهو ميزان تقديرها بين الشعوب ومادة وجودها، وأحد دروع صمودها فى المعركة الدائمة مع قوات الجحيم. ولما كان لا يمكن لأمة أن تبقى على طريق الحياة وهي متحللة من تاريخها، ومنفصل حاضرها عن ماضيها ولا يمكن أن تقف شامخة وهي تجهل آباءها وأجدادها، فكم يكون بالحرى قيمة تاريخ الكنيسة فهو يربط وحدتها بين الماضى والحاضر لكي تتحرك إلى ما تنشده وتطلبه فى المستقبل فى روحانية أولاد الله ومجد اسم المسيح عبر الأجيال والعصور وإلى نهايةالأزمان.

لمحـــة
عن سر التدبير الإلهى وطفولة رب المجد

الرب الإله رئيس الحيـاة، وملك الدهـور، غير المرئى غير المحوى، غير المبتدئ، الأبدى غير الزمـنى، الذى لا يحدّ، غير المفحوص، غير المستحيل، خالق الكل، الذى تجثو له كل ركبة ما فى السموات وما على الأرض وما تحت الأرض، والذى تمجده العساكر الملائكية والطبائع العقلية وكل الطغمات السمائية معلنة عظمة مجده إلى أبد الآبدين.

الله واهب المعرفة، كنز الحكمـة، أبو الرأفات وإله كل عزاء محب البشر... الذى من أجل تعطفاته الجزيلة جبل وكوّن الإنسان، ووضع يده عليه وكتب فيه صـورة سلطانه وأقـام السماء له سقفاً وثبت الأرض ليمشى عليها، ولأجله ألجم البحر وأظهر طبيعة الحيوان وأخضع كل شئ تحت قدميه، ولم يدعه معوزاً شيئاً من أعمال كرامة أبوته الإلهية وفتح للإنسان الفردوس ليتنعم فيه وأعطاه علم معرفته.

إلا أن الإنسان ترك الناموس بإرادته وتكاسل عن وصايا الرب وسقط فى غواية العدو فاستحق الحكم الجزائى لينفذ عدل الله الكامل الذى لا راد لكلمته ولا رجوع فى حكمه. ولكن لمحبته للإنسان نظر إلى ضعفه ومذلته فأراد أن يجدده ويرده إلى رتبته الأولى :

حيث يصعده من الظلمة إلى النور

ويهبه الحياة من الموت

وينعم عليه بالعتق من العبودية

وأن يخلصه من نير الخطية

وبالرغم من أن الله غير محتاج لعبادة الإنسان له بل الإنسان هو المحتاج إلى ربوبيته.. ولكن لمحبته التى لا يستطيع أحد أن يحدّ لجتها سعى نحو تحقيق الرحمة لهذه الجبلة التى خلقها. فلم يأتمن ملاك ولا رئيس ملائكة ولا نبى على خلاص جنس البشرية. بل فى ملء الزمان أرسل نوره الحقيقى، ابنه الوحيد يسوع المسيح الكلمة الذاتى، الكائن فى حضنه الأبوى كل حين، آخذاً شكل العبد مباركاً طبيعة الإنسان فيه، ومكملاً الناموس عوضاً عن الإنسان، معطياً إطلاقاً لمن قبض عليهم فى الجحيم، ومزيلاً لعنة الناموس ومتحملاً الآلام والإهانة من الأشرار مظهراً بذلك عظم تعطفاته ومحبته الفائقة بقوة سلطانه.

واختار لهذا التدبير العجيب لتجسده..! الحشا البتولى غير الدنس الذى للعذراء القديسة مريم لأنها قد وجدت نعمة عنده (لوقا ١ : ٣) فبشرها بالحبل الإلهى بواسطة ملاكه قائلاً :

«الــروح القــدس يحــل عليك وقــوة العلى تظللك والقدوس المولود منك يدعى ابن الله..» (لوقا ١ : ٣٥)

وعين الرب يوسف النجار ذلك الرجل البار التقى ليكون منفذاً لأوامره حسب مشيئته الصالحة.

أحداث الميلاد الإلهى

ولما كانت البشائر الأربع قد كُتِبتْ بوحى من الروح القدس لا لهدف أن تكون سجلاً يومياً لتفاصيل الأحداث فى حياة الفادى، والتى لو سجلت جميعها لا تكفيها كتب العالم كله ـ وإنما لتكون رسالة الملكوت إلى كل نفس بشرية..

لذلك اختيرت النماذج القليلة من الحوادث الكثيرة فى حياة المخلِّص ومن تعاليمه المحيية عن بشارة الملكوت، لكى تنير قلوب الذين يقبلونها وتحيى نفوسهم لينالوا الحياة الأبدية فى ملكوت السموات..

وبناء عليه فإن الإنجيل لم يرو تفاصيل عن ميلاد وطفولة رب المجد بل أورد بعض من الحوادث الهامة وهى :

- ميلاد رب المجد فى بيت لحم وبشارة الملائكة للرعاة.
- ختان الطفل يسوع وشهادة سمعان الشيخ وحنة النبية.
- زيارة المجوس وما ترتب عنها من أمر هيرودس بقتل أطفال بيت لحم، وهروب العائلة المقدسة إلى مصر وعودتها إلى الناصرة.

هذه الحوادث التى وردت فى بشارتى كل من القديس متى والقديس لوقا بقصد إلهى عجيب وترتيب فريد ـ ذكرت لكى تعلن لجميع الأجيال عبر كل الأزمان أن خالق البرية كلها ملك المجد أخلى ذاته وتجسد وصار إنساناً كاملاً يشابهنا فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها.

فبالرغم من أنه ولد فى مكان فقير ـ مذود بيت لحم ـ فقد أظهر لاهوته فى بشارة الرعاة حيث قال لهم الملاك : **«لا تخـافوا فها أنا أبشــركم بفــرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسـيح الرب. وهذه لكم العلامــة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً فى مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»** (لوقا ٢ : ١٠ ـ ١٤).

ولما تم اختتانه ككل أطفال اليهود وأكمل والديه كل ما جاء فى شريعة موسى. أوضح لاهوته فى الكلمات التى نطق بها سمعان الشيخ فى هيكل أورشليم. حيث قد أُوحِىَ إليه بالروح القدس أنه لا يـرى المـوت قبـل أن يـرى مسيح الرب، وعندما حمل رب المجد على يديه قال **«الآن تطلق**

عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لوقا ٢ : ٢٩ ـ ٣٢).

وحنة النبية أيضاً كانت متعبدة فى الهيكل عابدة بأصوام ليلاً ونهاراً فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء فى أورشليم (راجع لوقا ٢ : ٣٦ ـ ٣٨)


من أيقونات الدير

وعندما ظهر مجده للمجوس ظهرت بشريته الكاملة بهروبه إلى مصر ولم يتوقف طغيان هيرودس وحنقه لقتل أطفال بيت لحم.

فبذلك أعلن الرب عظم سر تجسده فى كمال لاهوته وكمال ناسوته (ما خلا الخطية وحدها).

من أجمل ما قيل

من تأملات الآباء القديسين فى عظمة سر التجسد وطفولة رب المجد ومكانة السيدة العذراء، ما قاله كل من القديسين مار أفرام السريانى ومار يعقوب السروجى (بعد ترتيبها بتصرف).

+ تعال أيها الحكيم وانظر الطفل داخل الأقماط وتأمل فى أن جميع الخليقة معلقة بأمره.
+ تعجب منه لأنه موضوع فى المذود.. وهو يدبر البحر واليابسة..
+ بالأمس صنع أمه وأتى اليوم ولد منها.. هو الوحيد قبل آدم وبعد مريم.
+ أمس واليوم هو يسوع ابن الله بغير ابتداء وشاء أن يكون تحت الابتداء.
+ الطفل الموضوع فى المذود والصغير بين المساكين ترتعد منه صفوف النار بعساكرها.
+ مريم حملت الطفل فى حضنها، هذا الذى يحمل كل الأشياء، وحملته الأذرع وهو الجالس على مركبة الكاروبيم...
+ أرضعته لبناً هو هيأه فيها وأعطته طعاماً هو صنعه كإله...
+ عندما كان يرضع اللبن من مريم أمه كان يرضع الكل بالحياة، هذا الذى كل الخليقة ترضع صلاحه وتطلب منه الطبائع أن يعطيها قوتها، ويعطى المطر والظل لمزروعات الأرض.
+ النار ملفوفة بالأقمطة واللهيب يرضع الحليب.
+ له المجد.. قوته عظيمة... من يقدر أن يحدها لكنه أخفى قياسها تحت الثوب الذى كانت أمه تغزله له وتلبسه إياه إذ أخلى نفسه من ثوب المجد.
+ انفجرت أبواب الجحيم أمامه فكيف احتوته أحشاء مريم، والحجر الذى على القبر تدحرج بقوة فكيف اشتمله ذراعا مريم.

هذه المكانة السامية التى للعذراء القديسة مريم يقول عنها القديس ساويرس الأنطاكى : [حينما أريد أن أنظر إلى العذراء والدة الإله وأتأمل فى شخصها، يبدو لى لأول وهلة أن صوتاً من الرب يأتى صارخاً بقوة فى أذنى : **«لا تقترب إلى هنا. اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة»** (خر ٣ : ٥)].

ففى الواقع حينما نحاول أن نصعد بروحنا للتأمل فى أحد الأشياء الإلهية يجب علينا أن نتخلص من كل تصور جسدى منحل مثلما نخلع الحذاء من أرجلنا (فى المكان المقدس).

فأى موضوع لاهوتى يمكن تأمله أجَلّ شأناً من مكانة والدة الإله وأى المواضيع يعلو عليها ؟

إن الاقتراب منها هو الاقتراب من المكان المقدس أو هو بلوغ السماء..

«فما أرهب هذا المكان، وما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء»

(تك ٢٨ : ١٧)

نعم قد كانت السيدة العذراء مريم بشر مثلنا ولكن صفاتها وفضائلها الفريدة خيّرتها عن جميع العذارى اللواتى من بنى جنسها وأهلتها أن تجد نعمة عند رب المجد وتحظو على المقام العظيم والمركز الرفيع الذى يسمو فوق كل إدراك بشرى.

وتشرفت بأن تكون أم الإله وخادمة التجسد والشفيعة لجنس البشر.

هذه المكانة هى التى تجسم عظمة العذراء الحقيقية وكرامتها الجليلة، وشفاعتها المقبولة وأصبحت العذراء بذلك مطوّبة فى جميع الأجيال...

ماذا يقال بعد؟... إن مفردات أى لغة قاصرة فى التعبير عن شرف مكانتك أيتها القديسة العذراء مريم

لذا فاللسان لا يستطيع أن يبلغ فى مدحك إلى الغاية لعظم فضل كرامتك. يا ممتلئة نعمة يا مشتملة بالأنوار يا أم الرحمة يا شفيعة فى جنس البشرية.

أذكرينا عند ابنك الحبيب

ليغفر لنا خطايانا

آمين

الشيخ البار يوسف النجار :

- كما يليق المقام هنا بذكر الشيخ البار يوسف النجار الذى أئتمنته نعمة الرب ليكون خادماً أميناً لسر التجسد الإلهى وحارساً لوالدة الإله ومدبراً لأمور المعيشة.

فكم تكون النعم الجليلة التى نالها هذا القديس لسمو مرتبته لكونه خطيب العذراء مريم

واعتبـاره بمنزلة أب للرب يسوع. يقـول عنه القديـس متى البشير إنه كان رجلاً باراً بمعنى أنه كامل فى البر والفضيلة وظهرت عراقة فضيلته عندما رأى العذراء مريم خطيبته حبلى ولكونه باراً لم يشأ أن يشهِّرها بل أراد تخليتها سراً.

ولكنه لم يسـرع إلى التصـديق بل تمهل متأنياً ليفحص جيداً مسترشداً بالله، وفيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهـر له فى حـلم قائلاً : «**يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حـبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسـوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.**» (متى ١ : ١٨ ـ ٢٣).

- كما تجلت قوة إيمانه وطاعته الكاملة عند الهروب إلى مصر ويعلق القديس يوحنا ذهبى الفم على كلمات الملاك ليوسف قائلاً : (لم يتعثر يوسف عند سماعه هذا ولا قال : هذا أمر صعب ألم يقل لى أنه يخلص شعبه فكيف لا يقدر أن يخلص نفسه، بل نلتزم بالهروب ونقطع رحلة طويلة ونقطن بلداً آخر، فإن هذا يناقض ما وعدت به. لم يقل شيئاً من هذا لأنه رجل إيمان بل ولا سأل عن موعد رجوعه إذ لم يحدده الملاك بل قال له «كن هناك حتى أقول لك»). لم يحزن بل كان خاضعاً مطيعاً يحتمل هذه التجارب.
- وعندما قطن بقية أيام حياتـه فى الناصرة، يذكر القديس لوقا البشير أن رب المجد كان يخضع له.
- فيا لعظمة الشرف الذى وصل إليه هذا القديس بطاعة يسوع له، فإنه يتعذر على أفضل الفصحاء أن يصف هذا الخضوع العجيب الذى لرب المجد لرجل نجار بسيط وفقير.

فهو موضوع جميل يخوض فيه العقل الروحانى إلى تأملات غاية فى السمو والرفعة...

- أما الزمان الذى رقد فيه القديس فهو غير معـروف. إلا أنه أجمع المفسـرون الثقـات على أنه رقد قبل بدء كرازة السـيد المسـيح، لأن الشـابت ـ لا ريـب فيه ـ أنه لم يكـن حيـاً وقت آلام السيد المسيح له المجد لأنه لو كان حياً لما سلّم والدته العذراء مريم إلى القديس يوحنا الحبيب.

بـركة صلـواته تكـون معنـا آمـين

الهـروب إلـى مصـر :

- لقد كان هذا الحدث العجيب، أحد الأحداث التى ذكرها وحى الروح القدس فى الأصحاح الثانى من إنجيل القديس متى البشير، ليكون حدثاً شاهداً على عظمة سر تدبير الإله المتجسد.
- وارتبط حدث هروب العائلة المقدسة إلى مصر بحادثة قتل أطفال بيت لحم حيث إن كلاً من الحدثين كانا بسبب حنق هيرودس على الطفل يسوع، بعد أن علم من المجوس ـ الذين ارتجت

مدينة أورشليم كلها عند سماع خبرهم ـ بتفاصيل رحلتهم وسبب مجيئهم الأمر الذى جعله (أى هيرودس) يخاف على ملكه من هذا المولود فأضمر له الشر، وسعى للتخلص من الطفل يسوع بشتى الطرق وأصبح هيرودس أداة فى يد الشيطان ينفذ مآربه، ويخبرنا الإنجيل بأن هيرودس قد اتفق مع المجوس على أنه متى وجدوا الطفل يخبروه على مكانه ليذهب ويسجد له إلا أنهم لم يذعنوا لأمره ورجعوا إلى بلادهم من طريق آخر حسبما أوحى لهم فى حلم وبعد أن وجدوا الطفل وسجدوا له وقدموا له هداياهم، اغتاظ هيرودس وأمر بقتل أطفال بيت لحم وتخومها من ابن سنتين فما دون... لاعتقاده أن الطفل يسوع سيكون واحداً منهم... ولا عجب أن تسبق إرادة السماء الأمر الأرضى الزمنى، لأن الرب الذى فوق الأزمان والأكوان أرسل ملاكه إلى يوسف فى حلم قائلاً : «**قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه**» (متى ٢ : ١٣).

✥ لمـاذا الهـروب ؟

كانت الدعوة للهروب إلى مصر لا بدافع الخوف من هيرودس وإلا لذهبت العائلة المقدسة إلى أرض أبعد من مصر، وحاشا لصانع الخليقة ألا يجد وسيلة للنجاة من هيرودس سوى الهروب، فهو الله القادر على كل شئ ولو شاء إهلاك هيرودس لأهلكه وفى استطاعته أن يرسل جيوشاً من الملائكة وينزع العرش من مملكة هيرودس.

ولكن كان الهروب بناء على تدبيره الإلهى، ولكى يعلمنا نحن جنس البشر أموراً كثيرة : فهروبه من الشر أكد حقيقة تجسده وأنه صار إنساناً كاملاً لئلا يقول أحد إنه ليس إنساناً بل إلهاً (على حسب تفسير القديس يوحنا ذهبى الفم). وليعلمنا أن لا نقاوم الشر بل نحتمل الشدائد ولا نكل من الضيقات «**إن تألمتم من أجل البر فطوباكم**» (١بط ٣ : ١٤).

وإن الرب لم يستخدم المعجزة لقضاء حاجاته بل جعلها لمنفعة الناس وخدمتهم.

✥ لقد بدأت رحلة العائلة المقدسة (الشيخ القديس يوسف النجار والعذراء مريم والطفل يسوع وسالومى التى تعهدت بخدمتهم طول الحياة) إلى مصر ليلاً وكانت رحلة شاقة لمسافة طويلة من بلاد فلسطين إلى مصر حيث كان الرحيل فيها على دابة. وتضيف إلى مشاق الرحلة، مصاعب الغربة فى أرض غريبة حيث كانت تجربة ليوسف ومريم مع أنهما يعلمان تماماً أن الله يستطيع أن يوفر عليهما مشقة السفر لكن إيمانهما المملوء بالحب لله أثمر بالطاعة الكاملة. هذا فضلاً عن أن العائلة المقدسة لم تستقر فى مكان واحد لكنها ظلت تنتقل من مكان إلى مكان فى البلاد المصرية.. وكأن لكلمات الرب يسوع «**للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه**» (متى ٨ : ٢٠) والتى قالها أثناء كرازته انطبقت عليه حتى فى طفولته!!

إن إرسالية السيد المسيح له المجد كانت كقول الرسول : «**إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه**» (٢كو ٥: ١٩) فأرسل ابنه إلى مصر ـ التى كانت مركز الوثنية فى العالم ـ ليصالحها تحقيقاً لنبؤة أشعياء النبى القائلة «**هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصـر من وجهـه ويـذوب قلب مصر داخلها**» (أشعياء ١٩ : ١) وليخلصـها ويتخـذها له شعباً مباركاً كما جاء فى النبوة القائلة : «**مبارك شعبى مصر**» (أشعياء ١٩ : ٢٥).

- ثم بعد ما تنتهى مدة بقائه فى مصر حسب قصده الإلهى فى خطة خلاص البشرية يرجع إلى إسـرائيل ويتم بذلك ما قيل من الرب على لسـان هوشـع النبى «**من مصر دعوت ابنى**» (هوشع ١١ : ١)، (متى ٢: ١٥).

ملاحظـــة :

تم إرجـاء الحـديث عـن تفاصـيل رحـلة العـائلة المقدسـة فـى البـلاد المصـرية وآراء العلماء والدارسـين وسيكتفى بالحديث عن مجئ العائلة المقدسـة إلى قسقام وهى الحادثة الهامة فى تاريخ ديـر المحـرق.

الكتابات المزيفة (الأبوكريفا) :

إن إعلان الرب عن عظم سر تجسده (فى كمال لاهوته وكمال ناسوته) فى تلك الحوادث الهامة التى حدثت فى طفولته، هو الهدف الرئيسى لتسجيلها فى بشـارتى متى ولوقا.. لذا، فبعد عودة العائلة المقدسة من مصر وسكناها فى الناصرة صمتت الأناجيل عن ذكـر أى شئ عن حياة رب المجد حتى بلغ الثلاثين من عمره (وهو سن بدء كرازة السـيد المسـيح بالملكوت والحـياة الأبدية) ولم يكن هناك سوى حادثة زيارته لهيكل أورشليم مع والديه وهو فى سن الثانية عشرة ويلخص القديس لوقا البشير هذه المدة كلها بأن الرب يسوع كان خاضعاً لوالديه وأن أمه كانت تحـفظ جميع هذه الأمور فى قلبها «**وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس**». (لوقا ٢ : ٥١ ـ ٥٢).

هذا الصمت يعتبر أحد الأدلة القوية التى تثبت كمال بشرية (ناسوت) السيد المسيح له المجد وإنه نما قليلاً قليلاً مثل كل أطفال بنى البشر وعاش كل المراحل التى ينمو فيها الإنسان وصبر على هذا النمو إلى سن كمال النضج البشرى (سن الثلاثين) ليثبت للمسكونة كلها أنه إنسان كامل فى كل شئ ماعدا الخطية وحدها مكملاً تدبيره الإلهى طبقاً لإرادته الصالحة.

إلا أن هذا الصمت حاول اختراقه الكثيرون منذ البشارة بالملكوت فى أنحاء المسكونة وذهبوا فى تأليف القصص والروايات عن طفولة رب المجد وصبوته وشبابه (قبل سن الثلاثين) وتناقلت على

الألسن ووجدت رواجاً شعبياً فى كثير من البلدان مما دفع القديس لوقا الطبيب إلى كتابة إنجيله بوحى من الروح القدس وإرشاده ويفتتحه قائلاً : «**إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاؤفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به.**» (لوقا ١ : ١ ـ ٤) إلا أن انتشار تلك القصص المتزايد ، دفع آباء القرون الأولى إلى شجبها ورفضها حتى انعقدت المجامع المسكونية ابتداء من القرن الرابع وأعلنت اعترافها بالكتب المقدسة الموحى بها من الروح القدس (وهى أسفار العهدين القديم والجديد)ورفضت كل الكتابات الأخرى المؤلفة والمختلقة لأنها شوّهت شخص السيد المسيح له المجد وتعاليمه وبدّلت المفهوم الحقيقى لسر التدبير الإلهى بمفاهيم منحرفة وصل بعضها إلى حد الهرطقة..

وخرج كثير من القديسين بوضع تأملات روحية وكتابة تفاسير لجذب النفوس إلى الصعود من مستوى القصص المزيفة إلى مستوى التأمل وتمجيد اسم السيد المسيح له المجد. واشتركت السماء فى إعلان بعض الأحداث التى حدثت فى طفولة رب المجد ليس إلا لسد الظمأ الشديد عند الكثيرين ولتغيير أنظارهم عن القصص المؤلفة وكتبت هذه وتلك فى المخطوطات القديمة وتناقلتها الأجيال وأصبح على كل جيل واجب هام هو فرز الصالح من الطالح حتى لا يضيع الهدف الأساسى وهو كلمة الرب لخلاص النفوس ولما كانت إحدى الكتابات القديمة والمعترف بها فى كتب الكنيسة القبطية قد تطرقت إلى فترة هروب العائلة المقدسة فى مصر وخصوصاً عن مجيئها إلى قسقام والمدونة فى الكتاب المعروف بميمر البابا ثيؤفيلس البطريرك ٢٣ (٣٨٥ ـ ٤١٢ م) والذى يتلخص فى أن البابا ثيؤفيلس زار الدير ورأى رؤية للسيدة العذراء حيث روت له بعض التفاصيل عن هروب العائلة المقدسة إلى مصر ومجيئها إلى قسقام، وعن بعض الأحداث الأخرى التى ذكرت فى مكانها.

لذلك فقد عزم الدير ـ مسترشداً ومستعيناً بإرادة الرب ونعمته ـ على الخوض فى مهمة شاقة للغاية ألا وهى البحث عن الجذور الأصيلة لهذا الميمر المذكور. فبدأت هذه المهمة منذ عام ١٩٨٧ حتى الآن، وتم وضع الأسس المسيحية السليمة لعملية البحث فى أسلوب أكاديمى صحيح مطابق لروح الإنجيل. ووضعت جميع أفرع العلوم الدينية لخدمة هذا البحث الشاق وبنفس الأسلوب الذى ذكر فى مقدمة هذا الكتاب. ولم يترك كتاباً مسيحياً إلا وقرئ أو درس ولا دائرة معارف مسيحية إلا وفحصت فى ما يفيد البحث (على قدر ما وصلت إليه مسامعنا وأيدينا).

كما قسم البحث إلى دراسات منهجية متخصصة كل منها تخدمه دراسات فرعية مستندة إلى الكتاب المقدس أولاً ثم إلى أقوال الآباء الأولين وكتب الكنيسة المعتمدة فى العالم المسيحى أجمع وإلى التقاليد الأصلية فى الكنيسة القبطية..، كما وضع فى الاعتبار آراء وأبحاث العلماء الأقدمين والمعاصرين فى الشرق والغرب. ودخلت تلك الدراسات بنعمة الروح القدس فى عمق لا يمكن تصوره قبل البدء فى البحث، فهى دراسات متخصصة فى :

+ أسفار الكتاب المقدس + أقـوال الآبـاء

+ فى الهرطقات (خصوصاً الغنوسية ـ عبادة السيدة العذراء ـ عبادة الملائكة والقديسين..) وما يتعلق بذلك من الكتابات الأبوكريفية والمزيفة..

+ علم الليتورجيات + علم اللاهوت (وخصوصاً سر التجسد والفداء)

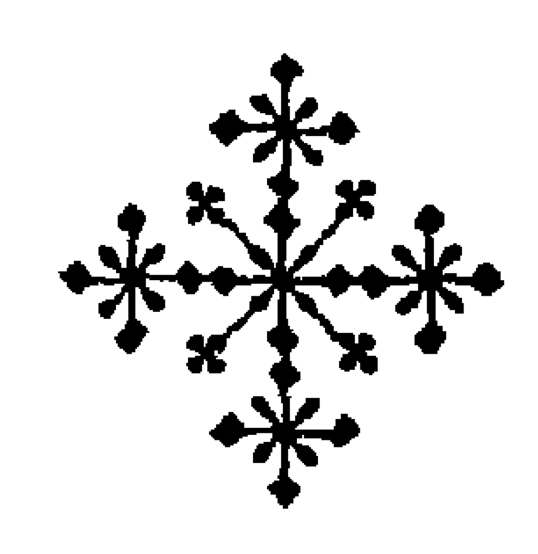
+ طقوس الكنيسة وكتبها وتاريخها + التقليـد الكنسـى

+ القانون الكنسى والمجامع. مع الاستفادة بعلوم أخرى مثل :

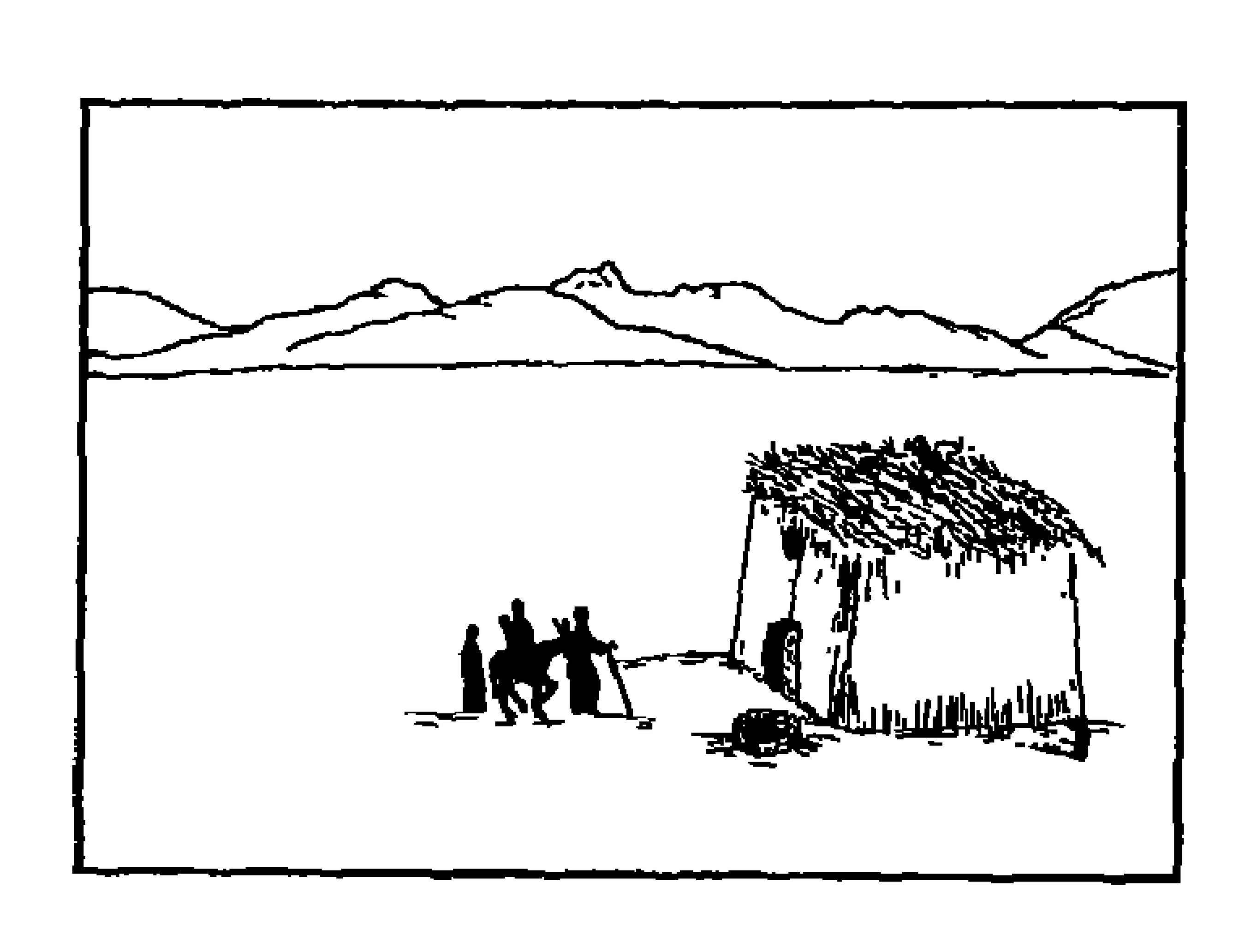
+ علم الآثار والحفريات + وعلم المخطوطات والكتب القديمة

ملاحظة هامة :

إن بعض الكتب التى طبعت عن ميامر السيدة العذراء، تضمنت ميمر تحت عنوان مجئ العائلة المقدسة إلى قسقام. وتبين من الدراسة أن هذا الميمر غير سليم وأقدم مصدر له هو مخطوط نسخ منذ ١٥٠ سنة على الأكثر، ومشكوك فى أصالته. أما الميمر الأصلى لمجئ العائلة المقدسة إلى قسقام، فهو لم يطبع حتى الآن فى مصر، ومحفوظ الآن فى المخطوطات القديمة التى تم فحصها فى بعض الأديرة والكنائس الأثرية فى مصر وفى بعض مكتبات المخطوطات بالخارج.. وجارى اعداده شاملاً الدراسات المتعلقة به ـ بمعونة رب المجد ـ بأسلوب علمى متخصص..



العائلة المقدسة فى قسقام



❖ أجمعت الكتب الكنسية المعترف بها فى الكنيسة القبطية والكتب القديمة (الموثوق فى صحتها) التى تطرقت للحديث عن العائلة المقدسة.. واتفق الباحثون فى شبه إجماع تقريباً على أن العائلة المقدسة بعد ما ارتحلت من أورشليم إلى مصر وانتقلت بين عدة بلاد وقرى، حطّت رحالها فى قسقام وقد دلّت الدراسات على أن سفح جبل قسقام كان فى ذلك الزمان، صحراء قفرة لا يسكنها أحد على الإطلاق، إلا أنه كان يوجد بيت مهجور من اللّبن وسقفه من سعف النخيل ويقع على منحدر هضبة شرقية واسعة، وفى خارجه من الجهة الشمالية يوجد بئر ماء.

❖ وعندما التجأت العائلة المقدسة إلى هذا البيت بتدبير إلهى استراحت فيه بعد عناء ومشقة الترحال. فمكثت فيه فترة من الزمان فى هدوء واطمئنان فى بساطة العيش وتواضع الحال مُدَبِراً قوتها الضرورى بعناية إلهية وازداد ماء البئر بوفرة وصار صالحاً عذباً للشرب بالرغم من جفافه مدة طويلة. كما قام يوسف النجار بعمل إصلاحات فى مبنى البيت.. وكانت فى أعلاه غرفة علوية تمكث فيها السيدة العذراء مع ابنها الحبيب. وكانت توجد فى ذلك الزمان مغارة فى الجبل قرب هذا البيت تذهب إليها السيدة العذراء مع طفلها الحبيب أحياناً [أقرب مغارة معروفة حالياً تبعد عن الدير بحوالى خمسة كيلو مترات والتى توحّد فيها البطريرك الأنبا متاؤس الأول (١٣٧٨ ـ ١٤٠٨ م) عندما كان مقيماً بالدير قبل أن يصير بطريركاً..]

قصة يوسى :

❖ وأثناء ذلك وصل إليهم رجل يدعى يوسى (أو يوسا) أو (موسى فى بعض المخطوطات) من سبط يهوذا (ومن المرجح أنه ابن أخو يوسف) هذا الرجل قد سمع أن هيرودس أرسل عشرة من جنوده للبحث عن الطفل يسوع فى مصر. وبإرشاد إلهى هبّ هذا الرجل مسرعاً إلى مصر لتحذير العائلة المقدسة بذلك فلما وصل إلى قسقام بعد عناء ومشقة بطريقة معجزية. أخبرهم بما أمر به هيرودس فانزعجت العذراء كثيراً كما اضطرب كل من يوسف وسالومى، إلا أن الرب الإله طمأنهم بأنه لن يحدث مكروه لهم فانتهت مهمة يوسى بهذا ورقد فى الرب

ودفنه يوسف النجار عند مدخل عتبة البيت (وقد توارث بعد ذلك الرهبان جيل بعد جيل أن مكان قبر يوسى فى الجهة الغربية القبلية للكنيسة الأثرية).

✥ وظلت العائلة المقدسة فى هذا البيت واستراحت فيه إلى أن ظهر ملاك الرب ليوسف النجار فى حلم قائلاً «**قم وخذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى**» (متى ٢: ١٩، ٢٠).

✥ وقبل رحيلهم بارك الرب هذا المكان بركة مقدسة لأنه كان مأوى وراحة لهم فى غربتهم.

✥ وكان هذا الحدث العظيم فى سنة ٤ ق. م، وطبقاً للتقويم المصرى والرومانى (اليوليانى) السائدين فى **ذلك الوقت فإنهم وصلوا إلى قسقام ليلة يوم ٧ برمودة الموافق ٢ ابريل المقابل ليوم الاثنين وغادروا فى نهار يوم ٦ بابة الموافق ٣ اكتوبر المقابل ليوم الأربعاء أى مكثوا ١٨٥ يوم.**

(وقد أخذ فى الاعتبار عند حساب عدد الأيام ـ حيث كانت تلك السنة بسيطة ـ يوم ٧ برمودة ويوم ٦ بابة كأيام إقامة فى قسقام). وبذلك يكون

أبريل ١٩٩٦م هو بدء العام الـ ٢٠٠٠ لمجئ العائلة المقدسة إلى قسقام.

ومن الكلمات العذبة التى قيلت فى المخطوطات القديمة من القرن ١٤/١٣ الميلادى عن هذا الحدث العظيم نقتطف ما نصه الآتى : (بعد تعديل طفيف فى بعض الكلمات القديمة بدون التأثير على الأسلوب).

✥ **أحب الله هذا الجبل وحل فيه وأمه العذراء أكثر من جميع مدائن مصر ولم يشاء أن يسكن فى بيت أرخن ولم يختار بيوت الأغنياء لكن أحب مسكن هذا البيت الفقير الذى ليس فيه أحد من البشر..**

✥ **ماذا أقول عنك أيها الجبل الطاهر الذى صار مسكناً لله وملائكته الأطهار وصار تهليلاً للشاروبيم والسارافيم وكل طقوس الملائكة، يخدمون سيدهم الحال فيك.**

✥ **أيها الجبل الطاهر بالحقيقة قد ارتفعت أكثر من جبل حوريب وسموت على جبل سيناء، لأن ذلك ظهر الله فيه فى ذلك الزمان بالأصوات والبروق واللهيب والنار والدخان حتى أن الشعب ارتعبوا منه، وخافوا أن يقتربوا من الجبل واستعفوا أن ينظروا القبة، إلا أن النبى الطاهر موسى هذا الذى دخل فى الضباب ولم يستحق أن ينظر وجه الله لأنه لا يقدر ذى جسد أن ينظر وجه الله**

ويعيش... أنت هو بالحقيقة جبل الرب وبيت إله يعقوب لأن معطى الناموس وواضع الناموس سكن فيك هو وأمه العذراء..



التقـــويم الميـــلادى :

كانت التقاويم فى العالم القديم تبدأ بأحداث هامة وتختلف من أمة إلى أخرى. فكان هناك مثلاً تقويم العبرانيين الذى حسب من أول آدم، وتقويم اسكندر الأكبر الذى حسب منذ نشأة مدينة الاسكندرية، وتقويم الامبراطورية الرومانية الذى حسب منذ إنشاء مدينة روميه. وقد ظل المسيحيون عدة أجيال بعد المسيح يؤرخون من تأسيس مدينة روميه، إلا أنه ظهر رجل عالم يسمى ديونيسيوس السكيثى الذى قرر انه يجب أن يكون التاريخ الذى يربط المسيحيين هو حدث هام مثل ميلاد السيد المسيح له المجد (لاسيما إنه فى وقته كانت قد انتشرت المسيحية فى أرجاء الامبراطورية الرومانية وذهبت أيضاً إلى خارج حدودها)، وبعد دراسة الأمر فى السجلات القديمة تبين له أن ميلاد السيد المسيح مرت عليه ٥٣٢ سنة. ومنذ ذلك الحين اتخذ الأباطرة هذا الحساب رسمياً فى الدولة الرومانية وساد فى العالم فى كل مكان وسمى بالتقويم الميلادى على أساس أن السيد المسيح له المجد وُلد سنة ١ ميلادية.

إلا أنه قد تبين للعلماء أن ديونيسيوس السكيثى أخطأ فى تقديراته، لأنهم وجدوا أن هيرودس الكبير مات قبل سنة ١ ميلادية ـ التى كان يعتبرها السكيثى أنها سنة ميلاد السيد المسيح له المجد ـ بأربع سنوات وبالطبع السيد المسيح له المجد وُلد قبل موت هيرودس بفترة..

ورغم ذلك لم يصححوا الخطأ بإضافة السنوات الفرق نظراً لأن العالم كله كان يؤرخ بهذا التاريخ منذ القرن السادس الميلادى، واتفقوا على أن كل ما حدث قبل سنة ١ ميلادية ـ حسب التقدير الديونيسى ـ يُسمى بقبل الميلاد. وهكذا يكون السيد المسيح له المجد لم يولد فى سنة ١ ميلادية بالتقدير الديونيسى والسائد حتى الآن..

وقد اتفق العلماء على أن هيرودس الكبير (الذى ولد فى أيامه السيد المسيح له المجد) مات فى ربيع سنة ٧٥٠ من تأسيس مدينة رومية الموافق سنة ٤ قبل الميلاد (حسب التقدير الديونيسى).

كسر الخبز أو أول قداس
هـل حقيقـة
أم أدب شـعبى

فى اليوم السادس من هاتور أجتمع الرب مع السيدة العذراء والتلاميذ فى ذلك البيت المهجور الذى سكن ؛ .هو طفل فى برية جبل قسقام، لأول مرة لكسر الخبز ورش الماء فى البيت بيديه الطاهرتين.

هذا الحدث العجيب تخبرنا عنه كتب الكنيسة القبطية التى سجلته بأسلوب العصر الذى نُسخت فيه حيث ذكرت كلمة قداس بدلاً من كسرْ الخبز وكلمة تدشين بدلاً من رشْ الماء مستشهدينَ فى ذلك بميمر البابا ثيؤفيلس والبابا كيرلس عمود الدين.

لكن هذا الحدث لم يسجل فى العهد الجديد شأنه شأن الأحداث الهامة الأخرى التى لو سجلت واحدة واحدة فإن العالم كله لا يسع الكتب المكتوبة، على حد قول يوحنا الانجيلى (يو ٢١ : ٢٥) لذلك فقد عزم الدير مسترشداً ومستعيناً بإرادة الرب ونعمته للخوض فى مهمة شاقة للغاية، ألا وهى البحث عن الجذور الأصيلة لهذا الحدث العظيم وزمن حدوثه وبالتالى عن الميمر المذكور، والدراسات مستمرة ـ فى هذا الشأن ـ حتى الآن مؤازرة بمعونة رب المجد ونعمته.

ولكن قبل أن نختم الموضوع بهذه الصورة يجب أن نعرض على القارئ الحبيب نقطة صغيرة من عشرات النقاط التى تطرق اليها البحث، هذه النقطة هى :

موقف الكتب الكنسية من هذا الحدث العظيم : فقد تم فحص كل السنكسارات والدفنارات القديمة المعتمدة فى الكنيسة القبطية كتقليد عريق فى القدم ـ والمحفوظة فى مخطوطات الأديرة والكنائس القديمة والبطريركية والمتحف القبطى والتى يرجع أقدمها إلى أوائل القرن الرابع عشر (على حسب ما تم التوصل إليه حتى الآن). كما أنه وجدت كتب لطروحات الأعياد والمناسبات الكنسية ترجع إلى القرن ١٥ تذكر هذه المناسبة (وهى ٦ هاتور) كعيد من الأعياد الهامة فى الكنيسة.

وقد تبين أنه يوجد إجماع شامل على ذكر هذا الحدث العظيم فى الكتب الكنسية، وشهدت بأن السيد المسيح له المجد حضر مع أمه وتلاميذه الأطهار، وكرّس هذا البيت المقدس فى اليوم السادس من شهر هاتور، وبذلك تكون كنيسة قسقام هى الوحيدة فى مصر بل فى العالم أجمع التى تنفرد بهذا الحدث العظيم، ويكون هذا أول تدشين من نوعه يتم فى العهد الجديد بيمين الرب ورسمه الإلهى الذى لا ينحل إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين.

المسيحية المبكرة فى قسقام

✣ من الأمور المسلّم بها أنه قبل بدء الحياة الرهبانية ونشأة دير المحرق فى القرن الرابع، كانت منطقة قسقام خالية ولا يوجد فيها إلا كنيسة صغيرة فقيرة وهى البيت المهجور الذى تبارك باقامة العائلة المقدسة فيه..

✣ وفى الحقيقة أن التفاصيل الدقيقة للتاريخ المبكر للكنيسة لم يعرف بالتدقيق حتى الآن شأنها شأن تفاصيل تاريخ الكنيسة القبطية عموماً فى القرون الثلاثة الميلادية الأولى. ولكن من الاستقراء الأوّلى للجذور الأولى للمسيحية فى صعيد مصر المستخلصة من :

١ـ النتائج الايجابية للدراسات التى يقوم بها طائفة من علماء البرديات (من أشهرهم كولين. هـ. روبرتس ـ Colin H. Roberts) على البرديات والمخطوطات التى أكتشفت فى الفيوم والبهنسا ونجع حمادى بصعيد مصر..

٢ـ الاكتشافات الأثرية فى الواحات وصعيد مصر.

٣ـ بعض الدلائل والاشارات التى يذكرها مؤرخو التاريخ الثقات..

فقد تم استنباط نتيجة مؤداها أن صعيد مصر عرف المسيحية بين أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى على الأكثر وأن المسيحيين فى ذلك الوقت اهتموا بهذا البيت المهجور القائم فى برية قسقام وحولوه إلى كنيسة... (لما سمعوا عن مجئ الرب له المجد وأمه إلى هذا البيت). فكانت أول كنيسة تبنى فى الوجه القبلى فى مصر (حسب ما يشهد به المؤرخ أبو المكارم فى القرن ١٢).

لقد أعطت طبيعة موقع هذا البيت ووجوده فى صحراء قفرة بعيداً عن الأماكن الآهلة بالسكان امتيازاً فريداً حيث أنه أصبح مكاناً آمناً لاجتماع المؤمنين لإقامة سر الافخارستيا فى أوقات الاضطهادات وكذلك إنشاء بعض المساكن البسيطة والمتواضعة الحال حوله لايواء الفقراء والمعوزين ومحبى الحياة البتولية والعزلة وأطلق على الكنيسة اسم السيدة العذراء والدة الإله بقسقام [اطلاق اسم السيدة العذراء على الكنائس كان منتشراً فى ذلك الوقت فمثلاً بيت يوحنا الحبيب فى أفسس أصبح كنيسة باسمها فى أيام حكم الامبراطور هادريان (١١٧ ـ ١٣٨م)]

والجدير بالذكر، أن تقسيم هيكل الكنيسة الأثرية من الداخل وشكل البناء البسيط لحجرتى الهيكل الجانبيتين بالصورة التى عليها حالياً باستثناء القباب يرجع إلى القرن الثالث أو الرابع حسب رأى علماء الآثار المعاصرين **(التفاصيل المعمارية فى الجزء الخاص بجولة فى رحاب دير المحرق)**.

✣ ودلت الدراسات الأولية عن منطقة قسقام على أنه بعدما تغلغلت المسيحية وانتشرت فى صعيد مصر أصبح الأمر يحتاج إلى رسامة رعاة لرعاية الرعية الجديدة. وقد كانت مدينة القوصية

ومنطقة قسقام ضمن الإيبارشيات الأولى التى رسم عليها أساقفة.

- ومن أجمل التعليقات التى وردت من أحد علماء البرديات تعليق مؤداه أن المسيحية الأولى كانت مؤسسة على محبة عظيمة لشخص السيد المسيح له المجد مركز حياة المؤمن المسيحى والشاغل الوحيد لفكره.. تلك المحبة التى انسكبت فى داخلهم بفعل الروح القدس، أنارت قلوبهم وألهبت اشتياقاتهم وصيَّرتهم رجالاً فى الإيمان بعدما كانوا متمسكين بتعاليم الوثنية وعقيدتها (فالمتصفح فى كتب التاريخ وديانة المصريين قبل انتشار المسيحية فى مصر يجد مدى تعمق الوثنية فى نفوس المصريين وأثرها على أخلاقهم وعاداتهم الاجتماعية.. إلخ، وبالتالى عندما قبلوا المسيحية بفعل النعمة الإلهية الممنوحة لهم من لدن رب المجد، غدوا عمالقة فى الإيمان بقلوب ملتهبة فى الحب الإلهى ومشاعل منيرة تضئ للضالين عن الطريق، سبيلهم).

وكانت هذه الروح الفياضة بالحب تزداد رفعة وسمواً بفضل الإشعال المستمر من فعل سر الإفخارستيا.

وهذا يوضح الدور الهام الذى كانت تقوم به اجتماعات الإفخارستيا عموماً وفى كنيسة قسقام خصوصاً.

- ولا يُخفى أنه مع تمسك المسيحيين بإيمانهم تمسكاً قوياً، كانت تقابلهم قوة مضادة عاتية. فبالرغم من أن الدولة الرومانية منحت رعاياها حرية العبادة فقد نظرت إلى المسيحية نظرة الحقد والكراهية لذيوع مبادئها السامية التى حثت على الشفقة والرحمة فى حين أن الوثنية تعتبر الرق والمعاملة القاسية أمراً طبيعياً. كما اعتبرت أن المسيحيين، جماعة خارجة على القانون لعدم إذعانهم للأوامر الامبراطورية ولرفضهم السجود وتقديم البخور لتماثيل الأباطرة فى المعابد كدليل على ولائهم للدولة.

- بالإضافة إلى سوء الظن الذى كان يسود العقول فى تلك الأيام ضد المسيحيين فإن كهنة الأوثان كانوا يشيعون عن المسيحيين الإشاعات المغرضة ليمقتهم الشعب. كما أن الكوارث الطبيعية كالزلازل وغيرها كانت تجعلهم يتصورون أن الآلهة غاضبة منهم لسماحهم بوجود المسيحيين، فعلى سبيل المثال حدثت مجاعة فتاكة فى ربوع مصر لحقت الأهالى فى عهد تارجان (٩٨ - ١١٧م) وأيضاً فى حكم كومودوس (١٨٠ - ١٩٢م) كما تفشى وباء فى عهد جالوس (٢٥١ - ٢٥٢م) وقد فسر الوثنيون تلك الحوادث بأنها حدثت بسبب غيظ الآلهة من وجود المسيحيين مما دفع الأباطرة إلى اضطهادهم.. **ومع كل هذه المحاولات الوحشية فإن أبواب الجحيم لم ولن تقوَ على المسيحية.**

وقد شعر الأباطرة وولاتهم أنهم أمام شعب شجاع متمسك بإيمانه فى المسيح، لا تثنيه الإغراءات وطرق الاستماله المتنوعة فاستخدموا معه كافة ألوان التعذيب الوحشية. إلا أنها أدت

إلى نتائج عكسية لم يتوقعوها وهى أن الاضطهادات زادت المؤمنين شجاعة وصموداً مما أدهش الكثيرين وجذبهم إلى الانضمام إلى المسيحية.

- **فكانت كنيسة المسيح التى افتداها بدمه الطاهر تنمو وتزداد.**

- ولكن كل هذه الاضطهادات لا تعد شيئاً إزاء قسوة ووحشية الاضطهـاد المروع الذى بـدأه ديوكلتيانوس وأكمله أعوانه، والذى لفرط فظاعته اتخذت الكنيسة فى مصر السنة التى بدأ بها هذا الطاغية حكمه بداية لتقويمها المعروف باسم تقويم الشهداء وذلك فى سنة ٢٨٤م.

رأى ديو كلتيانوس أنه لتدعيم حكم الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف أن يكون مكسيميانوس هركوليوس إمبراطور على الغرب يحكم إيطاليا وأفريقيا ويعاونه فى الحكم قنسطنطيوس كلوروس (والد الملك قسطنطين الكبير) برتبة قيصر لحكم غاليا (فرنسا حالياً) وأسبانيا وبريطانيا. أما فى الشرق فحكم ديو كلتيانوس آسيا ومصر وتراقيا وجعل جالريوس برتبة قيصر معاون له وفى عام ٣٠٥م وثق ديو كلتيانوس قبيل اعتزاله الحكم ـ فى مكسيمينوس داذا (مكسيمينوس ديا) ابن أخ جالريوس ورفعه لرتبة قيصر وأطلق يده فى حكم سوريا ومصر حتى عام ٣١١م.

- بدأ اضطهاد المسيحيين فى سنة ٣٠٣م فى عهد ديو كلتيانوس أثناء احتفال المسيحيين بتذكار آلام المخلص. فأذيعت الرسائل فى كل مكان تأمر بهدم الكنائس حتى الأساس، وإحراق الكتب المقدسة بالنار وعزل كل الموظفين المسيحيين وبعدها بقليل صدرت رسائل أخرى تأمر بأن يزج فى السجن جميع أساقفة الكنائس فى كل مكان وأن تستخدم كل حيلة لإلزامهم بالذبح للأوثان.

وفى سنة ٣٠٤م اشتد الاضطهاد جداً وصدرت أوامر ديو كلتيانوس لجميع الشعب أن يذبحوا للأوثان فى الحال فى المدن المختلفة ويقدموا إليها السكائب. (جمع سكيبة وهى دماء الذبائح).

- وفى سنة ٣٠٥م عندما اعتزل ديو كلتيانوس الحكم وخلفه مكسيمينوس، ازداد الاضطهاد ضراوة وعنفاً، وأصدر هذا الطاغية أوامر ـ أذيعت فى كل مكان ـ بحث الولاة والقواد الحربيين والقضاة والموظفين فى كل المدن على إعادة بناء مذابح الأوثان على جناح السرعة وأن يقدم جميع الرجال والنساء والأولاد حتى الأطفال الرضع الذبائح للأوثان وأن تدنس كل الأطعمة فى الأسواق بسكائب الذبائح.. (فلم يكن أمام المسيحيين إلا أن يموتوا شهداء أو يموتوا جوعاً أو يجحدوا الإيمان) (راجع أعمال ١٥) لذلك كان اضطهاد مكسيمينوس أفظع اضطهاد شهده المسيحيون منذ البداية. وكثير من الشهداء الذين استشهدوا فى الشرق ونسب استشهادهم لعهد ديوكلتيانوس استشهدوا فى هذه الفقرة..

✥ والحقيقة تقال إن الاضطهاد فى الشرق كان أشنع منه فى الغرب فى ذلك الحين واقليما مصر وسوريا كان لهما نصيب أوفر عن باقى الأقاليم فى الشرق. وإن كانا سوياً أكثر نصيباً فى الاضطهاد فإن مصر هى الأكثر وصعيدها أكثر نواحيها تعرضاً للاضطهاد وبمعنى آخر أن صعيد مصر وصلت فيه قوة الاضطهاد ووسائل التفنن فى التعذيب إلى حد لا يوصف، ولا يقارن بالمناطق الأخرى فى مصر وباقى اقاليم الامبراطورية الرومانية.

✥ فقد علم الأباطرة الرومانيون بما وصل إليه المسيحيون فى مصر من الصلابة والثبات فى الإيمان وشعروا أنهم أمام شعب شجاع، صامد صموداً شديداً. فعينوا ولاة، منهم ارمانيوس والياً على الاسكندرية. وإريانوس والياً على صعيد مصر بداية من انصنا (الشيخ عباده حالياً) شمالاً حتى أقصى الجنوب. وكان اريانوس يخترع، ويتفنن فى اختيار أفظع الطرق وكافة ألوان التعذيب الوحشية من حرق وجلد وصلب وسلخ ونشر ورجم وتقطيع أعضاء وإلقاء للوحوش بالاضافة إلى الآلات التى اخترعها للتعذيب واشتهر هو وأرمانيوس والى الاسكندرية فى الامبراطورية الرومانية بالوحشية الشديدة فكانوا يرسلون إليهما من فشلوا فى تعذيبه حتى أن أرمانيوس نفسه عندما كان يفشل ـ هو الآخر ـ فى التعذيب يرسل إلى إريانوس.. والى الصعيد.

ولقد حوّل إريانوس كل صعيد مصر إلى ملحمة والمجال لا يتسع هنا لذكر الأحداث الرهيبة للمذابح الوحشية التى حدثت فى أنصنا وأسيوط وأخميم وإسنا ويكفى أن نورد هنا وصفاً لشاهد عيان وهو المؤرخ يوسابيوس القيصرى ـ الملقب بأبى التاريخ ـ الذى عاين بنفسه ما حدث فى صعيد مصر فيقول : [من المستحيل وصف التعذيبات التى تكبدها الشهداء هناك.. رأينا جماهير غفيرة فى يوم واحد، كان البعض تقطع رؤوسهم والآخرون يعذبون بالنيران وكان منفذوا الإعدام إذا وهنت قواهم يتبادلون الأمر معاً للاستراحة. وشاهدنا الحماس العجيب جداً، والنشاط والغيرة التى أبداها المؤمنون فى المسيح الرب. فحالما كان يصدر الحكم على شخص كان الباقون يندفعون الواحد تلو الآخر إلى كرسى القضاء، ويعترفون بأنهم مسيحيون بكل جرأة وبسالة وكانوا لا يبالوا بأشد أنواع التعذيب، ويتقبلوا حكم الموت النهائى بفرح وبشاشة، ويرنموا، ويتهللوا بالتسابيح والتشكرات إلى النفس الأخير] لأجل محبتهم فى الملك المسيح. ومن المعروف أن إريانوس لم يترك مكاناً إلا وطرقه وجال فى كل البلاد يفتش بتدقيق حتى وصل إلى المغائر التى فى الجبال بحثاً عن الرهبان والمتوحدين... ووصل إلى منطقة قسقام بحثاً عن المسيحيين. (على حسب ما أكدت بعض المخطوطات القديمة)... وأخيراً آمن واستشهد.

وبالنسبة لكنيسة العذراء فى قسقام فقد توصلت الدراسات الأولية إلى رأيين : الأول : إن إريانوس لم يصل البتة إلى الكنيسة وبقيت ملجأ خفياً مناسباً لاجتماع المؤمنين للصلاة وإقامة سر الإفخارستيا، والثانى : من مخطوطة ترجع للقرن الخامس عشر مؤداها إن ملاك الرب ظهر

لكاهن الكنيسة وأخبره أن الأوامر الامبراطورية صدرت بهدم الكنائس وعليه أن يغلق الكنيسة لحين انتهاء الاضطهاد، وأخبره الملاك بأن الرب سيحفظ الكنيسة ولن يدع إريانوس يهدمها.. واتفق الرأيان فى أن الكنيسة لم يرها إريانوس ولم تهدم ولم تمسسها يد المضطهد وبقيت فى حماية العناية الإلهية خلال فترة الاضطهاد. ومن شهداء مقاطعة القوصية الذين وصلت إلينا سيرتهم هو الأنبا هيلياس الشهيد أسقف القوصية وبيعة السيدة العذراء والدة الإله بقسقام، والشهيد يوحنا الهرقلى.

الشهيد الأنبا هيلياس أسقف القوصية
وبيعة السيدة العذراء بقسقام

هذا الأب القديس كان من أصل سريانى وذكر اسمه فى المخطوطات القديمة بصور عديدة مثل : إيلياس ـ هالياس ـ هليتس. ولم تعرف حتى الآن تفاصيل عن سيرته واستشهاده إلا ما ذكر عنه فى مخطوطات السنكسار القديمة تحت يوم ٢٠ كيهك، وهو ما يأتى : كان هذا الأب يجاهد الليل والنهار ويصوم من السبت إلى السبت مع الصلوات الليلية والنهارية. وفى ذات يوم جاء إليه إنسان مسكين يستغيث ويبكى لأجل ما فعله به كاتب القوصية لأنه كان ظالماً وليس خوف الله فيه فقام هذا الأب فى الليل ومضى إليه وقال له : أما تعلم أن الله يسمع للمساكين وينتقم لهم سريعاً وهو أبو الأيتام وقاضى الأرامل؟ يا ولدى خلّص نفسك فما ينفعك هذا اللباس الحسن ولا يقدر الذهب وقت سكرات الموت أن يخلصك، ولا ولد ولا أب ولا امرأة لأن حياتنا كالظل الزائل. فلما سمع الأرخن هذا الكلام صرخ باكياً قائلاً : الويل لى يا أبى لأنى ما عملت حسنة قط طوال مدة خدمتى فى هذه المدينة، وخرَّ عند قدمى الأب الأسقف وللوقت لما كلمه القديس حلت عليه نعمة الروح القدس ودفع لذلك المسكين حجج بيته لأنه كان يقصد أن ينتزعه منه وفاء للدين عن ضريبة الزراعة، وكل ما أخذه منه رده إليه ودفع كل ما كان عليه للناس. وصار هذا الأرخن متضعاً، رحوماً على المساكين وكان إذا نظر أحداً فى ضيقة يفرج عنه، وطوال وجوده فى دار الولاية منع الضرب ـ الذى كان قبلاً بالقسوة والظلم ـ فلم يقدروا أن يضربوا أحداً لأن خوف الله صار أمامه مع الصلوات المتواترة والصوم والتنهد والبكاء... وأما ذلك الرجل المسكين فجعله وكيلاً له..

فسمع إريانوس بما كان القديس أنبا هيلياس يصنعه من العجائب والآيات فأرسل الأجناد وأحضروه فوعده بكرامات جزيلة وقال له : احمل البخور لمعبودات الملك فأجابه : لا أفعل ذلك أبداً وأسجد للشياطين أما أنت يا إريانوس فلابد أن تستشهد على اسم المسيح. وللوقت غضب عليه وعاقبه وعذبه بعذابات كثيرة والرب يخلصه وأخيراً أمر بأخذ رأسه، ففرح الشهيد وصلى وطلب من الله أن يقويه وأن يعينه وأن يقبل سؤالاته وطلباته عن شعبه. ثم أدار وجهه إلى السياف وقال له اكمل ما أُمرت به، وللوقت أخذت رأسه فأخذه المؤمنون فى السر وأخفوه حتى انقضى زمان الاضطهاد فبنوا

عليه كنيسة وأظهر الرب من جسده آيات وعجائب كثيرة. وعندما خربت البلد فى أيام أبينا قسطنطين أسقف مدينة أسيوط أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع حمل جسده إلى مدينة أسيوط وأقام فيها أياماً. ولما عمرت القوصية وأتى الناس إليها، ظهر هذا القديس لرجل من التجار فى رؤيا وهو مسافر فى النيل تجاه مدينة أسيوط وقال له إذا كان الغد تعال ارس بمركبك على ساحل هذه المدينة وادخل إلى البيعة واحمل جسدى معك وأوصله إلى كرسىّ فإنى ما اشتهى الغربة. فقال له : يا أبى أنا أخشى من أهل المدينة لئلا يعوقونى عن أخذه فأجابه : ادخل أنت وغلمانك واحملوا جسدى فإنكم لن تجدوا من يعترضكم البتة والعلامة التى تكون لك أنك تبرأ من المرض الذى فى جسدك. ولما كان الغد دخل التاجر إلى المدينة وغلمانه معه ودخل البيعة وصلى وأخذ البركة من القديس. أقول لكم يا إخوتى قولاً حقيقياً إن الرجل التاجر نظر القديس ناهضاً من التابوت وهو متهلل وأمسك بيده وقال له لا تخف وشفاه من مرضه، فحمل جسد القديس ولم يجد من يكلمه وسار للوقت بفرح عظيم إلى أن وصل إلى ساحل القوصية فوجد على الساحل عجلة فحمل جسد القديس عليها وترك البقر يسير وحده فمشى للوقت بسرعة. وكأنّ هناك من يسوقه حتى وصلت إلى القوصية ودارت العجلة حول البلد ثلاث مرات وبعد ذلك وقف البقر على باب البيعة فحمله شعبه بفرح وأدخله إلى البيعة وأما جسده الآن فهو فى دير المحرق باق، الرب يرحمنا بصلاته آمين. (انتهى ما ذكر فى السنكسار المخطوط، بتصرف).

وقد زار الأنبا هرمينا السائح بيعة القديس الأنبا هيلياس الشهيد فى القوصية أثناء سياحته فى أماكن القديسين (القرن الخامس).

وبعدما نقل جسد القديس إلى دير المحرق زاره الشيخ يوحنا بن صاعد بن يحيى بن مينا بن القلزمى أحد كتّاب سير البطاركة، فى القرن الحادى عشر وذكر القديس باسم أبى هليتس الشهيد. (وذلك فى سيرة البطريرك الأنبا كيرلس ٦٧).

وأما عن المكان الذى يوجد به جسد القديس هيلياس بالدير فهو غير معروف حتى الآن.

الشـــهيد
ماريوحـــنا الهرقلـــى

كان أبوه زخارياس والياً على مدينة أنطرسون واسم أمه أليصابات فلما رزقهما الله هذا الطفل المبارك فى اليوم الخامس من شهر بؤونه ربياه تربية مسيحية وعلماه الحساب والحكمة فلما تنيح والده صار والياً عوضاً عن أبيه وكان عمره وقتئذ عشرين سنة وكانت بلاد بنطس وهرقلية وتخومها تطيعه.

وفى إحدى الليالى ظهر له الشيطان يشبه ملاكاً وأمره أن يمضى إلى أنطاكية ويتزوج بابنة الملك ويجلس على كرسى المملكة. فقــلق القديس جداً ولكنه قال فى نفسه أقوم وأمضى ولتكن مشيئة الله. فمضى إلى مدينــة أنطاكية واجتمع مع ديو كلتيانوس الذى أحبه وأكرمه جداً منذ لقائه به. وفى الغد لما جلسا سوياً أحضر ديو كلتيانوس أبلُّون، فلما نظره القديس استحقر الصــنم المصــنوع ووبخ الملك على ذلك فغضب الملك وألقى بالقديس فى السجن - وفيما كان فى الحبس ظهر له ربنا يسوع المسيح على مركبة نورانية ومعه ملائكته وعزاه وقال له «بما أنك رفضت عنك غنى هذا العالم أعطيك غنى لا يفنى وأجعل اسمك معونة لمن يكون فى شدة أو ضيق، إذا توسلوا إلىَّ باسمك أنا أخلصهم من جميع شدائدهم.. وكل من لمس جسدك بأمانة فإنه ينال بركة...» كما أعطاه أيضاً مواعيد كثيرة.

وفى الغد حاول الملك معه فلم يفلح فتكلم معه بكلام خادع. ثم أراد أن يرسله إلى أرض مصر ليجمع له الخراج (الضرائب) وأعطاه سلطان أن يهدم معابد الأصنام ويبنيها حسناً. فأخــذ القديس هذا سبباً وهدم جميع البرابى (المعابد الوثنية) التى عبر عليها حتى وصل إلى مصر، واجتمع بسرياقوس الوالى.

وبعد تلك الأيام جلس سرياقوس الوالى فى المحفل وأمر بعذاب جماعة من الأبرار قد جاؤا من الصعيد وهذه هى أسماؤهم : ديسقورس وبيفامون واهراجانوس وبوليوس والاسكندروس ويوسف واسحق واسطفانوس. وهؤلاء أجابوا الوالى قائلين افعل بنا ما شئت أما نحن فلا نضحى للآلهة لأن الرب معنا. فأمر أن يخرجوهم خارجاً ويعذبونهم بلا شفقة. ولما نظر القديس إلى جماعة الأبرار الذين يعذبهم الوالى فتح الرب عينيه فنظر الملائكة وهى تضع الأكاليل السمائية على رؤوسهم فأخذ يبكت نفسه قائلاً «أين هو فكــر قلبى ولماذا أنا متكاسل هكذا ومتهــاون فأصــير غريبــاً عن الحــياة الأبديــة» فوثب القديس يوحنا وصرخ علانيةً قائلاً «أنا مسيحى» فغضب الوالى وأمر أن يربطوه ويرسلوه إلى إريانوس والى أنصنا، الذى فحص أمره وغضب عليه وأمر أن يعلقوه على الهنبازين ثم ينزلوه ويضربوه بالسياط حتى تمتلئ الأرض من دمه، ثم يضعوه فى الحبس.

وبعد أيام قليلة أمر أن يسلخوا جسده بالسيف ثم يأتوا بمسح شعر ويمسحوا به جراحــه وأيضاً بتراب وجمر نار تحت جنبيه وبمراود حديد محماة بالنار ويضعوها على وجهه، ثم أودعوه الحبس فظهر له ملاك الرب ليقويه ثم أعطــاه الســلام. وبعد ذلك أخرجوه وبقضبان حديد موضــوعة فى النار كووه.

ثم أمر الوالى أن يأخذه معه لأنه مسرعاً إلى مدينة أسيوط وفى مدينة القوصية عذبه كثيراً... وأخيراً أراد الوالى أن ينهى حياة القديس فكتب قضيته قائلاً : (أنا اريانوس الوالى، كحسب أوامر سادتنا الملوك، ولزاماً علينا أن نكمل مشورتهم، فإن يوحنا الذى من هرقلية هذا الذى رذل كل مجده

وترك رتبته، تقطع يداه ورجلاه وتنزع رأسه بحد السيف بعد أن يربط بحبال فى ذنب فرس ليسحبه على الأرض).

فأخذ الجند القديس وانطلقوا به هكذا من القوصية إلى قرية تدعى حميور (أم القصور حالياً) وهو منقلب ووجهه إلى الأرض وإذ أراد السياف أن يلحق بالوالى تقدم إلى القديس لينجز ما كُلف به، وكان جسد القديس قد ترضض كله وامتلأ بالجراحات فصلى القديس قائلاً : «يا سيدى يسوع المسيح انظر إلىَّ أنا عبدك وارحمنى ولا تذكر آثامى، سهل لى الطريق باستقامة... لأنى أبغضت هذا العالم لأجل اسمك القدوس. ولتجعلنى وسط عبيدك لك المجد إلى الأبد آمين».

وهنا تقدم السيَّاف وقطع يديه ورجليه ثم رأسه المقدسة بحد السيف ـ كذا فعل بشهيدين آخرين معه ـ فأكمل شهادته فى اليوم الرابع من شهر بؤونة بركاته المقدسة تكون معنا آمين.

شهادة القديس بفام خال ماريوحنا الهرقلى :

كان الصبى بفام خال القديس يوحنا الهرقلى ابن عشر سنوات، تابعاً له ويخدمه، وبعدما استشهد القديس، أخذ يبكى وأتى وكفَّن جسده الطاهر وصاح باكياً قائلاً «الويل لى يا حبيبى يوحنا لأن اليوم لى حزناً عظيماً من بعدك فقد صرت وحيداً وغريباً لأنك لما كنت فى الجسد كنت أتعزى بك وكان قلبى ثابتاً لأنى كنت أنظر وجهك يا سلوتى فى غربتى». وهكذا صار يبكى على فراقه... فخرج صوت من جسد القديس يوحنا قائلاً «يا حبيبى بفام إن كنت تريد أن تصير شهيداً فدع جسدى هنا واسرع لتلحق بالوالى فى مدينة أسيوط فيكتب قضيتك، وها الرب قد أمر أن يوضع جسدك مع جسدى وأما نفسك فسوف تكون معى وأنا أخرج وأتلقاها مع صفوف القديسين». فلما سمع الصبى هذا الكلام نهض مسرعاً، ولحق بالوالى فى مدينة أسيوط عند حمام الأخوين، فصرخ ورشم ذاته بعلامة الصليب وأخذ يقول علانية : «أنا مسيحى.... ولست أخاف من عذابك أيها الوالى. فغضب إريانوس وأمر أن يعذبوه وأن تؤخذ رأسه بالسيف، فنال إكليل الشهادة فى اليوم الخامس من شهر بؤونة.

بركته المقدسة تكون معنا آمين

إرجاع جسد الشهيد بفام عند جسد ماريوحنا الهرقلى :

وكان قس يخاف الله اسمه بطرس، هذا نهض مسرعاً وكفن جسد الشهيد بفام وسجل قصة شهادته وحمل جسده، وأتى به منحدراً إلى حميور، فوضعه عند جسد القديس يوحنا، فلما وضع القس بطرس جسد الشهيد بفام بجانب جسد ماريوحنا انحنى بوجهه على جسدى الشهيدين لكى يسجد ويمضى فخرج صوت من جسد القديس بفام ـ سمعه كل من كان حاضراً هناك ـ قائلاً :

«يا بطرس القس المؤتمن بما أنك اهتممت بجسدى وأتيت به إلى هنا ووضعته عند جسد حبيبى يوحنا، يسوع المسيح يصنع معك رحمة ويجعل لنفسك نصيباً فى بيعة الأبكار السمائية، ثم سمع الحاضرون أيضاً أصواتاً كثيرة تقول «آمين.. يكون... يكون لكل من اهتم بأجساد القديسين الشهداء ليس فى هذا الزمان فقط بل وفى زمان انقضاء الدهر... لكل من اهتم بجسد شهيد أو قديس فى كل مكان السيد المسيح يجعله مستحقاً أن ينعم فى خيرات الحياة الدائمة إلى الأبد... فلما سمع القس الطاهر هذا قام مسرعاً ومضى إلى الوالى ونال الشهادة.

بركته المقدسة تكون معنا ولربنا المجد

دائمـــاً آمـــين



رفات الشهيدين القديسين يوحنا الهرقلى وبفام خاله بكنيستهما ببلدة أم القصور ـ بمنفلوط.

نشـأة الرهبنـة فـى قسـقام

مقدمـــــة:

أدرك الوثنيون بعد مرور ثلاثة قرون، أن الكنيسة المسـيحية صـامدة ولم تفنَ ولـم تتزعزع وخصوصاً بعد انقضاء زمن الاضطهاد الأخير، الذى كان أقسى الاضطهادات عنفـاً وضـراوة. وأدركوا أيضاً أن فى الكنيسة قوة خفية تدافع عنها بطريقة عجيبة ألا وهى قوة الإله الحقيقى الذى يعبده المسيحيون، واقتنعوا أن الاضطهاد الأخير الذى أثاروه على الكنيسة زادها رفعة وشأناً بالرغم من حالات الجحود التى حدثت لضعف إيمان البعض.....

هكذا ففى سنة٣١٣م أصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير منشور ميلان الشهير وهو السماح بحرية الدين لكل إنسان وإرجاع ممتلكات الكنيسة. فحل السلام والطمأنينة فى كل ربوع الإمبراطورية الرومانية.

ولكن، التهاب الكثيرين بحب حمل الصليب وتقديم الذات ذبيحة حية كل يوم للمسيح يسوع لا يتناسب مع روح الرفاهية والرخاء التى عمت البلاد. فهبَّ الآلاف فى مصر لهجر العالم واللجوء إلى أطراف الصحارى والجبال والبرارى القفرة يقدمون شهادة يومية للمسيح بدون سفك دم!! (راجع الدراسة الخاصة عن الحياة الرهبانية).

وفى أواخر القرن الرابع الميلادى وبحسب ما ذكره مؤلف كتاب تاريخ الرهبان فى مصر.
(The History of the Monks in Egypt)

إنه لا توجد قرية أو مدينة فى مصر إلا وقد اكتنفتها الأديرة، ولا يحصى عدد الرهبان الذين سكنوها ومنهم أناس من كل نوع ومنزلة يعيشون فى البرية والقرى والأرض الفضاء لا يهتمون بالمسكن أو المأكل أو الملبس ولا همّ لهم سوى مجئ المسيح رجائهم...

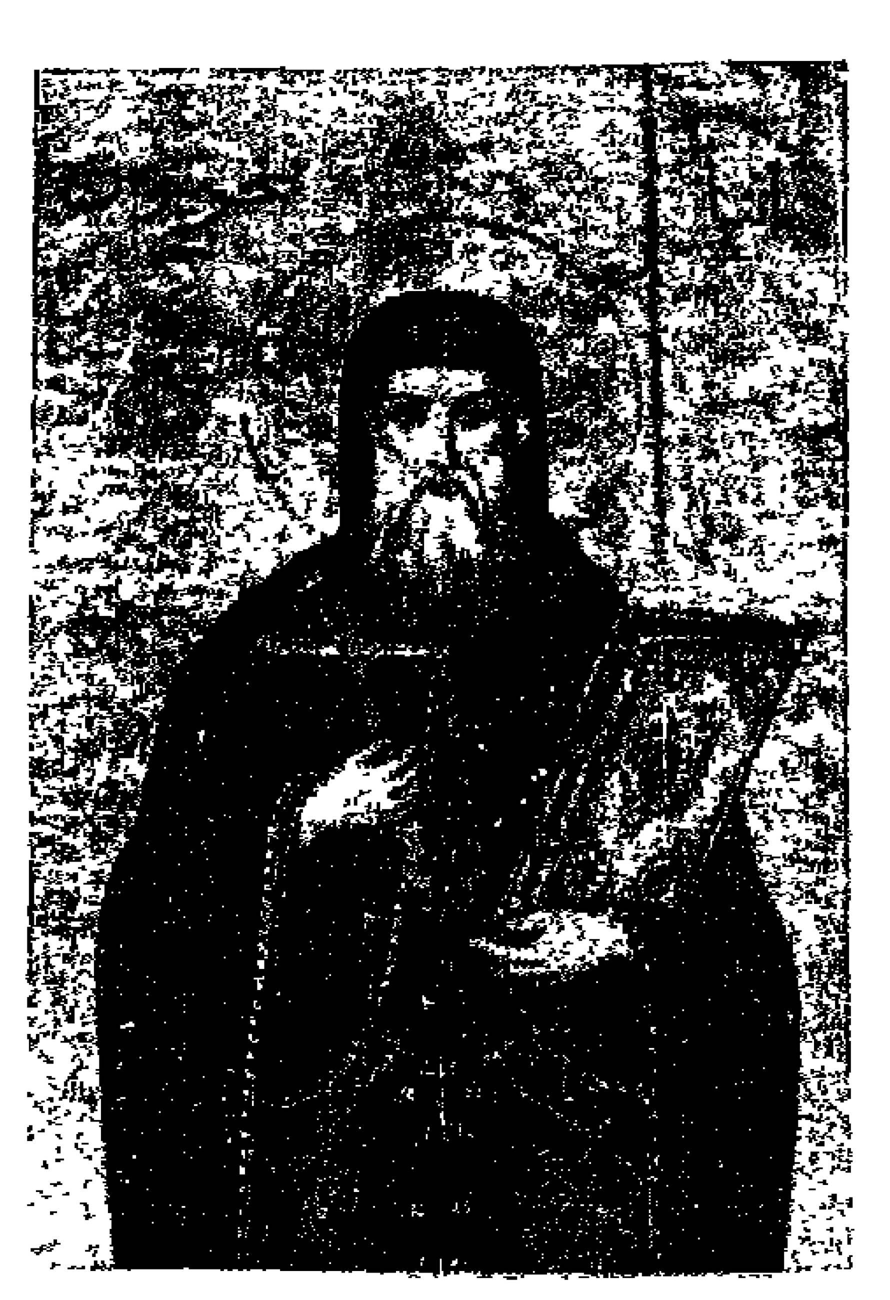
تأســيس الديـــر:

كان لموقع كنيسة السيدة العذراء الكائنة فى البرية نصيب فى جذب البعض إلى السكنى والتعبد بجوارها لما لها من البساطة وتواضع الحال وامتياز فريد حيث إنها كانت مأوى آمناً وملجأ مريحاً للعائلة المقدسة التى عاشت فيها مغتربة عن الأهل، فى صورة فقيرة متواضعة، فأصبح المكان مبروكاً بهم.

فكان لسان حال الذين أتو للتعبد والانفراد حول الكنيسة أن كل من يأتى حباً فى حياة البتولية متغرباً عن العالم ويعيش فى فقر واتضاع كما عاشت العائلة المقدسة، سيمنح البركة التى باركها رب المجد لهذا المكان وينال إكليل الحياة الأبدية فى ملكوت السموات.

وقيل إن بعضاً من أولئك النساك الأول كان لهم علاقة طيبة بالقديس العظيم الأنبا أنطونيوس.

حيـــاة الشـــركة :



القديس الأنبا باخوميوس
(من أيقونات كنيسة مارجرجس بالدير)

بعد نياحة الأنبا باخوميوس أب الشركة انتشرت الأديرة الباخومية على يد تلاميذه (مثل تادرس وأورزسيوس...) فى كل أنحاء مصر كما اتبعت كثير من الجماعات الرهبانية الأخرى قوانين الأنبا باخوميوس دون الانضمام إلى أديرة الشركة الباخومية، وبنى البعض الآخر الأديرة واستقى من النظام الباخومى نظاماً خاصاً له وقد دلت الدراسة على أن بعضاً من تلاميذ الأنبا باخوميوس أو على الأقل جماعة من رهبان الشركة الباخومية جاءوا إلى قسقام فى النصف الأخير من القرن الرابع واشتركوا مع القاطنين حول الكنيسة فى تأسيس الدير. وإن كان غير معروف وقت مجيئهم بالتحديد، إلا أنه حدث بعد نياحة الأنبا باخوميوس أب الشركة (٣٤٦م).

(لأنه قد أجمع الدارسون فى حياة الشركة الباخومية أن الأنبا باخوميوس أب الشركة لم ينشئ إلا تسعة أديرة للرهبان وديرين للراهبات محصورة بين أخميم شمالاً وإسنا جنوباً).

وقد كانت حياة الشركة تشبه جماعة الكنيسة الأولى حيث كان كل شئ مشتركاً بينهم (أعمال ٢ : ٤٤) وأساس حياتهم الجسدية كان مركزاً على الفقر والمسكنة وعدم امتلاك ممتلكات والهروب من محبة القِنْيَة أما مركز حياة الراهب الروحية فكان هو الكتاب المقدس وسر الإفخارستيا والصلاة الدائمة.

ويبدو أن الأسلوب التطبيقى للقوانين الباخومية فى دير قسقام كان له الطابع الخاص لما اشتهر به الدير بانفتاحه على الزوار والملتجئين طلباً فى الشفاء من مياه البئر التى باركها السيد المسيح، ولطلب دعاء وشفاعة والدة الإله العذراء القديسة مريم.

وهناك إشارات بعيدة ـ جارى دراستها ـ فى أنه ـ على ما يبدو ـ يوجد رباط بين بعض رهبان الدير والقديس الأنبا أبوللو APOLLO صديق الأنبا باخوميوس اب الشركة الذى اجتمع حوله ٥٠٠ راهب تحت قيادته الحكيمة بالجبل الغربى قرب بلدة Peschg-Epohe (باويط حالياً ـ مركز ديروط على بعد ٢٠ كيلو متراً شمال الدير فى الصحراء الغربية) واشتهر فى كل المناطق المجاورة له، وجذب الكثيرون إلى الإيمان واصبح قائداً روحياً لكل المنطقة بفضائله ونسكه الشديد واحاديثه عن حياة الفرح الروحى. ومن أقواله المأثورة : لماذا نجاهد ووجوهنا عابسة؟ ألسنا ورثة الحياة الأبدية؟... فالعويل للخطاه... أما القديسون... فيبتسمون لأنهم يتمتعون بالروحيات...

وفى أواخر القرن الرابع أثناء زيارة البابا ثيؤفيلس (٣٨٥ ـ ٤١٢م) بطريرك الإسكندرية الـ ٢٣

لدير قسقام، كان عدد الآباء الرهبان فى ذلك الحين وصل إلى ثلاثمائة راهب (دون الفقراء واللاجئين).

زيارة البابا ثيؤفيلس للدير :

من المعروف عن البابا ثيؤفيلس أنه بعد ما وجد مالاً كثيراً تحت أكوام ـ كان مزمعاً أن يبنى مكانها كنيسة ـ صرح له الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير باستخدام هذه الأموال فى تحويل المعابد الوثنية إلى كنائس وبناء منازل للغرباء والمرضى وتوزيعها على الفقراء (كما جاء تفصيل هذا الحدث فى سيرة البابا ثيؤفيلس) فبدأ البابا رحلته من الإسكندرية إلى أسوان ذهاباً وإياباً. وفى أثناء عودته أخبروه الأساقفة الذين يرافقونه ـ كان عددهم عشرة أساقفة ـ بكرامة كنيسة قسقام ومعجزات الشفاء الحادثة من ماء البئر الذى تبارك برب المجد، فعزم على الزيارة وكان ذلك قبل عيد نياحة السيدة العذراء (٢١ طوبه) بثلاثة أيام. وقد اندهش البابا لما للكنيسة من فقر وبناء حقير لا يتناسب مع تلك الكرامة العظيمة لها، واشتاق أن يبنى كاتدرائية عظيمة باسم السيدة العذراء (كما ورد فى كل المخطوطات التى ذكرت هذا الحدث).

وفى ليلة العيد وقف البابا يصلى على انفراد فى الغرفة التى كانت تجلس فيها السيدة العذراء كثيراً مع ابنها الحبيب، فظهرت له السيدة العذراء فى رؤية عظيمة أعلمته أن إرادة رب المجد هى أن تبقى الكنيسة على حالها دون أى تغيير شهادة لجميع الأجيال على اتضاع ابنها الحبيب وأنه اتخذ جسداً مثل كل البشر ولم يشأ أن يركب مركبة كما يركب عظماء الأرض ولكن حملته يدا العذراء فى هذه المسافة الكبيرة من أورشليم إلى هذا البيت الحقير فى قسقام. وحدثته السيدة العذراء عن ميلاد رب المجد وتفاصيل الهروب إلى مصر وبالأكثر عن إقامة العائلة المقدسة فى قسقام، ومباركة رب المجد لهذا البيت الفقير ومنح البركة لكل الذين سيأتون إليه طالبين مغفرة خطاياهم.

وبناء عليه لم يتم أدنى تغيير فى الكنيسة وبقيت على حالها، إلا أن البابا ساعد الدير فى صرف بعض الأموال على المنشآت ومساعدة الفقراء القاطنين فيه والمرضى. ويبدو أن بعض المؤرخين فى القرن العشرين رأوا أن زيارة البابا إلى قسقام كانت لتأسيس الدير، إلا أنها معلومة غير دقيقة لأن البابا لم ينشئ الدير كما هو واضح ولكن ساعد كثيراً فيه. وكان ذلك بين عامى ٣٩٣م، ٣٩٥م.

العناية الالهية فى تعمير الدير :

الآن عيناى تكونان مفتوحتين وأذناى مصغيتين إلى صلاة هذا المكان والآن قد اخترت وقدست هذا البيت ليكون اسمى فيه إلى الأبد وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام (أخبار أيام ثانى ٧: ١٥، ١٦).

نعم يا رب هذا كان وعدك وهذه كلمتك وإن كانت هنا من أجل الهيكل الذى بناه سليمان إلا

أن كلمتك لا ترجع فارغة أبداً بل يسرى كلامك على كل مكان ذُكر فيه إسمك القدوس فكم بالأولى المكان الذى وطأته قدماك.. وقضيت فيه فترة من عمرك على الأرض أليس من الأجدر والأولى أن تفى فيه بوعدك وتحافظ عليه ككلامك وهذا ليس غريباً فما تم هنا فى دير المحرق يظهر بأجلى صورة عناية الله الفائقة وحفظه له. فمنذ أن حلّت فيه العائلة المقدسة وعجائب الرب لا تنتهى فيه ومنذ أن صدر الأمر إلى البابا ثيؤفيلس لتعمير الدير ويد الرب حافظة له وللعاملين فيه. وتطالعنا **المخطوطات الحبشية** بكثير من هذه العجائب التى ظهرت بوضوح فى وقت تعمير الدير فى القرن الرابع الميلادى ليس فى ذلك الوقت فقط بل على مر الأيام ومنها ما يأتى :

- عند بدء تعمير الدير هرع الأهالى من كل مكان ليشتركوا فى تعمير الدير متبرعين بذلك بدون أجر لا يطلبوا سوى بركة السيدة العذراء أم النور وشفاعتها.

ومن بين هؤلاء الأهالى تقدم شاب له من العمر ٢٥ عاماً ابن لأرملة فقيرة من بلدة القوصية يسمى غبريال. جاء للعمل ضمن من تقدموا للعمل فى تعمير الدير متشفعاً بالعذراء أم النور أن تخلّصه هو ووالدته من الفقر المدقع الذى يعيشون فيه.

وفى أحد الأيام أُرسِل هذا الشاب ليحضر ماء من نهر النيل لأن مياه الآبار الموجودة حول قسقام كانت غير صالحة للشرب.

وفى الطريق قابله بعض الفرسان السكارى وقد أفقدتهم الخمر وعيهم حتى أنهم إصطدموا أثناء سيرهم بأحد الجدران فلما شاهدهم الشاب إرتبك ووقع فى بئر جاف خالى من المياه ومات ومضت فترة طويلة من الزمن ولم يرجع الشاب فانزعجت أمه لغيابه وخرجت لتبحث عنه وأثناء خروجها للبحث سقطت الأم فى ذلك البئر الذى سقط فيه إبنها ميتاً. ولما رأته على هذه الحالة صرخت متشفعة بالسيدة العذراء أن تقيم إبنها من الموت. فأستجابت السيدة العذراء أم النور وأمرت ملاكين أن يناديا باسم الشاب، ولما سمع الشاب إسمه قام لوقته وكأنه كان نائماً. ففرحت الأم جداً ومجدت أسم الرب القدوس القادر على كل شئ والصانع العجائب بشفاعة أمه العذراء. وعادوا إلى منزلهم وهناك وجدوا البيت ملآن بكل الخيرات.. ولما اطمأن الشاب على أمه تركها وجاء إلى الدير وترهب ثم صار رئيساً للدير.

- كان أحد الفلاحين الذين يعملون فى زراعة الأرض بالخضروات بجوار منفلوط يكسب قوت يومه من بيع هذه الخضروات. فعندما سمع بتعمير الدير جاء ليقدم هذه الخضروات مجاناً إلى العمال الذين يعملون فى الدير. وكان يحضر معه كل يوم سلة مملوءة بالخضروات مثل الكرنب والقرنبيط والتفاح والفجل وغيرها من الخضروات للعمال.

وفى أحد الأيام وبينما هو يحمل سلّته ويجدّ فى سيره ليصل إلى الدير فى الوقت المناسب، قابله أحد الجنود راكباً على حصانه وطلب منه أن يعطيه جزء من هذه الخضروات.

فرفض الرجل المزارع أن يعطيه محذراً إياه بأن هذه الخضروات مخصصة للعاملين فى تعمير الدير ولكن الجندى أخذ السلة كلها عنوة من المزارع ووضعها على حصانه ومضى. فصرخ الرجل المزارع منادياً السيدة العذراء أم النور لانقاذه. وما هى إلا لحظة أو تكاد حتى جاءت العذراء أم النور ومعها رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال... ويقع الجندى من على الحصان إلى الأرض وتعلقت رجلاه بالحصان، وينطلق الحصان بالجندى وهو على هذه الحالة حتى يصل إلى الدير ويراه كثير من الأهالى والعمال فاندهشوا وانبهروا لما رأوه ومجدوا الرب يسوع وأمه القديسة العذراء مريم التى تسرع فى نجدة من يطلبها ولا ترضى على الظلم.

ويندم الجندى على فعلته ويطلب أن يعمل فى تعمير الدير مجاناً أما الرجل المزارع فإنه التحق بالدير وترهب.

- أثناء العمل فى تعمير الدير. جاء رجل وثنى من القوصية وأخذ لوح خشب مخصص لإستخدام البناء فى الدير عنوة. فأخبروا البابا ثيؤفيلس بذلك فطمأنهم لأنه عرف بالروح أن لوح الخشب سيرجع إلى الدير وأن الرجل الوثنى سيتم إنذاره وتبكيته على فعلته بمعجزة من معجزات العذراء التى كانت تتم باستمرار أثناء تعمير الدير. وبعد ثلاثة أيام فقد هذا الرجل الوثنى بصره وأصبح لا يرى شئ فألتجأ إلى آلهته الوثنية لكى تشفيه ولكن لا طائل ولا فائدة من ذلك.

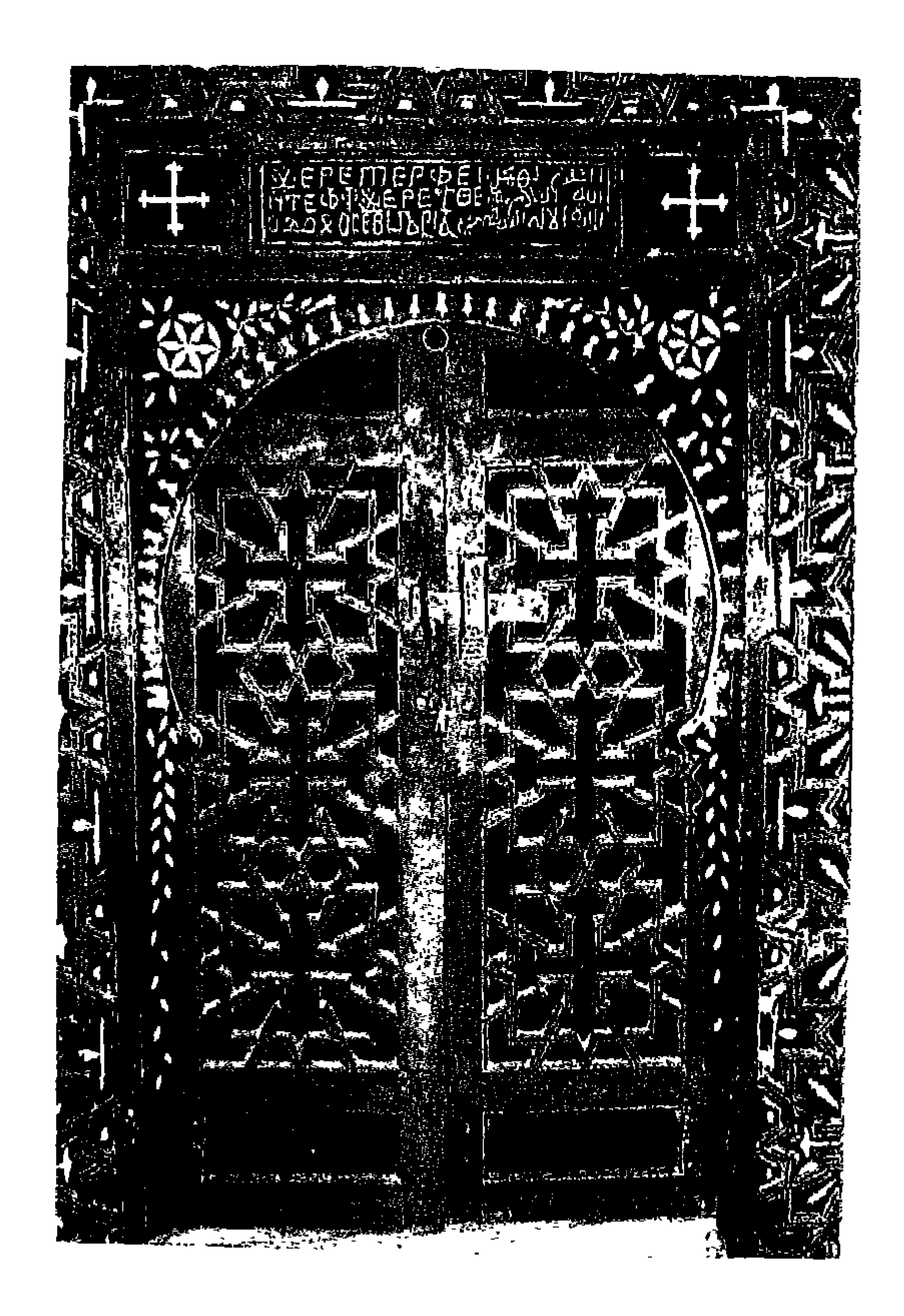
وأخيراً ذهب إلى طبيب مسيحى يدعى يوحنا، هذا الطبيب وضع الإنجيل المقدس على عينى ذلك الرجل الوثنى وربطه بمنديل. ثم عاد الرجل إلى بيته. وفجأة سمع جيرانه أصوات صراخ وجلبة شديدة فهرولوا إليه ليعرفوا سبب ذلك فوجدوه قد شفى فأخبروا الطبيب بما حدث. وقد رغب هذا الرجل الوثنى أن يتعمد ويصير مسيحياً فأخذه إلى البابا ثيؤفيلس الذى عمده بعد أن تعهّد الرجل أن يعيد لوح الخشب مرة أخرى ففعل ثم جاء والتحق بالدير وصار راهباً.

الرهبـان الأحـبـاش فـى قسـقام :

منذ أن عرف الأحباش المسيحية واستقوا روحانية الحياة الإنجيلية من أمهم الكنيسة القبطية أحبوا الحياة الرهبانية وذهب بعضهم إلى الأماكن المقدسة التى عاش فيها السيد المسيح فعاشوا فى أورشليم وجاءوا إلى قسقام آخذين فى الاعتبار أن البيت الذى سكنت فيه العائلة المقدسة فى قسقام لا يقل شأناً أو مكانة عن الأماكن التى عاش فيها السيد المسيح فى أرض فلسطين فإن كانت بعض الأماكن التى فى فلسطين عاش فيها السيد المسيح لمدة أيام قليلة أو مر فيها لمدة ساعات قليلة، تعتبر أماكن مقدسة لها مكانة عظيمة عند المسيحيين فكم يكون بالحرى قيمة كنيسة قسقام ملجأ العائلة المقدسة لستة أشهر وأيام، لذلك أحبوا السكنى فى قسقام منذ وقت مبكر.

وقد رأهم مؤلف كتاب تاريخ الرهبان فى مصر (The History of the Monks in Egypt)

فى أواخر القرن الرابع بقوله رأينا أيضاً أثيوبيين كانوا يعيشون مع الرهبان، وقد سمت حياتهم النسكية وتحقق فيهم ما جاء فى الكتاب «**كوش (إثيوبيا والنوبة) تسرع بيديها إلى الله**» (مز ٦٨ : ٣١).



باب هيكل الكنيسة الأثرية بالدير

قسـقام ملجـأ آمـن للمطـرودين مـن أجـل البـر

«طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات» (متى ٥ : ١٠)

دلت الدراسات الأولية للغارات الضارية التى قام بها البربر على الجماعات الرهبانية فى برية شيهيت والتى يذكر التاريخ أنها حدثت فى الأعوام ٤٠٧م، ٤٣٤م، ٤٤٤م، ٥٧٠م، ٦٢٠م، ٨١٧م. (وكذلك غارة النوماتيين سنة ٨٦٦م وغارة اللواتيين سنة ١٠٦٩م) على أن عدداً كبيراً من الرهبان والآباء القديسين التجأوا إلى الأماكن البعيدة والآمنة ومنها صعيد مصر، إلى أن تهدأ تلك الغارات، ويتضح أن دير قسقام كان له النصيب فى استقبال هؤلاء الأبرار. وقبل استكمال الحديث يبرز سؤال هام : هل من الصواب الهروب؟!

قيل عن الأب دانيال الذى من الأسقيط إنه لما طرق البربر الأسقيط هرب الإخوة فقال الشيخ إن لم يهتم الله بى فمالى والحياة وعبر بين البربر وما أبصروه. فقال ها الله قد اهتم بى وما مِت فدعنى أعمل أنا عملاً بشرياً وأهرب مثل آبائى، وهرب.

وكذلك قيل عن الأب نستاريون أثناء طوافه فى البرية مع الإخوة وشاهد تنيناً وهرب. أن قال له الأخ وأنت أيضاً أيها الأب تفزع؟ فأجابه قائلاً : ما أخشى يا ولدى. إلا أن الهرب أوفق لى. ولولاه ما كنت خلصت من روح المجد الفارغ.

جاء فى سفر التثنية **«لا تجرب الرب إلهك»** وتفسير ذلك أن الإنسان يجرب الله متى عمل عملاً بلا روية. وألقى نفسه فى التلف.

وقال فى ذلك قديس آخر : إنه يجب الانهزام فى زمان الاضطهاد واستيلاء الظلم. ولا يسلم الإنسان نفسه فى غير وقته للمعاقبين بل متى استدعاك الوقت فاصبر بشهامة وشجاعة ولو أنت كاره ـ لأن الذى يحب العطب به يهلك. وإن كان بعض القديسين قد أسلموا ذواتهم للامتحانات باختيارهم لكنهم ما تجاسروا على ذلك إن لم يعلن لهم من الله من قبل.

عناق بين شيهيت وقسقام :

ولا جدال فى أن استقبال دير قسقام لأولئك الأسقيطيين الأبرار، كان له أثر طيب، له تأمل عذب هو :

إن تلاقى فكر النسك الأسقيطى بما فيه من السمو الروحانى مع تعاليم الشركة الباخومية التى كانت نبراساً لرهبان قسقام فى ذلك الحين، أضاف فيضاً رائعاً على الحياة الرهبانية فى قسقام وأعطى عمقاً مضافاً إلى الأصالة الموجودة منذ وصول الرب لهذا المكان وباركه وقدسه بيمينه الإلهية. فغدت

رهبنة قسقام نموذجاً لمزيج عطر فاح عبر العصور، به اشتمته الأنفس الطاهرة وانجذبت بعبقه الفواح لتعيش فى رحاب والدة الإله القديسة مريم غريبة عن العالم لتنال الحياة الأبدية فى ملكوت السموات...

ويتضح أنه فى تلك الفترة أنشئ الحصن بأيدى وإمكانيات محلية وبتصميم هندسى يشبه إلى حد كبير حصون برية شيهيت ولكن بأبعاد أقل.

ويقدر تاريخ بناء حصن دير قسقام ـ على الأرجح ـ أنه بين القرنين السادس والسابع الميلاديين **(أنظر التفاصيل المعمارية فى الجزء الخاص بجولة فى رحاب دير المحرق).**

البـــابا الأنبـــا بنيـــامين (٣٨) :

لا جدال فى أن صعيد مصر كان ملجأ آمناً للمضطهدين عبر العصور الأولى للمسيحية فى مصر فعندما اضطهد البابا اثناسيوس ٢٠ (٣٢٨ ـ ٣٧٣م) فى إحدى المرات نزل إلى الصعيد كملجأ أمان وليفتقد أبناءه ورعيته ورهبان الأديرة. كذلك البابا تيموثاؤس ٢٦ (٤٥٥م ـ ٤٧٧م) قام برحلته للصعيد أثناء الاضطهاد الشنيع الذى شنه الملكيون. كذلك البابا ثيؤدوسيوس ٣٣ (٥٣٦م ـ ٥٦٧م) عندما أمره الملك جوستنيان بالاعتراف بطومس لاون (القوانين الخاصة بمجمع خلقدونية) رفض البابا الإذعان للملك وذهب إلى صعيد مصر يفتقد الديارات ويثبّت رعيته على الأمانة الأرثوذكسية ويصبّرهم على الجهاد حتى الموت.

وأيضاً الأنبا بنيامين ٣٨ (٦٢٣م ـ ٦٦٢م) الذى اختفى ثلاث عشرة سنة حيث اعتلى المقوقس منصب البطريرك الملكى بأمر من هرقل ملك الروم. ورسم أساقفة ملكيين لسائر إيبارشيات مصر أذاقوا فيها أهل البلاد الذل والبلاء... .

ويبدو أن دير قسقام كان له نصيب ـ بعض الشئ ـ فى استقبال الآبـاء القديسين. وإن كان لم يعثر على دليل حتى الآن يؤكد زيارة الآباء البطاركة [الأنبا أثناسيوس (٢٠) والأنبا تيموثاؤس (٢٦) والأنبا ثيؤدوسيوس (٣٣)] لدير قسقام إلا أنه بالنسبة للأنبا بنيامين (٣٨) فقد نشر الدكتور ميللر Muller أستاذ الدراسات المسيحية الشرقية بجامعة بون بألمانيا الغربية بحثاً فى عام ١٩٨٧م قام بدراسته وإعداده الأستاذ جرجس داود مدير المتحف القبطى بالقاهرة أثبت فيه بالدليل القاطع أن دير قسقام أحد الأماكن التى لجأ إليها الأنبا بنيامين واستقر فيها مدة من الزمان خلال فترة اختفائه فى عهد المقوقس فى الفترة بين ٦٣١م إلى ٦٤٣ / ٦٤٤م والتى لم يكتب عنها شئ فى كتب التاريخ التى نشرت حتى اليوم....

(Nubia et Oriens Christianus, Bibliotheca Nubica Vol. 1, 1987, S. 17-27).

وبذلك يكون قد كشف النقاب عن فترة هامة فى تاريخ الدير والتى تثبت أن الدير كان قائماً وعامراً بمعونة رب المجد..

تأمل وتعليق :

إن كان المكان الذى لجأت إليه العائلة المقدسة هرباً من بطش هيرودس الطاغية، وكان لها فيه سلام. واصطبغ بصبغة سمائية لا تمحى وهى أن يمين الرب الإلهية قدسته وباركته أليس بالحرى يكون ملجأ مباركاً.

للمضطهدين فى القرون الأولى !
وللمطرودين من أجل البر !
وللمكروبين والفقراء عبر
العصور!

الأمر الذى يؤدى إلى التعرف على سمة أو طابع الحياة فى الدير.



سـمة الحيـاة الرهبانيـة فـى الديـر

فى الحقيقـة إن المتأمـل فى تاريخ الدير عبر العصور لا يسـعه إلا أن ينطق بكلمات الفخر والاعزاز والتبجيل لما قدمـه الرب الإله لهذا المكان وبالأكثر للكنيسـة الأثريـة بيتـه المقـدس... ليكون سبب بركة وشفاء لكثيرين ومأوى آمناً للمكروبين (كما ذُكر آنفا). كما لا يفوت أيضاً على المتأمل فى تاريخ الدير ذلك العمق الروحى الذى نتج من المزيج العجيب لحياة الشركة والرهبنة الأسقيطية.... ومن ثم يمكن التوصل إلى خلاصة مؤداها أن الدير انفرد بسمة خاصة عن غيره من الأديرة الأخرى فى ذلك الزمان وهى سمة الخدمة الروحية للمترددين والزوار. وأن الذين أحبوا السيد المسيح من كل قلوبهم من الآباء الرهبان وغيرهم من القاطنين بالدير دأبوا على التفانى وبذل الذات لأجل تخفيف الألم عن المكروبين والمنكوبين ومعونة المرضى الملتجئين فى طلب الشفاء من ماء البئر المقدسة مع الوعظ والإرشاد للحث على حياة التوبة وخلاص النفوس، دون أن يؤثر ذلك على حياة الراهب الداخلية وروحانيته، منطلقاً فى حرية أولاد الله التى يضبطها العمق الروحى الذى نتج من ذلك المزيج العطر!! لذلك فضّل بعض رهبان الدير التوجه للكرازة ببشارة الملكوت إلى البلاد التى كانت تعتبر بعيدة فى ذلك الحين مثل أيرلندا وعاشوا هناك وبشروا بكلمة الإنجيل. ويذكر مهندس الآثار لبيب. ى صليب فى بحثه الذى نشره فى عام ١٩٦٤م تحت عنوان الفن القبطى المصرى فى العصر اليونانى الرومانى صـ ٦٥ ما نصه الآتى :

ورد فى ليتورجية قديمة بأيرلندا :

أذكر يارب عبيدك رهبان دير المحرق الذين ردونا إلى الإيمان.

(وتجرى حالياً فى الدير دراسة خاصة فى هذا الشأن).

ولكن هذا لا يمنع أن البعض اشتهى الوحدة والانفراد مفضلاً عدم البقاء والتوجه إلى البرارى الداخلية أو إلى شيهيت. ومن ثم يمكن رؤية الطابع الروحى لرهبان الدير، فى أنهم عاشـوا فى البتولية والفقر الاختيارى والاتضاع والمسـكنة واحتقـار أباطيـل العـالم، والزهـد، والنسك بحكمة....

غربـة مؤقتـة عـلى الأرض
لســكن دائــم فــى الســماء



الأنبا قسطنطين الكبير أسقف أسيوط

زار هذا الأب القديس دير قسقام ومكث فيه ثلاثة أيام ومن المعروف أن البابا دميانوس البطريرك ٣٥ (٥٦٩م - ٦٠٥م) رسمه أسقفاً على أسيوط.

وكان هذا الأب قد اختار منذ صباه سيرة الملائكة التي هي الرهبنة ثم لبس الإسكيم المقدس من يد أخيه القديس أنبا مويساس وجاهد في جسده وتنسك بالصوم والسهر، وذكروا أن عشرة لبسوا الإسكيم في ذلك اليوم فحلت عليهم نعمة الروح القدس وصاروا آباء ومعلمين فضلاء، أولهم هذا الأب أنبا قسطنطين والثاني أنبا أهربوس أسقف شطب والثالث أنبا يوساب أسقف اسفحت وأما هذا الأب أنبا قسطنطين لطهارة جسده وصفو ضميره، حلّت عليه نعمة الله وحفظ الأناجيل الأربعة ورسائل المعلم العظيم بولس الرسول والكاثوليكون والابركسيس ومزامير داود والأنبياء الصغار والكبار، لأن نعمة الله شملته، وهذا كله لم يجعله متكبراً أو مغروراً، بل رحوماً متواضعاً راعياً صالحاً.. وبالجملة كان الرب معه في جميع أعماله، وبعد ما كرزه الأنبا دميانوس البطريرك ونظر إلى سيرته الملائكية جعله نائباً على الوجه القبلي واعترف له قائلاً : «أني ما أكرْز أسقفاً إلا من كان معه خط يدك».

وهذا العظيم وضع ميامر عديدة وسير الشهداء والقديسين وكان يعظ شعبه ويعلمهم مخافة الرب واجتهد بكل قوته إلى أن اقتلع كل جذور الأريوسيين الذين كانوا في تخوم مدينته وفي الجبال التي حولها والنساء اللاتي يمارسن الدجل باستخدام الزيت والسحرة والمنجمين مترقبي السواعي جميعاً والراقيين والذين يعملون كل هذه الأمور حرمهم وطردهم ونظّف كرسيه من الشوك والحسك.

وكان كلامه قاطعاً مثل السيف وجميع الناس تهابه وتخاف منه، وكان ينظر مناظر كثيرة، ولما نظر الرب الإله إلى كثرة تعبه وجهاده في جسده الليل والنهار نقله إليه بشيخوخة حسنة ودفن في دير الهنّادة وهو أحد الأديرة المندثرة حالياً بجبل أسيوط (وتذكاره في ٩ أمشير) الرب يرحمنا بصلواته آمين نقلت بتصرف قليل من :

Collectanea No. 16, Studes - Documents, 1981, Studia Orientalia Christiana, Le Caire, P. 154, 155

نقلاً من مخطوط باريس. **Paris, ar. 4895**

ويبدو أنه في زمن هذا الأب الجليل كانت مناطق القوصية وقسقام تحت رعايته وتدبيره وأن مدينة القوصية كانت خربة في زمانه ولم يرسم عليها أسقفاً في ذلك الزمان....

فاهتم بافتقاد البلاد التي في إيبارشيته، ومن جملتها زار دير قسقام ومكث فيه ثلاثة أيام.

أحداث وأخبار عامة
(من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر)

لا جدال فى أن أية أخبار تاريخية تخص شعب أمة أو مملكة، لابد أن ترتبط بسياسة حكامها. فإذا كان الحاكم حكيماً فاضلاً كانت سياسته مع شعبه ناجحة وإذا كان طماعاً وناهباً ومحباً للمال كانت سياسته وبالاً على شعبه... ولما كان تاريخ أى دير لا ينفصل عن تاريخ الكنيسة. وتاريخ الكنيسة جزء هام من التاريخ العام للأمة...

إذن عند الحديث عن تاريخ الدير عموماً، لابد من التطرق للتاريخ العام لسياسة الحكام والولاة حتى تتضح الظروف المحيطة بالأحداث آنئذ..

يذكر الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه مصر فى العصور الوسطى عند كلامه عن النظام السياسى فى عهد الأمويين (٦٦١ م ـ ٧٤٩ م) والعباسيين (٧٤٩ م ـ ٨٦٨ م) صـ ٣٠٦ وما بعدها وصـ ٤٢٩ وما بعدها أنه يلاحظ سرعة عزل الولاة عن مناصبهم فى هذه العصور حتى لم تزد مدة حكم الوالى عن سنتين بكثير (باستثناء عدد قليل منهم) كما يلاحظ كثرة عدد الولاة الذين تولوا أمور مصر، بما لم يترك لأحدهم مجالاً للعمل لخير البلاد بل كان همهم جمع المال بكل الطرق قبل أن يأتيهم أمر العزل، وإرضاء الخلفاء عن طريق الأموال التى يرسلونها إليهم كى تطول مدة ولايتهم مهما أدى ذلك إلى ظلم الأهالى وعدم القيام بالمشروعات النافعة. فاشتهر معظم ولاة ذلك العصر بالشدة فى جمع الخراج (الضرائب)، ولذلك فإن المصريين قاسوا كثيراً من جرّاء التعسف فى جباية الضرائب.

وقد أدت تلك السياسة إلى استياء المصريين وخروجهم على الولاة وخاصة فى عهد بنى أميه وبنى العباس. وكان ولاة مصر منذ الفتح العربى لمصر إلى نهاية الدولة الأموية من العرب أما فى الدولة العباسية ظهر عنصر جديد اعتمد عليه الخلفاء هو الجند الترك. إلى أن استقل أحمد بن طولون عن الدولة العباسية، وكان ذلك هو الحد الفاصل بين نظام الولاية القائم على الفوضى والاضطراب والذى استمر فى مصر أكثر من قرنين ونصف، وبين نظام الولاية القائم على الوراثة. كما سارت عليه الأسرة الطولونية (٨٦٨ م ـ ٩٠٥ م) إلا أنه كان المتولى أمر الخراج فى مصر قبل أحمد بن طولون مباشرة هو أحمد بن المدبر فأزاد الضرائب ولجأ إلى القسوة فى جبايتها، وابتدع عدة طرق لجباية الأموال فحجر على النطرون (وهو مادة كربونات الصودا مخلوطه ببعض الشوائب) بعد أن كان مباحاً للناس وقرر جباية على المراعى وجباية على صيد السمك وكان يجمع المال ويرسل منه الجزية المخصصة لدار الخلافة، وما بقى يتصرف فيه تصرفاً لا يتفق ومصلحة البلاد، حتى كان ذلك سبباً فى تأخر وخراب أرضها، مما أدى إلى سخط الشعب فعملوا على الكيد به.. وتولى بعد ذلك أمر الخراج أحمد بن طولون ثم خلفت الأسرة الإخشيدية الحكم (٩٠٥ م ـ ٩٦٨ م) لكن لفترة لا تزيد عن ٦٠ عاماً ولجأت إلى أسلوب جديد فى جمع الخراج وهو المصادرة. وعندما بدأ عصر الفاطميين (٩٦٩ م ـ ١١٧١ م) بوجود الخليفة نفسه فى القاهرة أعطى مظهراً جديداً للنظام السياسى فى مصر يختلف عن العصور السالفة له إلا أن منذ أواخد عصر المستنصر بدأ الوزراء يستأثرون بالسلطة دون الخلفاء، ويرجع ذلك إلى تهاون كبار رجال الدولة فى اختيار الخلفاء الأكفاء، والبيعة للأطفال بالخلافة ليسهل على الوزراء والحجّاب الاستبداد بالسلطة ومن ثم اشتد التنافس على المناصب وضاعت هيبة الخلافة وبالتالى كان نظام جمع الضرائب متأثراً بالنظام

السياسى، فبعدما كان منظماً حتى بدء خلافة المستنصر، إلا أنه تغير بعد ذلك حسب أهواء الوزراء وقلت عنايتهم بالأحوال الاقتصادية... (انتهى كلام د. على إبراهيم حسن بأيجاز).

ويرى جماعة من الباحثين أن العامل الرئيسى كان هو الضغط على الشعب لابتزاز الأموال ـ وإن ظهر العامل الدينى أى التعصب مثلاً ـ فهو لم يكن إلا وسيلة تزرع بها الولاة لينالوا الثروة.. ولكن لكل قاعدة شواذاً.

وهذا يفسر التعسف والقسوة التى كانت تظهر من حين لآخر وبصورة أصعب على النصارى :

١ـ إما فى جمع الخراج والضغط على النصارى عموماً والبطريرك القبطى خصوصاً لدفع أموال هائلة تضطر البطريرك أحياناً إلى الالتجاء إلى البلاد والمدن لجمع الأموال. إلا أنه فى بعض الأحوال كان مجموع الأموال لا يوفى المطلوب تسديده مما كان يؤدى إلى زج البطريرك فى السجن، مثلما حدث ـ على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ـ مع البطريرك الأنبا يوحنا السمنودى (٤٠) (٦٨٠ م ـ ٦٨٩ م) عندما سجن لحين دفع مئة ألف دينار للأمير عبد العزيز، وكذلك مع البطريرك الكسندروس (٤٣) (٧٠٤ م ـ ٧٢٩ م) عندما سجن لدفع ثلاثة آلاف دينار للأمير عبد الله، ومرة أخرى عندما نزل إلى الصعيد لجمع المال المطلوب منه للأمير قرة (الذى حل محل الأمير عبد الله) فعجز عن ايفاؤه فكبله الأمير بالحديد وطرحه فى السجن لمدة سبعة أيام ثم أخرجه ملزماً إياه بإيفاء المبلغ المطلوب... [ويقول العلاَّمة شمس الدين يوسف بن قرأوغلى فى تاريخه (مرآة الزمان) كان قرة سيئ التدبير خبيثاً ظالماً غشوماً فاسقاً.... وكان أشر خلق الله.

وقيل عن عمر بن عبد العزيز إنه قال : الحجاج بالعراق ! والوليد بالشام ! وقرة بن شريك بمصر ! وعثمان بالمدينة ! وخالد بمكة ! اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس ! (عن النجوم الزاهرة ـ جـ ١ صـ ٢١٧ ـ ٢١٨)].

وعلى سبيل المثال أيضاً فى القرن التاسع فى بطريركية الأنبا شنودة الأول (٨٥٩ م ـ ٨٨٠ م) تولى أحمد بن محمد المدبر أمر خراج مصر وكان يفعل أفعالاً لم يفعلها أحد قبله وقد أقام قبلاً فى فلسطين وأذاق أهل تلك البلاد المر والبلاء وعندما جاء إلى مصر زاد الخراج على الجميع وبالأكثر على النصارى، تفنن فى أساليب جديدة لجمع المال الذى كان همه الوحيد، فأغلق الكنائس وأخذ ممتلكاتها وألزم البطريرك بدفع ٧٠٠٠ دينار لم يقدر على تسديدها.. وكان ضيق عظيم فى ذلك الزمان وافتقر الأساقفة من كثرة الجزية التى فرضها عليهم.

وأيضاً يذكر فى القرن ١٢ فى خلافة الحافظ (١١٣٠ ـ ١١٤٩ م) أن ابنه الأمير حسن أمر بالقبض على البطريرك غبريال بن تريك ٧٠ (١١٣١ ـ ١١٤٥ م) وإيداعه فى خزانة البنود (سجن الأمراء والوزراء والأعيان) ثم قرر عليه ألف دينار.

٢ـ وإما فى بناء الكنائس وتعميرها. وتقول الدكتورة / سيدة إسماعيل كاشف فى كتابها «مصر فى عهد الإخشيديين» صـ ٣٣٤ فى هذا الصدد :

إن هذا الموضوع لم يكن فيه سياسة ثابتة فكان يسمح للنصارى فى بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة وأحياناً أخرى كانوا يمنعون حتى من ترميم الكنائس القديمة.

٣ـ وإما يكون السبب فى التعسف والقسوة ناتج من وشاية البعض تنكيلاً فى البطريرك القبطى والأساقفة.... والاعتقاد الخاطئ بأن الكنيسة تملك أموالاً لا تحصى!

٤ـ وإما يكون لسوء الظن فى وطنية النصارى واتهامهم ظلماً بمعاداتهم سياسة الدولة مثلما حدث مثلاً فى عهد المستنصر. ونورد هنا ما قاله الدكتور/ أحمد شلبى ـ فى هذا الشأن ـ مؤلف موسوعة التاريخ الإسلامى الجزء الخامس طبعة ١٩٨٣ صـ ١٣٤ تحت عنوان، التسامح الدينى والتعصب :

.. فى مطلع عهد المستنصر كانت العلاقات طيبة مع المسيحيين فى الداخل ومع بيزنطة «القسطنطينية» المسيحية، فترك للمسيحيين حرية العبادة، وواصل المستنصر سياسة أبيه فى رفع القيود عن المسيحيين وحسّن معاملتهم، أما مع بيزنطة فقد كانت هناك معاهدة سلم كانت بيزنطة بمقتضاها تورّد القمح لمصر إبّان أزمتها غير أن بيزنطة توقفت عن تنفيذ هذه المعاهدة ومالت إلى مصادقة العباسيين الأقوياء وإهمال الفاطميين الذين لم تعد بيزنطة فى حاجة لإتقاء شرهم لضعفهم، وكان من نتيجة ذلك أن وقف المستنصر موقف عداء من بيزنطة ومن المسيحيين بالداخل لاتهامهم بالإيعاز لحكام القسطنطينية باتباع السياسة الجديدة ففرضت عليهم الضرائب، وأقفلت بعض الكنائس وألقى القبض على بعض القسس. (انتهى كلام د./ أحمد شلبى).

وفى أثناء الحروب الصليبية انتشرت الشكوك فى ولاء الأقباط للدولة الإسلامية بالرغم من أنهم رفضوا ادعاء الصليبيين القائل إنهم يحاولون حماية الأقليات المسيحية (والأقباط من بينهم) ولم يرحب الأقباط بهم حتى إنه كانت لا توجد صلة بين الكنيسة القبطية وكنيسة روما فى ذلك الوقت.

أما بالنسبة للرهبان فقد كان لهم نصيباً وافراً من تلك الأوامر التعسفية ففى أوائل القرن الثامن صدرت الأوامر بخصاء جميع الرهبان فى كل الكور وسائر الأماكن وجعل عليهم جزية ديناراً واحداً على كل راهب. وبعد ذلك بفترة تولى أسامة جمع الخراج فى خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ ـ ٩٩ هـ) (١٤ / ٧١٥ م ـ ١٧ / ٧١٨ م) وأمر أن لا يأوى أحد غريباً فى البيع «الكنائس» والفنادق وان الرهبان لا يرهبنوا أحداً. ثم أحصى الرهبان ووسمهم كل واحد منهم بحلقة حديد فى يده اليسرى ليعرف ووسم كل واحد باسم بيعته وديره بغير صليب وكان ضيق شديد، وإذا حدث أن ظهر أحد من غير وسم قدموه إلى الأمير فيأمر بقطع أحد أعضائه ولم يحص عدد الذين شوّهوا، وحلق لحى كثير وقتل جماعة، وقلع أعين جماعة بغير رحمة، ومن محبته فى المال أمر الولاة أن يقتلوا الناس ويحضروا إليه مالهم.... ثم بعد ذلك ازداد تعسفاً على كل شعب مصر وتعطلت التجارة وزاد شراً، وأرسل للتفتيش على الأديرة فوجد فيها رهباناً بغير حلق فى أيديهم، فضرب رقاب بعضهم والبعض الأخر ماتوا تحت السياط.. ثم طلب من الباقين ألف دينار وجمع مقدمى الرهبان وعذبهم وفرض على كل واحد منهم ديناراً وهددهم بأنهم إذا لم يسددوا المبلغ فإنه سيهدم البيع ويخربها ويسخرهم فى العمل فى مراكب الاسطول.. إلى أن رحمهم الرب بصلواتهم وتضرعاتهم، فعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة (٩٩ هـ ـ ١٠١ هـ) (١٧ / ٧١٨ ـ ١٩ / ٧٢٠ م) وسمع عن ظلم أسامة أمر بالقبض عليه وسجنه فى سجن مظلم مكبلاً بالحديد ثم أرسلوه إليه ولكنه مات فى الطريق.

وبالإضافة إلى ما ذكر فإن حالة عدم الاستقرار كانت تجتاح البلاد من حين لآخر كالفتن الداخلية لقلب نظام الحكم، والحرب خارج البلاد، وتقلب الطبيعة كالزلازل أو عدم وفاء النيل بكميات الماء المطلوبة لزراعة الأراضى المصرية مما ينتج عنه القحط لعدم الزراعة فترتفع الأسعار ويعم الغلاء الذى يؤدى إلى المجاعة لعدم مقدرة الطبقة الدنيا على العيش فيذهب ضحيته الكثيرون من الموت جوعاً الأمر الذى ينتج عنه ظهور وباء يجتاح البلاد... وكانت هذه السلسلة المتصلة من النكبات تحدث من حين لآخر مثلما حدث مثلاً فى أيام كافور الإخشيدى حيث استمرت تسع سنوات (٩٦٢ م ـ ٩٧١ م)، وأيام المستنصر استمرت سبع سنين ابتداء من سنة ١٠٦٨ م.

من هذه النبذة القصيرة عن تلك الظروف التى عاشتها مصر عموماً والكنيسة القبطية خصوصاً فى تلك الفترة لابد الخروج بنتيجة مؤداها أن عدد المسيحيين قل كثيراً وبالتالى قل طالبى الرهبنة الأمر الذى أدى إلى خلو أديرة عدة من الرهبان وتقلص عدد الأديرة العامرة بالرهبان.

وخاتمـــة المقـــال :

إن تاريخ أى أمة أو مملكة لا يخلو من الحاكم الظالم أو القاسى فلا عجب من قراءة حوادث أغرب من الخيال حدثت فى الأزمنة الغابرة. فإن كنا قد ذكرنا بعض الحوادث التى حدثت فى تلك العصور من بعض الحكام القساة فليس معنى هذا أن الكل هكذا بل يذكر التاريخ أنه تولى زمام البلاد حكام اتصفوا بالعدل والإنسانية منهم على سبيل المثال وليس الحصر :

الخليفة المستعين (٨٦٢ ـ ٨٨٦م)، والخليفة الحافظ (١١٣٠ ـ ١١٤٩م)، وصلاح الدين الأيوبى أثناء استقراره فى مصر، والسلطان الكامل ناصر الدين (١٢١٨ ـ ١٢٣٧م) الذى عندما ذهب إليه وفد من الرهبان شاكياً متظلماً أصدر أوامره برفع المظالم عنهم وتركهم وسبيلهم...

لذلك فإن الكنيسة القبطية عبر الأجيال تتضرع فى صلوات القداس لأجل الحكام المتولين أمر البلاد المصرية وتطلب من الرب أن يحفظهم فى سلام وعدل لكى يعيش الشعب فى هدوء واطمئنان...

أخبار غير مؤكدة وردت عن تاريخ الدير

نشر أحد الأحباء كتيباً عن هروب السيد المسيح إلى مصر عام ١٩٥٠ م، وأعاد طبعه مرة ثانية فى ١٩٦٣ م وخصص فيه جزءاً عن تاريخ دير المحرق وذكر فيه بعض الحوادث التاريخية بدون تنويه عن مصادرها. فأُدرجت ضمن ما أُدرج فى الدراسات التاريخية فى موسوعة دير المحرق (كما ذكر فى مقدمة هذا الكتاب) وتم الرجوع للكتب القديمة والحديثة لمؤرخى التاريخ المسيحى والإسلامى الموثوق فى كتاباتهم وبعد بحث شاق وبقدر ما تم فحصه، لم يستدل حتى الآن على دليل واحد أو إشارة بسيطة عن تلك الحوادث علماً بأن أولئك المؤرخين ذكروا أحداثاً تعتبر أقل فى الأهمية عن الحوادث التى نسبت إلى تاريخ دير قسقام فى هذا الكتيب فكان من باب أولى أن يذكروا هذه الأحداث إن كانت قد حدثت فعلاً؟!

وسنوردها هنا من باب العلم بالشئ فقط لحين ظهور أى دليل فى المستقبل يؤيدها أو ينفيها. وقد تم إضافة نبذة موجزة على كل حدث لبيان الظروف التى كانت محيطة به وأما الحدث نفسه الذى يمس تاريخ الدير المسجّل فى الكتيب المذكور عاليه وضع بين قوسين [ ] :

١ ـ من المعروف أنه عندما غزت جيوش الخرسانيين (العباسيين) بلاد ما بين النهرين والشام فرّ من أمامهم الخليفة مروان آخر الخلفاء الأمويين ـ الشهير بالجعدى ـ إلى مصر ثم توجه إلى الصعيد وأثناء مرورهم على البلاد أباح لجيشه النهب والسلب فحدثت بذلك أعمال فاضحة يجل اللسان عن وصفها. ثم عاد إلى مصر فأشعل النار فى الفسطاط وفى القنطرة التى تصلها بجزيرة الروضة ثم عبر بعد ذلك إلى الشاطئ الغربى بالجيزة وأباح لجيشه وحاشيته كل ما تصل إليه أياديهم... ولكن جيوش العباسيين تبعته إلى مصر ولم يقو مروان على مقاومتهم، وقتل هو ومن فرّ معه من الأمويين فى بلدة بوصير بالفيوم. وأما الخبر الذى قيل عن الدير فهو [إن مروان قام على

رأس جيش لوادى النطرون وهدم عـدداً كبيراً من الأديـرة والكنـائس وذبـح عدداً وفيراً من الرهبـان مما حمل بقية الرهبان إلى الفرار لصعيد مصر فلحق بهم فى دير المحرق وذبح أكثر من ١٠٠ راهب وفرّ باقي الرهبان ولقد كان لهذا الحادث الأليم وقع كبير فى نفسية البطريرك مرقس الثـانى مما أدى إلى وفاته..]

تعليـــــــق:

البابا مرقس الثانى، كانت حبريته فى الفترة (٧٩٩ م ـ ٨١٩ م) أما مروان فكان فى مصر فى الفترة (١٢٧ هـ ـ ١٣٢ هـ) أى (٤٤ / ٧٤٥ م ـ ٤٩ / ٧٥٠ م) والبطريرك الذى عاصر مروان كان البابا القـديس الأنبا خائيل الأول (٧٤٣ م ـ ٧٦٧ م) الذى ذاق ألوان العذاب من مروان...

٢ ـ الحاكم بأمر الله (٩٩٦ ـ ١٠٢٠ م) : هذه الشخصية جذبت كثيراً من الباحثين لدراستها لأنها جمعت بين صفات متضاربة ومتناقضة. ويذكر المؤرخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (٨١٣ هـ ـ ٨٧٤ هـ) فى مؤلفه النجوم الزاهرة نقلاً عن العلامة أبى المظفر بن قز أوغلى، وعن المؤرخ الحافظ أبى عبد الله الذهبى، وعن المؤرخ الشهير ابن خلكان، وعن العلامة ابن الصابى وغيرهم من مؤرخى الإسلام، أن خلافة الحاكم بأمر الله كانت متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء. وأقام يلبس الصوف سبع سنين، وامتنع عن دخول الحمام وأقام سنيناً فى ضوء الشمع ليـلاً ونهاراً ثم آثر الظلمة فجلس فيها مدة وقتل من العلماء والكتّاب والأماثل ما لا يحصى، وأمر بقتل الكلاب... ونهى عن النجوم (أى علم الفلك) وكان ينظر فيها، ونفى المنجّمين وكان يرصـدهم (أى يتربص بهم) وكان يسفك الدماء (كما ورد بالنص) وقطع الكروم ومنع بيع العنب ولم يبق فى ولايته كرم، وأراق خمسة آلاف جرة من العسل فى البحر خوفاً من أن تعمل نبيذاً ونهى عن أكل الملوخية والسمك، ومن باع ذلك قتل، ومنع النساء من الخروج فى الطريق، ومنع عمل الخفاف لهن، وادعى الألوهية وأن الله تجسم فى شخصه، وشجّعه على ذلك الأخرم وحمزة الدرزى اللذان نسبا إليه بعض الصفات التى لا يتصف بها إلا الله وحده!. فكان إذا بدا للناس فى الطرقات خرّوا له سجداً وقبّلوا الأرض، ومن أبى كان نصيبه الموت. ومال إليه كثيرون من الناس وصارت له دعاة يدعون أوباش الناس، وإذا لقوه قالوا : السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيى يا مميت. ونادى بإبطال الأديان كافة، وطلب من الناس اعتناق مذهبه.

وفى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت اسم (رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بدعوته) يتبين ما كان يدعيه الحاكم من صفات الألوهية وأن الذين اتبعوه نادوا بأنه الخالق والرازق وعلاّم الغيوب، وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدا (وصفات أخر كثيرة لا مجال لذكرها هنا)..

لهذا ظهرت بين المصريين روح السخط على أعماله واستهجنوا سياسته بعدما نادى بإبطال الأديان

كافة. وبالطبع لم يفلت من يديه النصارى بل خصص لهم أوامر صارمة وأمرهم بأن يعلقوا فى أعناقهم الصلبان، وأن يكون طول الصليب ذراعاً وزنته خمسة أرطال مصرية، وأن يدخلوا الحمام بالصلبان، وجعل لهم حمامات على حدة وأمر ألاّ يركبوا حماراً لمسلم وعلى حد قول صاحب النجوم الزاهرة الآنف ذكره انه لم يبق فى ولايته ديراً ولا كنيسة إلا وهدمها. وأسلم جماعة من أهل الذمة خوفاً منه، ثم ارتدوا... وقد أعاد الكنائس على حالها فى أواخر حكمه.

وكتب عنه المؤرخون كثيراً فمثلاً :

يعلق المقريزى قائلاً : إنه كان يعتريه جفاف فى دماغه ولذلك كثر تناقضه، وكانت أفعاله لا تعلّل وأحلامه وسياسته لا تؤوّل.

ويقول عنه ابن إياس : إنه طغى وتجبّر وصار يفعل أشياءً متضادة لا تقع إلا من المجانين الذين فى عقلهم خلل.

وقيل [إن الحاكم بأمر الله هجم على دير المحرق ورهبانه إلا أن الرهبان دافعوا ببسالة عن ديرهم ولم يتمكن الحاكم من الدخول إليهم وأسفرت المعركة عن موت ثلاثة من الرهبان دفنوا داخل الدير ونقشت أسماؤهم على حجر فوق المقبرة والحجر محفوظ اليوم بمكتبة الدير].

تعليـــــق:

مع الأسف!! التاريخ المحفور على الحجر باللغة القبطية ـ هو ٨٠٧ شهداء أى ٩٠ / ١٠٩١ ميلادية (والحاكم بأمر الله حكمه بين ٩٩٦ م ـ ١٠٢٠ م) والحجر عبارة عن شاهد قبر ولا تعرف حتى الآن أسباب وظروف نقش الكتابة عليه. وليس من الأمانة تأليف أو تخييل قصص تدور حول شاهد قبر مثل هذا.

فـى جـبل قسـقام

إن أقدم المعلومات الهامة (التى حصلنا عليها حتى الآن عن هذه الفترة من الزمان) هى الكتابة التى ترجع إلى القرن الثامن الميلادى وبالتحديد ١١ ديسمبر عام ٧٤٦ م والتى نقشت على الرخامة النادرة والمثبتة على المذبح الحجرى بهيكل كنيسة السيدة العذراء بقسقام والمسجل عليها اسم الطوباوى كلتوس (أى قلته)، وقيل أنه كان رئيساً للدير فى ذلك الزمان.

وفى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى فاح عطر سيرة القديس الأنبا هيلياس (الذى نُقل جسده من القوصية إلى دير المحرق) م دفع الآرخن الكبير مؤرخ البطاركة الشيخ يوحنا بن الصاعد للحضور إلى قسقام للتبرك من جسد الشهيد الذى استشهد فى عهد ديوكلتيانوس فى أوائل القرن الرابع الميلادى.

كما كان لبيعة القديسة مريم العذراء فى جبل قسقام دور جعلها أشبه بميناء للسلام فى أوقات الأوبئة والمجاعات حيث كانت البلسم الشافى للمكروبين والمرضى والمعوزين لما اشتهرت به من الآيات والأعاجيب وشفاء الأمراض المختلفة.

واهتم بعض المقتدرين بالنظر إلى احتياجات هذا المكان، فكان فى النصف الأول من القرن ١٢ الميلادى قد وهن مبنى الحصن القديم فإهتم بتجديد معالمه على ما كان عليه أولاً الشيخ أبو ذكرى ابن بو نصر عامل الاشمونين فى زمن خلافة الحافظ (١١٣٠ ـ ١١٤٩ م).

[كان حكام الأقاليم يسمون فى أول الأمر عمالاً ثم استعملت بعد ذلك كلمة الوالى وانتهى الأمر بأن كان يطلق عليهم اسم الأمراء راجع Adam Metz : The Renaissance of Islam p. 15
وأيضاً د. / على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى صـ ٣٠٥]

وكان دير قسقام يزدحم بالوافدين إليه فى عيد الزيتونة (كما كان يسمى فى ذلك الوقت وهو عيد أحد الشعانين) ويزداد ازدحاماً فى عيد القيامة المجيد...

وقد صنع الرب معجزات عديدة من ماء البئر الذى كان بجوار الكنيسة، وقد شهد لها الكثيرون وذكر احداها فى بعض المخطوطات القديمة ـ منها مخطوط المؤرخ القبطى المؤتمن أبى المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود فى كتابه الذى وصف فيه الكنائس والأديرة فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى ـ (جارى دراستها). لأن بعض منها له مغزاه الروحى ومعناه الرمزى ـ ويبدو أن احدى تلك الحوادث العجيبة حسب ما توصلت إليه الدراسات الآن ـ كان إعلاناً من السماء بما سيحل على مصر عامة والكنيسة القبطية خاصة.

لأنه فى تلك الآونة كانت الفتن منتشرة فى مصر وانعدم الأمان فى طول البلاد وعرضها بتزايد الفوضى والاضطراب وانتشار اللصوص وقطاع الطرق. كما كانت الكنيسة تمر بأزمة صعبة. ولكن صلاح الدين الأيوبى تمكن من القضاء على الفتن (فى نفس السنة التى حدثت فيها المعجزة) وبعدما استتب الهدوء فى البلاد وجه أنظاره إلى بلاد الشام وفتح منها الكثير دون مقاومة تذكر مما مكنه من الحصول على لقب سلطان من الخليفة العباسى ثم أحرز بعد ذلك انتصارات حتى وصل إلى بلاد ما بين النهرين....

ويذكر تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية : إنه عندما عاد إلى مصر بعد إنتصاراته عمل الخير مع الرعية بديار مصر وهو ما يعجز الواصف عن وصفه، وعدل بينهم وأحسن إليهم وأزال مظالم كثيرة... وأقام الحدود الشرعية... وكان يجلس للعدل يومين فى الأسبوع (الإثنين والخميس)... ويحضر بين يديه جميع الناس فينصف المظلوم من الظالم، وحلّت البركة فى كل شئ.

(وهنا يذكر تاريخ البطاركة قائمة بأسعار السلع الهامة فى ذلك الوقت لإثبات مدى الخير الذى عمّ الجميع). وكانت أيام دولته كلها حسنة طيبة وأحوال الرعية مستقيمة، ولم يصادر أحد من

رعيته، ولا ظلم أحد كعادة من سبقه، والطرق آمنة والأمور صالحة (ويستمر الوصف بصورة جميلة للتعبير عن فرحة الناس وبهجتها وانشراح القلوب بالإيمان وخصوصاً بعد ما فتحت البِيَعْ المغلقة ورم ما تهدم منها فعمّ الدعاء والصلاة بالسلامة للسلطان الذى استحق أن يكون اسماً على مسمى.

ولكن يبدو أن زيادة الخير (حسب وصف كتاب تاريخ البطاركة) أدى إلى تمادى الكثيرين فى الترف والرفاهية إلى حد الانجراف وراء شهواتهم وعمّ الفساد الذى كان مؤداه خراب على البلاد وبالفعل ففى سنة ١٢٠٠ ميلادية سمح الرب بعدم صعود النيل إلى أرض مصر (التى تعيش على خير ماء الفيضان) فشرقت الأراضى من أسوان حتى دمياط والإسكندرية وخربت البلاد وهلكت الرعية وتفرقت وتشتّت الخلائق وتمزقت، ومضى خلق كثير من ديار مصر إلى الشام بأموالهم وأولادهم فهلكوا فى الطريق وماتوا بالبرد والجوع والقتل من العربان... وشوهدت جثث الموتى ودوابهم ومواشيهم من باب بلبيس حتى باب غزة وديارها... وزادت أسعار السلع بصورة شنيعة جعلت الناس تبيع قناياها وأثاثها والدور والبعض باع فلذات أكباده كالعبيد... ووصلت الحالة إلى أكل لحوم الحيوانات الميتة كالحمير والبغال والخيل والكلاب والقطط واستمرت هذه الحالة حتى سنة ١٢٠٢ م وانقلع من الناس حنان القلب وانقطع من الحياة الرجاء وهلكت الناس وخربت المدن عدا المدن الكبيرة، وخلت القرى لأنه لم يبق احد يصنع صنعة ولا يعمر عمارة، وضعفت قوة الخلق من الجوع والموت واستفاض كتاب تاريخ البطاركة فى وصف الحالة بصورة تقشعر لها الأبدان. وقد شاهد المؤرخ عبد اللطيف البغدادى الذى كان يزور مصر ذلك الوقت تلك الأوضاع وكتبها فى كتابه المعروف باسم : كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. وقد وصف المؤرخ أحداثاً شنيعة حدثت بين الناس فى تلك الآونة وليسمح لى القارئ بعدم ذكرها هنا لئلا تجرح المشاعر والأحاسيس الإنسانية (لأنها أوصاف خارجة عن آدمية الإنسان). وتفاقم الخطر بحدوث زلازل فى مصر والشام... وقد تكاتف الناس من أهل الخير من المسلمين والمسيحيين وتصدقوا على الفقراء وعمل كل واحد على قدر طاقته واستمر ذلك الحال إلى أن رفع الرب غضبه وبدأت الأوضاع فى التحسن فى سنة ١٢٠٢ م.

لذلك اهتمت الكنيسة منذ نشأتها بأن تتضرع إلى الرب فى كل قداس لأجل أن ينجى الناس من الغلاء والوباء والسبى... والصلاة لأجل مياه الأنهار لكى يباركها المسيح إلهنا ويصعدها كمقدارها ويفرح وجه الأرض ويعول بنى البشر ويعطى النجاة للبهائم، والصلاة أيضاً لأجل الزروع والعشب لكى يعدها الرب للحصاد... وهكذا وضعت أيضاً فى طلبات أقدس أسبوع فى السنة وهو أسبوع الآلام لكى يرحم الرب شعبه...

أحـــداث متفـــرقـــة :

عندما استتب السلام وأصبحت البلاد فى اطمئنان فى عهد الدولة الأيوبية واستقرت الأحوال نوعاً ما، أصبح الاهتمام مركزاً على مبانى الدير وتحسينها لاستقبال وإيواء الوافدين إليه، وشهد بذلك المؤرخ الثقة أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس الحموى البغدادى الدار الملقب شهاب الدين (٥٧٥ هـ ـ ٦٢٦ هـ) (٧٩ / ١١٨٠ م ـ ٢٨ / ١٢٢٩ م) فى كتابه معجم البلدان، بأن الدير (مليح ونزه وحسن العمارة ولم تر أحسن منه ولا أحكم عمارة، والنصارى يعظمونه ويزعمون أن المسيح عليه السلام لما ورد مصر كان نزوله به ومستقره فيه).

وقد وصف الدير فى تلك الآونة أيضاً الشيخ المؤتمن أبو المكارم وصفاً جيداً فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى ويعتبر هذا الوصف وثيقة هامة لما لها من شأن ووزن فى تاريخ الدير. [وهو مدون فى الجزء الثانى ـ (من الورقة رقم ٧٨ ـ الصفحة الأولى إلى الورقة رقم ٧٩ ـ الصفحة الثانية) من مخطوطة محفوظة فى المكتبة الأهلية بباريس تحت اسم الكنائس وأديرة مصر وبعض البلاد المجاورة وترجمها إلى الإنجليزية ونشرها إيفيتس B.T.A. Evetts وعلق عليها بتلر A.J. Butler فى طبعة أكسفورد سنة ١٨٩٥ م وقد قام الأب الفاضل القس صموئيل السريانى بمعهد الدراسات القبطية بإعادة طبع المخطوطة متكاملة بأجزائها. الرب يعوض من له تعب فى ملكوت السموات....].

وفى النصف الأول من القرن الثالث عشر بلغت الكنيسة القبطية أعلى مراتب التقدم فنبغ فيها عدد كبير من الأذكياء والمجتهدين فوضعوا الكتب النفيسة حتى دعى هذا الجيل بالعصر الذهبى فمنهم أبناء العسال، وبطرس أبو شاكر بن الراهب، القس بطرس السدمنتى، وعلم الرياسة بن كاتب قيصر، وابن الدهيرى، وشمس الرئاسة أبو البركات بن كبر.....

وكان الرب مباركاً لدير قسقام ببركة بيعته التى قدسها بيمينه الإلهية... وكان يُعدّه لأجل مهمة قادمة فى القرن التالى! وتغيّر اسم الدير رويداً رويداً من دير بو محروقة أو دير المحرقة حتى أصبح فى القرن الثانى عشر الأسم الأسهل على كل الألسن : دير المحرق بجبل قسقام.

خاتمـــــــة:

وقبل إنهاء الحديث عن ثلاثة عشر قرناً من الزمان يجب التنويه بأن مؤرخى التاريخ الكنسى صمتوا عن ذكر أية أحداث عن دير المحرق لأن التركيز كان على سيرة حياة البطريرك الذى كان يعيش فى الإسكندرية ثم انتقل إلى العاصمة القاهرة وكانت شيهيت أقرب الأمكنة إليه للتزود من روحانيتها... أما الدير فكان يعتبر بعيداً نوعاً ما فى تلك الآونة، حيث كان السفر بالدواب أو بالمراكب فى النهر. وكان المؤرخون يركزون على الحوادث الهامة الخاصة بالعلاقة بين البطريرك والحاكم أو بالشخصيات التى لها دور معين فى السياسة العامة للدولة أو فى الكنيسة... ولهدوء الدير لم يسمع منه صوت يرن فى كتب التاريخ إلاّ فى القرن الرابع عشر عندما أراد الرب بذلك.

واستكمالاً للحديث عن هذه الفترة الصامتة فإنه بالنسبة للآثار الباقية فى الدير حالياً فهى تقص لنا قصصاً مقتضبة لأنها غير كافية لتغطى سرد حوادث تاريخية لمدة طويلة مثل هذه (ثلاثة عشر قرناً) والسبب فى عدم كفاية علم الآثار للتغطية التاريخية المطلوبة أنه منذ بدء الصلوات الليتورجية فى كنيسة السيدة العذراء (وهى حالياً الأثرية) وقبل أن ينشأ الدير والمسيحيون يتهافتون إلى المكان للصلاة ولنوال البركة المقدسة وقد أصبحت مزاراً استمر بعد إنشاء الدير ـ حول الكنيسة ـ عبر الأجيال إلى اليوم (كما تشهد المخطوطات القديمة).

ولهذا السبب كان الدير فى تجديد وتوسيع إذا أتيح له ذلك، وحسبما يتطلب العصر الذى يعيشه وليكون فى منظر لائق للزوار الوافدين إليه لذلك لم يتبق من المبانى القديمة إلا الكنيسة القديمة ومذبحها الحجرى والحصن وبعض الأثريات من القرون الوسطى والحديثة (كما سيتضح فيما بعد).

وإن كان هذا الصمت اخترقته المخطوطات والدراسات العلمية نوعاً ما وأظهرت بعض الحوادث القصيرة المقتضبة ـ كما ذكر ـ إلا أنها كشفت النقاب عن أمور هامة جارى لها دراسات تحليلية سيكون لها تأثير كبير فى المستقبل القريب عن تاريخ الدير القديم.



نقش من القرن الثامن الميلادى
على مذبح الكنيسة الأثرية بالدير

القرن ١٤ م والقرن ١٥ م

مقدمـــــة :

انتهى حكم الدولة الأيوبية فى منتصف القرن الثالث عشر بعد أن نالت مكانة عظيمة فى مصر وانتقل الحكم إلى دولة المماليك (١٢٥٠ م ـ ١٥١٧ م) فمن هم المماليك :

كلمة المماليك هى جمع مملوك ومعناها واضح. وهو الذى اشْتُرِى بالمال وأصبح ملكاً للمشترى. وكان الخلفاء العباسيون أول من أكثر من شراء الرقيق من الجوارى والعبيد واتخذوا منهم خدماً وجنداً لهم.

ولقد كان الخليفة هرون الرشيد أول من غالى من الخلفاء العباسـيين فى العناية بالجوارى عناية ملحوظة، كان ابنه الخليفة المعتصم أول من أكثر من شراء المماليك كثرة تستلفت النظر، أما الرشيد فقد كان معظم أولاده أبناء إماء، فعلى سبيل المثال نجد أن المأمون كانت أمه جارية فارسية ونجد أن المعتصم كانت أمه جارية تركية.

وكان أحمد بن طولون ـ وهو ابن واحد من هؤلاء المماليك الأتراك ـ أول من جلب المماليك إلى مصر واستخدمهم فى عساكرها، وسار الفاطميون من بعده على نهجه، فأكثروا بدورهم من استخدام المماليك، كما سار الأيوبيون على نفس هذا النهج فاستعانوا بالمماليك فى حروبهم ضد أعدائهم من أقاربهم أو من الفرنجة الذين أصبحوا على مقربة منهم فى بلاد الشام، ولقد كان الصالح نجم الدين أيوب ـ آخر سلاطين الأيوبيين ـ أكثر سلاطين هذه الأسرة جميعاً فى شراء المماليك وفى استخدامهم.

وكان أغلب هؤلاء المماليك يُجلَب إلى مصر من شبه جزيرة القرم ومن بلاد القوقاز ومن فارس ومن التركستان ومن بلاد «ما وراء النهر» بل كان بعضهم أصلاً من ضفاف بحر البلطيق ومن حوض الدانوب. ويقول البحاثة «هايد» Heyd فى كتابه القيم عن تاريخ التجارة فى الشرق فى العصور الوسطى: إن تجار الرقيق من الأوربيين كانوا يجلبون إلى مصر كل عام نحو ألفين من المغول والشراكسة والروم والألبانيين والصقالبة والعرب والأتراك.

وكان هؤلاء المماليك الصغار بعد أن يُشتروا من أسواق النخاسة يوضعوا فى قلعة الجبل تحت رعاية موظفين يعنون بجميع شئونهم وكانوا يدربون على بعض التمرينات البدنية، فإذا ما وصلوا إلى سن البلوغ كانوا يقومون بتمرينات بدنية فيها شئ من العنف، وكانوا يمرّنون على السباحة وعلى الطعن بالرمح والضرب بالسيف والقذف بالطوق وعلى جميع أصول الفروسية وآدابها.

وقد كان محرّماً على المماليك فى هذه المرحلة من حياتهم أن ينزلوا من القلعة إلى المدينة، أو أن يختلطوا بالشعب أو أن يحاولوا الزواج من بناته. ويظل المماليك أرقاء يعيشون تلك المعيشة زمناً غير محدود. فإذا استطاع واحد منهم أن يبرز كفاءته، وأن يثبت جدارته فى فن من الفنون الحربية، كافأة السلطان على ذلك التفوق بإخراجه من زمرة الأرقاء وإدخاله فى زمرة الأحرار، ومنحه إجازة «التخرج» التى تفيد أنه انتهى من تعليمه، وكان يطلق على هذه الإجازة اسم «عتاقة» ويصبح حراً له ملابسه الخاصة ورواتبه ومعيشته. وقد تسمو منزلة المملوك فيمنحه السلطان لقب الإمارة.

والعجيب أن المماليك كانوا يعتزون بهذه التسمية ولا يرضون عنها بديلاً، ويرون فيها مجدهم حتى إنهم اتفقوا على أن تسند السلطنة لأمير عرف بالشجاعة والإقدام وهو المؤيد شيخ، ثم تبين لهم أنه لم ينشأ نشأة المماليك الحق، لأن بيعه تم بعد أن بلغَ الثانية والعشرين، فكان ذلك سبباً فى قيام بعض الثورات عليه (دكتور

إبراهيم طرخان : مصر فى عهد دولة المماليك الشراكسة ص ٣١) وكان المماليك يكّونون طبقة منفصلة تمام الانفصال عن سكان مصر والشام فقد قل التزاوج بينهم وبين طبقات الشعب، وقل اهتمامهم باللغة العربية حتى إن الذين أجادوها منهم، كانوا يؤثرون أن يتكلموا برطانة تميزهم عن الشعب المصرى والسورى.

وكانت الفوضى وعدم الولاء طابع المماليك، فالعزل والتولية يخضعان للقوة، والمؤامرات تُحاك من الخصوم والأعوان على السواء، والغدر يوقع بالقائد المبرز بعد أن يحقق انتصاراً ضخماً فى معارك فاصلة، فإذا كانت المدنية الحديثة تكلل بالفخر صدر المنتصر، فإن المماليك كانوا يحكمون عليه بالموت وهو فى أزهى ساعات مجده، فقد قتلوا قطز بعد انتصاره الساحق على التتار فى عين جالوت، وقتلوا الأشرف خليل عقب استيلائه على عكا آخر حصون الصليبيين، يالله!! كيف تكون ضربة الغدر هى جزاء الكفاح الناجح؟.

وقد اتفق المؤرخون على تقسيم هؤلاء المماليك إلى قسمين، القسم الأول يعرف بالمماليك البحرية وهؤلاء جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى جمع من المماليك ما لم يجمع غيره من أهل بيته حتى كان أكثر أمراء العسكر من مماليكه (العينى : عقد الجمان حوادث سنة ٦٤٧ هـ) وبنى لهم قلعة بجزيرة الروضة وحشدهم بها ومعظم هؤلاء المماليك من الأتراك، واختار منهم الصالح فرقة للأسطول سميت الفرقة البحرية أو الفرقة الصالحية، (ولذلك يسمى هؤلاء المماليك البحرية أو المماليك الأتراك والتسمية الأولى أشهر) ويرى فيليب حتّى أنهم تسموا بالبحرية لأنهم كانوا يقيمون بجزيرة الروضة التى توجد بالنيل. وكان النيل يسمى عندهم بالبحر (تاريخ سوريا ص ٢٦٨) وقد حكم هؤلاء المماليك من سنة ١٢٥٠ إلى سنة ١٣٨٢ ، ومن الواضح أن هؤلاء المماليك انحدروا من أصول مختلفة، ولا يربطهم دم ولا عنصر وإنما يربطهم شئ واحد هو أنهم مماليك اشتروا بالمال.

أما القسم الثانى فمجموعة أخرى من المماليك ليست مما جلبه الأيوبيون، وليسوا أشتاتاً ينتسبون إلى عناصر مختلفة وإنما هم شراكسة اشتراهم السلطان قلاوون الذى يطمع فى إقرار السيادة فى ذريته وتم له ما أراد فقد حكم هو وأولاده وأحفاده أكثر من قرن (من سنة ١٢٧٩ إلى سنة ١٣٨٢) ثم استولى أحفاد مماليكه البرجية على الحكم سنة ١٣٨٢ وظلوا يحكمون مصر حتى سنة ١٥١٧م. وسمى هؤلاء شراكسة نسبة إلى بلادهم (وهى بعض بلاد الكرج «جورجيا» بين بحر قزوين والبحر الأسود التى تمتد على الشاطئ الشرقى للبحر الأسود، سكانها يعرفون بالشراكسة، وهم مشهورون بالشجاعة والفروسية والجمال وكانت تجارة الرقيق بينهم رائجة حتى إنهم كانوا يبيعون أبناءهم وبناتهم) ويسمى هؤلاء المماليك أيضاً «المماليك البرجية» وقد أطلق عليهم هذه التسمية السلطان الأشرف خليل بن قلاوون عندما قسّم المماليك السلطانية إلى طوائف، وأسكن طائفة الشركس فى أبراج القلعة، وكان عددهم آنذاك ٣٧٠٠ مملوك (الدكتور إبراهيم طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الشراكسة ص ٨، ٩) وسلاطين المماليك الشراكسة كلهم من أصل شركسى، ماعدا اثنين منهم، هما : خوشقدم وتمربغيا؛ فقد كانا من أصل يونانى.

إن ما ذُكر عن التقاليد والقواعد التى كانت متبعة فى تنشئتهم قد امتدت إليها عوامل الانحلال فلم تعد العناية بتعليمهم أو تثقيفهم كما كانت من قبل وأصبحوا يجلبون إلى البلاد كباراً بعد أن تكونت أخلاقهم، وتحددت طباعهم وكثيراً ما كانت من قبل طباعاً سيئة، ومن هنا كان شرهم على البلاد وبالاً ولعل أبلغ وصف لهم فى أواخر أيامهم هو ما قاله فيهم مؤلف النجوم الزاهرة، إذ يشير إلى ضعفهم وعجرفتهم، وعدم خبرتهم الحربية (والواحد منهم أنفه فى السماء، ولا يهتدى لمسك لجام الفرس، ليس لهم صناعة إلا نهب البضاعة، يتعدون على الضعيف، ويشرهون حتى فى الرغيف..)

وبالطبع فإن أسلوب الحياة والظروف التى نشأ فيهـا المماليك أدى إلى عدم احترامهـم للقوانين الوراثية للخلافة السلطانية مما جعلهم يستولون على زمـام الحكم فى البلاد... ويوضـح ذلك الدكتـور محمد عبد العزيز مرزوق فى كتابه الناصر محمد بن قـلاوون ص ١٠٥ ، ١٠٦ بقوله : (ليـس من المسـتبعد أن تكون نشـأة المماليك والطريقة التى وصلوا بها إلى الحكم، هى الدافع القوى لعدم احترامهم لقانون ما، فهم كما نعلم قد فُصلوا عن أمهـاتهم وآبائهم وهم صغار فحرموا بذلك من حياة الأسرة ولم ينعموا بما يكون فيها عادة من العواطـف الإنسـانية النبيلة ولم يتـأثروا بما يكون فيها من روابط الألفة التى تربط بين أفرادها وأواصر المحبة التى تشدهم بعضهم إلى بعض وبيعوا فى أسواق النخاسة وانتهت بهم الحياة إلى معسكرات يعيشون فيها مع زملاء يتقاسمون وإياهم المعيشة، ومن هنا جاء إعتقادهم أنهم جميعاً زملاء متساوون لهم نفس الحقوق، وعليهم نفس الواجبات، والجلوس على العرش حقهم جميعاً، وهم جميعاً أمامه سواء، لا يتربع عليه إلا من كان أقواهم شخصية، وأمهرهم فى القتال، ومن هنا كان هذا المبدأ لا مبدأ الوراثة، هو الذى أوصـل «خليل» إلى عرش السـلطة، فقد وصل إليه بحكم شـخصيته القوية، وشـجاعته المعروفـة.

إذاً خلاصة القول هل سيكون خير فى هذا العصر؟

ويجيب على هذا السؤال الدكتور / على إبراهيم حسن :

فى عصر المماليك، قاسى القبط كثيراً تحت حكمهم وإن لم يتعرض المماليك لآرائهم الدينية. ولم تكن سياسة سلاطين المماليك فى معاملتهم واحدة. والحق أن القبط كانوا ذوى نشاط ظاهر فى دواوين الحكومة المملوكية، وكانوا لازمين لحسن سير الأمور المالية فى البلاد، ومع ذلك فإن الحكومة كانت تقصيهم عن الوظائف بين حين وآخر... وكان هذا الشعور بسبب استمرار ذلك العداء الذى قام بين المماليك والصليبيين (مصر فى العصور الوسطى ص ٤٩٧ ، ٤٩٨).

ومن أهم الحوادث على سبيل المثال حوادث سنة ١٢٩٠ م أيام السلطان الأشرف خليل والتى وصفها المؤرخ المشهور العلامة تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى، فى كتابه الخطط والآثار فى مصر والقاهرة حيث وصلت الحالة إلى أنهم أعدوا حفرة كبيرة لجمع النصارى وحرقهم وإلا يدفع البطريرك مبلغ خمسين ألف دينار وجرت بذلك شدائد كثيرة فى أيام البطريرك يوأنس السابع (١٢٧١ ـ ١٢٩٣ م) يطول شرحها وقاسى الأساقفة شيئاً يطول ذكره.

وحوادث سنة ١٣٠١ م أيام الناصر محمد بن قلاوون التى شرحها هذا المؤرخ بكل صراحة ووصف فيها ما لاقاه القبط من المحن وما أصاب الكنائس من الهدم.

وحوادث سنة ١٣٢١ م التى فيها هُدمت كنائس عديدة فى أنحاء البلادِ المصرية فى يومٍ واحد وما تخللها من اضطهاد شديد للقبط كان أشده فى مدينة القاهرة وضواحيها فمنهم من قتل ومنهم من حرق...

وفى عهد البابا بنيامين الثانى (١٣٢٧ م ـ ١٣٣٩ م) كان الوالى رجلاً عنيفاً، أثار الاضطهاد بصورة شنيعة على الأساقفة والرهبان والراهبات ورجال الإكليروس عموماً، جميعهم قاسوا على يديه العذابات الشديدة إلا أن الرب نجاهم سريعاً من شره بصلوات هذا البابا القديس.

ولقد صدر مرسوم سنة ١٣٥٤ م فى عهد السلطان الصالح وهو يشابه الذى صدر سنة ١٣٠١ م ويشمل هدم الكنائس والمساكن.

ويقول المؤرخ محمد بن أحمد بن إياس فى مؤلفه بدائع الزهور فى وقائع الدهور : إنه فى سنة ٧٥٩ هـ

(٥٧ / ١٣٥٨ م) تم تجميع حصص (الأوقاف) الخاصة بالكنائس والأديرة فوجدت أنها خمسة وعشرين ألف فدان بيد النصارى، فلما سمع الأمير صرغتمش بذلك حنق وطلع إلى القلعة وشاور السلطان على ذلك، فأمر بتوزيعها جميعاً على الأمراء وخرجت من يد النصارى.

وماذا يُقال عن اضطهاد الأميرين منطاش ويلبغا للبابا متاؤس الأول (١٣٧٨ ـ ١٤٠٨ م) ؟! فالأول سجن البابا باعتقاده أنه يملك مالاً... والثانى رفع السيف ليضرب عنق البابا ولكنه خاف وهلع ورجع عن مأربه... ويذكر التاريخ أن الأمير منطاش قبض عليه السلطان برقوق وعذبه ثم قطع رأسه، والأمير يلبغا سجن فى الاسكندرية ومات شر ميتة. [وهذا جزاء من يتحدى القديسين الأبرار!! فالرب يدافع عنهم وهم صامتون.. (راجع خر ١٤ : ١٤)] وقد احتفظ التاريخ باسم ٤٩ شهيداً سفكت دماؤهم فى عهد البابا على اسم السيد المسيح.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن الحالة الاقتصادية فى مصر كانت فى عصر المماليك غاية فى السوء بسبب المجاعات المخيفة التى اكتسحت البلاد فى فترات متفرقة، فذهب ضحيتها الكثيرون.

وكان من أسباب الحالة السيئة أن بعض ولاة ذلك العصر كانوا يصلون إلى مراكزهم عن طريق الرشوة فإذا ما وصلوا إلى الحكم أرادوا أن يعوضوا ما دفعوه من المال فيفرضون على أهل الريف المغارم حتى تضيق بهم الحال فيهجروا أراضيهم، وتضمحل الزراعة تبعاً لذلك، وتقل الغلال ويبدأ شبح المجاعة فى الظهور. وكان انخفاض النيل أو انتشار بعض الأوبئة المروعة كالطاعون من أهم عوامل حدوث المجاعات فى العصر المملوكى، كما كان الحال تماماً حين وقعت «الشدة المستنصرية» فى العصر الفاطمى.

ومن أشهر المجاعات التى حدثت أيام المماليك تلك المجاعة التى روعت مصر أيام السلطان العادل كتبغا سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) فقد توقف النيل ونقص نقصاً كبيراً فجفت الآبار، وفات على الفلاحين أوان الزرع وندرت المحاصيل وهلكت معظم الدواب لعدم وجود علف لإطعامها. كما ماتت الكلاب والقطط من الجوع، وسرى البخل بين أكابر الأعيان والأمراء، حتى كان الناس يمنعون من الدخول عليهم أثناء طعامهم.

وبلغت الشدة غايتها فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشى وبنى آدم، وأكل النساء أولادهن الموتى، وكان الناس يبيعون أولادهم لشراء القوت. وانتشر الوباء وعم كل أنحاء القطر المصرى فكثر عدد الموتى وزاد بشكل لم يسبق له مثيل حتى كان (بحسب ما ذكره المقريزى) يخرج من كل باب من أبواب القاهرة فى كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل فى الميضاة من الغرباء الطرحاء فى كل يوم نحو المائة والخمسين ميتاً. وعجز الناس عن مواراة الأموات فى القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم «المقريزى.. **كتاب السلوك ج ١ ص ٨١٤**».

وفى سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) ساءت أحوال البلاد الاقتصادية وارتفعت أثمان الغلال وساعد الأمراء على ازدياد الحالة سوءاً بامتناعهم عن البيع لزيادة الربح **(ابن إياس بدائع الزهور جـ ١ ص ١٦٤، ١٦٩)**.

وفى سنة ٧٤٩ هـ نُكبت مصر بالطاعون الذى أزهق الأرواح، حتى بلغ عدد الموتى فى شهرين تسعمائة ألف، وقلت المزروعات لموت الفلاحين، فانتشر القحط والجوع فى البلاد من جديد، كما فتك الطاعون بالحيوانات أيضاً. وساد الحزن جميع أرجاء البلاد حتى لم يوجد منزل إلا وفيه صياح على ميت وخلت كثير من الديار، ولكثرة الموتى لم تكفهم النعوش وقاست مصر الأمرين فى تلك الشدة وفقدت مئات الألوف من أهلها الأعزاء عليها، فهم عدتها فى الحروب وعلى سواعدهم تزدهر الصناعات وتروج التجارة وتنمو الحاصلات وظلت الحال فى الديار المصرية على هذا المنوال حتى كشف الله عنها تلك الغمة، وجاهدت البلاد كى تسترد نشاطها السياسى والاقتصادى. إلا أن البلاد تعرضت من جديد لمجاعات أشد قسوة فى عهد دولة

المماليك البرجية سببتها كثرة الاضطرابات الداخلية، ودوام تعرض البلاد للأخطار الخارجية وإسراف المماليك فى جباية الضرائب. وحدثت معظم تلك المجاعات فى عهد السلاطين : برقوق، وشيخ المؤيد المحمودى، وإينال، وقايتباى.

وقد أهلك وباء الطاعون فى سنة ١٤٢٩م فى مصر فى يوم واحد ١٥٠٠٠ نفس وأيضاً عاود فى سنة ١٤٣٨م وفتك بالناس فتكاً مريعاً واختل النظام فى البلاد وفشل حال الرعية فى أيام المماليك التراكسة المتقدم ذكرهم فتم على أيديهم خراب البلاد وعم الشقاء جميع الرعية ونقص عدد المصريين نقصاً بيناً بسبب هذه البلايا والطاعون والأوبئة والغلاء والقحط المستمر. وبالتالى نقص عدد الأقباط كثيراً جداً بسبب مظالم الحكام والاضطهادات من جهة والآفات الربانية من جهة أخرى.

بعد هذه العجالة التى توضح حالة مصر عموماً فى عصر المماليك وظروف الكنيسة القبطية فى ذلك الحين، يتضح أن الكنيسة كانت تمر فى شدة لم ترها منذ عصر الرومان وأن الحوادث المتوالية بين الاضطهاد من جهة وتقلب الطبيعة (من مجاعات وأوبئة وزلازل... الخ) من جهة أخرى قد أنهكتها للغاية.

كما أن أديرة وادى هبيب (برية شيهيت) غابت شمسها فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر حتى أوائل القرن الخامس عشر فلا يوجد أى خبر عنها وصمتت الكتب، ويفسر بعض الدارسين فى تاريخ الرهبنة (منهم الدكتور منير شكرى فى كتابه أديرة وادى النطرون) أن الحالة الاقتصادية وانتشار الطاعون فى البلاد ـ والذى أدى إلى الفناء ـ كان سبباً أساسياً فى قلة طالبى الرهبنة فى أديرة وادى هبيب مما أدى إلى انكماش عدد الرهبان ولم يبق منهم إلا القليل..

وأول خبر سُمِع عن أديرة وادى هبيب هو عندما تنيح البابا القديس الأنبا متاؤس الكبير سنة ١٤٠٨ م تحركت أجساد إخوته البطاركة الراقدة فى دير القديس مقاريوس وسمع الرهبان هذه الحركة وصوتاً من الصناديق يدعوهم قائلاً (قوموا واخرجوا وافتحوا الباب لأن الأنبا متاؤس هنا، وهو واقف يقرع الباب). ومن المعلوم أن الأب البطريرك كان يختار فى أغلب الأحيان من أديرة وادى هبيب وعلى الأخص دير أبى مقار.. فماذا يكون إذاً موقف الكنيسة فى هذه الفترة المظلمة التى تمر على أديرة وادى هبيب ميزان القلوب؟

فإن الرب بعلمه السابق الذى يعلم أكثر من علمنا ومعرفتنا نحن البشر وبحكمته الفائقة وتدبيره العجيب، كان يعد دير المحرق ليقوم بدور هام فى الظروف الحالكة والحرجة التى ستمر بها الكنيسة فى القرن الرابع عشر وبالذات فى النصف الثانى منه ـ فقد كان الإعداد عجيباً، والمتأمل فى هذه الفترة للأحداث العامة والعمل داخل الدير يجد أن الرب كان يعدّه لأجل هذه الفترة الصعبة التى تمر بها البلاد عموماً والكنيسة خصوصاً.

«كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة» (مز ٣٧ : ٢٥، ٢٦).

«أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم فى زمان الضيق. ويعينهم الرب وينجيهم، ينقذهم من الأشرار ويخلصهم لأنهم احتموا به» (مز ٣٧ : ٣٩ ـ ٤٠).

«أدعنى فى يوم الضيق أنقذك فتمجدنى» (مز ٥٠ : ١٥).

عمل الرب فى دير المحرق :

بالرغم من فترات الضعف التى مر بها الدير.. لكن الاصالة الممنوحة من لدن رب المجد لهذا المكان، كانت هى الحافظة فى أحلك الظروف أيام التخريب وتفشى الأوبئة والمجاعات المهلكة.

وفى الوقت الذى كانت قد توقفت فيه الرهبنة فى العـديد من الأديرة فى أنحاء البلاد ولم تعد بعد عامرة بالرهبـان، كانت الحركة تدب داخل الدير ولا تهـدأ والزوار لا ينقطعـون بل بالعكس كانوا يلجأون وقت الضيقة للسؤال وللابتهال إلى الرب والتشفع بالسيدة العذراء لإعانتهم والستر عليهم وعلى فلذات أكبادهم..

وتتضح أهمية الدير فى ذلك الحين فيما قاله المقريزى شيخ مؤرخى العصر (١٣٦٤ـ١٤٤١م):

يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام فى موضعه ستة أشهر وأياماً وله عيد عظيم يعرف بعيد الزيتونة وعيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير.. وكذلك الفقيه عبد المؤمن بن صفى الدين بن عبد الحق (المتوفى عام ١٣٣٨ م) ذكر فى كتابه مراصد الاطلاع.. المطبوع فى لندن سنة ١٨٥٢ الجزء الأول صفحة ٤٣٩ أن دير المحرق يعظّمه النصارى.

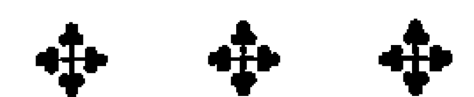
وقد كانت بيعة السيدة العذراء مريم لها دورها العظيم فى تقديم سر الإفخارستيا حيث لا ولن تنقطع فيها إقامة القداسات على الإطلاق بل ولم تخرب أبداً ولا يوجد أى دليل حتى الآن ينقض ذلك. حتى إن الرأى الذى قيل بأن رهبان دير المحرق قد فنوا إلى آخرهم فى هذه الفترة الحالكة فإنه لا يوجد حتى الآن سند واحد لهذا الرأى فى كل المصادر والمراجع القديمة التى تحدثت عن تلك الحقبة والتى وصلت إلى أيدينا.. ولكن يمكن القول مجازاً إن الدير تأثر بالحالة الاقتصادية للبلاد من جهة الغلاء أو قلة عدد الرهبان بسبب قلة الراغبين فى الرهبنة لانتشار الأوبئة والمجاعات التى بدورها أفنت جموعاً غفيرة.

والجدير بالذكر أن مخطوطات القرن ١٤ الموجودة بالدير وبمكتبات الخارج تؤكد الحركة المستمرة آنذاك..

حدث هام فى عام ١٣٢٢ م :

تذكر المخطوطات الحبشية القديمة أنه فى عام (١٠٣٨ ش)، ١٣٢٢ م وفى حبرية البابا يوحنا التاسع البابا الـ ٨١ بطريرك الاسكندرية (١٣٢٠ ـ ١٣٢٧ م) جاء إلى دير المحرق الأب قُزما رئيس دير الأنبا انطونيوس ببرية العربة فى ذلك الوقت وذلك أثناء رحلته إلى الصعيد. فاستقبله رئيس دير المحرق الأب غبريال بكل اكرام وتبجيل. وأثناء ذلك جاء أحد الأعراب الساكنين فى المنطقة المحيطة بالدير وكان رجلاً شريراً. وطلب من الأب غبريال رئيس دير المحرق خمسون ديناراً، لكن الأب رئيس دير المحرق رفض أن يعطيه ـ حيث أن ما طلبه لم يكن على سبيل المساعدة أو الاقتراض لكن أتاوة

وجبروت ـ فخرج الأعرابى يتهدد ويتوعد وانتهز فرصة الاحتفاء بالضيف وانشغال الآباء به وسرق بعض الجمال المحملة بالقمح الخاصة بالدير وبعض من رؤوس المواشى وهرب. وعندما اكتشف الآباء هذه السرقة صلوا متشفعين بالعذراء أم النور أن ترد للدير ما قد سرق منه (لأن الخسارة كانت جسيمة). وفى فجر اليوم التالى شب حريق فى منزل الإعرابى ويموت فى الحريق. وفى الصباح رجعت الجمال والمواشى المسروقة إلى الدير بعناية الرب وشفاعة العذراء أم النور شفيعة الدير.



بالرغم من الخدمة الروحية الدائبة والتفانى لأجل الآخرين كان هو سمة آباء هذا الدير إلا أنه مرت عليهم فترات ضعف (ولا يوجد كامل إلا الرب وحده). حتى إن بعضهم كان لا يفى الصوم الانقطاعى حقه لذا كان مجئ القس متى المسكين من دير الأنبا أنطونيوس إلى دير المحرق عام ١٣٦٦م هو بتدبير إلهى لمنفعة الأباء الرهبان ولأولئك غير المنتظمين.فى الصوم حتى الساعة التاسعة فعلّمهم هذا الأب ضرورة المداومة على الصوم إلى الساعة التاسعة وكان يبذل قصارى جهده كل يوم أمامهم كى يتعلموا منه بالنظر ما هو أفضل من السماع به، فكان تارة ينقل الرماد على رأسه ويغسل به أوانى المطبخ والقدور ويخدم الشيوخ والمرضى منهم ويقوم بالواجب نحو الواردين والمترددين.

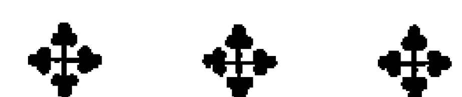


وكان مثالاً كبيراً فى التقشف وزهد العالم فلم يكن له ثوب ولا قنية ولا قلاية بل كان أكثر اقامته فى مغارة بالجبل يصلى فيها، وكان الشيطان يثير عليه فى تلك المغارة حروباً كثيرة ويظهر له خيالات مفزعة فكان يهيّج عليه السباع والضباع الكاسرة ليأتوا إليه ويفترسوه، وكان هذا الأب القديس لا يخاف الضباع البتة بل كانت حينما تنظره تأنس إليه وتخافه حتى صارت فى اليوم الذى لا تجد فيه قوت رضعانها تحملها إليه وتشكى، فيعلم شكواها ويعطيها ما عنده من الخبز لتقتات به ويترك ذاته جائعاً أياماً طويلة بلا طعام إلى أن يعود إلى الدير.

وكانت الوحوش المفترسة لمحبتها فيه وتعلقها به تسير معه إذا سار فى الطريق وترجع عنه دون خوف إذا أمرها بالرجوع. وكان مع خضوع هذه الوحوش الكاسرة لسلطانه لا يفخر بذلك ولا يتحدث به..

(ولكن لا نعلم من أى مصدر كتب صاحب الخريدة النفسية أنه عندما حضر القس متى إلى دير المحرق كان رهبانه على أسوأ حال عائشين بالترف والبذخ..)

(وكيف يُشهّر بالدير وتكتب هذه المعلومة فى كتاب تاريخ الأمة القبطية الحلقة الثانية والذى كان مقرراً للتدريس فى المدارس فى العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين.. بالرغم من أن المصادر المخطوطة لسيرة البابا متاؤس الأول خالية من هذه الألفاظ).



يذكر العالم كونتى روسّينى Conti Rossini فى أوائل القرن ٢٠ الميلادى فى دراساته الخاصة بالمخطوطات الأثيوبية القديمة أن الدير فى القرنين ١٤ ، ١٥ الميلاديين كان فيه حركة نشيطة وبه عدد ليس بقليل من الرهبان الأحباش فكان عددهم يصل إلى ثلاثين بين راهب وشماس وقس فى منتصف القرن ١٤ الميلادى وكانوا مشهورين لدرجة أن الملك (صايفا ـ أراد) Sayfa Arad فى سنة ١٣٥٠ م أرسل لهم نسخة من الأناجيل على سبيل الهدية (كانت نساخة الأناجيل باللغة الحبشية، تستغرق حوالى ستة أشهر. لذلك تعتبر هدية قيمة فى ذلك الوقت). وفى سنة ١٣٧٩ م كان رئيسهم يدعى تاسابكا مادهين Tasabka Madhen ومدبرهم كان اسمه فيكتور Fiqtor حيث كانت له علاقة طيبة مع المجتمع الرهبانى الحبشى فى أورشليم الذى كان يرأسه الأب توماس Tomas فى ذلك الوقت. وكان المجتمع الحبشى بدير قسقام مشهود له بالحزم والروحانية والحب الفائق للدير وللسيدة العذراء أولاً وآخراً.

من ظهورات السيدة العذراء مريم فى قسقام :

فى سنة ١٣٩٦ م قام البابا متاؤس البطريرك الـ ٨٧ (١٣٧٨ ـ ١٤٠٨ م) برسامة اسقف لمدينة القوصية يدعى الأنبا غبريال وكان هذا الأب الأسقف قديساً ومشهود له بذلك. وبعد السيامة جاء الأنبا غبريال (الأسقف) إلى القوصية فزاره رئيس دير المحرق فى ذلك الوقت وكان يدعى ابونا ميخائيل وهنأه بالسيامة ودعاه لزيارة الدير فى فترة اسبوع الآلام كى يسعد الآباء الرهبان بوجوده معهم وجاء الأب الأسقف الأنبا غبريال إلى الدير فى يوم أثنين البصخة ومكث فى المقصورة الخاصة بالسيدة العذراء [(كانت المقصورة عبارة عن حجرة موضوع فيها أيقونة للسيدة العذراء وبها مكان لايقاد الشموع تشفعاً بالعذراء أم النور) وكانت قد أهديت إلى الدير تذكار لوصول العائلة المقدسة إلى قسقام]. صائماً معتكفاً على صلواته بالمقصورة. وفى يوم خميس العهد دعاه الأب ميخائيل رئيس الدير ليرأس صلوات وطقوس خميس العهد بالكنيسة مع الآباء الرهبان (من صلوات اللقان والقداس الإلهى). فأمتنع الأب الأسقف معتذراً ولكن ظهرت له العذراء أم النور فى المقصورة وأعطته اشارة ليوافق على الصلاة فقام مع رئيس الدير وتوجه إلى الكنيسة وأثناء الصلاة ظهرت العذراء أم النور مرة أخرى ورأها كل الموجودين من الشعب الحاضرين الصلاة.

وبعد الصلاة ذهب الأب الأسقف إلى المقصورة مرة أخرى ومكث بها وهو مازال صائماً حتى جاء وقت اقامة قداس عيد القيامة، فذهب إليه رئيس الدير ومعه الآباء الرهبان كى يرأس صلاة العيد

ولكنه رفض وألح عليه الأب رئيس الدير كثيراً هو والآباء الرهبان ونظير الحاحهم نزل الأب الأسقف غبريال وأقام القداس الإلهى وأثناء الصلاة ظهرت أم النور مرة أخرى مشيرة إياه بأنها سوف تأخذه معها بعد القداس.

وبعد انتهاء القداس الإلهى ذهب الأنبا غبريال إلى المقصورة وأغلق الباب وفى الصباح جاء الأب رئيس الدير ليدعوه لتناول الطعام فوجده قد انتقل من الحياة الفانية كوعد السيدة العذراء أم النور له فصلى عليه الآباء ورئيس الدير ودفنوه باكرام وتبجيل فى مقبرة خاصة فى مدخل الدير. بركة صلواته فلتكن معنا آمين.

✣ ✣ ✣

شخصيات روحية : كان لها شأن فى الدير فى ذلك الوقت مثل :

١ ـ الأب غبريال الذى كان رئيساً للدير قبل اختياره للبطريركية فى عام ١٣٧٠ م باسم الأنبا غبريال الرابع، ويشهد له بالتقوى والفضيلة والنسك وأنه كان مثالاً للحياة الإنجيلية الحقيقية.

٢ ـ القمص يعقوب الذى كان رئيساً للدير بعد رسامة الأب غبريال بطريركاً والذى اهتم بشئون الدير وقد ترجم فى عهده ميمر الأنبا ثيؤفيلس من اللغة القبطية إلى العربية.

٣ ـ القس قزمان الذى كان ناسخاً بارعاً وقد نسخ أسفاراً من العهد الجديد وكان ضليعاً فى اللغتين القبطية والعربية.

٤ ـ القس إقلوده شقيق الأنبا غبريال الرابع ـ بالجسد ـ كان مشهوداً له بالتقوى والطهارة.

وقد اهتم بنسخ عدة قطمارسات خاصة بالخدمة الليتورجية فى كنيسة العذراء بالدير حيث أعدها فى مصر فى القلاية الخاصة للبابا القديس الأنبا متاؤس الكبير. وقد تبين أن له مخطوطة منسوخة بخط يده محفوظة الآن بالمتحف البريطانى بلندن يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٨٦ م، وفى نهايتها نسخ جزء من صلوات القلب الدائمة والتى تدل على مدى روحانيته وتقواه (كما سيذكر فى الباب الخاص بالدير والتراث).

٥ ـ الشهيد أرسانيوس الحبشى [وذُكر اسمه فى مكان آخر «أرشيليدس الحبشى»] الذى سفك دمه على اسم المسيح وذكر اسمه ضمن قائمة الـ ٤٩ شهيداً الذين استشهدوا فى عهد البابا متاؤس الكبير.

ماذا يقال بعد؟! هل هى مجهودات بشرية؟ أو حكمة إنسانية؟ أو خبرة أرضية؟ إنه بالحقيقة تدبير إلهى فى حكمة فائقة لاعداد الدير فى تلك الفترة الحرجة لأجل خدمة الكنيسة، ليقدم لها البابا غبريال الرابع البطريرك ٨٦ (١٣٧٠ ـ ١٣٧٨ م) ويقدم لها أيضاً ـ مع دير الأنبا أنطونيوس ودير أبوفانا ـ البابا متاؤس الأول أو الكبير البطريرك ٨٧ (١٣٧٨ ـ ١٤٠٨ م) كما دبرت العناية الإلهية أن يشترك الدير مع إخوته أديرة القلمون والأنبا أنطونيوس فى خدمة الكنيسة فى القرن الخامس عشر. فقدم دير المحرق :

١ ـ الأنبا متاؤس الثانى البطريرك ٩٠ (١٤٥٢ ـ ١٤٦٥ م).

٢ ـ الأنبا يوأنس الثانى عشر البطريرك ٩٣ (١٤٨٠ ـ ١٤٨٣ م).



البابا غبريال الرابع البطريرك (٨٦)

لما قرب نحو ستة أشهر على خلو الكرسى البطريركى اجتمع الآباء الأساقفة فى القاهرة مع أراخنة الشعب لاختيار بطريرك، وبعد البحث والاختيار استقر الرأى على اختيار رئيس دير المحرق المدعو الراهب غبريال وقد كان أباً فاضلاً وعابداً ناسكاً فضلاً عن سعة علمه وجلال قدره فقدموه بطريركاً فى كنيسة القديسين سرجيوس وواخس بالثغر الاسكندرى سنة ١٠٨٦ ش سنة ١٣٧٠ م يوم عيد الأبيفانا المجيد المترجم بالظهور الإلهى الذى هو عيد العماد المقدس ودعى هذا البابا باسم البابا غبريال الرابع البطريرك (٨٦) فى أيام السلطان بن حسن، وقد نال الشعب القبطى فى أيامه بعض الراحة وقد تم عمل الميرون المقدس فى أيام حبريته حيث اجتمع الآباء الأساقفة برئاسته فى دير أبى مقار سنة ١٠٩٠ ش (١٣٧٤ م).

وقد جاء عن هذا الميرون خبر مفصل فى أحد كتب الميرون القديمة بمكتبة البطريركية والذى كتبه الأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى ذلك الوقت وقد طبخ هذا الأب البطريرك كمية وافرة من زيت الميرون المقدس أكثر من الآباء البطاركة الذين سبقوه جميعهم (حيث كانت كمية زيت الميرون ثلاثة وثلث قنطار وزيت الغاليلاون واحد وثلث قنطار).

وتنيح البابا غبريال فى يوم ٢٨ أبريل سنة ١٣٧٨ م وظل الكرسى البطريركى خالياً مدة شهرين وسبعة وعشرين يوماً حتى اختير الأنبا متاؤس الكبير بطريركاً من بعده.

البابا متاؤس الأول ـ الكبير ـ البطريرك (٨٧)
(الملقب بالمسكين)

نشـــأته :

كان هذا البابا القديس الطاهر من بلدة صغيرة تسمى بنى روح التابعة لولاية الأشمونين قديماً ـ مركز ملوى حالياً فى صعيد مصر ـ وتربى فى مكتب البلدة حيث حفظ المزامير والمردات وتعلّم القراءة والكتابة ـ وقد عهد إليه والده منذ طفولته بالقيام بمهام رعى الغنم فى بيته وإن الله المظهر عجائبه فى قديسيه أظهر فى هذا الطفل منذ حداثته أعمالاً عجيبة فى الرعاية، فعندما كان يقف ليلعب مع الأطفال كان يضع يده على رأس كل واحد من الأطفال ويقول «أكسيوس أكسيوس. أكسيوس» ثلاث مرات وكان يرسم جماعة منهم قسوس وآخرين شمامسة حتى كانت والدته المباركة تعجب لذلك وتشير إلى الجمع قائلة : إن ابنى هذا لابد أن يصير بطريركاً : متنبئة بذلك بإلهام إلهى. وصار يمارس هذه الأعمال فى صغر سنه إلى أن بلغ عمره أربع عشرة سنة حينئذ ترك بيت أبيه ومضى إلى أحد أديرة الصعيد [دير أبى فانا فى سنة ١٣٥٠ م وبقى فيه حتى ١٣٥٤ م ـ من دراسة قيمة للأستاذ نبيه كامل داود، عن دير أبى فانا بإيبارشية ملوى وانصنا والأشمونين] وعمل راعى غنم كعادته وكان لا يلبس على جسده ثوباً بل كان يكتفى بعباءة وحبل على حقويه وكان ـ مع تحقيره لنفسه فى ملبسه وإنكار ذاته بهذه الصورة ـ ذا شجاعة نادرة وقوة شديدة حتى إنه من عظم شجاعته كان الرعاة الذين يكبرونه سناً إذا رصدتهم الضباع فى الليل للسطو على أغنامهم ولا يقدرون على مقاومتها يمتحنوا هذا الأب فى شجاعته فيبعثونه إلى تلك الضباع، فكان إذا دنا منها وصرخ فيها تفر منه وتجرى هاربة فكان الرعاة يندهشون من عظم شجاعته وسرعة إقدامه.

رسامته قساً وهروبه إلى جبل القديس أنطونيوس بالبرية :

رُسم قساً وهو ابن ثمانى عشرة سنة. فلما ذاع خبر الرسامة ووصل إلى مسامع أبيه الروحى القمص أبرآم الفانى (من دير أبى فانا) قام فى الحال وقابل الأسقف معترضاً على تصرفه قائلاً : كيف جسرت يا أبانا وكرّست صبياً شاباً راعياً للغنم قساً وهو ابن ثمانى عشرة سنة؟ فأقنعه الأسقف بأن الشاب يستحق أن يكون بطريركاً لما كان يعلمه عن أحوال هذا القس الذى كان فى مدة أقامته عند الأسقف يصوم فى زمن الصيف يومين يومين وفى زمن الشتاء ثلاثة ثلاثة.

ولما نظر القس متى ما وقع من النزاع بسببه مضى إلى جبل القديس أنطونيوس (حوالى سنة ١٣٥٤ م) واختفى فى الدير ولم يظهر لأحد أنه كاهن. وكان فى خدمته فى الكنيسة يعمل كشماس بسيط حيث لم يشأ أن يعلم أحداً أنه قسيس كاهن ولكن إرادة الله هى فوق كل إرادة إذ حدثت معجزة بسبب تنكره هذا ففى أثناء الخدمة فى البيعة خرجت يد من الهيكل وأعطته البخور

ثلاث دفعات عند قراءة الإنجيل ثم غابت عنه فلما نظرها بعض شيوخ الرهبان القديسين ومنهم الأب القديس مرقس الأنطونى وتحققوا قالوا إنه لابد أن يصير هذا بطريركاً.. فلما سمع هذا الكلام منهم حزن جداً وقام وخرج من الدير وذهب إلى مدينة أورشليم وسرعان ما اشتهرت قداسته فرجع مرة أخرى إلى دير الأنبا أنطونيوس..

وكانت قد صدرت أوامر الوالى بمصر بمعاقبة الرهبان بالأديرة فلما جاء الجنود قبضوا على الأب متى وعاقبوه عقاباً صعباً إلى أن تألم قلب الطوباوى مرقس فانتهرهم إلا أنهم حنقوا عليه وتركوا الأب متى وضربوا الأب مرقس الأنطونى عوضاً عنه، ثم أراد القائد أن يأخذهم إلى مصر وفى الطريق اشتد بهم العطش ورفض القائد إعطاءهم ماءً فصلى الطوباوى مرقس ورفع وجهه إلى السماء، فانفتحت، وهطلت الأمطار، وامتلأت الأودية، وشربوا جميعهم، ومن كثرة الأمطار أصبح السير مستحيلاً فنزلوا يستريحون.. فإذا برسول من عند الوالى يوافيهم بخبر خلاصهم وعودتهم إلى الدير.. فتعجب القائد وندم على عقابهم.. ولم يمكث الأب متى بالدير إلا قليلاً ثم أخذ أذناً من الأب الطوباوى مرقس الأنطونى ومضى إلى دير المحرق حوالى سنة ١٣٦٦ م وكان له فيه أعمال مباركة، كانت سبب خير للدير إلى أن اختير بطريركاً سنة ١٣٧٨ م (كما ذكر ص ٩٩).

ترشيح القس متى للبطريركية :

انتقل البابا غبريال الرابع البطريرك (٨٦) فى ٢٨ أبريل سنة ١٣٧٨ م الموافق ٣ بشنس سنة ١٠٩٤ ش وأصبح الكرسى بعده خالياً نحو ثلاثة أشهر فقام جماعة من الشعب يبحثون عمن يصلح للبطريركية من الرهبان لترشيحه إلى أن استقر رأيهم على سؤال القس متى أن يصير بطريركاً عليهم فرفض واختفى عن الأعين ونزل فى مركب للابحار إلى الجهات القبلية إلا أن الطبيعة عاكسته بإرادة الله.. وأثناء البحث عنه أتى طفل بإلهام إلهى وكانْ صغير السن فدلهم عليه قائلاً : إنه مختبئ فى باطن المركب. فأسرع الشعب إليه وأخرجوه.

ولما علم أنه لا خلاص من أيديهم حينئذ سألهم بإلحاح أن يشاور آباءه الشيوخ فى جبل القديس أنطونيوس الذين أشاروا عليه ألاّ يهرب مما رسم الرب له، بل يستعد ويقبل الخدمة كبطريرك.

رسامة القس متى بطريركاً باسم متاؤس الأول :

وبعد ذلك أمسك به الشعب وأعضاء المجمع المقدس ليرسموه بطريركاً فى اليوم الأول من شهر مسرى سنة ١٠٩٤ ش الموافق ٢٥ يولية سـنة ١٣٧٨ م فى مدينة الاسكندرية مقر كرسيه باسم البابا متاؤس الكبير البطريرك (٨٧) وكمّلوا جلوسه بطريركاً فى اليوم السـادس عشـر من شـهر مسرى لمحبته فى ذلك اليوم الذى هو يوم تذكار سيدتنا العذراء والتى كان يحبها ويحتمى بها ويلجأ إليها فى كل حين.

فضـــــائله:

✥ كان البـابا متـأوس فضـلاً عما اتصـف به من فائـق الرحـمة فى إعانـة المسـاكين والرهـبان والراهبات، لا يتعاظم قط ولا يتكبر، لأنه حاز مع الرحمة فضيلة الاتضاع. وكان إذا دعته الضرورة يعمل مع الفعلة والعمال معاجن الطين وينزح مراحيض البيعة ـ التى كان هو فيها ـ مع العلمانيين ـ وكان يحمل القلال من (التراسين) وكان يقوم أيضاً ليلاً ويتبع سير الحمير التى كانت تحمل الغلال.. وكان مع هذا كله لم ينحط قدره ولم تذهب عنه هيبته بل ازداد مجداً ووقاراً فى أعين الناس.

✥ ووّجه اهتمامه منذ أن اعتلى الكرسى إلى الصلاة بدون فتور، فصار عندما يسمع دقات الجرس الذى ركبَّه ينهض للصلاة فى أوقاتها مع استمراره فى ممارسة فضيلة الصوم.

معجـــــزاته:

✥ بالإضافة إلى المواهب التى أعطاها له الله من إخراج الشياطين وشفاء الأمراض المستعصية فقد منحه الله موهبة إقامة الموتى ومما يذكر أن إنساناً كان يعمل فاعلاً فى عمارة قديمة فى بيعة السيدة العذراء بحارة زويلة فسقط هذا الفاعل أثناء العمل من فوق السقالة على الأرض وكان حاملاً حجراً ثقيلاً فلما وقع نزل على جسده ذلك الحجر وطبق أضلاعه فمات، وقصد رفقاؤه أن يتركوه مكانه ويهربوا، فلما سمع البابا بهذا الحادث ـ حيث كان يقيم وقتئذ فى هذه البيعة ـ لم يمكّن رفقاء الفاعل من الهرب، وقام عليهم قائلاً : اسكتوا ولا تقولوا إن الفاعل قد مات لأنه لم يمت وأنا أضمن لكم من مراحم السيد المسيح أنه حى فحمله أربعة ووضعوه كأمر البابا أمام صورة السيدة العذراء مريم صاحبة البيعة ثم غطاه بوزرته نحو ثلاث ساعات من النهار إلى التاسعة، وطلب قليلاً من الماء الساخن وصلى عليه وغسل به أعضاء العامل فكان كلما غسل عضواً من أعضاء هذا العامل يتحرك لساعته إلى أن قام حياً بشفاعة صاحبة الشفاعات والدة الإله.. فلما نظر رفقاء العامل والحاضرون ما حدث مجدوا الله.

✥ .. وكان إذا وضع وزرته على أحد المرضى ويذهب ليسأل السيدة العذراء له ويعود ويكشف عنه الوزرة يجده قد شفى من مرضه تماماً.

✥ وهكذا كان يصنع الرب على يد البابا القديس، المعجزات والعجائب كقوله :

«أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات. اشفوا مرضى.. أقيموا موتى اخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا..» (مت ١٠ : ٧ ـ ٩).



القديس الأنبا رويس

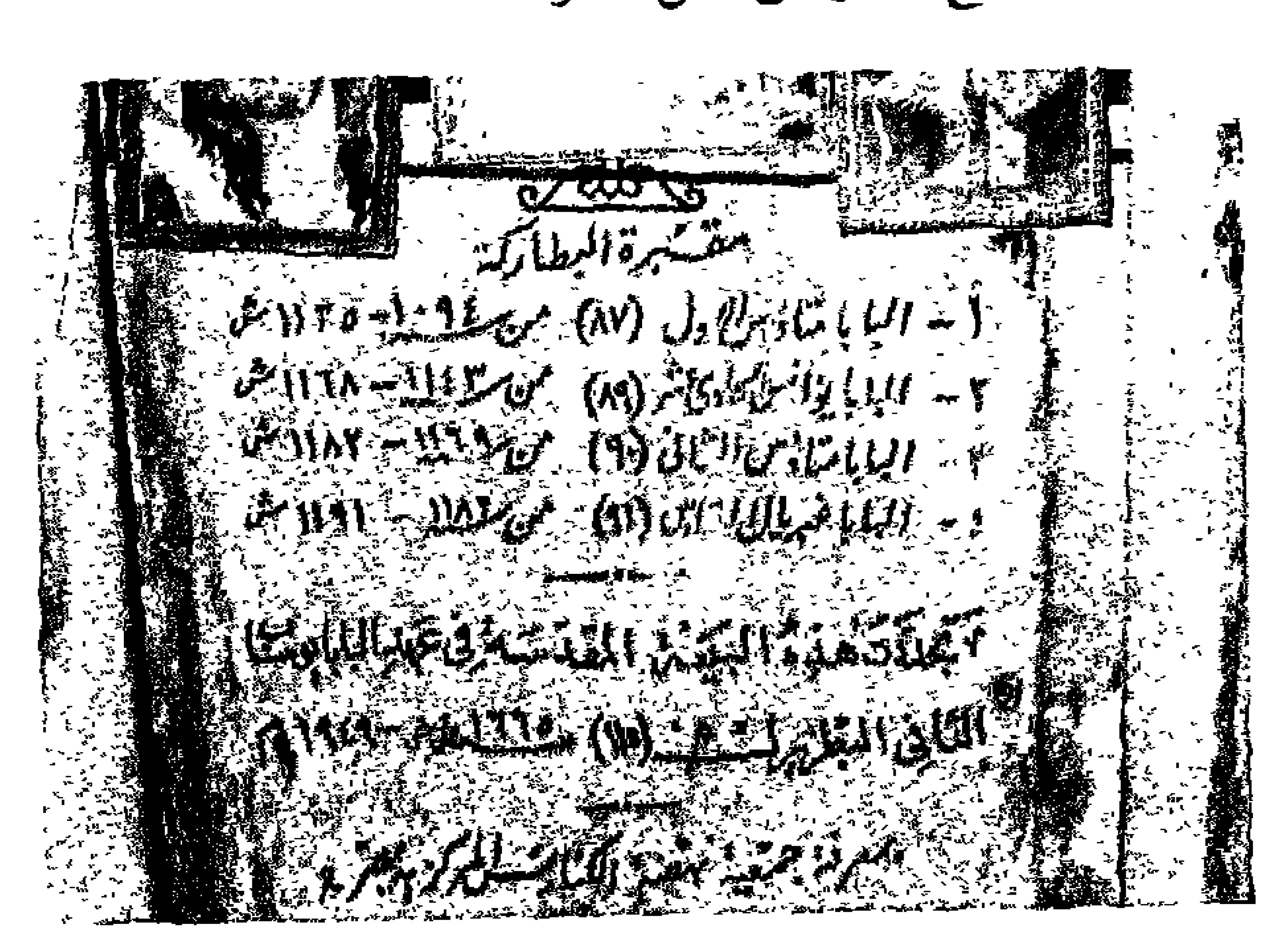
❖ وأخيراً ماذا نقول عن سيرة هذا البابا الطويلة والشيقة للغاية فإنها تستحق أن تنفرد فى كتاب خاص بها. فما زال هناك الكثير لم يقال بعد عن علاقته المقدسة بالقديس الأنبا رويس، والشهداء الـ ٤٩ الذين استشهدوا فى عصره.

نياحتــــه :

❖ تنيح البابا متاؤس الأول نياحة القديسين الأبرار، وقبل وفاته دعا تلاميذه وأولاده الروحيين وأبناءه المختارين وأعلمهم بقرب ساعة انتقاله ثم أرسلهم فى تلك الساعة وأحضروا له جميع ما يحتاج إليه لتكفينه.. ثم أوصاهم أن يتركوه ملفوفاً فى أكفانه الصوف ولا يخرجوه عن تقليد الرهبان قط فيدفنوه كراهب بسيط متواضع القلب، وأكد عليهم أن لا يدفنوه إلا بين أولاده الراقدين داخل الخندق (كنيسة الأنبا رويس الأثرية حالياً) ثم بعدما أوصاهم بهذا باركهم وودعهم ثم أمرهم أن يغطوه بوزرته ويتركوه وحده. وهكذا فى الساعة التى غطوه فيها أسلم الروح فى الهجعة الأولى من ليلة الاثنين الخامس من شهر طوبة سنة ١١٢٥ ش الموافق ٣١ ديسمبر سنة ١٤٠٨ م وكان عمره يومئذ حوالى سبعين سنة قضى منها ثلاثين سنة وخمس شهور على الكرسى المرقسى.

وكان الاحتفال بجنازته عظيماً حيث حضره جمع غفير من كل الطوائف.

وبعدما دفنوه أظهر الله منه للمؤمنين آيات وعجائب كثيرة كانت بعد انتقاله أكثر مما كانت فى حياته بركة صلاته تكون مع جميعنا آمين.



مدفن الآباء البطاركة بكنيسة الأنبا رويس الأثرية

البابا متاؤس الثانى البطريرك (٩٠)

كان اسم هذا البابا قبل اندماجه فى سلك الرهبنة سليمان الصعيدى وكان من أهالى صعيد مصر وترهبن فى دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق وكان اسمه بعد الرهبنة متى الصعيدى نسبة لمسقط رأسه.

ولما تنيح البابا يوأنس الحادى عشر البطريرك (٨٩) فى ٩ بشنس سنة ١١٦٨ ش الموافق ٤ مايو سنة ١٤٥٢ م اجتمع مجمع الأساقفة المقدس مع أراخنة الشعب لاختيار خليفته فأجمعوا الرأى على انتخاب الراهب متى الصعيدى لكرسى البطريركية، فحضر من ديره ووصل إلى مصر فى يوم الأربعاء ٢٢ مسرى سنة ١١٦٨ ش الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٤٥٢ م. ورسم بطريركاً فى يوم الأحد ١٢ توت سنة ١١٦٩ ش الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٤٥٢ م بعد أن ظل الكرسى البطريركى خالياً مدة أربعة أشهر وستة أيام ودعى باسم البابا متاؤس الثانى البطريرك (٩٠) فى أيام السلطان فخر الدين عثمان.

وفى ٧ أمشير سنة ١١٦٩ ش. الموافق أول فبراير سنة ١٤٥٣ م حضرت إلى مصر بعثة حبشية لزيارة البابا يوأنس المتنيح فوجدته انتقل من هذا العالم واعتلى الكرسى بعده البابا متاؤس الثانى.

ومن نعمة الله أن السلطان المملوكى المنصور فخر الدين عثمان بن القايم بأمر الله كانت تربطه المودة بالبابا المرقسى فاستقبل البعثة الحبشية أحسن استقبال وسهل إقامتها فى مصر. وكان غرض البعثة الحبشية هو اختيار مطران لها خلفاً لراعيهم الراحل وذلك فى أيام ملك الحبشة ذرع يعقوب الملقب باسم الملك قسطنطين الأول وقد تم رسامة راهب ممتاز دعاه المطران غبريال وأرسله مع البعثة.

وأقام البابا متاؤس الثانى كأسلافه البطاركة فى كنيسة العذراء الأثرية بحارة زويلة وظل بها مدة رئاسته على الكرسى البابوى.

وقد لاحظ قداسة البابا أن ما تبقى لديه من الميرون يكفى لأن يكون خميرة يخمر بها العجين كله، فقام بعمل الميرون وتقديسه فى سنة ١١٧٤ ش الموافق سنة ١٤٥٨ ميلادية فى بيعة السيدة العذراء الطاهرة القديسة مريم والدة الإله بحارة الروم.

وقد اشترك مع قداسة البابا متاؤس الثانى فى هذا العمل المقدس ستة من الأساقفة الذين حضروا من الكراسى البحرية والقبلية.

وفى يوم الثالث عشر من شهر توت سنة ١١٨٢ ش الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٤٦٥ م تنيح البابا متاؤس بعد أن جلس على الكرسى البطريركى مدة ثلاث عشرة سنة ودفن فى دير الخندق المعروف الآن بدير الأنبا رويس وذلك فى أيام السلطان الظاهر خوشقدم.

البابا يوأنس الثانى عشر البطريرك (٩٣)

بعد نياحة البابا ميخائيل الرابع خلا الكرسى البطريركى مدة سنتين وشهرين وثمانية أيام واجتمع الأساقفة بعد هذه المدة الطويلة مع أراخنة الشعب للاهتمام باختيار بطريرك لرئاسة الكرسى الاسكندرى وطال البحث فى ذلك إلى أن اهتدى المجمع إلى اختيار الراهب حنا المحرقاوى الذى من نقاده وأقاموه بطريركاً باسم يوحنا الثانى عشر فى ٢٣ برمودة سنة ١١٩٦ ش الموافق ١٨ أبريل سنة ١٤٨٠ م فى عهد الأشرف قايتباى أبى النصر.

وقد أقام يوحنا الثانى عشر على الكرسى البطريركى مدة ثلاث سنوات وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً وعاصر السلطان قايتباى أبا النصر الأشرف.

وفى يوم ٧ توت سنة ١٢٠٠ ش الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٤٨٣ م انتقل من هذا العالم البابا يوحنا ودفن فى بابلون الدرج وظل الكرسى بعده خالياً مدة خمسة أشهر وخمسة أيام.



من مخطوطات الدير (قرن ١٤م)

القرن ١٦م والقرن ١٧م

مقدمـــة:

دخل العثمانيون مصر سنة ١٥١٧ م، وفى سنة ١٨٠٥ م أعلن محمد على الكبير استقلاله عن تركيا. ثلاثة قرون طويلة ومريرة أرتبطت خلالها مصر بهؤلاء الغزاة (العثمانيين الأتراك) الذين لم يكن لهم هم إلاّ خـدمة مصـالحهم، فلا يعنيهم أمر البلاد بقليل أو كثير وإنما يعنيهم أن يتخذوا الوسائل لدوام خضوعها إليهم.

إن فلسفة الحكم عند العثمانيين كانت تقوم ـ كما يقول د/ أحمد شلبى [أن الشعوب المغلوبة ما هى إلا رعية يتعهدها الراعـى لمصلحته، فهم بمثابة المواشى الانسـانية (يجلبون أو يجرون) حسبما يشـاء الراعـى، ولهم أن يعيشـوا ما داموا، أولاً : لا يسببون المتاعب وثانياً : يستغلون، وفى مصر وسوريا كانت هناك شعوب أكثرها من الفلاحين والصناع والتجار لا يطمحون إلى الانخراط فى سلك الجندية ولا يسعون لتولى المناصب الكبرى، فليعيشوا ليكدحوا ولينالوا خشن الطعام والثياب ليؤخذ منهم ما تبقى بعد ذلك للسيد الراعى، ولكن القطيع لابد له من (كلاب حراسة) غير أن الكلاب هناك لا تتولى فقط الحراسة كشأن الكلاب مع الغنم، بل تتولى كذلك جمع المال للراعى وردع من يتوق إلى الحرية أو يفكر فيها] (موسوعة التاريخ الإسلامى ـ الجزء الخامس طبعة ١٩٨٣ ـ ص ٢٥٢).

ويقول محمد صبرى : إن تركيا ما كان يعنيها أن تسود الوحدة والنظام فى مصر أو فى أية ولاية من ولاياتها، وإنما كل ما كان يعنيها هو الخراج الذى تجبيه من هنا أو هناك، ولما ضعفت تركيا حرك ضعفها الأطماع من الداخل والخارج وأثر ذلك على الولايات الخاضعة لها، وكانت كثرة التغييرات فى عاصمة الخلافة من العوامل التى دفعت الجيش بمصر فى القرن السابع عشر إلى العبث بالنظام وقتل الولاة، ففى سنة ١٦٠٤ م قتل الجيش التركى إبراهيم باشا الوالى وعلقت رأسه على باب زويلة، ففقد الولاة هيبتهم فى أعين المصريين، وأتاح ذلك الفرصة لنشاط قوة المماليك (تاريخ العصر الحديث ص ٢٢).

ولما عاد النفوذ للمماليك كان هؤلاء فى هذه الفترة غيرهم فى الفترات السابقة للفتح العثمانى ويصف «فولنى» المستشرق الفرنسى حياة الفرد منهم بأنها أصبحت سلسلة من جرائم القتل والغدر والمؤامرات والدسائس وقد انقطعت بينهم وبين الناس وبين بعضهم والبعض الآخر أسباب المحبة والعطف وصلات القرابة والرحم ومن هنا انتشر الغدر بين الرجل ووليه وبين العتيق ومعتقه وفقد المماليك النظام والطاعة، وبذلك لم يبق لهم شئ من الروح الحربية التى هى أهم ما يحتاج لها الجندى وأصبحت بيوت البكوات من المماليك مواخير تغمرها القذارة بعد أن كانت فى الماضى مثالاً للطهارة والاستقامة، وتورط المماليك فى الرذيلة والسلب والنهب والترف وكانوا من قبل أكثر ميلاً للنزاهة والبساطة والتزهد وكانوا جميعاً فى الغالب يلقون حتفهم على أسنة الحراب أو غدراً فى الطريق حتى أصبح من أهم أمانيهم أن يموت الواحد منهم على فراشه.

أما الشعب فقد كان فى أتعس حال جهلاً وشقاءً، وانصرف إلى العرافة والتنجيم والسحر والخرافات والبطالة، وانقطع ما بينه وبين العالم الخارجى من صلات، كما انقطع ما بينه وبين ماضيه من صلات، ولم يكن أحد يأمن على

أملاكه إلاّ بصعوبة وشدة وكانت العقوبة تحل بالواحد منهم دون محاكمة ولو كانت عقوبة الإعدام، وكان الغنَى يُعد جريمة حتى إن الأغنياء لم يروا وسيلة للاحتفاظ بما لديهم من المال إلاّ بالتظاهر بالفاقة والمتربة. (نقلاً عن محمد صبرى ص ٢١ ـ ٢٢).

ويقول غوستاف لوبون (حضارة العرب ص ١٤٦ ـ ١٤٧) : وعلى ما بين الترك والمغول من شبه فى الهمجية كان المغول أكثر استعداداً للثقافة، فالمغول ـ وإن لم يكونوا أهلاً لإبداع حضارة جديدة كما أبدع العرب ـ استطاعوا أن ينتفعوا بحضارة العرب الذين وإن زال ملكهم فى الشـرق ظلت حضـارتهم تهيمن عليه. لكن الترك كانوا أهل حرب وقتال وإن لم يكونوا أهلاً ليصعدوا سلم الحضارة، ولم يقدروا على الانتفاع بتراث العرب فضـلاً عن إنمائه، ويروى غوسـتاف لوبون قـول العرب (لا ينبت العشـب على أرض يطؤها الترك) ويعلق عليه بقوله : والحق أنه لم ينبت.

ونتيجة لهذه الأحوال المضطربة حل الجدب فى البلاد فأصبحت أخصب البقاع جرداء وشُلت حركة التجارة والزراعة والصناعة وهى حال يؤول إليها كل بلد زراعى لا توجد فيه حكومة تسهر على مصالحه وتكفل الأمن وتنشئ الطرق والجسور والقناطر وتتعهدها. وقد عبَّر نابليون عن ذلك أدق تعبير حين قال : إن الإدارة الحسنة فى مصر تكفل للنيل الغلبة على الصحراء والإدارة المعتلة تكفل للصحراء الغلبة على النيل.

كما كان الصعيد مسرحاً لتناطح الأمراء الهاربين من السلطة فى مصر ولا تخلو الأحداث من النهب والسلب وهتك الأعراض وتخريب البلاد. وظهرت فى ذلك العصر منذ القرن الخامس عشر متاعب جديدة هى شغب العربان فى صعيد مصر الذين تزايدوا فيه، فبدأوا ينشرون الفساد، وينهبون الغلال فاضطربت بذلك الأحوال.. وكانت السلطة فى مصر تقوم من حين لآخر بشن هجمات عليهم فى أحداث ذكرها المؤرخون ويطول شرحها.

هذا بالإضافة إلى تقلب الطبيعة من وقت لآخر بين الغلاء والمجاعات والأوبئة.. فإن كان هذا هو حال البلاد حينذاك فكم يكون حال الكنيسة؟!.. فقد كان الرب يدبر فى كل جيل رجالاً أوفياء أمناء مخلصين لكنيستهم القبطية ولوطنهم مصر..

أما **دير المحرق** وخصوصاً كنيسة السيدة العذراء (بيت العائلة المقدسة) فهو كما هو لا يتغير فاتح أحضانه لكل سائل أو لكل آت إليه.. وبالرغم من فترات الضعف التى مر بها فى هذه الفترة إلا أن الأصالة الممنوحة من لدن رب المجد لهذا المكان كانت هى الحافظة للدير فى أحلك الظروف فى أيام التخريب، وتفشى الأوبئة والمجاعات المهلكة، فى الوقت الذى كانت الرهبنة فيه قد توقفت فى أديرة عديدة فى أنحاء مصر ولم تعد عامرة بالرهبان..

«يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» (رومية ١١: ٣٣).

وقد تغلغل فى دماء أهالى البلاد القريبة من الدير ترياق حب يربطهم بالسيدة العذراء والدة الإله صاحبة هذا المكان ورثوه أباً عن جد من سلف لخلف، وجيل بعد جيل، وأصبح للمكان هيبته ومكانته فى القلوب. فليس من العجيب أن ابن القمص جرجس روفائيل (خادم بيعة الشهيد مرقوريوس أبى سيفين بمصر) ـ الذى من بلدة المنشية (بجوار الدير) بعد ما ترهب فى دير السريان وصار بطريركاً على الكرازة المرقسية ـ لم ينس دير المحرق (الذى لابد أنه قد كان له فيه ذكـريات)

هذا الأب هو البطريرك الأنبا غبريال السابع البطريرك الـ ٩٥ من عداد بطاركة الاسكندرية (١٥٢٥ ـ ١٥٦٨ م).

فقد كانت موارد الدير قائمة على عطاء الزوار المحبين وسخائهم ولكن مع اضطراب الأحوال وصعوبة الزمان وقلة ما يصل إلى الناس أصبح الدير يعانى من قلة الموارد منذ أواخر القرن الخامس عشر تدريجياً حتى وصلت الحالة إلى أنه لم يستطع إعاشة القاطنين فيه وإطعام المترددين عليه وخدمتهم... بالإضافة إلى المبانى التى ساءت حالتها ووهن بعضها.

لذلك دبرت العناية الإلهية أن يعقد هذا الأب البطريرك العزم على إعانة الدير والنظر فى تدبير أموره للحفاظ على مكانته المقدسة. هذه المكانة التى طبعت فى قلوب القبط عبر العصور ولم يمحها الزمان لأنها ليست من بشر ولكن من رب المجد الذى هيأها وقدسها.

وفى أواخر سنة ١٥٦٥ م ـ طبقاً للوثائق المحفوظة فى الدير ـ وصل البابا غبريال إلى الدير.

وأطلَع بنفسه على أحواله وأصدر قرارين : الأول فى ديسمبر ١٥٦٥م والثانى فى مارس ١٥٦٦م بحضور الأساقفة :

١ ـ الأنبا يوأنس أسقف أخميم.
٢ ـ الأنبا كيرلس أسقف بوق بنى زيد.
٣ ـ الأنبا غريغوريوس أسقف قسقام.
٤ ـ الأنبا ميخائيل أسقف نقادة.

ووقعوا على القرارين كشهود لمتابعة التنفيذ...

القرار الأول خاص بمدينة منفلوط وناحية بنى كالب وكل تخومها والثانى خاص بمدينتى أم القصور وبنى قرة وكل توابعها وهما موجهان :

إلى الأبناء المباركين من الكهنة والشمامسة والأراخنة وإلى كل طوائف الشعب المسيحى من الصياغ والنحالة والفلاحين وأرباب الصناعات المختلفة القاطنين بالمدن المذكورة عاليه وفحواهما الآتى:

١ ـ أن يكون المسيحيون بالبلاد المذكورة وجميع نذورهم وعطاياهم ورسومهم وقفاً مؤبداً لدير السيدة العذراء بالمحرق.

٢ ـ أن يكون جميع ما يحتاجه الدير سواء لوازم عمارة بالدير أو جميع تكاليف الزائرين والمترددين على الدير، على الشعبين فى هذه البلاد المذكورة.

٣ ـ قطع وإفراز، وحرم كل من تعدى وأبطل هذه الوقفية أو سعى إلى حلها أو إنقاض ما كُتب فيها سواء كان هذا أسقفاً أو قمصاً أو قسيساً أو راهباً أو علمانياً أو رئيساً. وأن تحل البركات السمائية التى حلت على الرسل والأنبياء على كل من يقوم بتنفيذ هذه الوقفية.

صدرت هذه البركة الكاملة والنعمة الشاملة
الي كافة الابناء المباركين الكهنة المؤمنين
والاراخنة المبجلين والمشايخ والمعلمين
كافة الشعب المسيحي بناحية ام القصور وبني قره
وكفورها بارك الله عليهم بالبركات الروحانية
الحالة علي ... وصانهم ...
في ... عن ... الملاك ...
بعد ... البركات ...
السلام ... من الرب ...
نعلمهم انه لما اراد الرب سبحانه السميع العليم
بحضور حضارتنا الي جبل قسقام المعروف بالدير
المحرق بالاعمال المتعلقة ...
وذلك بسبب ما تحرك من الدير المذكور ...
ما يجب ترميمه والنظر في مصالحه والاجتهاد
في عمارته وقيام نظامه فوجدنا جميع اموره واحواله
... المصلحة ...
... عمارة المواضع ...
والاماكن ... بواسطة ... والسؤال
... الوقت وصعوبة الزمان وعدم
... النعم الالهية
وتدبيرنا ... الرب ...
[illegible]

... يكون علي جماعة النصاري بالبلدين
المذكورين وكفورها والقيام بهم في كل سنة ...
ذلك لرهبان الدير المذكور لكيما يتعاونوا به
لاجل ... لوازم الدير وما عليه
من التكاليف والعمارة والواردين والمترددين
وقيام نظامه ... احواله والاعتناء بمصالحه
... بعمارته وقد صار ... البلدين المذكورين
وكفورها ... وقفا مؤبدا ...
الدير المذكور الي اخر الايام والازمان ...
والدهور الي ان يرث الله تعالي الارض وما
عليها وهو خير الوارثين ثم بعد ذلك
... المذكورة ...
في حلها او ... عليه ...
او ينتقض عنها او في شيء منها ...
في شيء مما نص وشرح فيه ...
... او يتعدي ...
بوجه من الوجوه ...
منهم واطاع ... نص وشرح فيه
...
... يكون مبارك ...
[illegible]

تنـويـــه:

إن وقفيــة البابا غبريال ٩٥ ليست الأولى من نوعها حيث إنه فى عهد البابا كيرلس ٦٧ (١٠٧٨ ـ ١٠٩٢ م) أوقف ما يتحصل من بعض كراسى الإيبارشيات على دير أبو مقار ببرية شيهيت وهى : دميرة، أبو صـيرينا، دمنهور، أهناسيا، حيث أصـبح دير أبو مقــار فى حاجـة إلى معونة مادية كبيرة فى ذلك الحين : (تاريخ البطاركـة سيرة البابا كيرلس ٦٧ ، أديرة وادى النطـرون د/ منير شكرى ص ٢٥٩).



فرمانـــات ومراســـيم :

وحدث قبل مجئ البابا غبريال إلى الدير ـ وفى حوالى النصف الأول من القرن الخامس عشر أن أنعم بعض من ذوى الشأن على الدير ببعض الأراضى الزراعية. إلاّ أنه لم يستفاد منها لسوء الحالة ذلك الحين (كما ذكر).

ولكن بعد ما تحسن الحال بحضور البابا وتدبرت مصالح الدير بحكمة وإتقان... وانتعشت الحياة الروحية والخدمة. انضم إلى الدير شخصيات أقامتها السماء حراساً أمناء على هذا المكان الطاهر كوديعة مقدسة يحافظون عليها... فكان منهم من له حكمة التدبير وحنكة الراهب المؤمن الواعى بمصلحة ديره فطفقوا يقابلون الحكام والمسئولين فى مصر وفى الولاية المنفلوطية ـ التى كانت أراضى الدير داخل حدودها ـ للحصول على الفرمانات والمراسيم والإفراجات التى تحفظ حق الدير فى أراضيه التى أوقفت عليه، لأنه إلى عهد محمد على باشا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٩ م) لم تكن هناك تقاسيم للأراضى بل كانت توزع بالمقطوعية وخصوصاً فى عهد المماليك، وكان كل مملوك يمتلك إقطاعية أرض يعتبر كأنه أمير صغير عليها من حقه التصرف فيها كما يشاء وبالطبع كان الحال يختلف من أمير لآخر... لذلك كان على رهبان الدير الاهتمام من وقت لآخر ـ وخصوصاً مع تغير الأمراء المستمر ـ بأن يحصلوا على ضمان بحق امتلاكهم الأراضى الموقوفة على الدير، ويتضح ذلك من الوثائق الكثيرة الموجودة فى حوذة الدير حالياً والتى يصل عددها إلى أربع وعشرين وثيقة بين فرمان ومرسوم وإفراج مكتوبة كلها باللغة العربية والتركية بعضها صادر من السلطان فى مصر والبعض الآخر من والى ولاية المنفلوطية.

وهذا حتى عهد محمد على باشا الذى أنشأ ديوان التأريع... وفيه قسمت الأراضى إلى أحواض

وحصل الدير بذلك على فرمان بحق امتلاكه لأراضيه الموقوفة عليه وسجلت الأراضى رسمياً فى سجلات الديوان.

هذا السعى الدائب من آباء الدير مع الخدمة المستمرة للمترددين والمعوزين كانت دون شك تسبب هياج قوات الجحيم. ففى أوائل القرن السابع عشر قبض حاكم الولاية المنفلوطية على رهبان الدير وأخذ منهم مالاً بدون سبب فرفعوا مظلمتهم إلى السلطان فى مصر الذى بدوره أصدر أمراً سلطانياً ـ فى سنة ١٦٣٥ م ـ موجهاً إلى أمير ولاية المنفلوطية وإلى قاضى قضاتها نصه الآتى :

«إن رهبان دير المحرق بالولاية أنهوا إلينا أنهم قاطنون بالدير المذكور وعليهم القيام بالضيوف المارين عليهم من المسلمين والنصارى وهم مستمرون على ذلك. غير أن حاكم الولاية سابقاً قبض عليهم وأخذ منهم أربعين غرشاً. بغير عادة وحصل لهم بذلك الضرر ويخشون من التعدى عليهم بمثل ذلك. وذلك لا نرضاه وقد رسمنا بأن يقدم المشار إليهما حال ورود هذا الأمر عليهما، بالتقيد لذلك وإجراء الرهبان بالدير المذكور على جارى عادتهم القديمة المستمرة إلى آخر وقت وعدم التعرض لهم بأذية أو ضرر أو تشويش أو حادثة أو مظلمة أو فعل مخالف للشرع الشريف والعادة والقانون المنيف منعاً شرعياً كلياً قولاً واحداً لازماً وأمراً نافذاً جازماً ونؤكد فى ذلك غاية التأكيد بحيث لا يشكى إلينا بسبب ذلك مرة أخرى. فيعتمد وليبادر إليه».

تحريراً فى ١٤ رمضان سنة ١٠٤٥ هـ.

وبالإضافة إلى إهتمام الآباء الرهبان بأرض الدير اهتم أيضاً بعض الأراخنة المعروفين فى ذلك الزمان والذين كان لهم شأن ووصلت إلينا أسماؤهم وهم :

المعلم مكين فى النصف الثانى من القرن ١٦ الميلادى.

المعلم يوحنا الببلاوى بالخزينة العامرة بمصر المحروسة فى أواخر القرن ١٦ وأوائل القرن ١٧ الميلادى.

المعلم يوحنا روفائيل فى أوائل القرن ١٧ الميلادى.

الخدمة الروحية والكرازة :

كانت الحالة داخل الدير : السمة الأصيلة المطبوعة فيه منذ نشأته وهى الخدمة الروحية للزوار وإضافتهم وسد احتياجات المترددين من المعوزين والفقراء..

هذه الخدمة تركت فى نفوس الكثيرين محبة طاهرة للدير ومحبة لحياة النسك والتوحد فى الجبال.

ولأن الدير غير مناسب لأولئك المحبين للتوحد والنسك فى البرية كان الآباء ينصحونهم بالتوجه إلى الأديرة الكائنة وسط الصحراء والتى يصعب وصول الناس إليها مثل برية شيهيت أو برية وادى العربة.. وقد أثمرت هذه الخدمة ثمراً مباركاً وقدمت للكنيسة رجالاً يخدمونها فى تلك الفترة، ونعتقد أن منهم البابا يوأنس الرابع عشر ٩٦ (١٥٧١ ـ ١٥٨٦ م) والذى كان من منفلوط وترهب بدير البرموس ـ والبابا متاؤس الرابع ١٠١ (١٦٤٦ ـ ١٦٥٦ م) الذى كان من بلدة مير وترهب بدير البرموس وابن أخيه الأنبا ميخائيل أسقف قسقام فى أواخر القرن ١٧ وأوائل القرن ١٨ الميلادى.

كُرْسَـــىْ المحـــرق

كان الآباء أساقفة كرسى قسقام مهتمين دائماً بالدير بقدر استطاعتهم لأنه فى دائرة رعيتهم. وبعد ما خربت القوصية كان الأسقف يقيم كثيراً بالدير فسمى الكرسى فى ذلك الزمان بكرسى المحرق وبعد ما أصدر البابا غبريال السابع قرار تخصيص الوقفيات على الدير (كما ذُكر آنفاً). أطلق على كرسى بوق بنى زيد كرسى المحرق أيضاً (وتشهد بذلك المخطوطة رقم ٢٠٧ طقس من القرن السادس عشر وتحت رقم ٢٥١ فى الفهرس المطبوع فى جنيف سنة ١٩٨٦ لمخطوطات دير أبو مقار).

وأصبح كلا الأسقفين يهتمان بملاحظة أمور الدير.

الآبـــاء الرهـــبان :

ومن الآباء الرهبان الذين أمكن التوصل إلى أسمائهم ممن تعبوا فى خدمة الدير أو فى خدمة الكنيسة فى ذلك الزمان :

- الراهب فيلبس : الذى رافق البابا البطريرك الأنبا يوأنس الرابع عشر (١٥٧١ ـ ١٥٨٦ م) وعاونه أثناء رحلته فى صعيد مصر لتحصيل معونة مالية من قبط الصعيد بعد أن ألزمه السلطان مراد بدفع الجزية.

- الراهب غبريال : اهتم كثيراً بالأراضى المخصصة للدير فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر وكان هو المتكلم باسم الدير فى ذلك الحين وصدرت باسمه ثلاثة أوامر من الحاكم لحفظ حق الدير فى أراضيه..



كما أنه قام بخدمة جليلة للكنيسة القبطية وهى : أن كنيسة روما كانت قد سعت لضم الكنيسة القبطية فى عهد البابا يوأنس الرابع عشر وتكـرر ذلك فى عهد البابا غبريال الثامن (٩٧) (١٥٨٧ ـ ١٦٠٣ م) الـذى أمر كبار الإكليروس بتحضير الرد حسب إيمان الكنيسة وتسليمه لوفد كنيسة روما. وأرسلت بعد ذلك الكنيسة القبطية عدة رسائل فى سنة ١٥٩٧ م إلى كنيسة روما.

وانتدب الأنبا غبريال أشخاصاً جديرين بالتحدث باسم الكنيسة القبطية وتسليم الرسائل إلى بابا روما فكان القمص غبريال من دير المحرق والأرشيدياكون برسوما من كنيسة مارمرقس بالاسكندرية هما مندوبا الكنيسة القبطية لتسليم إحدى الرسائل ومعهما توصيات عديدة من الأنبا غبريال.

- الراهبان فليمون وسمعان : اهتما مع الراهب غبريال (الآنـف ذكـره) ـ الذى كان علـى ما يبـدو قد شـاخ ـ بتجـديد الإفراج عن أراضى الدير فى النصف الأول من القرن السابع عشر.
- والرهبان ميخائيل وسركيس وعبد المسيح : اهتموا اهتماماً واحداً بمصالح الدير وسعوا للحفاظ على حقه الشرعى فى أرضه الموقوفة عليه.
- الراهب جرجس : كان فى درجة القمصية وكان مشهوداً له بسيرته الفاضلة لدى الكثيرين فاختير أسقفاً باسم الأنبا مرقس على كرسى بوق بنى زيد وسيم فى يوم ٦ بابة سنة ١٣٥١ ش (١٦٣٤ م) طبقاً للتقليد الخاص به والمحفوظ فى الدير. والموضح جزء منه بالصورة أعلاه.

حالة الدير فى النصف الثانى من القرن السابع عشر :

هذه الحالة يقررها الأب العلامة فانسليب الدومينيكانى الذى زار الديار المصرية فى سنة ١٦٦٤ م وفى سنتى ١٦٧٢ م - ١٦٧٣ م وكتب كتابين هامين باللغة الفرنسية الأول عن تاريخ الكنيسة القبطية والثانى ذكريات عن سياحته فى مصر. وقد زار هذا الأب دير المحرق سنة ١٦٦٤ م.

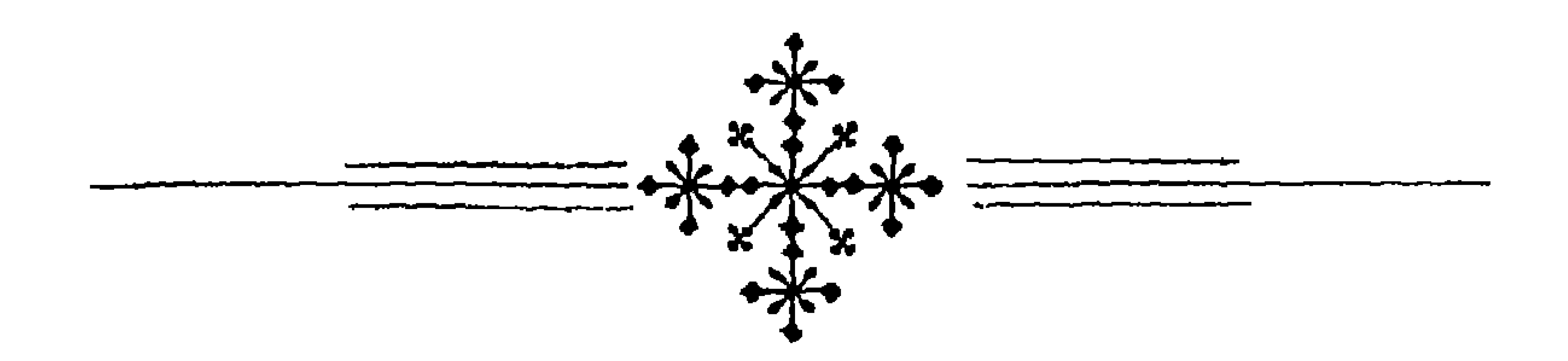
كما ذكر فى كتابه تاريخ الكنيسة القبطية الفصل السابع ص ١٥٩، ومكث لمدة شهر فى دير المحرق الذى فى وسط أرض مصر.

وبالرغم من أنه لم يذكر أكثر من ذلك إلاَّ أن بقاءه فى الدير لمدة شهر، يعنى أن حالة الدير كانت على ما يرام... حيث طاب له المقام..

وكالمعتاد فإن لمحبة الأحباش للدير (فى هذه الفترة) كان الدير مأهولاً بهم حسبماً يشهد الرحالتان بروتريس وتشارلز فى كتابهما.

Protris and Charles Francois D'orleans : Relation du Voyage du Sayd, ou de la Thebaide, p.3

عندما زارا الصعيد فى سنة ١٦٦٨ م.



القرن الثامن عشر الميلادى

مقدمـــــة:

كانت حالة البلاد منذ أواخر القرن ١٧ إلى أوائل القرن ١٩، غير مستقرة وخصوصاً فى صعيد مصر حيث اضطربت الأحوال بانقسام المماليك على ذاتهم وقيامهم على بعضهم تارة وعلى الحاكم فى مصر تارة أخرى، وكان الصعيد مكاناً مناسباً لهم لتدبير الفتن والمؤامرات بعيداً عن أنظار الحكومة فى مصر. كما زاد ظلم الحكام وجور الولاة. فضلاً عن انتهاز أهل الفساد الفرصة للسلب والنهب وسفك دماء الشعب ولا سيما سطو العربان على بلاد الصعيد. وقد تكلم عن هذا الاختلال فى البلاد وسوء تصرف الحكام المسيو ميلييه قنصل فرنسا، والرحالة بيكوك الانجليزى الذى أتى إلى مصر سائحاً فى سنة ١٧٣٧ م وأقام بها عدة شهور، وكذلك المؤرخ المشهور الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، حيث أرّخ حوادث سنة بسنة من ١٦٩٠ م إلى ١٨٢١ م.

العربـــــان:

أما بالنسبة للعربان فقد ذكرهم المؤرخان ابن إياس والجبرتى وغيرهم.. ويرجع أصلهم إلى بلاد آسيا والبعض الآخر إلى شمال إفريقيا وآخرون من العرب البدو والرحل الذين يجوبون الصحارى. والذين من بلاد آسيا كانوا قد سكنوا الضفة الشرقية من النيل قرب المدن الكبيرة وشواطئ النيل منذ القدم وتعلموا الزراعة، أما الذين من شمال إفريقيا فقد أتوا حديثاً فى القرن ١٧ وتعلموا الزراعة ويعيشون فى الضفة الغربية من النيل، وقد كانوا لا يحترمون السلطة ويجورون باستمرار على أراضى غيرهم أو يستولون عليها بدون حق، ودائماً كانوا يعيشون فى انقسام فيما بينهم، واشتهروا باللصوصية والنهب والسلب والعجرفة التى تمتلكهم، لشعورهم بأنهم قوم يسمون عن المصريين فى القوة والجسارة والجرأة. وبدأ يظهر شغبهم وشدة فسادهم فى بلاد الصعيد فى عصر السلطان محمد بن قلاوون وخصوصاً فى سنة ٧١٣ هـ (١٣ / ١٣١٤ م) عندما توجه إليهم فرحلوا إلى الجبال وماتوا من الجوع والعطش وأسر منهم نحو النصف، إلاّ أنه بعد قليل اجتمعت منهم قبائل كثيرة ورجعوا مرة أخرى وعصوا ونهبوا جميع الغلال وعمّ الفساد واضطربت الأحوال... فذهب السلطان بنفسه مع عسكره وقامت بينهم واقعة عظيمة، وانكسر فيها العربان وهرب كثيرون منهم إلى بلاد وسط إفريقيا وقد ظهرت منهم قبيلة أصبح لها شأن وهم عرب هوارة وكان لهم سطوة فى نواحى الصعيد الأعلى (البلينا ونجع حمادى حالياً)... واشتهروا بالشجاعة إلاّ أنهم كانوا يثيرون القلاقل مع الولاة وقبض السلطان على رئيسهم سنة ١٤٧٧ م. وعندما عادوا إلى شغبهم مع الولاة شنق رئيسهم على باب شونة منفلوط (١٤٩٦ م). وفى سنة ١٤٨٤ م هجم عربان بنى عطية على ديرى الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا وقتلوا جميع من فيهما. كما أظهر عرب الأحامدة الفساد فى الصعيد، وفى سنة ١٤٨٦ م تم أسر عدد كبير منهم وإرسالهم إلى مصر وحدثت معهم أمور يطول شرحها. وأما عرب عزالة فقد لقوا العذاب من الأمير طومان باى سنة ١٤٩٨ م. ومن هؤلاء العربان القدماء أيضاً عربان قبيلة العطيات الذين كانوا يسكنون من شمال المنيا حتى شرق منفلوط، وعندما أتى عربان شمال إفريقيا (من ليبيا والمغرب..) فى القرن ١٧ سكنوا على الحدود الزراعية الصحراوية فى غرب النيل، فارتبكت الأحوال أكثر حيث أصبحوا على كلتا ضفتى النيل فى صعيد مصر..

وقد استولى العربان على الجزر الكائنة فى النيل عن طريق الاستبداد والظلم وغصت بهم قرى كثيرة حيث سكنوا الخيام فى بادئ الأمر ثم حولوها إلى أكواخ وكان إذا أراد فلاحو أى قرية الاستقلال عنهم قاموا بغزوها بشكل مفاجئ،

فيقتلون مشايخها ويهدمون بيوتها ويستولون على أراضيهم.. أما القرى القريبة من الصحراء فبالطبع يجب أن تقدم ضيافة مجبرة على ذلك ـ فهذا أفضل لها.

وكانت القرى التى ينزلون بها ويحتلونها تماماً تسمى نزلة (بمعنى نزولهم من الجبال وهجومهم بعنف على البلد) مثل نزال أبى جانوب (حالياً نزالى جانوب)، ونزلة النوايل، ونزلة نوير.. إلخ.

وقد تبين أنه من إجمالى عدد ١٠٥ قرية باسم نزلة موزعة بين الجيزة إلى جرجا يوجد حوالى ٥٣ قرية باسم نزلة فى المنطقة المحصورة بين ملوى ومنفلوط. وكانت بينهم وبين أمراء المماليك معارك لا حصر لها.. لعدم مقدرتهم الحصول منهم على الضرائب المستحقة للأراضى التى يمتلكها العربان..

ويذكر المؤرخ الجبرتى أنه فى سنة ١٦٩٤ م قتل شيخ عرب المغاربة عبد الله بن وافى فى منفلوط.. وسكنت العربان الجدد ومنهم عربان بنى وافى وأبى كرايم ومحارب الطحيوى فى الخيام بين غرب منفلوط حتى المنيا شمالاً. وقد رآهم أ. جومار أحد علماء الحملة الفرنسية وتكلم عنهم فى دراسته التى قدمها عنهم وقال فى أواخر القرن ١٨ إنهم كانوا مثل الأسياد يستعبدون الفلاحين... ولا يستطاع حصر الجرائم والمظالم والأعمال الجائرة من فرسانهم وخصوصاً فى الأسواق العامة. وقد سكن عربان بنى وافى فى التتالية (شمال غرب منفلوط) وكان فى زمام أقطاعها أو دائرتها مير والقوصية وصنبو وكانت بالغة الثراء وأما بنو كرايم فسكنوا بين صنبو وملوى تفرعت منها قبائل الجهمة والطراهونة وقد تدخلوا كثيراً فى الدير كما سيأتى شرحه.

وفضلاً عما سبق فقد تفشى وباء الطاعون الذى اجتاح البلاد سنة ١٧٢٦ م وتنيح أساقفة وقسوس كثيرون ووقع الموت على الناس من الاسكندرية إلى أسوان واضطروا إلى ترك الزرع فوقع القحط والغلاء.

وقد شهد الدير أياماً صعبةً وضيقةً ماليةً وأصبح غير قادر على زراعة الأطيان الخاصة به، وقلّ عدد الرهبان جداً وكانوا يقتاتون بالترمس والبقول والحلبة وقد عاصر هذه الأحداث القمص بشاى الصنباوى رئيس الدير فى الفترة (١٧٢٠ ـ ١٧٤٠ م). وقد زادت الحالة سوءاً لما لم يجد الرهبان من يصلى الصلوات الكنسية لهم، فأحضر لهم أسقف قسقام كاهناً من السراقنا ليقيم لهم هذه الصلوات. وعندما تحسنت أحوال الناس قليلاً طاف القمص عوض السرقناوى ـ الذى كان رئيساً للدير فى الفترة (١٧٤٠ ـ ١٧٧٢ م) ـ البلاد لجمع الإعانات من الأهالى وشجع الكثيرين على الرهبنة، وأثمرت مجهوداته فى زيادة عدد الرهبان حتى بلغ عددهم أربعين راهباً واهتم هذا الأب بتنشيط الحياة الروحية للآباء الرهبان عن طريق الوعظ ونسخ الكتب لفائدتهم مثل أسفار الكتاب المقدس والتفاسير ومقالات ومواعظ القديس يوحنا ذهبى الفم وبعض سير القديسين وكتب قوانين الكنيسة وأقوال الآباء (وقد وصل إلينا منها ٦٦ مخطوطة) كما كان يشجعهم على العمل بأيديهم وكان يفعل ذلك بنفسه ليقتدوا به وقد كان من ثمار هذا العمل المبارك أنه بعد نياحته تولى ابناه الروحيان رئاسة الدير وهما القمص عبد الملاك الأسيوطى لمدة ٣٦ سنة والقمص جرجس الدويرى لمدة لا تزيد عن خمس سنوات.

وفى الحقيقة اختلفت السجلات القديمة التى وصلت إلى أيدينا عن فترة رئاسة القمص جرجس الدويرى فيما إذا كانت قبل أو بعد رئاسة القمص عبد الملاك الأسيوطى. وإن كانت سنوات رئاسته قليلة إلا أنها كانت خيراً، لما كان معروفاً عنه من أنه شديد الحرص على الدير.

ولكن من المرجح أن رئاسة القمص جرجس الدويرى كانت بعد رئاسة القمص عبد الملاك الأسيوطى.

الأب الفاضل القمص عبد الملاك الأسيوطى :

هذا الأب كان من أهل مدينة أسيوط ولما تمت له خمس عشرة سنة فى بيت أبيه زهدت نفسه فى كل ملذات هذا العالم الفانى واشتاق إلى سيرة الرهبنة. فتجرد من العالم والتجأ إلى الله، وترهب بدير المحرق. ولما صار فى الرهبنة، سلك فى كل صنف من صنوف الفضيلة وصار يتعبد لله بخوف ورعدة وكان يحب الوحدة والانفراد ويهرب من المواضع التى يجتمع فيها الناس، ويداوم على قراءة الكتب المقدسة. وكان يداوم على الصوم بمقدار فى الطريق الملوكى إلى التاسعة مع شغل اليد. وكان نشيطاً فى الصلاة وبالأكثر فى سهر الليل مداوماً على تلاوة الإبصلمودية فى كل يوم وصلاة الكنيسة المفروضة. وكان ملازماً الدموع والتنهد، حريصاً على الطاعة والخضوع لأب المجمع وشيوخ الدير، مواظباً على افتقاد المرضى وكان يجهد نفسه دائماً فى جميع خدمات الدير الدنية وأقام بخدمة المطبخ مدة طويلة ولما رأى الله اتضاعه وحسن أفعاله ونقاء ضميره سيم قساً فى سنة ١٧٦٩ م ثم جعل بيده رئاسة الدير.

قام فى الرئاسة مستنداً على النعمة الإلهية بجد واجتهاد وشهامة روحانية فى عمل الله وساس الإخوة أحسن سياسة. وكان محباً لجميع أولاده بالسوية. ولا يميز واحداً منهم عن واحد. ولا يخرج عن الحق ولا يحيد عنه فى القضاء بكلمة الحق باستقامة ويعدل بين القوى والضعيف وكان هذا الأب دائماً منذراً ومعلماً وكارزاً وواعظاً لأولاده، ولسائر رعيته خائفاً من قول الله على لسان حزقيال النبى حيث يقول : «يا ابن الإنسان أنا أقمتك نذوراً على هذا الشعب تسمع الكلام من فمى وتنذر شعبى بخطاياهم وإن أنت أنذرت الخاطئ ولم يرجع عن إثمه حى أنا يقول الرب إنه يموت فى إثمه ودمه فى عنقه وأما أنت فبرئ من إثمه وإذا أنت غفلت عن الخاطئ ولم تنذره ويموت الخاطئ فى إثمه فدمه أطلبه أنا من عنقك». (راجع حز ٣ : ١٧ ـ ١٩).

وكان ناسخاً للكتب ويهتم بتجديدها (ووصل إلينا منها ١٥ مخطوطة) واهتم بعمارة الدير فى بداية رئاسته فبنى كنيسة على اسم الشهيد مارجرجس (وهى التى قامت على أنقاضها الكنيسة الحالية).

كما كانت فى أيامه اللغة القبطية مزدهرة فى الدير فى الوقت الذى اندثرت فيه من مناطق كثيرة فى بلاد مصر (كما سيذكر فى الباب الخاص عن الدير والتراث).

وقد حسده الشيطان لسيرته البارة وجلب عليه الأحزان الشديدة. فقد ترك العربان الصحراء وسكنوا فى بلاد الصعيد (كما ذكر آنفاً) وتفشت الفوضى والسرقة والنهب، حيث أخذت كل قبيلة منهم قطاع فى البلاد وتركزت قبيلة عرب بنى وافى فى قرية التتالية (٨ كم عن الدير) وكانوا يتداخلون كثيراً فى شئون الدير ويضايقون الرهبان والفلاحين الذين يزرعون أراضيه ويتسلطون على القمص عبد الملاك الأسيوطى بالرغم من عطفه عليهم. وشهد هذا التسلط العالم الفرنسى جومار

(E. Jomard) أحد علماء الحملة الفرنسية الذى زار الدير فى أواخر القرن الثامن عشر ولم يستطع مقابلة القمص عبد الملاك. [واستمرت هذه المتاعب من العربان ولكن بصورة أقل بعد ما صدر فرمان محمد على باشا فى ١٨٠٩ م وفرمان إسماعيل باشا ١٨٦٣ م. إلى الحكام والعساكر وأولاد وافى بعدم التعرض للرهبان وتمكينهم من خدمة الزوار والمترددين على الدير].

وذات يوم ملأ الشيطان قلب واحد من العربان غيظاً على هذا الأب فربطه بحبل وأنزله فى ساقية الماء التى بالدير، ولكن الرب حفظه وخلصه من يد ذلك الطاغى سالماً.

كل هذه المتاعب، كان لها أثر على انخفاض عدد الرهبان، فقد وصل إلى عشرين راهباً (فى أواخر القرن الثامن عشر) ويبدو أنهم لم يتمكنوا من الحصول على دخل الأراضى الموقوفة على الدير فى ذلك الحين، بانتظام، بسبب الفوضى التى سببها العربان فى البلاد.. ولذلك لم يتورع الأب القديس عبد الملاك الأسيوطى عن الاتصال بالمحبين وذوى العطاء فكان للمعلم إبراهيم الجوهرى دور بارز عظيم فى هذا الشأن وأعطى للدير الكثير وجعله الدير ناظراً على أوقافه للتحدث باسمه أمام السلطات لإخراج المراسيم الخاصة بحق الدير فى أراضيه الموقوفة عليه، كما رم الحصن القديم بالدير (وقد أمكن الحصول على قائمة الأوقاف التى أوقفها للدير فى القاهرة هو وأخوه المعلم جرجس من منازل وأراضٍ ومعصرة وطاحونة... إلخ).

كما شاهد هذا الأب أياماً صعبة عندما تفشى الوباء فى البلاد سنة ١٧٨٣ م وفى أسيوط وما حولها سنة ١٨٠١ م، وعندما حدثت المعركة المعروفة بين جيوش المماليك والجيش الفرنسى التى تسمى معركة عين القوصية فى أواخر القرن ١٨ الميلادى. وكذا السنوات الصعبة التى كانت فيها عربدة أمراء المماليك فى صعيد مصر حيث اتفقوا معاً ووصلوا مع الهوارة والعربان غربى أسيوط سنة ١٨٠٢ م ثم أخلوا منفلوط وملوى للتحصين فيها سنة ١٨٠٦ م إلى أن تم الصلح بينهم وبين سلطان مصر فى سنة ١٨٠٧ م (الجبرتى الجزء الثالث).

وكان من شدة محبة الآباء لهذا الأب القديس أنهم سجلوا سيرته ووضعوه فى السنكسار الذى يُقرأ فى الكنيسة بالدير حتى يذكروا أعماله الصالحة كل سنة فى يوم ٢٨ من شهر بابة.

وذكروا فى خاتمة سيرته : أنه لما وصل هذا الأب إلى شيخوخة صالحة وكَمُلَ من العمر ما يقرب على ثمانين سنة، أراد الله أن يريحه من أتعاب هذا العالم، فمرض بمرض صعب، وخدمه أولاده الرهبان فى مرضه كما يجب وهم حزانى باكين على فقدهم إياه. ولما كان فى يوم ٢٨ بابة أسلم الروح وانصرف إلى السيد المسيح حاملاً تاج الصبر والبتولية. ثم كفنه الإخوة بعد ذلك ووضعوا جسده فى تابوت من خشب وحملوه إلى البيعة، وجنّزوه التجنيز اللائق بالقديسين وزفوه بالقراءة والألحان والتراتيل والنواقيس وحملوه إلى الجبل بكرامة عظيمة ودفنوه، بركة صلاته تكون معنا آمين.

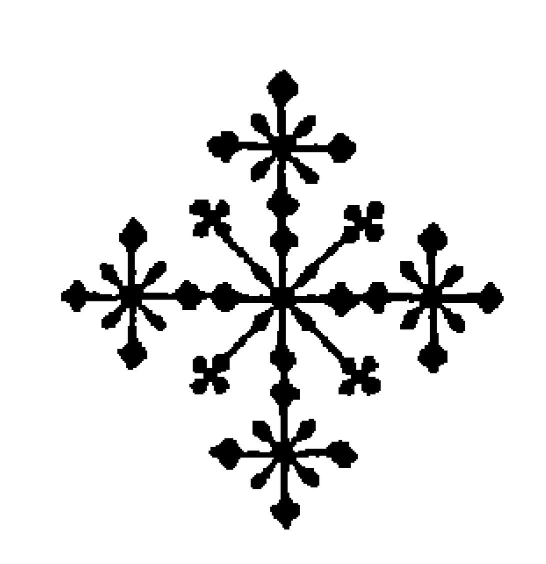
ويجدر هنا فى هذا المقام بذكر مقتطف من سيرة الأرخن العظيم :

المعلم إبراهيم الجوهرى :

يعتبر هذا الرجل من الأراخنة المباركين جداً ومن مفاخر الأقباط فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر. عمل كاتباً عند أمراء المماليك، ثم كاتباً فى دواوين الحكومة ثم رئيساً لدواوين الحكومة فى عهد المملوكين إبراهيم بك ومراد بك. وكانت حياته مثالاً واضحاً للمسيحية الحقة. فكان رجل إحسان وعطاء فاشتهر منذ حداثته بفعل الإحسان والخير. فرُوى عنه أن كان يقسم إيراده إلى ثلاثة أقسام يخصص منها الثلثين للفقراء والباقى للإنفاق على الكتب ونسخها ووقفها. وكان له أيضاً مقام عال فى الحكومة ومنزلة فى نفوس الولاة والقضاء الشرعى مما مكنه من إصدار الفتاوى بترميم الكنائس والأديرة وكان ينفق عليها من ماله الخاص وكان أيضاً يبتاع الأملاك ويوقفها على هذه الأماكن المقدسة. ويعوزنا الوقت ـ وليس هذا بأصل موضوعنا ـ أن نتحدث عن هذه الشخصية العظيمة ويكفى أن نقول ما قاله عنه المؤرخ الشهير عبد الرحمن الجبرتى :

«ومات الذمى المعلم إبراهيم الجوهرى رئيس الكتبة الأقباط بمصر وأدرك فى هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم وأول ظهوره من أيام المعلم رزق كاتب على بك الكبير، ولما مات على بك والمعلم رزق ظهر أمر المترجم ونما ذكره فى أيام محمد بك فلما انقضت أيام محمد بك وترأس إبراهيم بك قلّده جميع الأمور فكان هو المشار إليه فى الكليات والجزئيات حتى دفاتر الروزنامة والميرى.. وجميع الإيراد والمنصرف وجميع الكتبة والصيارف من تحت يده وإشارته.

وكان من دهاقين (رئيس ذو شأن) العالم ودهـاتهم (أحزقهم وأجـودهم) لا يغـرب عن ذهـنه شئ من دقائق الأمور ويدارى كل إنسان بما يليق من المداراة ويحابى (يهب أو يجامل) ويهادى ويواسى ويفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة ويهادى ويبعث الهدايا العظيمة والشموع إلى بيوت الأمراء. وعند دخول رمضان يرسل إلى غالب أرباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوى وعمرت فى أيامه الكنـائس وأديرة النصـارى وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة (ذات العائد) والغلال وحزن إبراهيم بك لموته وخرج فى ذلك اليوم إلى قصر العينى حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون إلى المقبرة وتأسف على فقده تأسفاً زائداً». (الجبرتى ـ الجزء الثانى ـ تحت سنة ١٢٠٩ هـ).



قبس من نور الآباء السواح :

على الرغم من حالة الضيق والمتاعب التى شملت منطقة الصعيد فى مصر وما تركته هذه الحالة من أثر على الرهبنة والرهبان فقل عددهم وكان لدير المحرق نصيب فى ذلك (كما ذكر آنفاً).

إلا أن الله كان قد حفظ للمسك رائحته، «كما أبقى له سبعة آلاف كل الركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله» (ملوك أول ١٩ : ١٨) فيسطع وسط هذا الظلام الدامس نور أثنان من رهبان دير المحرق العامر إجتهدوا وجاهدوا فى حياتهم الرهبانية حتى وصلوا إلى درجة السياحة ألا وهما **الأب القمص بولس المحرقى السائح وتلميذه القس ميخائيل المحرقى السائح**.

هذان القديسان اللذان ذكرهما صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا تيموثاوس الأسقف العام فى سياق الحديث عن الأب القمص بولس العابد المقارى، فى كتابه الصادر فى أغسطس ١٩٩٤ م.

كان كل من الأب القمص بولس المحرقى وتلميذه القس ميخائيل المحرقى راهبين من رهبان دير المحرق فى عهد رياسة القمص عبد الملاك الأسيوطى (١٧٧٢ ـ ١٨٠٨ م) حيث مكثا فترة طويلة فى حياة الشركة بالدير بعد سيامتهما ـ وفى هذه الفترة مرض القس ميخائيل حتى قارب الانتقال من هذه الدنيا فحزن عليه أبيه القمص بولس حزناً شديداً وطلب من السيد المسيح له المجد أن يمنّ عليه بالشفاء. فنظر الله إلى القمص بولس وشيخوخته وترآءف على القس ميخائيل وشفاه رحمة بأبيه القمص بولس حيث كان الأب القس ميخائيل يرعاه ويقضى أموره كتلميذ لمعلمه. وقد أختير القمص بولس للبطريركية خلفاً للبابا يوأنس الثامن عشر البطريرك المائة وسبعة (١٧٦٩ ـ ١٧٩٦ م) وذلك نتيجة لترشيح الأباء الأساقفة المعاصرين له لما وجدوا فيه من روحانية وتقوى وورع. لكنه رفض ذلك مفضلاً حياة الوحدة مع المسيح عن الكرسى البطريركى، وقد أختير بدلاً منه الأنبا مرقس الثامن البطريرك المائة والثمانية (١٧٩٦ ـ ١٨٠٩ م) صاحب المدائح الكيهكية الشهيرة.

وبارشاد الروح القدس رأى كل من الأب القمص بولس المحرقى وتلميذه القس ميخائيل المحرقى أن من الأفضل لهما أن يخرجا من الدير للسياحة، فاتجها أولاً إلى خارج الدير فى مغارة تبعد مسافة ليست قليلة عن الدير، أتخذاها مأوى لهما وعاشا فيها، وكان الرب يدبر لهما معيشتهما بطريقته الخاصة. ومكثا فى المغارة مدة طويلة إلى أن أنعم عليهما الرب يسوع المسيح له المجد وأمر ملاكيهما أى ملاك القمص بولس وملاك القس ميخائيل ليرشداهما إلى المكان المختار حيث عاشا هناك على أحد جبال الحبشة حيث يوجد كثير من الآباء السواح الأحباش منهم الأب عامود صهيون وهو من الآباء السواح الأحباش المشهورين وكان معاصراً لأبوينا القديسين القمص بولس والقس ميخائيل وكان طعامهم من الموز الجاف الذى يملأ هذه المنطقة ويشربون من مياه الأمطار.

وقد أطلق الآباء الأحباش على الأب القمص بولس المحرقى لقب البطريرك (حيث رشح للبطريركية كما ذكر سابقاً). ووفقاً لإرادة الرب وعند إقتراب انتقال القمص بولعس المحرقى من العالم أراد الرب أن

يدبر للقس ميخائيل المحرقى تلميذاً كما كان هو تلميذاً للقمص بولس المحرقى ففى وقت معين كان الأب القمص بولس العابد المقارى ذاهباً إلى دير السريان وذلك فى النصف الأول من القرن العشرين تقريباً وبسماح من الرب ضلّ الطريق فى البرية وهناك تقابل مع القس ميخائيل المحرقى الذى أخذه بدوره إلى القمص بولس المحرقى على جبال الحبشة ليخبره بإختيار الله له ليكون ضمن الآباء السواح ويكون تلميذاً للقس ميخائيل المحرقى، فأطاع. وكان عمر أبينا القمص بولس المحرقى السائح ١٨٠ سنة وعمر أبينا القس ميخائيل المحرقى السائح ١٦٠ سنة فى ذلك الوقت.

ويجدر بنا أن نذكر بعض من تدابير الآباء السواح :

- أن الآباء السواح كانوا قليلاً ما يجتمعون مع بعضهم فى أحاديث روحية لأن كل منهم مشغول بصلواته ورؤياه الإلهية السمائية.
- فى أيام الصوم الكبير كانوا يلازمون الصمت الكامل ويطوون أياماً ولا يأكلوا فيها إلا ما يسد الرمق ويسكت الجوع.
- قيل عن الأب القمص بولس المحرقى أنه كان يقضى الصوم الكبير ولا يتحدث فيه بكلمة واحدة.
- كانت الأرواح الشريرة تظهر عياناً أمام الآباء السواح لكنها لا تقترب منهم وكان الآباء يطردونهم برشم اشارة الصليب المقدس.
- إذا أراد الآباء السواح أن يتناولون من الجسد المقدس والدم الكريم يحمل كل ملاك سائحه المكلف بخدمته وفى لحظة يكونوا فى الكنيسة ـ التى غالباً ما تكون فى دير بعيداً عن العمران، ويجدون هناك القربان والاباركة واوانى الخدمة جاهزة التى يكون قد أحضرها ملاك من الملائكة المكلفين بخدمة السواح فيقدسون ويتناولون ثم يعودون محمولين من ملائكتهم إلى أماكنهم.

والسر فى أن الملائكة تحمل السواح لأنهم يذهبون للتناول بأجسادهم لأنه لا يمكن التناول إلا بالجسد حيث أن الروح لا تأكل ولا تشرب وإن كان الجسد والدم الأقدسان طعاماً روحياً يقدس النفس والجسد إلا أن الإنسان طالما هو حى لا يتناولهما إلا بالجسد.

وليس ذلك بالمستحيل على أولئك الذين أرضوا الرب بأعمالهم.

ألم يقل رب المجد أن كل شئ مستطاع للمؤمن.

ألم يخطف روح الرب فيلبس بعد أن بشر الخصى الحبشى بالمسيح وعمدّه فلم يبصره الخصى (أع ٨ : ٢٦).

فأخـذ مـلاك الرب حبقـوق بسـرعة الريح وحمـله بشـعر رأسه ووضعه فى بابل عند جب الأسود فصرخ حبقوق وقال : «دانيال، هذا الغذاء الذى أرسله لك الله». فقال دانيال : «ذكرتنى يالله وما خذلت الذين يحبونك»، وقام دانيال فأكل، ورد ملاك الرب حبقوق حالاً إلى بيته. (تكملة دانيال ١٤ : ٣٦ ـ ٣٩).

هكذا كل من يعيش مع الله ويرضيه بأعماله يسخّر له الرب الملائكة لخدمته وإعانته فى حياته. بركة صلواتهم تكون معنا، ولربنا المجد والإكرام والسجود إلى الأبد آمين.



أيقونة من القرن التاسع عشر الميلادى
للقمص عبد الملاك الأسيوطى والقمص
جرجس الدويرى رئيسى الدير

المجتمع الرهبانى بالدير فى القرنين ١٩م، ٢٠م

تركـت سيرة الأب الفاضـل عبد الملاك الأسيوطى أثراً عميقاً فى قلوب أبنائه الرهبان، وعاشوا من بعـده يرددون مآثره وأعمـاله التى لم ينسـوها، فسـاروا على منواله، إلا أن عـددهم كان قد نقص بسبب المتاعب التى حدثت من جـرّاء تدخـل العربان. الأمر الذى أدى إلى أن يقوم لهم بخدمة الصـلوات الكنسية كاهن متزوج من السراقنا اسمه القمص عبد المسيح، وذلك بالوراثة عن أبيه وجده.

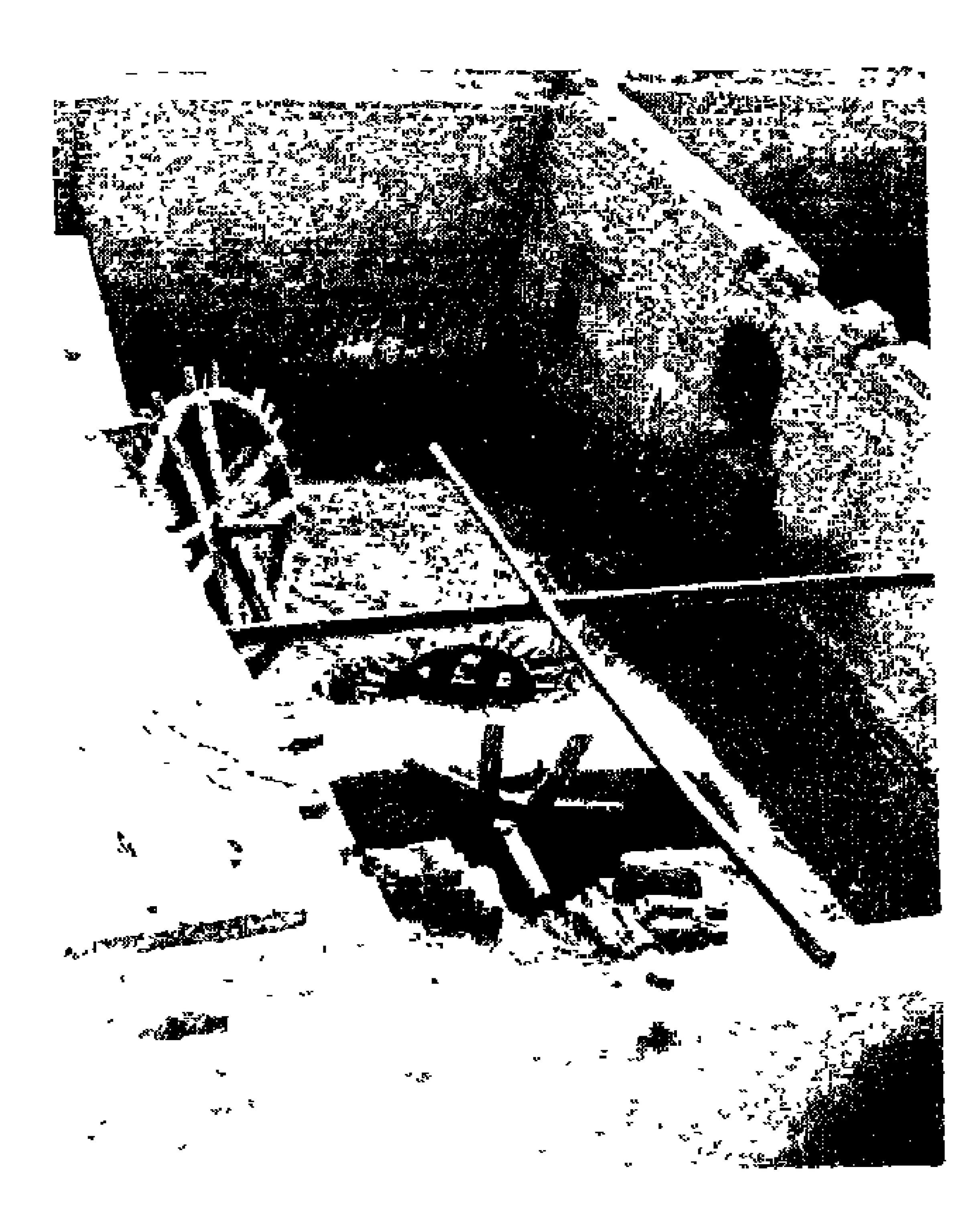
ثم ازداد عدد الرهبان شيئاً فشيئاً، حين كان رئيس الدير فى ذلك الوقت القمص ميخائيل الكدوانى (١٨١٣ ـ ١٨٣٨ م) [من كودية النصارى ـ مركز ديروط] وقد كان نشيطاً مهتماً بعمارة الدير حيث بنى سور خارجى للدير من الجهتين الشرقية والقبلية، كما بنى قلالى للرهبان.

يجددُ مثلَ النّسرِ شبابَك :

عندما استتب السلام والطمأنينة فى بلاد الصعيد نوعاً ما فى عهد محمد على الكبير (١٨٠٥ ـ ١٨٤٩ م)، نشطت الحياة الرهبانية وانتظمت وتحسنت الأحوال كثيراً بهمة الأب المبارك القمص عبد الملاك الهورى.

كان هذا الأب من ناحية هور وحضر إلى الدير سنة ١٥٣٠ ش (١٣ / ١٨١٤ م) وسيم راهباً.. ثم نال نعمة الكهنوت وأصبح وكيلاً للدير فى رئاسة القمص ميخائيل الكدوانى لمدة ١٤ سنة حتى شاخ القمص ميخائيل وطعن فى السن ـ لدرجة أن الآباء الرهبان كانوا يحملونه إلى الكنيسة وقت الصلاة ـ وفى سنة ١٨٣٨ م أصبح القمص عبد الملاك رئيساً للدير.

وقد اهتم هذا الأب الفاضل بالدير، وساهم بجهد كبير فى حل مشاكل كانت قائمة، وقام بتوسيعه، فأنشأ حديقة من الجهة الشرقية وجدد الأسوار وبنى جزءاً كبيراً منها من الجهات الشرقية والقبلية والغربية، وحفر السواقى داخل الدير لجلب المياه العذبة.



وانتعش الدير روحـياً، وترهب أناس فضلاء لم يكن همهم إلاّ خلاص أنفسهم. وتشهد المخطوطات التى كتبها بعضهم على الحياة الروحية التى عاشها هؤلاء المباركون، وعلى مدى عشقهم لحياة النسك والزهد وقوة إيمانهم وسمو روحانياتهم. فجذبت

سيرتهم الكثيرين حتى تزايدوا.. ويُقال إن عددهم وصل إلى حوالى مائتين وخمسين راهباً فى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً.

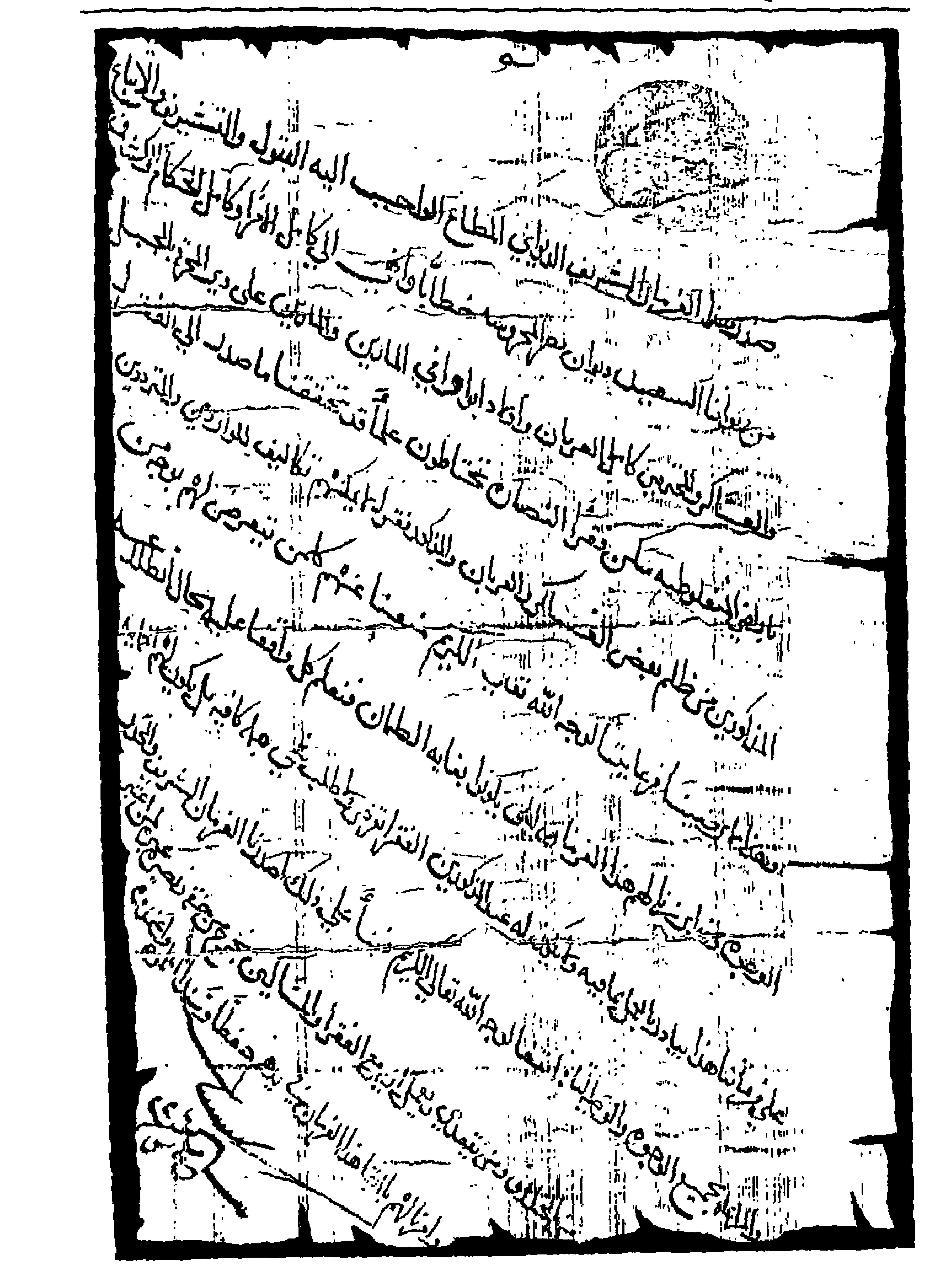
واشترى القمص عبد الملاك ١٢٣ فدان وكسور من الفدان، وكذلك منزلين فى بوق ومنفلوط لراحة الرهبان أثناء ملاحظة الزراعة. واهتم بترميم الحصن، وتجديد بناء الكنيسة القديمة، وأنشأ كنيسة القديس تكلا هيمانوت للرهبان الأحباش الذين تزايد عددهم، بالاضافة إلى منزل للرئاسة وقلالى كثيرة للرهبان.

وكان هذا الأب عالماً فى كتب البيعة، ناسخاً ماهراً وحكيماً فى سياسة الدير وأعماله، حتى إن البعض لقبه ببطريرك الصعيد.. ولم يتهاون فى حقوق الدير، فاستصدر الأوامر الخاصة من الحكومة لحماية الدير وأراضيه الزراعية. وقيل إنه اصطحب خمسة عشر راهباً وذهبوا جميعاً إلى إستنبول بتركيا حيث التمس مقابلة السلطان وعرض عليه ما يلاقيه الرهبان من شدة وظلم. فحظى برضى السلطان وأعطاه فرماناً يحدد أملاك الدير ويصون استقلاله.

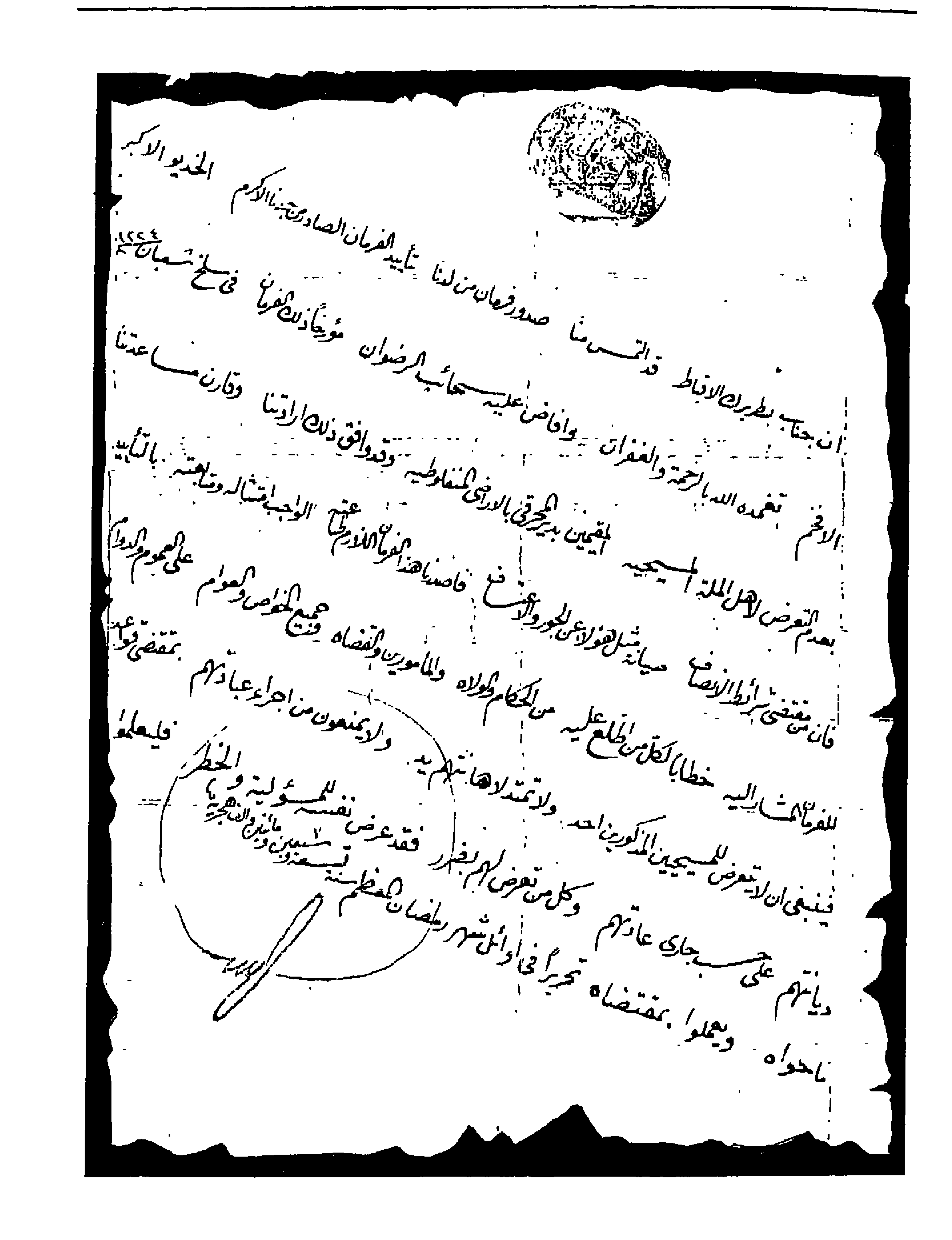
لقد تفانى هذا الأب الفاضل كثيراً لأجل مصالح الدير والرهبان، وأنعم الرب بنهضة على يديه لم تحدث منذ زمان طويل فى الدير. ولكن لأنها حديثة النشأة، واجهت عقبات كثيرة بسبب عدم النضج الروحى والجهل بطريق الرهبنة الحقيقية، والحروب المتنوعة من عدو الخير من ناحية، وعدم وجود أب واحد مرشد للجميع من ناحية أخرى.. الأمر الذى أدى إلى ظهور مدارس فكرية مختلفة، منها الصالح ومنها الطالح ونضجت وتبلورت فى اتجاهات روحية متعددة. مما ترتب عليه خروج القمص عبد المسيح المسعودى الكبير مع بعض الرهبان إلى دير البرموس، وكان سبب بركة كبيرة هناك (كما سيذكر فيما بعد). كما خرج بعض منهم طامحاً فى السمو فى حياة التوحد والعزلة التامة عن العالم، فذهبوا إلى الأديرة البعيدة الموجودة بالصحراء، مثل الأديرة الأربعة ببرية شيهيت وديرى البحر الأحمر [وهى التى كانت عامرة بالرهبان فى ذلك الوقت].

هذا بالإضافة إلى بعض المتاعب التى كانوا يلاقونها من حين لآخر من العربان (وقد هدأت بعد النصف الثانى من القرن ١٩) الأمر الذى أدى إلى قلة عدد الرهبان..

وبعد مضى حوالى ٢٨ سنة من رئاسته، ذهب بعض الرهبان إلى الأب البطريرك الأنبا ديمتريوس الثانى (١٨٦٢ ـ ١٨٧٠ م) ليشتكوا رئيس الدير ويطلبوا تنحيته.. فوافق الأب البطريرك، وقدم القمص عبد الملاك استقالته فى سنة ١٨٦٦ م. وتوجه إلى أسيوط مع بعض محبيه من الرهبان واشترى أطياناً وأملاكاً بناحية العزّية بمركز منفلوط. ومنزلاً ليقطن فيه الرهبان.



فرمان محمد على بك الكبير



الخديو الاكبر

ان جناب بطريرك الاقباط قد التمس منا صدور فرمان من لدنا بتأييد الفرمان الصادر من جدنا الاكرم الافخم تغمده الله بالرحمة والغفران وافاض عليه سحائب الرضوان مؤرخا ذلك الفرمان في سلخ شعبان سنة ١٢٦٤ بعدم التعرض لاهل الملة المسيحية المقيمين بدير المحرق بالاراضي المنفلوطية وقد وافق ذلك ارادتنا وقارن ما عندنا فان من مقتضى شرائط الانصاف صيانة مثل هؤلاء عن الجور والاعتساف فاصدرنا هذا الفرمان اللازم طاعته الواجب امتثاله ومتابعته بالتأبيد للفرمان المشار اليه خطابا لكل من اطلع عليه من الحكام والولاه والمأمورين والقضاه ومن جميع الخواص والعوام على العموم والدوام فينبغي ان لا يتعرض للمسيحيين المذكورين احد ولا تمتد لاهانتهم يد ولا يمنعون من اجراء عباداتهم بمقتضى قواعد دياناتهم على حسب جاري عاداتهم وكل من تعرض لهم بضرار فقد عرض نفسه للمسؤلية والخطر فليعلموا ما حواه ويعملوا بمقتضاه تحريرا في اوائل شهر رمضان المعظم سنة تسعة وسبعين ومائتين والف هجرية

فرمان الخديوى اسماعيل

القمص بولس الدلجاوى (١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ م) :

بعد تنحية القمص عبد الملاك من رئاسة الدير، بموافقة البابا البطريرك تسلم الرئاسة من بعده الأب المغبوط ذو السيرة العطرة القس بولس غبريال الدلجاوى (القديس الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة).

ترهب هذا الأب بالدير سنة ١٨٤٨ م، ونظراً لسيرته العطرة، سمع عنه الأنبا ياكوبوس مطران المنيا، ولفضله وتقواه سامه الأنبا ياكوبوس كاهناً.

لكنه اشتاق العودة إلى الدير فرجع سنة ١٨٦٣ م ليعيش حياة السكون والهدوء. وعكف على ذلك إلى أن وقع عليه الاختيار لرئاسة الدير فى سنة ١٨٦٦ م بموافقة البابا البطريرك، فسيم قمصاً. وقد كان رجلاً روحانياً قديساً لا يهتم بما للعالم بل كان كل ما يهمه كيف يعيش لله.

وكان يقتنى فضائل عديدة منها محبة الفقراء وذوى الحاجة ومساعدتهم بسخاء دون حساب. إلا أن هذا الأب الفاضل لم يسترح، فقد حدث فى أيامه ما يعكر الصفو، لأن المحبين للقمص عبد الملاك كانوا يريدون عودته للرئاسة ولم ينسوا فضله وخدماته وتفانيه.. (هؤلاء غير الذين اشتكوه للبابا البطريرك).

وعندما زار البابا الدير ـ أثناء زيارته للصعيد ـ وبخ المنادين بالرئيس السابق فخضعوا على مضض.. إلى أن يحين الوقت المناسب. أما القمص القديس فكان فريداً فى رئاسته، واهتم بالرهبنة والإرشاد الروحى فجذبت سيرته الكثيرين من محبى حياة الكمال المسيحى، فرسم أربعين راهباً فى أسبوع واحد (٢٢ فى أول الأسبوع، ١٨ فى آخر الأسبوع) منهم القمص ميخائيل البحيرى، وأصبح عدد الرهبان حوالى ١٩٠ راهباً ورسم ثمانية قسوس. ومنهم من تقلد منصباً قيادياً هاماً فى الكنيسة مثل الأنبا متاؤس مطران الحبشة والأنبا مرقس مطران إسنا والأقصر والأنبا بطرس مطران الحبشة أيضاً والأنبا باخوميوس أسقف دير المحرق والأنبا أثناسيوس أسقف صنبو وقسقام..

وكان خادماً للكل الكبير والصغير.. واهتم باعفاء الدير من رسم الأيلولة على ١٧٢ فدان، وغرس حديقة خارج الدير (موجودة للآن). كما اهتم بنسخ مخطوطات عديدة لفائدة الرهبان (موجود منها الآن ١٨ مخطوطة).

ولما تنيح الأب ديمتريوس البطريرك سنة ١٨٧٠ م الذى كان يؤيد القمص بولس ويشجعه. سنحت الفرصة المناسبة لأولئك الذين كانوا يؤيدون رئاسة الرئيس السابق للدير (القمص عبد الملاك الهورى). فاتفق أحد عشر راهباً برأى واحد على عزل القمص بولس، بحجة أنه مسرف للغاية وغير قادر على إدارة الدير. وتوجهوا إلى البطريركية بالقاهرة. حيث كان النائب البطريركى (لحين اختيار البطريرك) هو الأنبا مرقس مطران البحيرة، وطلبوا منه عزل القمص بولس. وعكفوا على الانتقال بين القاهرة وأسيوط لمدة ستة أشهر تقريباً أملاً فى تحقيق هذا المطلب بواسطة الحكومة.

وتمكنوا من ذلك أخيراً، وحضروا إلى الدير بصحبة مندوب الحكومة من أسيوط، الذى طلب من القمص بولس تسليم ما فى عهدته، فرفض، فأمر المندوب بالتعدى عليه، فقال القمص ميخائيل الأبوتيجى (الذى كان واحداً من الأحد عشر) «لا تمدوا أيديكم إليه أبداً» ثم تسلم الرئاسة منه.

وظهرت قداسة هذا الأب القديس عند خروجه من الدير فكانت تبكيه كل عين لأنه أب رحوم، تقى وورع عامل بالوصايا الإلهية. وقد ذهب إلى دير البرموس ومعه بعض الرهبان. وكان لسانه يرتل : طردونى الرؤساء... من كلامك خاف قلبى. وكان سيخرج معه القمص ميخائيل البحيرى، إلا أن القمص بولس أقنعه بالبقاء ليكون خميرة مباركة للدير.. وقد صار بالفعل... وكانت مدة رئاسة القمص بولس حوالى أربع سنوات وثلاثة أشهر.. وقد زار دير المحرق وهو أسقف على الفيوم والجيزة سنة ١٩٠٢ م (كما سيذكر فى صـ١٤٤).

وصارت هذه الأحداث دروس لن تنسى...

[أما سيرة هذا الأب القديس فهى طويلة وعظيمة وخصوصاً بعدما صار أسقفاً. وقد وردت بالتفصيل فى الكتاب القيم الذى أصدرته أسقفية الفيوم عام ١٩٨٩م].

القمص ميخائيل فام الأبوتيجى (١٨٧٠ ـ ١٨٨٤ م) :

حضر هذا الأب إلى الدير سنة ١٨٤٢ م، وترهب ثم نال نعمة الكهنوت فى سنة ١٨٥٣ م. وكان من تلاميذ القمص عبد الملاك الهورى، وتولى رئاسة الدير سنة ١٨٧٠ م بعد خروج المغبوط القمص بولس.

حاول هذا الأب بنشاطه وأعماله تهدئة النفوس المضطربة نتيجة حوادث القمص عبد الملاك والقمص بولس. فاهتم بالرهبان وكان له مواقف عظيمة معهم، ورسم ٢٨ راهباً. كما اهتم بشئون الدير، فرمم الأسوار القديمة وبنى مخازن للغلال والمائدة (فرن الخبز) ومكاناً لضيافة الزوار ومأوى للمساكين وعابرى الطريق. وقام بشراء أراضى زراعية تصل مساحتها إلى ٢٣٥ فدان.

كما أنشأ كنيسة جديدة باسم السيدة العذراء (المعروفة حالياً باسم مارجرجس) مكان الكنيسة التى بناها القمص عبد الملاك الأسيوطى أواخر القرن ١٨. وجعل القمص يوحنا الإتليدمى الناسخ صاحب السيرة الطاهرة ينسخ القطمارسات اللازمة لهذه الكنيسة... بالاضافة إلى اهتمامه بنسخ كتب عديدة أخرى، وكانت له دراية بتجليد الكتب.

وبعد مضى ست سنوات على نياحة القمص عبد الملاك الهورى، رأى هذا الأب أن ينقلوا جسده من أسيوط ويدفنوه بالدير. فأحضروه إلى الدير باحتفال عظيم ودفن غرب كنيسة السيدة العذراء الجديدة (المعروفة باسم مارجرجس).

وكان القمص ميخائيل الأبوتيجى، مشهوداً له بالوداعة واللطف وكان مثالاً للفضيلة والتقوى والقدوة الحسنة حتى لقبوه بالرحوم.

ولكن لم يخلُ زمانه من المتاعب، لأن الذين أحبوا القمص بولس الأب الروحى لم يتفقوا معه. فكان يتقبل هذه الآلام بالشكر. وقضى بذلك زماناً وأحنكته الأيام (وقام بتعيين القمص صليب وهبة وكيلاً للدير ـ وهو من أبناء المغبوط القمص بولس ـ لتهدئة الخواطر)، وقد زكاه شعب إيبارشية أبى تيج للأسقفية، وسيم القمص ميخائيل الأبوتيجى أسقفاً باسم الأنبا ثاؤفيلس فى سنة ١٨٨٤ م على يد البابا كيرلس الخامس ١١٢ (١٨٧٤ ـ ١٩٢٧ م).

وهكذا أصبحت الحوادث السابقة دروساً لن تنسى، استفاد منها الآباء، أبناء القمص عبد الملاك الهورى وأبناء القمص بولس، فبعدما كانوا يتنافسون على بنوتهم لرئيس من الرؤساء اعتقاداً منهم أن انتسابهم هذا فخراً لهم بأسلوب : «أنا لبولس وذاك لأبلُّوس». [راجع ١كو : ٣ ـ ٤]. وبعد حوالى عشرين سنة قضاها الدير فى حالة عدم استقرار من جراء هذا التنافس الشديد. أصبح بعضهم شيوخاً، أحنكتهم التجارب والمحن، وفهموا روحانية الرهبنة الحقيقية. هذا علاوة على الشيوخ القدماء الذين ثبتوا بغيرة روحية وزللوا جميع العقبات واهتموا كثيراً بتقريب وجهات النظر.. بصلواتهم وتضرعاتهم للحفاظ على سلام الدير الذى يعيشون فيه زمان غربتهم، لمحبتهم فى الملك المسيح..

وقد قال القمص صليب أحد آباء ذلك العصر، إن كل من يثبت فى الطريق الرهبانى ويسير فيه بالطاعة والاتضاع بقلب مستقيم ويعمل الخير والفضيلة، ويطلب الرب الإله من كل قلبه، يعطيه الرب راحة لضميره ولقلبه فى هذا الدهر الحاضر، ويجعل له نصيباً فى الملكوت وشركة مع الآباء القديسين..

القمص صليب وهبة [١٨٨٤ ـ ١٩٠٥ م] :

هذا الأب من كوم بدر مركز طهطا ـ محافظة سوهاج ـ ترهب سنة ١٨٦٤ م ونال نعمة الكهنوت سنة ١٨٧٠ م. وكان مثالاً للتقوى والفضيلة والنشاط فى الإدارة لذلك عين وكيلاً للدير فى رئاسة القمص ميخائيل الأبوتيجى ثم أصبح رئيساً للدير سنة ١٨٨٤ م ـ وذلك بعد رسامة القمص ميخائيل الأبوتيجى أسقفاً على أبى تيج باسم الأنبا ثاؤفيلس.

وبعد مضى سنة من فترة رئاسته، مرض مرضاً شديداً اضطره للخروج من الدير لمدة ثلاث سنوات [وكان وكيل الدير فى ذلك الوقت القمص بطرس الشامى]. وعند عودته استقبله الآباء بالفرح والتهليل.

ولقد اهتم القمص صليب وهبة بتعمير الدير اهتماماً بالغاً حتى لقبوه بالمصلح الكبير. فبالاضافة إلى أنه اشترى أطياناً زراعية بلغت حوالى ١٢٥٠ فدان، رسم ستة وعشرين راهباً والعديد من القسوس. وفى أيامه شرف الدير الأب البطريرك الأنبا كيرلس الخامس سنة ١٨٨٨ م.

كما سيم فى أيامه أيضاً القمص بطرس الشامى أسقفاً باسم الأنبا باخوميوس سنة ١٨٩٦ م حيث كان المرض المزمن قد أنهكه تماماً وطلب الاستقالة مراراً فلم تقبل لمحبة الرهبان فيه، أما الاستقالة الحقيقية فكانت انتقاله إلى السماء سنة ١٩٠٥ م. وترك بنياحته أثراً بالغاً فى قلوب الآباء لأنه كان يعظهم دائماً. وكان لفرط اتضاعه ومحبته يطلب منهم السماح عما قصَّر فيه. وكانت أيامه كلها سلاماً وطمأنينة.

عـــمل وكـــد، بـــر وتقـــوى :

كان الدير فى ذلك الزمان، أى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، عبارة عن خلية نحل، فالحركة مستمرة والنشاط متواصل. وذلك بفضل تشجيع الرؤساء والوكلاء الذين كانوا لا يهمهم سوى الحفاظ على مصلحة الدير.

وكانت طبيعة الدير كما هى منذ القدم لم تتغير، أبوابه مفتوحة دائماً لخدمة الجميع، للزوار والمترددين وسائلى الحاجة. وهى طبيعة ينفرد بها عن باقى أديرة ذلك الزمان التى كانت فى الصحارى البعيدة والتى قلّما كانت تجد من يزورها.

وقد كانت الحركة لا تهدأ أبداً فى الدير (ويبدو أن هذا كان أحد أسباب خروج بعض الرهبان إلى أديرة الصحراء البعيدة بحثاً عن حياة الوحدة والسكون).

وكما ذكر آنفاً فى تاريخ الدير أن هذه سمة الدير التى لن تمحى. لأن البركة الممنوحة له ليست لرهبانه فقط، ولكن لكل من يأتى إلى السيدة العذراء ـ صاحبة المكان الذى أوت إليه مع ابنها الحبيب ـ فى طلب أو حاجة متشفعاً بها.

كما ظهر فى ذلك الوقت عمل جديد هام أضيف إلى أعمال الدير ـ لم يكن موجوداً من قبل ـ ألا وهو إدارة الأطيان والإشراف عليها بعد تزايد عددها. مما يتطلب تخصيص مكان للإدارة وفتح السجلات المناسبة، وغير ذلك من المتعلقات الخاصة بهذا الشأن. وبالطبع يجب أن تكون هذه الإدارة بعيدة عن قلالى الرهبان، وبالقرب من مدخل الدير.

هذا بخلاف ما هو متبع فى باقى الأديرة لأنها بعيدة فى الجبال، أما إدارة الأطيان فهى كائنة فى العزبة الخاصة بها ـ والموجودة بالعمران ـ وكان رئيس الدير يقيم فى العزبة وينيب عنه الربيتة [ربيتة مختصر من رب بيت أى كبير بيته] الذى كان يقيم فى الدير. ولكن الأمر يختلف بالنسبة للمحرق لأنه كان فى ذلك الوقت من القرن ١٩ قريب من الأراضى الزراعية التى يمتلكها.

وبالطبع فإن حركة الإدارة لا تنتهى بالاضافة إلى الزوار المترددين من محبى السيدة العذراء.

الذين كانوا يأتون إلى الدير إما سيراً على الأقدام للقريبين من الدير أو بالدواب للبعيدين عنه لأن وسـائل المواصـلات الحالية لم تكن موجودة آنذاك.

كل ذلك جعل البعض عندما يدخل الدير يشعر وكأنه فى عزبة عنه فى دير. وهذا الإحساس

انطبع لأول وهلة لدى الأب جوليان اليسوعى R. P. M Jullien عندما زار الدير سنة ١٨٨٣ م وسجّل زيارته فى كتابه L'Egypte ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨. الذى نشره سنة ١٨٨٩ م فى مدينة ليل Lille بفرنسا، فهو يقول :

كانت الحركة دائبة من الجمال والحمير والجياد فى فناء الدير، وكأنه سوق ولكن لم تكن هناك أى فوضى أو ضجيج مرتفع.. والأبنية المخصصة لخدمة القاطنين كانت حافلة بالحركة وكان هناك خراف وخنازير تسير فى كل مكان وكانت أشبه بالعزبة الكبيرة عنه لدير.

ويقول العلامة أميلينو E. Amèlineau ـ الذى كان له علاقة طيبة مع بعض الأباء الرهبان ـ إن الدير فى أواخر القرن ١٩ كان آخلاً بـ ١١١٠ فرد من الرهبان والفلاحين التابعين للدير وبعض العربان الذين عهدوا على أنفسهم بحراسة الدير (بعدما شتتهم الحكومة فى مصر إلى الجبال).

وكانت هناك أعمال شاقة منوط بها الرهبان، كالزراعة فى أراضى الدير، وعمل الخبز بأنفسهم، وما يلزمه من تنظيف الغلال وطحنها وتحليلها وعجنها وخبزها. وأيضاً منهم من اشتغل فى الضفير لعمل المقاطف. (كما تعلموا حرف صناعة السجاد وعمل النعال بإتقان فى أواخر القرن ١٩). والبعض منهم كان يرسم الأيقونات الجميلة المتبقى بعض منها حتى الآن. وبعض منهم احترف النساخة والتجليد، وكتبوا ما لا يقل عن مائة وعشرين مخطوطة فى فترة لا تتجاوز خمسين سنة. [وأحد مصادر كتاب تفسير المزامير الذى طبعه الدير حالياً ـ والمكوّن من ثلاثة أجزاء ـ هو من تلك المخطوطات القيمة التى نسخها هؤلاء الأبرار لفائدتهم الروحية].

وكان الأسلوب المتبع فى تسمية الآباء الرهبان فى ذلك الوقت هو :

الاسم الأول : اسم الراهب الذى دعى به فى رسامته.
الاسم الثانى : اسم أبيه بالجسد.
الاسم الثالث : اسم البلد التى ولد فيها بالجسد أو المنطقة التى عاش فيها.
الاسم الرابع : اسم الدير الذى ترهب فيه.

ومن أمثلة ذلك :

القمص / بولس غبريال الدلجاوى المحرقى.
القمص / عبد المسيح صليب المسعودى البرموسى.

✣ ✣ ✣ ✣

وكان الرب حافظاً للدير لأجل أولئك الأبرار لجهادهم وكدهم المتواصل. فقد كان يشوّن حصاد الأراضى الزراعية خارج الدير من الجهة الشرقية البحرية. ويروى أنه عندما كان اللصوص يأتون ليلاً، يرون الشونة محاطة بعساكر مدججة بالسلاح، وقد اعترفوا بذلك عندما تأكدوا أن هؤلاء العساكر، ما هم إلا ملائكة أرسلهم الرب ليحفظ قوت الدير، لأجل صلوات وتضرعات أولاده الرهبان الذين يسيرون فى مخافته ورضاه.

ونبغ منهم الفضلاء الأتقياء وظهر بينهم الشيوخ والحكماء والمعلمون المحنكون فى الفضائل والمدربون على التقوى والمختبرون فى التجارب، والذين نبغوا على قدر ما لديهم من مواهب منحها لهم الرب الإله.

وماذا يقال هنا فى هذا الكتاب الصغير، عن أعمال وفضائل هؤلاء الأبرار الأتقياء التى تستحق أن يكتب عنها مجلدات. فقد كانوا إنجيلاً معاشاً ومقروءاً لكل من رآهم أو تعامل معهم. وقد كان لهم خدمات جليلة خارج الدير والبعض منهم كان يخدم فى كنائس لم يكن لها كاهن يخدم بها، وتركوا آثاراً طيبة فى قلوب مخدوميهم. وكان بعضهم يقوم بخدمة المترددين والضيوف بالدير وسائلى الحاجة. فكان الرب يبارك عمل أيديهم وجعل لهم نعمة فى أعين ناظريهم.

وقد كان هذا النشاط الروحى بتدبير إلهى عجيب، لأنه فى ذلك الوقت كان نشاط الطوائف غير الأرثوذكسية يتزايد. فكان للقمص عبد المسيح المسعودى الكبير قبل ذهابه لدير البرموس دور كبير فى المناقشات اللاهوتية والعقائدية التى كانت تتم بينه وبين الزوار الذين تأثروا بالفكر غير الأرثوذكسى.

وعندما وصل المرسل (المبشر) الأمريكى الدكتور يوحنا هوج سنة ١٨٦٥ م إلى أسيوط. وبدأ فى جذب الكثيرين بإنشاء مدرسة لاهوتية. كان أبناء الكنيسة ـ المتعطشون إلى معرفة الحقيقة ـ يتوافدون على الدير للاستفسار من الآباء.. لذلك كان على الآباء دراسة كتب الكنيسة الأرثوذكسية. فاهتموا بنسخ كتب القوانين الكنسية والعلوم الروحانية وتعاليم الآباء المستقيمة الرأى حتى يفنّدوا التعاليم التى ينادى بها هذا المرسل الأجنبى.. ولكن مع ازدياد نشاطه وانتشار أفكاره فى الصعيد، أنشئت فى نهاية القرن ١٩ مدرسة بالدير للرهبان بأمر البابا كيرلس الخامس حتى يمكنهم الاطلاع والدراسة أكثر.

فى ذلك الوقت كانت الكنيسة القبطية تصحو من سبات عميق فى الوقت الذى كانت فى الطوائف غير الأرثوذكسية قد بدأت تعمل بجدية مما أحدث رد فعل فى الكنيسة القبطية فنشط كثير من الغيورين على كنيستهم، ولا يتسع المجال هنا للحديث بتفصيل أكثر. ولكن يجب التنويه عن أن الناس فى الماضى كانوا يختلفون تماماً عنهم فى وقتنا الحاضر فنجد الآن روح التسامح والمحبة الإنجيلية تسود الكنائس المسيحية فى مصر وغدت الآية القائلة «مبارك شعبى مصر» واقع حقيقى يعيشه مسيحيو مصر.

وفى أواخر القرن ١٩ الميلادى ذاع صيتهم، وشهد لهم القمص عبد المسيح صليب المسعودى البرموسى الصغير عند وصفه لدير المحرق قائلاً :

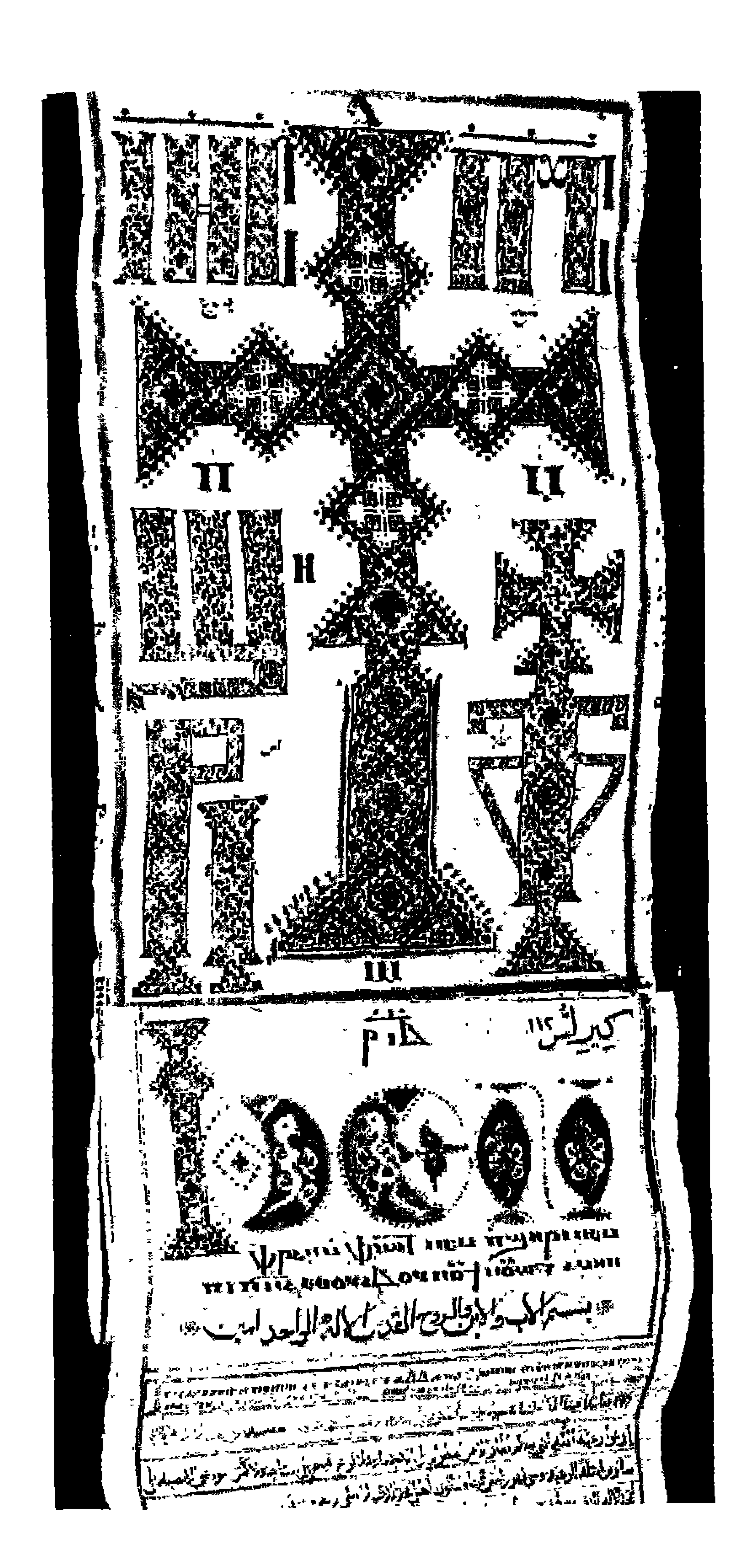
«فى أواخر القرن ١٩ الميلادى كان فى الدير آباء فضلاء متدينون ومتعقلون ومعلمون. ومنهم بعض النساخ وكان كثيرون مرتلين جياداً مستكملين الألحان والتسابيح الكنائسية» (تحفة السائلين ـ ص ١٠٦).

فزانوا الدير بوجه خاص والرهبنة بوجه عام، فتمجد اسم الرب فيهم، إذ رأى الناس أعمالهم الصالحة فمجدوا أباهم الذى فى السموات.

حكمـــة وتدبيـــر :

كما ذكر، أن في أواخر القرن ١٩ الميلادى اجتمعت شخصيتان لن ينساهما تاريخ الدير، وهما :

- القمص صليب وهبة رئيس الدير.
- القمص بطرس الشامى وكيل الدير.



تقليد
الأنبا باخوميوس فى ١٨٩٦م

كان القمص بطرس الشامى من بلدة الشامية ـ بأسيوط، ولما بلغ من العمر خمس عشرة سنة نقله أبواه من كتّاب بلدتهم إلى مدرسة بمدينة أسيوط، وبعد زمان يسير توجه مع بعض الرفقه لزيارة قريب له بدير المحرق ـ وهو القمص ميخائيل (الأنبا مرقس مطران كرسى إسنا والحدود) ـ وقد ترهب (أى القمص بطرس الشامى) على يد القمص بولس الدلجاوى (الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة). ثم صار من أحسن الرهبان نسكاً وفاق الشيوخ فى القيام بواجبات الرهبنة، وصار مثالاً فى العفة وسائر الفضائل، ولم ير بلدته على الاطلاق. ونال هذا الأب الفاضل نعمة الكهنوت نحو سنة ١٨٨٥ م.

وبعد أن عينه القمص صليب وهبة رئيس الدير (١٨٨٤ ـ ١٩٠٥ م) وكيلاً للدير، أصبح الساعد المساعد والعضد القوى والمشير الحكيم له. فلقد كان يعوّل عليه فى كل أعماله فلا يحل أو يربط أو يبرم أمراً إلا بعد مشورته، نظراً لما كان يراه فيه من

أصالة الرأى وإصابة الفكر، وحسن التدبير، والرصانة، وبعد النظر فى العواقب.

وكان رهبان الدير يحبونه حباً جماً، الشيوخ منهم قبل الشباب، لما اشتهر به من التقوى والفضيلة ومحبة الاخوة والمحتاجين. وكان الأنبا بطرس أسقف منفلوط ـ فى ذلك الوقت ـ يعوّل عليه فى أمور الأسقفية وتدبيرها.. وأنشأ هناك مدرسة، أحضر لها المعلمين المشهود لهم بالجدارة.



وبحكمة وإفراز روحانى، رأى الآباء المستنيرة بصيرتهم أن الدير يحتاج إلى درجة كهنوتية عالية تدير أموره الروحية والجسدية، وسائر خدماته الداخلية والخارجية ـ وبعد أن أصبح القمص صليب منهكاً بالمرض المزمن ـ تقدموا بالتماس إلى البابا كيرلس الخامس ١١٢ (١٨٧٤ ـ ١٩٢٧ م) لترقية القمص بطرس الشامى وكيل الدير إلى درجة الأسقفية.

فرّحب البابا بهذا الطلب
وأعّده جديراً بالاعتبار
واستحسن الفكرة فلبى
دعوة آباء الدير
ورسم القمص بطرس الشامى باسم
الأنبا باخوميوس فى ١٨٩٦ م
وكتب له تقليداً يعتبر
عظة تعليمية.

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

تقليد لابينا الانبا باخوميوس اسقف دير السيدة مريم بسفا مروما يخصه من البلاد

ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الانصبة بل صائرين امثلة للرعية ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذي لا يبلى (١بط ٥: ٢-٤) ∴

نمجد الاله الذي يصطفي من عباده من يخصه ويعرف الضمائر وافكاره ويختبر ظواهره واسراره وينتخب من حاز لواء الطهاره واكتسب عنوان القداسه والبراره واشتمل باثواب العفة والوداعة والتسى بسربال النزاهة والقناعة ويختار ان يرعى قطيعه الناطق الروحاني ويرقى كرسي رئاسة الكهنوت الالهي من تميز بالفطنة والحكمة والشهامة والاستطاعة وكان على جانب عظيم من العلم والمعرفة وحسن التدبير والبراعة ∴

اما بعد فاننا نهديكم ايها الابنا المباركون رئيس ووكلا وكهنة وشمامسة ورهبان دير العذرا مريم بالمحرق وما يليه سلام الله الرسولي الذي امتاز به المسيح عما سواه وخص به رسله بقوله سلاماً اترك لكم سلامي اعطيكم ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا (يوحنا ١٤: ٢٧) هذا السلام عينه الذي سكبه سيدنا المسيح بنفخه على هامات سادتنا الرسل حين كانوا مجتمعين في اورشليم بعلية صهيون لما قام من الاموات منتصراً على الموت بقوله لهم المره بعد الاخرى (سلام لكم يو ٢٠: ١٩و٢١) واقتبله التلاميذ بفرح منه بسر سلطان الكهنوت واقتبال موهبة الروح القدس وسلموا السلام منهم لخلفائهم الى ان بلغ لحقارتنا بواسطة سلسلة البطاركة الاسكندريين الجزيل وقارهم نرسله اليكم ايها الابناء المحبوبون بالرب ليكثر لكم بواسطته السلام وتزداد نعمتكم وتعلو لهما نيتكم ويرتفع شانكم وتقوى فضيلتكم وتكملوا في عبادتكم لله وصومكم وصلواتكم وسائر تصرفاتكم الدينية والادبية الروحية والجسدية الظاهره والخفية ∴

ثم انا نعلمكم ايها الابناء الحسنو العباده الجزيل وقارهم المباركون من الرب الاله بواسطة حقارتنا ان مشروعكم الجدير بالاعتبار وهو التماس اسقف يتولى تدبير امور دكم الروحية والجسدية وساير خدمة امور ديركم الداخلية والخارجية كما تفهم ذلك من التزكية

التي قدّمتموها لنا واخترتم فيها جناب القمص بطرس وكيل الدير المومأ اليهِ دون غيرهِ لترقيته الى درجة الاسقفية. قد حسن لدينا. فاننا
من هذه التزكية علمنا جملة امورٍ استحقت التفاتنا ونظرنا النظر بزكي حملتنا على تلبية دعواكم واجابة طلبكم. وهي: أولاً كثرة
الرهبان والاعتناء بهم والقيام بما ينبغي لهم ويجب من الامور الروحية وهي التعليم والتهذيب والتقويم والوعظ والإرشاد والحث
بغير انقطاع على الطاعة للهِ والعمل بسُنَنهِ ووصاياهُ والقيام بفروضهِ وشرائعهِ وقضاياهُ التي تتم بالنزاهة والعفة والطاعة
والوداعة. والزهد بحطام الدنيا الفاني. والانعكاف على السهر في الصلوة لله ليلاً والهذيذ باقوال انبيائهِ ورسلهِ وقديسيهِ نهاراً.
والمواظبة على الصوم والتقشف والإماتة واحتقار الذات والتواضع والانكسار والمسكنة. ومحبة بعض الرهبان لبعض المحبة
القلبية بغير رياءٍ التي تقوم بتبادل إكرام الواحد للآخر وتفضيلهِ واحترامهِ وتبجيلهِ وتوقيرهِ وتقبيلهِ. فانّ هذه هي
الصفات التي تميز المسيحي سيّما الراهب من غيرهِ وتزينهُ وتجعل له الحظ الاوفر دنيا واخرى. ثانياً الاعتناء بتتميم حياتهم الجسدية
وهذا الامر لا بد منه. فانّ للجسد واجباتٍ كما للنفس. ويستحيل ان يكون الواحد انساناً مفتكراً بدون القيام بواجبات جسدهِ
التي هي الاكل والشرب واللباس بطريقةٍ مقبولةٍ ولائقةٍ وممدوحةٍ. والنفس يستحيل عليها القيام بواجباتها بغير ما يكون الجسد
نائل مستلزماتهِ. فيرى من ذلك انّ النفس محتاجة للجسد لتستطيع ان تؤدي ما عليها من الفروض من نحو الله ومن نحو
ذاتها ومن نحو القريب. والجسد محتاج الى تلك الضرورات ليقتدر على القيام بخدمة النفس لانّ العبادة لا تتم بالجسد
دون النفس ولا بالنفس دون الجسد بل بكليهما معاً. ثالثاً حفظ ارزاق الدير واموالهِ واوقافهِ وحسن إدارتها وصيانتها
وقبض محصولها وصرفه في سبيل منافع الدير المادية والأدبية والدينية. واتخاذ الاحتياطات اللازمة والمحاذرات
الواجبة لمنع ما يعترض ذلك من المنازعات بخصوص متعلقات الدير المذكور بين الذين بيدهم حركة
استغلال ارزاقهِ وغيرهم من الحكمة والنشاط وبذل الجهد والمجهود في المحاماة عن شؤون الدير اذا اقتضت
الحال عند وجود اسبابٍ تستدعي اقامة الدعوى عند ارباب الحكم المدني الذين بيدهم الحل والعقد وايصال
الحقوق المهضومة الى ذويها ضد من يسعى في الاستيلاء على حقوق الدير بطريق الاغتصاب
او السلب او النهب او ينوي ذلك بمجرد النية. ثم بناءً على هذه الاسباب الثلاثة رأيتم وجوب رسامة اسقفٍ
يكون متحلياً بالورع والتقوى. متصفاً بالعفة والنزاهة. متزيناً بالحكمة والنشاط. أبيّ النفس متواضع القلب
طاهر السريرة نقي النية. خالص الطوية. نشيطاً في الاعمال خبيراً في الامور محنكاً في التجارب. ذا امانة وصداقة
حسن المعاشرة جميل المعاملة. بشوشاً في المقابلة. محباً لاخوتهِ الرهبان وغيرهم خادماً بدون تذمرٍ ولا تأففٍ بل بهمةٍ
ونشاطٍ. حليماً كثير الاحتمال وافر الصبر على مضض الاتعاب والاوصاب. وقد شهد تم ايها الابناء المباركون بانّ هذه
الاوصاف الحميدة والصفات المجيدة والخلال الممدوحة اجتمعت في شخص القمص بطرس وكيل ديركم التي نعهدها به نحن ايضاً
من قبل واخترتموهُ وقدمتموهُ لنا وفوضتم الامر لنا في تكريسهِ اسقفاً لكم. فقد قدّمنا مشيئة الله واجبنا ملتمسكم

الصالح ورغبتكم الجيدة والمستحقة كل ثناء وشكر ودعونا اخوتنا المطارنة والاساقفة الى القاهرة وألبسناه بمساعدة
صلواتهم وتضرعاتهم الاسكيم الرهباني الاسقفية ليلة الاحد مساء ٢٩ من شهر بابه ودعوناه باخوميوس وصباح الاحد
٧ من شهر هتور اتممنا رسامته بحضرة الاباء المومأ اليهم وقلدناه وظيفة الاسقفية وجعلنا سلطانه يمتد الى هذه الامور الآتية
وهي: اولاً قلدناه السلطة على رعاية الانفس في الدير وما يليه وفوضنا اليه ان يعلم ويرشد ويعظ ويقوّم ويدرّب
القطيع المسيحي ويهديه ويرعاه في مراعي الكمال المسيحي ويرقي من يستحق من أفراد هذا القطيع من الرهبان وغيرهم الى
درجة الأغنسطس والإبوذياكون والذياكون اي القاري وتابع الشماس والشماس والى درجة القسيسية والإيغومانسية
في كنيسة الله داخل الدير وما يلي الدير من كنايس اوقافه. ثانياً اعطيناه الولاية من قبلنا على حصر اموال الدير وحفظها
بطرفه وصرفها في سبيل منافع الدير خاصة كما تقضي بذلك القوانين الرسولية والمجمعية (راجع قانون ٣٦ و٣٨ و٣٩ من
الرسل وقانون ٧ من الدستلية وقانون ٢٩ من ٥٦ للرسل وقانون ١٤ لمجمع انقرا وقانون ٧ و٨ لمجمع غنغرا وقانون ٩ لمجمع انطاليه).
ثالثاً فوضنا اليه السلطة على ممتلكات الدير جميعها داخلاً وخارجاً عنه لكي يتولى ادارة حركة اوقاف الدير في مصر المحروسة
وفي منفلوط وفي البلاد القريبة والبعيدة ولكي يجمع الرسوم والديريه المعتاد جمعها سنوياً للدير المذكور من البلاد الموقوفة
والمحبوسة على الدير وحيث ان سياسة كنايس البلاد الموقوفة على الدير ورعايتها وتدبير حركتها لم تتولها اساقفة الايرشيات
الآخرين الا بالنسبة لعدم وجود اساقفة مختصين بالدير والظروف قضت للاسباب التي ذكرتموها في تزكيتكم
رسامة انبا باخوميوس اسقفاً على الدير وعلى ساير متعلقاته من الانفس والنفايس فمنذ الان فصاعداً صار انبا باخوميوس
اسقف الدير هو المسؤول لدى البطريركخانة عن ادارة حركة الدين في كنايس هذه البلاد وتعليم ابنائها وتهذيب شعبها
ووعظهم وارشادهم واقامة رعاة كهنة وشمامسة لهم والنظر في سائر مصالحهم والفصل في احكامهم وقضاياهم ومن
ثم فيجب عليكم ايها الابنا المباركون الكهنة والرهبان القاطنون في الدير والقائمون بفروض الاله والمنقطعون لعبادته
الالهية الليل والنهار ان تؤدوا ما يجب لاخينا انبا باخوميوس اسقفكم عليكم من الطاعة والاكرام والوقار وان تسمعوا له
وتفعلوا ما يامركم به ويشير به عليكم وتقبلوا نصايحه وارشاداته ووعظه وتعليمه ومن المعلوم ان واجبات كل
راهب تنحصر في ثلاثة امور وهي: اولاً البتولية ويدخل ضمن هذا الامر قمع اميال الجسد واذلاله وتسكين حركاته
بواسطة الصوم والنسك والعفة والنزاهة والاكتفاء بالقوت الضروري واللباس المناسب والابتعاد عن المعاشرات
المؤذية والمعاملات البطالة واجتناب الضحك واللهو والمزاح والسخرية: ثانياً الفقر المعنوي الاختياري وهو تجرد الراهب
من اموال هذا العالم وابتعاده عن المكاسب والمرابح ويدخل ضمن هذا الشرط الفقر المعنوي الذي يقوم بالمسكنة والروح
المتواضعة والقلب المنسحق والخشوع والرأفة والرحمة على المساكين والشفقة على الايتام والمنقطعين: ثالثاً الطاعة لله ثم
لرئيس الدير والقيام بواجبه وفعل ما يأمره وتلبية ما يطلبه ويدخل ضمن هذا الشرط تصرف الراهب نحو ابائه الشيوخ

الرهبان بغاية الخضوع والانكسار. ونحو اخوته الحدثان بالمحبة والمودة والصداقة والامانة والسيرة الصالحة المحمودة ∴
اما انت ايها الاخ الحبيب بالرب ابنا باخوميوس فاعرف قدر وظيفتك واوفها حقها واجتنب ما يشينها من الغلط والزم
صدقها واعمل فكرك ليلك ونهارك على القيام بفروضها ونواميسها. اعتن بالرهبان اعتناءك بنفسك. فما اجمل واجل
من عامل غيره معاملة نفسه. وجعل ذلك مكتوبا على الواح قلبه وقالب طرسه. المرضى منهم والعاجزون والقاعدون عن
الاعمال احذر ان تهمل في مصلحتهم فانك انت المسؤول عن راحتهم امام عرش الله وحضرة قدسه. والشيوخ الذين
قضوا عمرهم في عبادة الله وانهكوا اجسادهم بالنسك والعمل الصالح والسهر والصوم والصلاة وقعدت بهم الحال
عن الاشغال وقر شيخوختهم واكرم شيبتهم وامنحهم من الراحة والنياحة ما استطعت. واكثر بهم الاعتناء ما قدرت
والرهبان الكهولة اكثر لهم من التحريض على القيام بفرضي الصوم والصلوة فانهما اعظم زاد يتزودونه في قطع فيافي هذا
العمر وادراك مقر الحياة. والرهبان الشبان باشر بنفسك احوالهم وتفقدها. وردد بذاتك امور واحد فواحد منهم وتعاهدها.
وحرضهم على ان يتوموا دائما بقوانين الرهبانية ويمتطوا جواد اجودها. وانف بسلطان تعليمك لهم وتهذيبك ردي
العادات من نفوسهم واطردها. واطفئ بمياه تدبيرك الصالح نيران الشقاق والنزاع والعناد وعدم الاستماع التي يضرمها
فيهم عدو الخير واخمدها. وازرع في اراضي قلوبهم حب المحبة لبعضهم بعض فتسعد بزروعها وتحصدها. واجعل ابواب
مناهل العلم لهم ابدا مفتوحة. وصوب سهام التعليم نحو عجول جهلهم فتغدو امامك مقتولة ومذبوحة. وزين صوافن
جيادهم باجود المعارف فتكتسب الوزنات الصالحة المربوحة. وحاذر ان تفرق في معاملتك لهم بين واحد وآخر
فتكتسب الذنب العظيم او تخص بودك واحدا وتفضله على غيره فتستوجب العقاب الاليم. وبالاجمال فارعى
شعبك رعاية الراعي الامين. وحافظ على الايمان المسلم مرة للقديسين. ولا تزد ولا تنقص على ومن قانون الثلثمائة
وثمانية عشر النيقاوي وما اثبته بعدهم المجمعان الاخران القسطنطيني والافسسي الالهيان. ووقر الكهنة القائمين
بخدمة الله الايام والشهور والازمان. واجل قدر الاراخنة اولي البر والاحسان. واعتن بالفقراء الذين قعد بهم الدهر
والزمان. واتمم خدمتك الكهنوتية بنشاط رئيس الكهنة اثناء خدمته داخل قدس الاقداس. وكن خادما امينا ووكيلا
حريصا على الانفس والانفاس. واحذر ان تصرف اموال الدير التي عهدت ليدك في غير منافعه الصالحة فتخطئ الى ربك
وتخون بذمتك وعهدك ∴ جعلك الله ممن تفتخر البطريركانه به يوم ظهور رئيس الرعاة ابن البشر. وتقوم خطواتك
في اجود مقام واحسن مقر. واعانك على القيام بفروض هذه الوظيفة الى ان تبلغ بها الحد التام. وتسمع الصوت المعزي
القائل من رئيس السلام. نعما ايها العبد الصالح والامين كنت امينا في القليل فاقيمك على الكثير ادخل الى فرح سيدك (مت ٢٥: ٢١)
واقعد على الارائك الملكوتية. قعود من احسنوا عملا. ونالوا املا. بشفاعة السيدة مريم البتول والرسل واباء الرهبان
وسائر القديسين امين ∴

تحريرا في ٢٣ هتور ١٦١٣ للشهداء

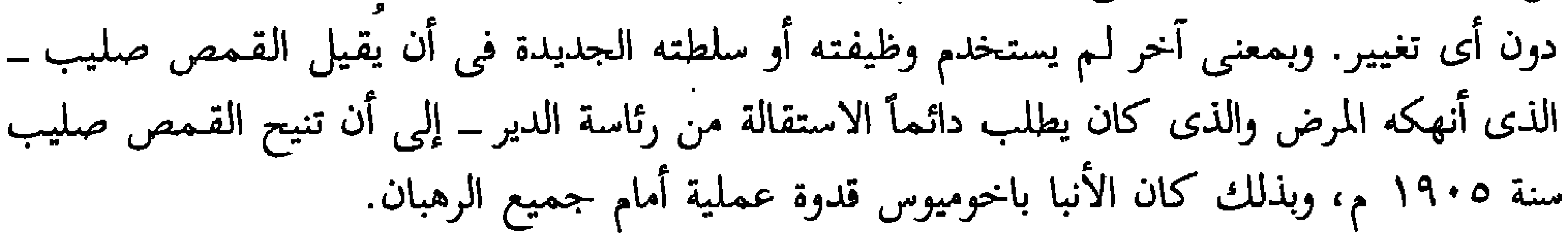
الأنبا باخوميوس الأول (١٨٩٦ ـ ١٩٢٨ م) :



يعتبر الأنبا باخوميوس أول من سيم أسقفاً على دير فى تاريخ الكنيسة القبطية، ولأنها خطوة جديدة قامت بها الكنيسة لأول مرة لذا واجهت بعض من الانتقادات والتحفظات، ولكن بحكمة البابا كيرلس الخامس تحملها وامتصها بكل هدوء. وكانت خطوة ناجحة، وفتحت باباً لرسامة أساقفة لأديرة أخرى مثل :

دير الأنبا أنطونيوس ودير الأنبا بولا ودير البرموس فى سنة ١٨٩٧ م.

والعجيب أنــه بالرغــم مــن أن الأنبــا باخوميوس رسم أسقفاً على دير المحرق فى حياة القمص صليب وهبة رئيس الدير، فقد استمر فى مباشرة أعماله ونشاطه فى الدير ومنفلوط،



دون أى تغيير. وبمعنى آخر لم يستخدم وظيفته أو سلطته الجديدة فى أن يُقيل القمص صليب ـ الذى أنهكه المرض والذى كان يطلب دائماً الاستقالة من رئاسة الدير ـ إلى أن تنيح القمص صليب سنة ١٩٠٥ م، وبذلك كان الأنبا باخوميوس قدوة عملية أمام جميع الرهبان.

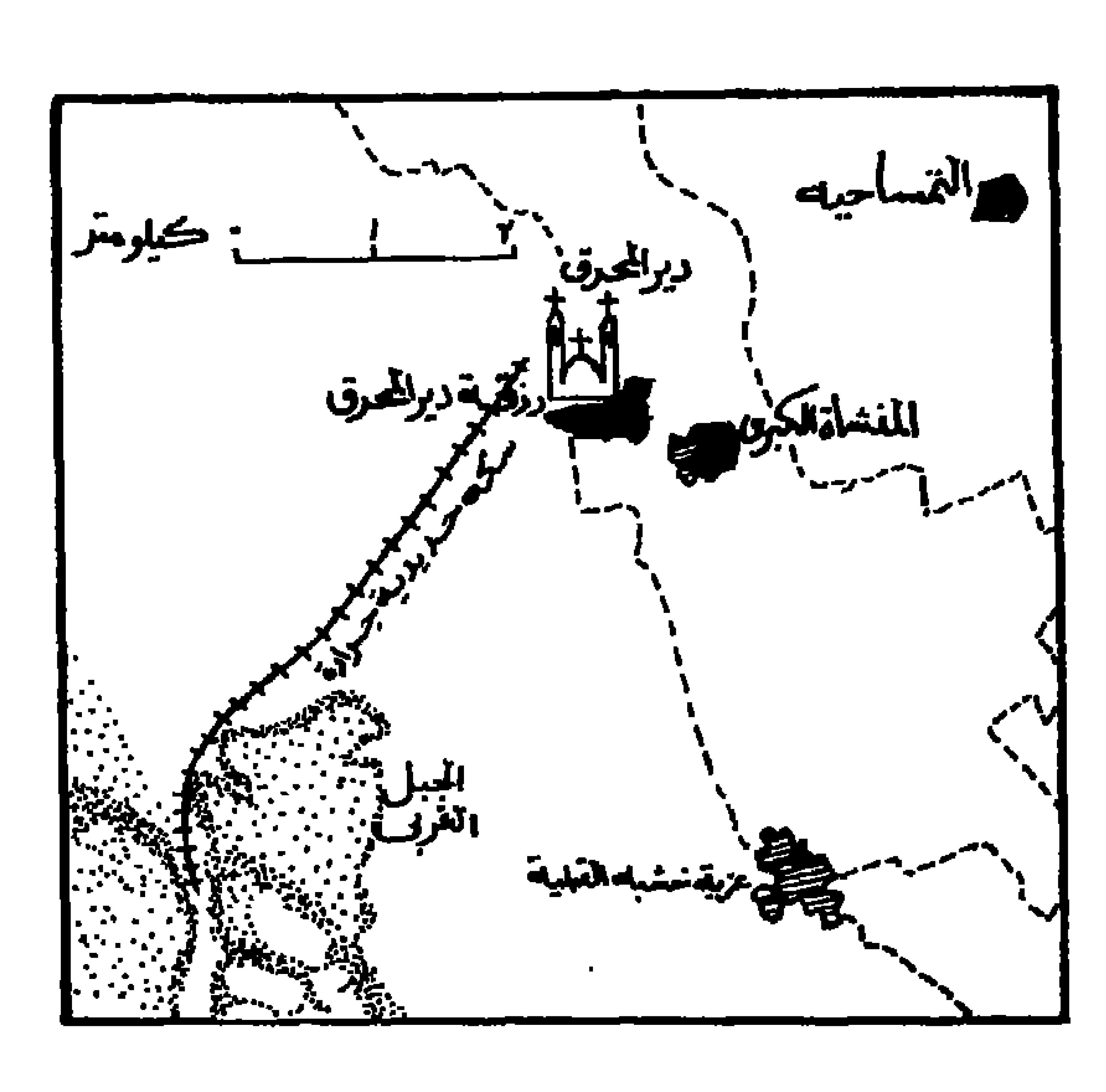
ولهذا الأب الجليل مآثر وأياد بيضاء لا تحصى ولا تعد ـ منذ أن كان وكيلاً للدير ـ أسداها للدير ورهبانه ولأهالى المناطق المجاورة، نذكر منها :

١ـ اهتم بتثقيف الرهبان، فأنشأ لهم مدرسة أحضر لها المعلمين الأكفاء من المدرسة الاكليريكية بالقاهرة (كانت تلقى الدروس على الرهبان فى الطابق العلوى من كنيسة مارجرجس الحالية إلى أن أنشأ القمص تادرس أسعد مدرسة الرهبان التى هى الكلية الإكليريكية الحالية بالدير).

٢ـ عندما لاحظ أن الرهبان منصرفون عن استكمال تدبيرهم الروحى بسبب انشغالهم وإرهاقهم فى أعمال زراعة الأراضى وعمل الخبز، استحضر فلاحين ومزارعين بمرتبات شهرية، وكذلك بعض العمال لعمل الخبز وجعل الرهبان يشرفون على أعمالهم فقط. فانتعشت حياة الرهبان الروحية وبلغ عدد الرهبان الذين ترهبوا فى رئاسته ٤٨ راهباً (هذا ما أمكن التوصل إليه حتى الآن). وقد تدعمت حياتهم أكثر بعد أن فاحت رائحة فضائل القمص ميخائيل البحيرى كقدوة وأب اعتراف لكثيرين.

٣ـ لاحظ أيضاً أن الاحتفالات الدينية التى تقام بالدير ويأتى إليها الآلاف من الزوار، تسبب تعباً وعثرة للرهبان حيث كان يقيم بعض الأهالى مع الرهبان داخل الدير وكانت بعض القلالى تؤجر بتصريح خاص من رئيس الدير الأمر الذى يتعارض مع الهدوء والاعتزال اللازمين للحياة الرهبانية حتى إن أباً مثل القمص ميخائيل البحيرى كان يغلق باب قلايته فى تلك الفترة ولا يخرج منها إلا بعد انتهاء هذه الاحتفالات.. لأجل هذا أمر الأنبا باخوميوس بإبطال هذه الاحتفالات نهائياً من الدير.

٤ـ قام بإعداد مشروع ضخم ألا وهو إعادة شاملة لبناء الدير على أحدث نظام صحى بما يتفق مع نظام الرهبنة الأصيل ومع تطور علم المبانى. فاستحضر الخبراء الفنيين لوضع التصميمات والرسومات الهندسية اللازمة مثل :

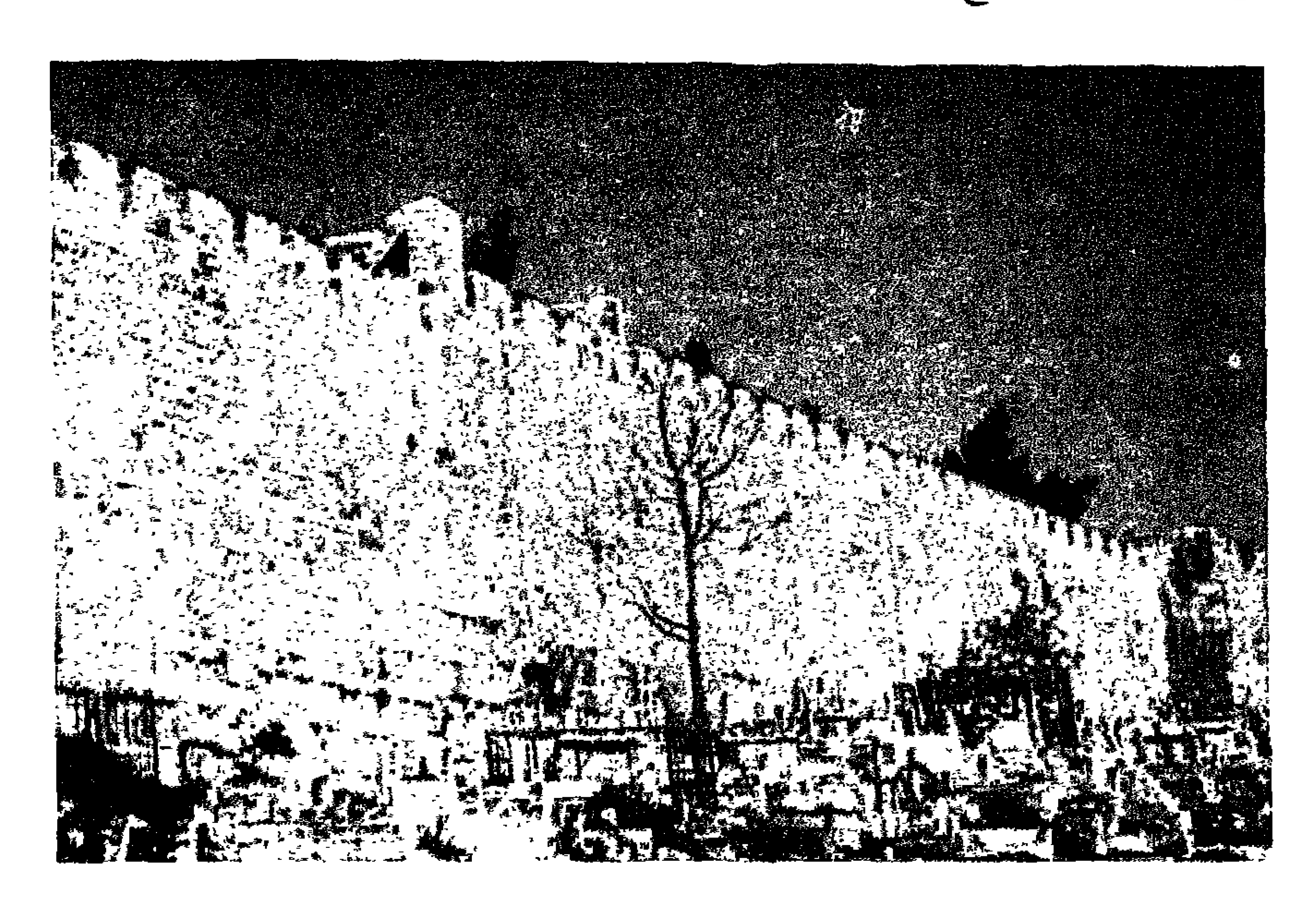


خريطة تبين موقع الدير والسكة الحديدية التى أنشأها الأنبا باخوميوس الأول لتوصيل الحجارة اللازمة لمبانى الدير

الأثرى الشهير المستر سومرز كلارك مهندس كاتدرائية سانت بول بلندن والمسيو باتركلو كبير مهندسى لجنة الآثار العربية. وقد أنشأ خصيصاً لهذا المشروع الضخم سكة حديد تصل بين الدير والجبل لجلب الحجارة بعربات تجرها البغال، وبدأ فى تنفيذ ذلك بتأسيس أسوار الدير سنة ١٩٢٠ م (على شكل أسوار أورشليم). كما بدأ فى بناء قلالى الرهبان سنة ١٩٢٦. وكان قبل ذلك قد أنشأ بيتاً للرئاسة ولاستقبال قادة الكنيسة فى الفترة من ١٩٠٧ ـ ١٩١٠ م. وأطلق عليها «القصر» نظراً لفخامته فى ذلك الحين. وفى نفس الوقت بنى مبنى قبلى القصر وهو ما يسمى بالوسية، ويتكون من عدة غرف لإقامة المرافقينْ لضيوف القصر. (ويكون بذلك هو أول من فكر بتجديد وتعمير دير بالكامل باستخدام الوسائل الحديثة فى القرن العشرين).

٥ـ اشترى سنة ١٩١٠ قطعة أرض فى مدينة أسيوط أنشأ عليها مبانى للايجار فرغ العمل فيها سنة ١٩٢٤ م، كما اشترى سنة ١٩١٩ قطعة أرض للبناء فى بلدة نزالى (شرق القوصية). هذا بالاضافة إلى أنه اشترى أراضى زراعية كثيرة وأيضاً صحراوية قام باستصلاح جزء منها وهى

التى تسمى حالياً كاروت واشترى كذلك عشرين وابوراً (ماكينة) لرى هذه الأراضى. وهو أول من أحضر ماكينة لرفع الماء بالدير.



ســـور أورشـــليم

حدث هام.. للحقيقة والتاريخ :

كان الأنبا باخوميوس حريصاً كل الحرص على حفظ رباط المحبة والوئام مع كل من يعرفهم، فعندما علم بحضور الأنبا متاؤس مطران الحبشة لزيارة مصر فى أوائل سنة ١٩٠٢ م، حرص على الذهاب لاستقباله ومرافقته، وحرص على استقباله أيضاً الأنبا مرقس مطران إسنا خاصةً أن هؤلاء الثلاثة كانوا من أبناء الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة منذ كانوا بدير المحرق.



وبعد أن أنهى الأنبا متاؤس مهام كثيرة، اهتم بزيارة الصعيد، فتوجه إلى الفيوم لزيارة القديس الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٠٢م. وفى ٨ أكتوبر ١٩٠٢م توجه إلى دير المحرق يرافقه القديس الأنبا أبرآم. وكان فى استقبالهما بمحطة سكة حديد النزالى (حالياً

محطة القوصية) أصحاب النيافة الأنبا مرقس مطران إسنا والأنبا باخوميوس أسقف دير المحرق وموظفو الحكومة وجمهور لا يحصى عدده من الأقباط. ونزل الآباء الأحبار الأجلاء ضيوفاً مكرمين بالدير حتى يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩٠٢ م، فى كل ترحاب وسعة. وبهذه الزيارة المباركة للقديس العظيم الأنبا أبرآم أزيلت كل الآثار المتبقية بعد ٣٢ عاماً ونترك الحديث هنا بدون تعليق وندع لتأمل القارئ الحبيب العنان.

وللأسف.. فإن هذه الحادثة لم تذكر فى المجلات والكتب الدينية التى نشرت سيرة الأنبا أبرآم بل على العكس من ذلك، فقد صوب البعض إلى الدير سهام النقد ورجموه بحجارة الكلمات الجارحة عند سردهم لسيرة الأنبا أبرآم. ولا نعلم لماذا؟!

معجـــــزة:

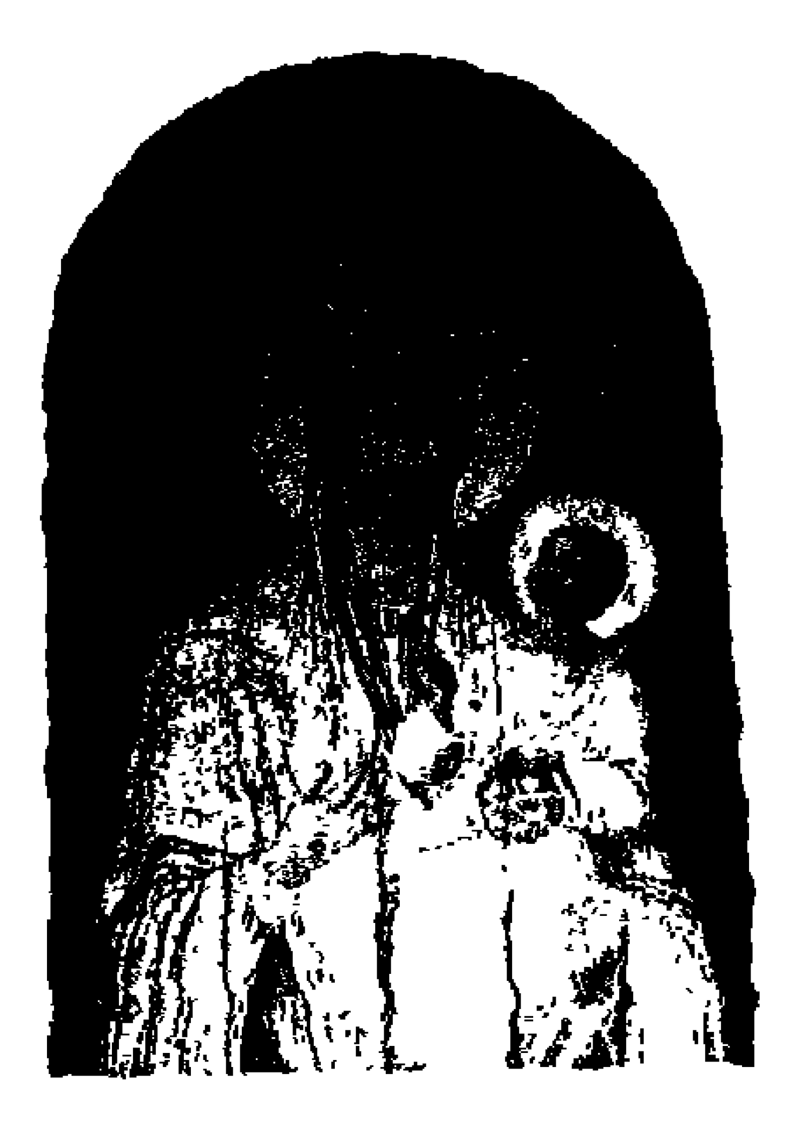
يروى نيافة الأنبا غريغوريوس نقلاً عن بعض شيوخ الرهبان الذين عاصرهم منذ عشرين سنة مضت حدثاً رائعاً لم يحدث له نظير فى جميع كنائسنا المصرية : ذلك أنه فى ليلة عيد القيامة المجيد فى إحدى السنوات، وكانت الأنوار مطفأة والهيكل مغلقاً أثناء ممارسة الطقس الذى يمثل قيامة المسيح، وكان الأنبا باخوميوس فى هيكل كنيسة العذراء الأثرية ومعه بعض الرهبان من الكهنة والشمامسة وبعد أن أخذ يرفع اللفائف التى على صورة القيامة، الواحدة تلو الأخرى، إلى أن وصل إلى الحنوط المدفون فيه الصليب المقدس مد يده ليبحث عن الصليب ولكنه لم يستطع أن يتوصل إليه لأنه أحس بأن يده ثقيلة، فهاله الأمر، وتحامل على نفسه ومد يده أكثر ولكن يده أرتعشت، فبكى لأنه رأى فى هذا علامة على خطيئته وعدم استحقاقه وحاول للمرة الثالثة، فإذا به يتوصل أخيراً إلى الصليب. وبغتة ينفجر من الصورة والصليب نور عظيم يملأ الكنيسة كلها فى داخل الهيكل وخارجه. وكانت فرحة ليس لها نظير وتعزى الأسقف وانتعش الرهبان بفرح روحانى ومجدوا الله، ولازال الأحياء منهم يذكرون هذه الواقعة التى رأوها بأعينهم وكانوا شهوداً لها، وقد أكد لى اثنان من شيوخ الرهبان وهما المتنيح القمص أرسانيوس المحرقى والقمص بطرس واصف المحرقى أنهما كانا فى الهيكل مع الأسقف عندما ظهر هذا النور المجيد. ولاشك أن هذه المعجزة حدث تاريخى يتيم، لم يحدث له قطعاً نظير فى أية كنيسة أخرى فى العالم إلا فى كنيسة القيامة بمدينة إلهنا أورشليم. وقد أضافت هذه الكرامة دليلاً جديداً على قيمة كنيسة العذراء الأثرية ومذبحها الذى دشنه الرب بنفسه، وأكدت أن هذه الكنيسة جديرة حقاً بأن تسمى أورشليم الثانية وجبل الزيتون رقم ٢ كما يروى تقليدنا القبطى. (انتهى حديث نيافة الأنبا غريغوريوس).

وبمراجعة سجلات الدير فإن هذه المعجزة تكون قد حدثت فى الفترة بين سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٧ م.

لقد كان الأنبا باخوميوس حازماً مفصلاً كلمة الحق باستقامة، وشهد له الذين عاصروه من

رجال الكنيسة والدولة لشهامته وحكمته وروحانيته. وكان إلى وقت قريب يترنم بسيرته وأعماله الصالحة الذين رأوه وتعاملوا معه. وإن كانت لم تخل مدة رئاسته من التجارب والضيقات ـ شأنه فى ذلك شأن كل الفضلاء الذين لنجاح طرقهم يجتازون المحن ـ إلا أنه تصدى لها بحكمته الروحية وحنكته التى منحها له الرب فاستطاع أن يسير بالسفينة بسلام إلى أن تنيح فى الرب فى ٢٢ مسرى سنة ١٦٤٤ ش (١٩٢٨/٨/٢٨ م).

والــدة الإلــه.. أم حنـــون



من أيقونات الدير قرن ١٩م

المتأمل ـ بأمانة وصدق ـ فى تاريخ الدير فى هذه الحقبة الأخيرة (أوائل القرن ١٩ حتى اليوم) لا يسعه إلاَّ أن ينطق بآيات الشكر والإجلال لرب المجد الذى حفظ ولا يزال يحفظ هذا المكان المبارك الذى وطأته قدماه ودشنته يمينه الإلهية.. فإن من أتى إليه لأجل خلاص نفسه، لا لغرض شخصى ولا لهدف عالمى، فإنه ينال البركات السمائية المعدة لمحبى اسم الرب القدوس.

أما أولئك الذين حاولوا تحويل الدفة لأغراض غير سمائية ـ خالية من الفكر الإنجيلى الأصيل ومن مفهوم الرهبنة الحقيقية ـ لا تمت للأسلوب المسيحى بشئ. قد فشلوا ولم تنجح مآربهم وطوت صفحات التاريخ على أعمالهم وأصبحت فى حكم النسيان. وبالعكس فإن الذين أحبوا الدير وتفانوا لأجل خدمة اخوتهم سوف لا ينساهم التاريخ لأن أسماءهم كتبت بحروف من نور وسيرهم فاح عبيرها الروحانى لأنها مجدت اسم الرب الإله القدوس.

كما أن البركة المقدسة التى منحها الرب لهذا المكان، صهرت قلوباً فى بوتقة الحب الإلهى وأعدتها لتقوم بخدمة الكنيســة فى مكان الصــدارة. فقــدم الدير فى الفترة (١٨٧٨ ـ ١٩٩٥م) ٢٦ راهباً رسمو أساقفة شهدت لهم الرعية بكفاءتهم وروحانيتهم.. كما تولى دفة القيادة بالدير شخصيات أعدتها السماء للحفاظ عليه فى الزمان والوقت المناسب لها.

وإن كان الدير بعد رئاستى الأنبا باخوميوس، والقمص تادرس أسعد التى انتهت فى سنة ١٩٣٦م مرت عليه ظروف غير مستقرة حيث كانت سياسة الدير غير هادئة وهبت عليه بعض الزوابع وخرجت بعض الصحف والمجلات المحلية والدولية تنشر بعض الحوادث التى حدثت بالدير فى ١٩٣٧، ١٩٣٩، ١٩٤٧، ١٩٥٩ م إلا أن السماء قد حفظت الدير مثل الأم التى تخاف على أولادها وأنعمت السيدة العذراء بحنانها العجيب فى تلك الفترات العصيبة بحمايتها لهذا المكان المقدس الذى أوت إليه لتحتمى فيه هى وابنها الحبيب..

ولقد سمح الرب بوجود شهود لكلمته المقدسة عبر هذه المحن، كان لهم الفضل فى الحفاظ على بركة هذا المكان، بصلواتهم وركبهم المنحنية وأعمالهم البارة.. أولئك كانوا منارات تشع بالإيمان المسيحى الحق.. هؤلاء الذين يشتم الدير الآن عبق سيرتهم العطرة ويعيش على بركة أعمالهم التى أنجزوها لخير الدير. الرب ينيح نفوسهم فى فردوس النعيم فى كورة الأحياء إلى الأبد..

وسنكتفى بذكر الأعمال المجيدة والمآثر التى أنجزت بعد رئاسة القمص تادرس أسعد وليس من المرغوب ذكر السلبيات، فهى دروس وعبر للرهبان.

سـمة لا تمحـى :

.. بقيت سمة المكان الذى التجأت إليه العائلة المقدسة، هى، هى.. لم تتغير منذ القدم، لأنها سمة لا تمحى منحها الرب لهذا المكان المقدس وهى أنه أصبح ملجأ مريحاً للمكروبين والمضطهدين، كما يتضح من تاريخ الدير عبر الأجيال. ففى وقت المحنة العصيبة التى مرت بها الكنيسة القبطية فى الخمسينيات، اختار مثلث الرحمات المتنيح البابا يوساب الثانى دير المحرق ليلجأ إليه ويعتكف فيه وذلك من ٢٤ سبتمبر ١٩٥٥م حتى ٢٤ يونيو ١٩٥٦م.

المتنيحون من رؤساء الدير بعد عام ١٩٢٨ م

القمص تادرس أسعد (١٩٣٠ ـ ١٩٣٦ م)

نشأ هذا الأب فى عائلة متدينة بعزبة توما ـ المجاورة للدير ـ وسيم راهباً فى ١٨٩٩/١/٢٠ م ونال نعمة الكهنوت فى ١٩٠٠/٤/٢٠ م. ولنشاطه ومحبته للجميع عينه الأنبا باخوميوس وكيلاً للدير. ثم أسندت إليه مهام الرئاسة سنة ١٩٣٠ م (١٦٤٦ ش). وفى فترة السنوات الست التى قضاها فى الرياسة، ترسم خطى الأنبا باخوميوس الأول، وتمم كثيراً من الأعمال الإنشائية التى كان قد بدأها الأنبا باخوميوس وتنيح قبل أن يتممها.. ومن أعمال القمص تادرس العديدة :



١ ـ شـيدً صوامع الرهبان من طابقين فى الجهة البحرية سنة ١٩٣٤ م على نفس التصميمات والنظام الذى سار عليه الأنبا باخوميوس من قبله.

٢ ـ شيدً مبنى مدرسة الرهبان.

٣ ـ بنى مخبزاً لعمل الخبز سنة ١٩٣٤ م.

٤ ـ بنى ديوان الوكيل وسكناً للزائرين.

٥ ـ أنشأ مدفناً للرهبان «طافوس» داخل الدير بعدما كانوا يدفنون بالجبل خارج الدير.

٦ ـ أنشأ ماكينة لعمل البلاط لتغطية أرضية مبانى الدير بالبلاط الملون.

٧ ـ قام بعمل بعض الترميمات فى الكنيسة الأثرية.

٨ ـ جدد بعض الماكينات والمواسير الارتوازية.

٩ ـ غرس جزءاً من الحديقة التى يجدها الخارج من الدير على يمينه ومساحتها ثلاثة أفدنة، واستصلح مساحات وأضافها إلى الحدائق التى بداخل الدير.

١٠ـ زاد عدد الرهبان فى عهده زيادة ملحوظة حيث رسم ٣٥ راهباً.

والأعمال التى قدمها هذا الأب للدير تنطق بعظيم فضله وتثبت تفانيه وخدماته الجليلة والعديدة لأجل الدير والرهبان. وكل الذين عاصروه شهدوا بدماثة أخلاقه وتسامحه ومحبته للجميع. لذلك عين مرة أخرى وكيلاً للدير فى سنة ١٩٥٧ م ـ إلى أن رقد فى الرب فى ٣٠ برمهات سنة ١٦٧٨ ش (١٩٦٢ م).

القمص سيداروس سعد (١٩٢٨ ـ ١٩٢٩)، (١٩٣٦ ـ ١٩٣٧)

ترهب بعد أن نال شهادة البكلوريا قسم اللغة الفرنسية. ثم رسم كاهناً وعين وكيلاً للأنبا باخوميوس، ثم رئيساً للدير بعد نياحته وقد رشح مطراناً لأثيوبيا، ولكنه رفض مفضلاً رئاسة الدير. إلا أن أباء الدير لم يرضوا برئاسته فأقام بالدار البطريركية ثم رجع إلى الدير فى ١٩٣٦ بأمر من البابا يوأنس ١٩. وفى سنة ١٩٣٧ تنازل عن الرئاسة ولازم الدار البطريركية إلى أن تنيح فى عام ١٩٤٢ م.

القمص دانيال داود (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ م)

ترهب هذا الأب الفاضل فى دير المحرق بتاريخ ١٩٠٦/٦/٢٠ م ونال نعمة الكهنوت فى ١٩١٨/٥/٥ م.

وفى سنة ١٩٣٠ قام بتأليف وطبع كتاب العقود اللؤلؤية فى شرح عقائد وأفضلية المسيحية، ويشهد هذا الكتاب على مدى علمه البالغ فى اللاهوتيات وعقائد الكنيسة بما يتفق مع الروح الآبائى الأصيل..

وقد انتخب رئيساً للدير فى ١٦ مارس سنة ١٩٣٧ م. وقد تمكن فى غضون المدة القصيرة التى

قضاها فى الرياسة ـ وهى سنتان وثمانية أشهر ـ أن يتمم الإصلاحات التى لم يتممها سلفه فى مبانى الدير.. فمن الأعمال التى قام بها القمص دانيال داود :

١ ـ بنى جزءاً من السور القبلى للدير بطول مائة متر على نمط السور الذى شيده المتنيح الأنبا باخوميوس الأول.

٢ ـ بنى الطابق الأول من البوابة الكبيرة الشرقية وما يتبعها من السور البحرى الشرقى نحو ١١٠ من الأمتار.

٣ ـ بنى ٦ قلالى (صوامع) للرهبان فى المربع الذى بدأه المتنيح الأنبا باخوميوس بالجهة الغربية.

٤ ـ اشترى ٣٤ فداناً ضُمت إلى أوقاف الدير.

وقد ترك الرياسة فى نوفمبر سنة ١٩٣٩ م، وتنيح بسلام فى ١٣ أمشير سنة ١٦٧٧ ش (١٩٦١ م).

الأنبا أغابيوس مطران ديروط وصنبو وقسقام (١٩٣٩ ـ ١٩٤٦ م)



ولد فى ساحل طهطا سنة ١٩٠٠ م وترهب فى دير المحرق باسم الراهب عبد النور، ورسم أسقفاً فى ١٤ يوليو سنة ١٩٢٩ م وتقلد رئاسة الدير المحرق ـ بعد القمص دانيال ـ علاوة على منصبه فى سنة ١٩٣٩ م. ومن أعماله :

١ ـ أكمل بناء البوابة الشرقية الكبيرة وما يتبعها من الجزء الشرقى البحرى من السور الذى بدأ به الرئيس السابق للدير.

٢ ـ بدأ فى بناء مساكن الرهبان فى الجزئين القبلى والشرقى من المربع الذى بدأه المتنيح الأنبا باخوميوس الأول إلى أعتاب الأبواب والشبابيك.

٣ ـ أسس مبانى الكنيسة الجديدة للزوار بمدخل الدير.

٤ ـ لبس الشكل الرهبانى فى عهده ثلاثة من الآباء الرهبان.

وقدم الأنبا أغابيوس استقالته من رئاسة الدير فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ م ـ (الموافق ١٩ طوبة ١٦٦٢ ش) أى إنه قضى فى الرئاسة نحو ست سنوات وشهرين. ليتفرغ لمهامه الأخرى وقد انتقل فجأة فى ١٣ أبريل سنة ١٩٦٤ م.

القمص أثناسيوس عوض (١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ م)

وبعد استقالة الأنبا أغابيوس اختير القمص أثناسيوس عوض رئيساً للدير فى أول فبراير ١٩٤٦ م (٢٢ طوبة ١٦٦٢ ش) وفى عهده اشترى كمية من الحديد لسقف مبانى مساكن الرهبان التى بدأ بها المتنيح الأنبا أغابيوس.

وقد لبس الشكل الرهبانى على يديه أربعة من الآباء الرهبان. ولم تطل مدته فى الرئاسة فقد سيم مطراناً لكرسى النوبة وعطبرة وأم درمان باسم الأنبا باخوميوس، فكان أول مطران يرسم خصيصاً للنوبة فى القرون المتأخرة.

وقد ترك رئاسة الدير فى يوليو ١٩٤٧ م أى أنه قضى فيها نحو سنة ونصف السنة تقريباً.

وقد تنيح هذا الأب الفاضل وهو مطران فى ٨ أغسطس سنة ١٩٦٣ م (٢ مسرى ١٦٧٩ ش).

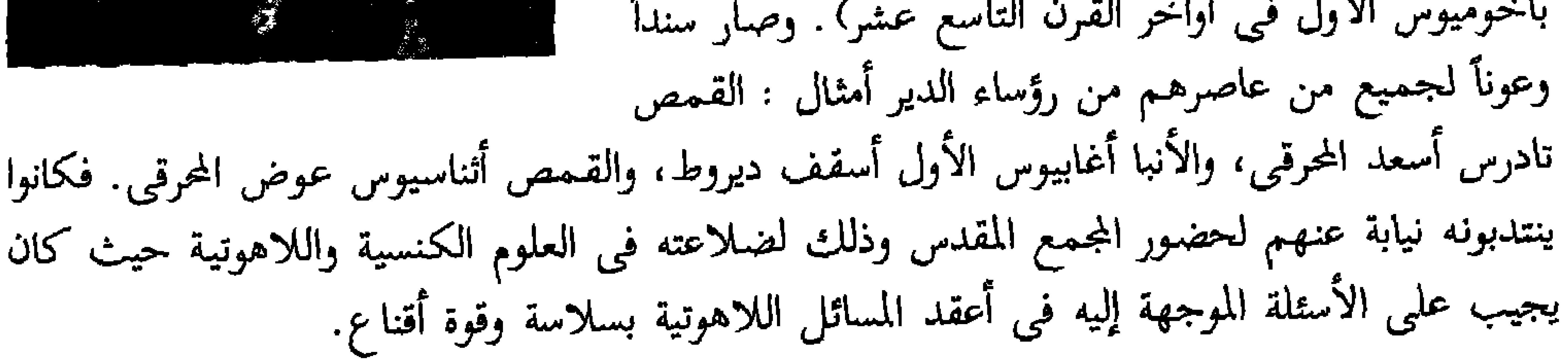
الأنبا باخوميوس الثانى (١٩٤٧ ـ ١٩٦٢ م)



ولد هذا الأب فى قرية الزرابى إحدى قرى مركز أبو تيج بمحافظة أسيوط وترهب بدير المحرق بأسم الراهب تاوضروس شحات المحرقى.

نال نعمة الكهنوت ثم أختير للخدمة فى أحدى الكنائس بمدينة منيا القمح بمحافظة الشرقية حيث أوكل إلى رهبان دير المحرق الخدمة الرعوية فى هذه الابروشية وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

ثم عمل كوكيل لمطرانية منفلوط ثم كاهناً لكنيسة مارجرجس الجيوشى بشبرا مصر وبعد عودته للدير أختير ناظراً للمدرسة اللاهوتية (التى أنشئت بالدير على يد الأنبا باخوميوس الأول فى أواخر القرن التاسع عشر). وصار سنداً



وعوناً لجميع من عاصرهم من رؤساء الدير أمثال : القمص تادرس أسعد المحرقى، والأنبا أغابيوس الأول أسقف ديروط، والقمص أثناسيوس عوض المحرقى. فكانوا ينتدبونه نيابة عنهم لحضور المجمع المقدس وذلك لضلاعته فى العلوم الكنسية واللاهوتية حيث كان يجيب على الأسئلة الموجهة إليه فى أعقد المسائل اللاهوتية بسلاسة وقوة أقناع.

أختير القمص أثناسيوس عوض المحرقى آخر الرؤساء الذين عاصرهم صاحب السيرة مطراناً بأسم الأنبا باخوميوس وذلك على كرسى النوبة وعطبرة وأم درمان وخلا منصب رئاسة الدير نتيجة هذا

الأختيار فأجمع الآباء الرهبان على أختيار القمص تاوضروس شحات صاحب السيرة رئيساً للدير وذلك عام ١٩٤٧ م.

فى عام ١٩٤٨ م تمت سيامته أسقفاً ورئيساً للدير المحرق العامر بأسم الأنبا باخوميوس (وتمييزاً له عن الأنبا باخوميوس أسقف الدير السابق (١٨٩٦ ـ ١٩٢٨ م) لُقب صاحب السيرة بأسم الأنبا باخوميوس الثانى أو الصغير ـ والأنبا باخوميوس الذى يسبقه، لُقب بالأنبا باخوميوس الأول أو الكبير).

كان هذا الأب صاحب السيرة (الأنبا باخوميوس الثانى) لا يتهيب المواقف قوى الحجة ذا ذكاء وعبقرية فذة، أما عن مقدرته الوعظية فإذا وقف على المنبر للوعظ يملك المشاعر لشدة تأثيره على المستمعين مبكتاً إياهم على الخطايا ومظهراً عظمة الأبدية والملكوت.

وقد أجتمعت فى شخصه كل الصفات الجميلة وظهر حذقه وحسن أدارته سواء فى الإدارة العملية للدير وأوقافه ونظامه أو فى الإدارة الروحية بحسن قيادته الروحية لرهبان الدير.

ووضع أمام عينيه وصية سيده التى قال فيها : **«ما فعلتموه بأحد أخوتى الأصاغر فبى قد فعلتم»** (مت ٢٥ : ٤٠). فكان لا يدخر جهداً فى عمل الخير فلا يرد سائلاً جاء إليه. إن كان فقيراً يغدق عليه بالمال ويسد حاجته، وإن كان غنياً فيجد عنده أجابة لسؤاله أو ما يبغيه من مشورة مفعمة بالروحانية والشهامة والعلم الغزير حتى أن كثيراً من وجهاء القرى المجاورة للدير وأراخنتها كانوا يحتكمون إليه ليفض منازعاتهم ويوفق بينهم فلا يرفضوا له طلب ولا يخذلوا له كلمة. وكانت له مهابة تجعل أعتى العتاه يقف أمامه خافض الرأس خجلاً مستكيناً ومجيباً لطلبه مهما تحمل نتيجة ذلك من مشاق.

وقد كان الأب الأسقف صاحب السيرة سبّاقاً فى مجالات التنمية عاملاً على تعليم الفقراء، إجادة الأعمال ليأكلوا منها بدلاً من السؤال، فأنشأ المشاريع النافعة والمدارس للتعليم.

أما عن رعايته للرهبان فنجد ـ فى ظل أبوته ـ منهم الدارسين والمعلمين والمشرفين على جميع الأعمال الخاصة بالدير.

ومن أهم أعماله التى قام بها أثناء فترة رياسته :

١ ـ أكمل بناء مساكن الرهبان التى بدأها الرؤساء السابقون.

٢ ـ أدخل التيار الكهربى إلى مساكن الرهبان وإلى سائر مبانى الدير.

٣ ـ أصلح الأراضى البور والبرك برزقة الدير وزرع منها عشرة أفدنة.

٤ ـ عمل بهمة ونشاط على أستصلاح أطيان كاروت وقام بشراء ماكينات رى حتى أثمر المشروع.

٥ ـ غرس حديقة جديدة مساحتها عشرون فداناً وأخرى للفاكهة مساحتها أربعون فداناً.

٦ ـ أشترى عشرين فداناً من أجود أطيان التمساحية.

٧ ـ ردم بركة ماء كبيرة كانت أمام الدير من الجهة البحرية الشرقية.

٨ ـ سيم فى عهده سبعة من الآباء الرهبان.

٩ ـ أما أعماله العلمية :

أ ـ أنشاء المدرسة الابتدائية والمدرسة الاعدادية فى رزقة دير المحرق وقد صارت من أولى المدارس من حيث نتائجها.

ب ـ أنشاء مدرسة بالمنشية الكبرى بمبانى الحجر الدبش والخرسانة المسلحة على الطراز الحديث.

جـ ـ جدد مدرستى السراقنا والتمساحية.

د ـ أحضر المدرسين اللازمين للأربعة مدارس بمرتبات من الدير وذلك لتعليم أبناء البلاد المجاورة لمنطقة الدير.

أما عن الجوانب الخيرية :

فالمتفحص لحياة الأب الأسقف الأنبا باخوميوس (١٩٤٧ ـ ١٩٦٢) رئيس دير المحرق صاحب هذه السيرة العطرة يجد إن كثيراً مما قاله رب المجد عن أولئك الذين يقدمون يد المعونة والمساعدة سواء كانت مادية أو معنوية تنطبق عليه.

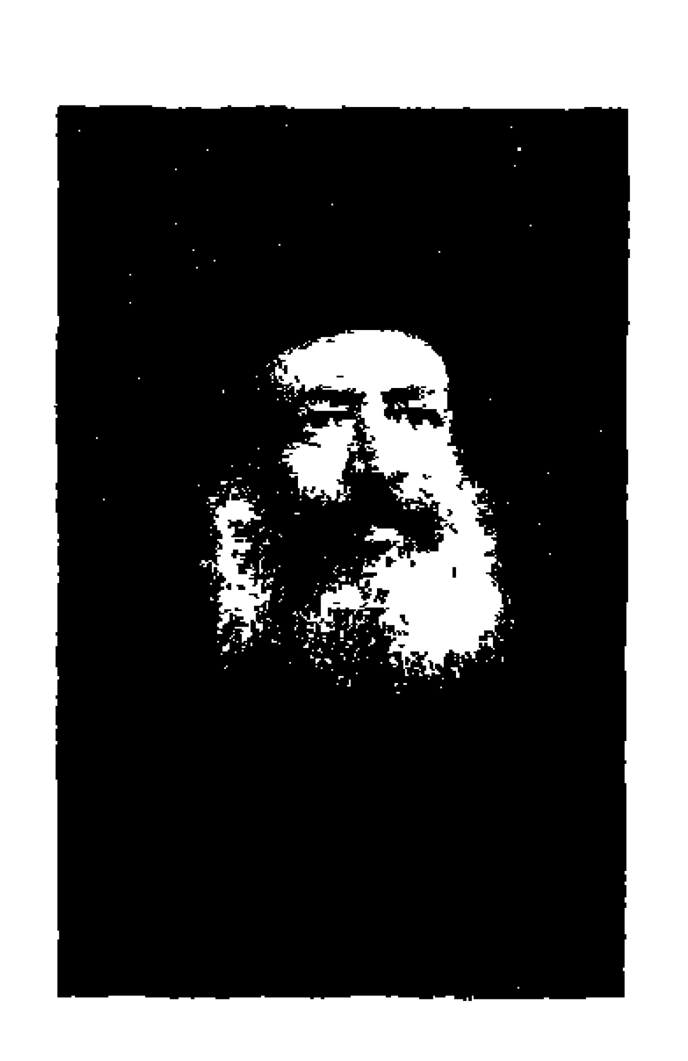
فقد كان لنيافته الدور البارز فى تعضيد الجمعيات الخيرية منها ما أسهم فى تأسيسها أو بأشتراكات مستديمة أو مساعدات وقتية. ويتضح ذلك من الرسائل التى أرسلت إلى نيافته والمحفوظة بالدير، يشكرونه فيها على ما قدمت يده الكريمة من مساعدات طالبين من الله له موفور الصحة ودوام أبوته الحانية. فقد كان صاحب السيرة أباً رحيماً خيراً لا يرد سائل عن طلب معونة لإجتياز محنة صعبة أو معونة مادية عاجلة. بل إن أُسر كثيرة كانت تأخذ معونات مستديمة. وطلبة فقراء كان يتبناهم فى سنواتهم الدراسية فقد كان نعم الأب لهم لذلك لاشك أن هذا الأب المكرم قد نال ما وعد به رب المجد لمثل هؤلاء الذين قال لهم : «**تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم... لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى، كنت غريباً فآويتمونى، عريان فكسوتمونى، مريضاً فزرتمونى، محبوساً فأتيتم إلىّ،....**» (مت ٢ : ٣٤ ـ ٤٠).

كما كان نيافته من السبّاقين إلى مد يد العون إلى أصحاب الكتب القيّمة التى لا تجد طريقها إلى النشر لعجز مادى. فقد كان لهم نعم المعين لنظرته البعيدة التى ترى أن الكتب والمنشورات القوية الدينية والعقائدية تثرى الوعى الدينى والثقافى عند الشعب القبطى، مما يؤدى ذلك إلى وجود إدراك ووعى قوى لديهم يستطيع أن يقف ضد البدع والهرطقات والأفكار الدخيلة. فقد كان صاحب السيرة لا يتوانى فى تقديم يد المساعدة حتى تخرج هذه الكتب إلى النور فيرسل أصحابها رسائل شكر لنيافته.

وفى ٢١ فبراير ١٩٦٢ م أنعقدت هيئة الأوقاف القبطية وأستعرضت موضوع نظارة أوقاف دير المحرق وقد رأت كما ذكر فى قرارها الرسمى أن حالة صاحب النيافة الأنبا باخوميوس الصحية (صاحب السيرة) لا تمكنّه من القيام بأعباء النظارة على الوجه الأكمل لذا ترى الهيئة ضرورة تعيين ناظر على أوقاف الدير منضماً لنيافته مع إذن الناظر الجديد بالانفراد بالادارة وقررت الهيئة تعيين جناب القمص قزمان المحرقى لهذه المهمة.

وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ م الموافق ١٥ توت ١٦٨١ شهداء تنيح هذا الأب الفاضل منتقلاً من الحياة الأرضية ولسان حاله يقول مع بولس الرسول : **«قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت الإيمان وأخيراً قد وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل...»** (٢تى ٤ : ٧).

القمص قزمان بشاى (١٩٦٢ ـ ١٩٧٢ م)



ولد فى عام ١٩٠٨ م.

ترهب بدير المحرق بتاريخ ١٩٣٥/٦/٨ م.

سيم قساً فى ١٩٣٨/٥/٣ م.

حصل على دبلوم الكلية اللاهوتية بحلوان ١٩٣٩/٥/٢٥ م.

رشح للبطريركية عقب وفاة الأنبا يوأنس فى ١٩٤٢ م.

عين ناظراً لمدرسة الرهبان سنة ١٩٤٧ م.

أصبح ناظراً لأوقاف الدير سنة ١٩٦٢ م (كما ذكر) وتسلم خطاباً رسمياً من مثلث الرحمات البابا كيرلس السادس يكلفه برئاسة ونظارة الدير.

ومن أعماله الهامة :

١ ـ أكمل مبانى السور الموجود داخل الدير بطول ١٢٠ متر.

٢ ـ أتم بناء كنيسة السيدة العذراء الجديدة عام ١٩٦٤ م التى تأسست عام ١٩٤٠ م. وقد استفاد الدير من هذه الكنيسة استفادة كبيرة حيث إنها أصبحت لخدمة الزوار، مما أدى إلى توافر الهدوء للرهبان داخل الدير.

٣ ـ وقد جدد مواسير المياه، ومولداً للكهرباء.

٤ ـ وهو أول من شيدّ صهريج المياه الحالى بالدير بدلاً من خزانات المياه التى كانت مركبة على كل منشأ بالدير والتى كان يصعب صيانتها.

٥ ـ كما رسم ١٢ راهباً.

وقد تنيح القمص قزمان بشاى فى ٢٥ مارس ١٩٧٥م (١٦ برمهات ١٦٩١ش).

القمص برسوم إبراهيم المحرقى



كان اسمه قبل الرهبنة يوسف إبراهيم ـ من كفر عبده بالدقهلية ترهب بدير المحرق فى ١٩٣١/١٢/١٨ م ونال نعمة الكهنوت فى ١٩٣٦/١/١٩ م.

أصبح رئيساً للدير فى سبتمبر ١٩٧٣ م.

سيم أسقفاً عاماً فى عيد العنصرة ١٩٧٧.

تنيح فى سلام الرب فى ١٩٨٦/٥/٥ م (٢٧ برمودة ١٧٠٢ ش).

وكلاء الدير فى القرن الحالى

استلم هذه الوظيفة أناس كان كل همهم ليس إلا خدمة الدير بكل تفان وإخلاص، وهم :

م	الاســـــم	الفـــترة	ملاحظـــــات
١	القمص متى عبد السيد	؟ ـ ؟	تنيح فى أكتوبر ١٩٢٣ م.
٢	القمص تادرس أسعد	؟ ـ ١٩٣٠ م	صار رئيساً للدير فى ١٩٣٠ م واستلم وكيلاً مرة أخرى (١٩٥٧ ـ ١٩٦٢ م)
٣	القمص يعقوب	؟ ـ ١٩٤٣ م	تنيح فى نوفمبر/ديسمبر ١٩٤٣ م.
٤	القمص غبريال عبدالسيد	١٩٤٣ ـ ١٩٤٨م	تنيح فى نوفمبر ١٩٥٦ م.
٥	القمص أنجيلوس جيد	١٩٤٨ ـ ١٩٥٢م	المتنيح نيافة الأنبا مكسيموس مطران القليوبية.
٦	القمص فليمون سعيد	١٩٥٢ ـ ١٩٥٧م	تنيح فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٥ م.
٧	القمص تادرس أسعد	١٩٥٧ ـ ١٩٦٢م	تنيح فى أبريل ١٩٦٢ م.
٨	القمص أغابيوس فاكيوس	١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م	المتنيح نيافة الأنبا اسطفانوس مطران النوبة وأم درمان وعطبرة
٩	القمص يسطس تاوضروس	١٩٦٣ ـ ١٩٧٥م	تنيح فى ١٥ مايو ١٩٨٠ م.
١٠	القمص بيشوى المحرقى.	١٩٧٥ ـ ١٩٧٧م	حالياً نيافة الأنبا ساويرس أسقف ورئيس الدير.

الديـــر اليـــوم



بعد اعتلاء صاحب القداسة البابا شنودة الثالث للكرسى المرقسى عام ١٩٧١ م أرسل نيافة الحبر الجليل الأنبا أغاثون أسقف عام الكرازة فى عام ١٩٧٢ م لادارة الدير وكانت نقلة حضارية فى تاريخ الدير حيث حرص على تعميره رهبانياً وعلمياً وإدارياً وذاع صيت الدير وبدأ يزحف على يديه شباب أفاضل ترهبوا فى الدير بتلمذته وتحت إرشاده.



قداســة البــابا شــنودة الثــالث
فــى ديـر المحـرق عـام ١٩٧٣ م



وقد رتب الرب، أن يختار أحد الشباب الغيورين على كنيستهم، الرهبنة فى دير المحرق، فرسمه نيافة الأنبا أغاثون راهباً باسم بيشوى المحرقى سنة ١٩٧٤ م ثم نال نعمة الكهنوت فى عام ١٩٧٥ م وعين وكيلاً للدير، إلى أن قام قداسة البابا شنودة الثالث برسامته خورى إيسكوبوس فى عيد العنصرة سنة ١٩٧٧ م وتقلد مهام الإدارة والقيادة الروحية. ولمحبة الآباء وتقديرهم له ذكّوه لدرجة الأسقفية، فسيم أسقفاً للدير والقرى المجاورة فى عيد العنصرة سنة ١٩٨٥ م.

والأعمال التى أنجزها هى شاهدة على محبته وتفانيه فى خدمة الدير ورهبانه.. ويكفى أن ننطق هنا بأروع كلمات الابتهال التى ترددها الكنيسة دائماً لأجل رعاتها الأبرار إلى الرب مخلصنا يسوع المسيح له المجد : أن يحفظ حياة حبيبنا الأنبا ساويرس سنين عدّة وأزمنة سلامية عديدة، مكملاً رئاسته ورعايته للدير ـ الذى أئتمنه الرب عليه ـ بطهارة وبر فى خير وسلام، كإرادته المقدسة الطوباوية. وأن ينعم عليه بالسلامة والعافية ويذل أعداءه ويسحقهم تحت قدميه سريعاً. ببركة شفاعة والدة الإله العذراء مريم صاحبة الدير والسؤالات والطلبات التى يرفعها عنا رؤساء الملائكة وكل الطغمات السمائية ورؤساء الآباء، والأنبياء، والآباء الرسل والشهداء ومصاف لباس الصليب والأبرار والصديقون. وأن ينعم الرب لنا، بغفران خطايانا وخلاص نفوسنا آمين.



لقاء قداسة البابا شنوده الثالث
مع آباء الدير فى يناير ١٩٩٣م

الكليـة الأكليريكيـة
«مدرسـة الرهبـان سـابقاً»



عندما ازداد نشاط المرسلين الأمريكان فى أسيوط فى منتصف القرن ١٩ الميلادى وبتزايد التساؤلات الكثيرة من أبناء الكنيسة فى النواحى العقائدية واللاهوتية. اهتم الآباء الرهبان بالدرس والإطلاع حتى يرووا عطش المتهافتين على معرفة الكنوز الروحية لكنيستهم القبطية. وقد استمر الدرس والإطلاع على شكل مجهودات فردية من قبل الآباء إلى أن اهتمت الكنيسة عموماً بتثقيف الآباء الرهبان ـ وعلى رأسها البابا كيرلس الخامس ـ بإنشاء مدارس للرهبان فى أديرتهم فأنشئت مدرسة للرهبان بدير المحرق على يد الأنبا باخوميوس الأول أسقف الدير فى نهاية القرن التاسع عشر وعين لها مدرسون أكفاء من خريجى المدرسة الإكليريكية بالقاهرة وكانت تلقى الدروس فى الطابق العلوى من كنيسة مارجرجس الحالية. وفى الثلاثينيات من القرن العشرين أنشئ مبنى خاص بمدرسة الرهبان (وهو الكلية الإكليريكية الحالية) وذلك فى وقت رئاسة القمص تادرس أسعد (١٩٣٠ ـ ١٩٣٦ م) واستمرت هذه المدرسة مزدهرة فقد كان المجتهدون فيها يرسلون إلى المدرسة اللاهوتية بحلوان لاستكمال دراساتهم اللاهوتية.

وعندما اعتلى البابا شنوده الثالث الكرسى البطريركى اهتم بالكلية الإكليريكية فرأى أن يُنْقَل القسم المتوسط الموجود بالقاهرة إلى دير المحرق. وكان أنسب مكان لها هو مدرسة الرهبان. وهذا لكى يتعود الطلبة على الجو الريفى بعيدين عن أضواء العاصمة. وبحيث يكون لهم منهج خاص يناسب خدمة الريف، وأيضاً لأسباب مالية تتعلق بالعجز المالى الكبير الذى تواجهه البطريركية. وكذلك لكى يكون لدير العذراء (المحرق) رسالة علمية يساهم بها فى خدمة الإكليريكية. وعرض قداسته الأمر على المجمع المقدس فوافق عليه وعلى المجلس الملى فوافق عليه. وهكذا تم نقل القسم المتوسط إلى دير المحرق.

وقد إختار له قداسة البابا مجموعة من مدرسي ومعيدى الكلية الإكليريكية نقلوا من القاهرة إلى الدير مع الاستعانة ببعض أساتذة المنطقة الإكليريكيين.

والدراسة فى الدير لها طابعها الروحى العميق، لدرجة أن كثيراً من المعاهد الدينية فى أوربا وأمريكا توجد فى الأديرة، وعندما أخذت احدى المجلات القبطية رأى قداسة البابا عن رأيه فى النهوض بالإكليريكية قال أريد أن تكون الكلية الإكليريكية دير أو شبه دير. يأخذ فيها الطالب إلى جوار العلم ما يفيده روحياً من حياة الدير وروحياته ونسكياته. وبنقل القسم المتوسط، وضع له برنامج خاص يتمشى مع هدفه فى خدمة الريف.

ولم يكن سهلاً على خريجى الإكليريكية بالأنبا رويس، الذين قضوا خمس أو ست سنوات فى القاهرة، أن يرجعوا إلى خدمة الريف، بعد أن ألفوا المدينة الكبيرة واعتادوا الخدمة فيها. لذلك أنشئت كلية إكليريكية بدير المحرق، لتخرج خداماً للريف يعتاد طلابها المعيشة فى جو ريفى، والخدمة فى جو ريفى... ويدرسون مناهج تصلح لخدمة الريف بعيدة عن الطابع الأكاديمى الذى لا يناسب القرى.

وقد جاء قداسة البابا شنوده الثالث يوم الأربعاء ١٥ سبتمبر سنة ١٩٧٥ إلى دير المحرق لتنشيط الإكليريكية وعقد اجتماعاً حضره أصحاب النيافة الأنبا أثناسيوس، والأنبا مكسيموس والأنبا لوكاس والأنبا أغاثون والأنبا صرابامون والأنبا ويصا، والأنبا بيمن والقمص برسوم المحرقى رئيس الدير وحضره مجموعة من هيئة التدريس بالإكليريكية.

وكان قداسة البابا قد أرسل خطابات إلى أصحاب النيافة الآباء المطارنة والأساقفة لكى يرسل كل منهم الطلبة الذين يرشحهم للإلتحاق بالقسم المتوسط بالإكليريكية تمهيداً لسيامتهم فى إيبارشيته.

وإستجابة لهذه الدعوة كان عدد الذين قبلوا فى ذلك العام أكثر بكثير جداً من طلبة العام الذى يسبقه.

كما تقرر أن يلحق بالدير فرع آخر للحاصلين على الدبلومات الفنية شرط أن يذكيهم أساقفتهم لإحتياجهم فى الخدمة.

وفى سنة ١٩٨٢ تحول القسم المتوسط إلى القسم العالى أى بقبول الحاصلين على الثانوية العامة وما يعادلها من الدبلومات الأخرى. حيث يدرس الطالب لمدة ٤ سنوات، وبعدها يحصل على بكالوريوس فى العلوم اللاهوتية والكنسية.

والكلية الإكليريكية لا تحتاج إلى تعريف أكثر عما قاله مؤسسها الأرشيدياكون حبيب جرجس :

«إن هدف إنشاء الكلية الإكليريكية هو تمجيد اسم الله أول كل شئ الذى أظهر القوة على أيدى الضعفاء من الناس، على أن يمجدوا اسمه القدوس وينشروا كلمته عالية بين الناس...

إن الأمم المسيحية الناهضة تختار رعاتها من أرقى المتعلمين رتبة ومن الحاصلين على أكبر

الدرجات العلمية ولا تنتخبهم إلا إذا كانوا من أرقى أبناءها عقلاً وأكثرهم خبرة وهذا ما تدعو إليه وظيفتهم لأنهم خدام الله ونائبوه على الأرض.

ويقول الكتاب المقدس أن الله إختار لهذه الوظيفة أفضل أبناء عصورهم فى العهدين القديم والجديد. فمثلاً موسى وصموئيل وإيليا واشعياء وبولس الرسول وبقية الأنبياء والرسل الذين إختارهم الرب قادة مصلحين. وبولس الرسول أسماهم وكلاء أسرار الله وسفراء المسيح ويكفى أن هدف هذه الكلية أن تؤهل خريجيها أن تكون وظيفتهم هى وظيفة الرسل والأنبياء. (وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا أخرين أيضاً» (٢تى ٢ : ٢).

وفائدة الإكليريكية للكنيسة هى إعداد الرعاة إعداداً دينياً كافياً ويعنى بهم عناية خاصة الذين أختيروا من أصحاب الكفاءات الممتازة لأنهم هم الذين يقودون الشعب إلى بر السلامة وإلى الخير المأمول، وكما عبر عنها بولس الرسول عندما قال «لا يأخذ أحد هذه الوظيفة لنفسه بل المدعو من الله» (عب ٥ : ٤) وقال أيضاً مار إفرام : أنه هبة تفوق كل عقل.

لذلك فالإكليريكية هى مصدر التعاليم الحية ومهبط الأخلاق الطاهرة النقية، وهى أم المجتمع... تصلح الفرد والمجتمع وتنشر العدل والطمأنينة والسلام... وتغرس الإيمان الثابت والمحبة الخالصة...»

[نقلت بتصرف من كتاب : المدرسة الإكليريكية القبطية الأرثوذكسية بين الماضى والحاضر ١٨٩٣ م ـ ١٩٣٨ م ـ تأليف حبيب جرجس مدير المدرسة].

معهد ديديموس للعرفاء والمرتلين

أنشئ المعهد ـ بالدير ـ فى أواخر السبعينيات لتخريج مرتلى الكنيسة والعرفاء الذين لا تستغنى عنهم الكنيسة القبطية لأنهم المتخصصون فى ممارسة طقس الكنيسة بإنتظام والمعايشون له يومياً والمحافظون عليه من كل قلوبهم لتفرغهم الكامل له وعدم ارتباطهم بأى مشاغل أخرى.

ومدة الدراسة فى المعهد خمس سنوات يتلقى فيها الطالب بعض المناهج التعليمية ـ بالإضافة إلى الألحان والطقوس الكنسية بالكامل ـ مثل :

+ دراسة فى العهدين القديم والجديد، وتاريخ الكنيسة.

+ حفظ المزامير

+ اللغة القبطية

+ اللغة العربية

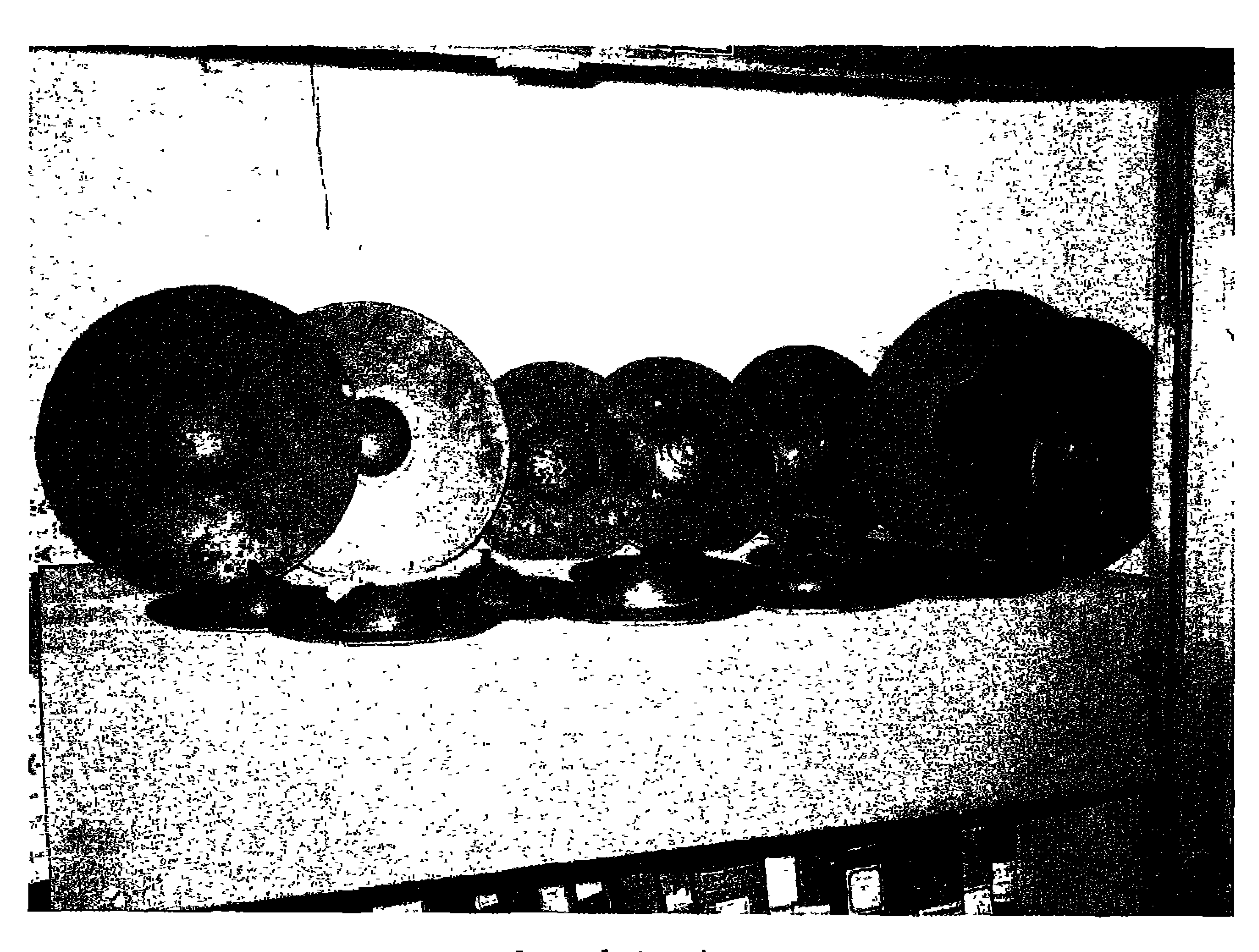
+ الحســـاب

وقد كان هذا المعهد ـ عندما أنشئ فرعه الرئيسى بالقاهرة ـ غالبية طلابه من المكفوفين، لذلك أطلق عليه اسم القديس ديديموس واستمر يحمل هذا الاسم إلى اليوم.

القديس ديديموس الضرير : ولد فى الأسكندرية فى القرن الرابع الميلادى. وأصيب بمرض فى عينيه وهو فى الرابعة من عمره. أفقده بصره، ولكن لرغبته الشديدة للحصول على العلم لم يمنعه فقد البصر ولا الفقر من إختراع الحروف عن طريق النحت حتى يتمكن من القراءة بإصبعه (وبذلك يكون سبق برايل الذى وضع طريقة الحروف البارزة للمكفوفين بخمسة عشر قرناً).

وقد عينه البابا أثناسيوس الرسولى مديراً لمدرسة الأسكندرية اللاهوتية سنة ٣٤٠ م، فكان أستاذاً ماهراً ومدافعاً قوياً عن الإيمان وإشتهر بفضائله ونسكه، فتقاطر طلاب العلم إليه من كل مكان وتتلمذ له كثيرون من ذوى البصر لذا لقب «بالأعمى البصير» وتمت الآية القائلة : «الرب يفتح أعين العمى» (مزمور ١٤٦ : ٨).

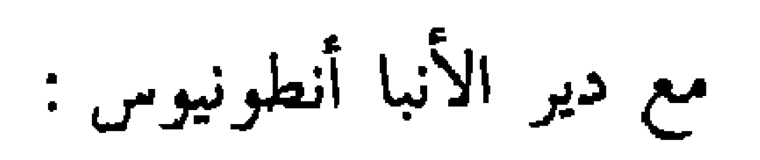
لقد أنار الرب قلبه وعقله وبصيرته الخفية فقام بتأليف عدة مؤلفات فى العلوم اللاهوتية وتفسيراً فى الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد). بركة صلاته تكون معنا، آمين.



دفـــوف قديمـــة

أسماء الآباء الأساقفة
الذين أختيروا من رهبان الدير
فى الفترة ١٨٥٤ ـ ١٩٩٥م

+ يشترك الدير فى الآباء الآتية أسماؤهم :-


مع دير الأنبا أنطونيوس :


الأنبا يؤنس

الراهب برسوم

الأنبا يوأنس - كرسى المنوفية (١٨٥٤ - ١٨٩٤م)

مع دير البرموس :

● القمص بولس غبريال الدلجاوى

- الأنبا أبرام أسقف الفيوم والجيزة (١٨٨١ - ١٩١٤م)

● القمص ميساك - الأنبا بطرس

- كرسى منفلوط وأبنوب (١٨٧٨ - ١٩٠٣م)

● القمص حنس - الأنبا إيساك

- كرسى بنى سويف والبهنسا (١٨٨١ - ١٨٨٣م)


الأنبا متاؤس

● القمص إقلاديوس الخالدى - الأنبا متاؤس

- كرسى أديس أبابا بالحبشة (١٨٨١ - ١٩٢٦م)

● القمص إقلاديوس الميرى - الأنبا بطرس

- كرسى أسمره بالحبشة (١٨٨١ - ١٩٢٢م)

● القمص ميخائيل نخلة - الأنبا أثناسيوس

- كرسى صنبو وقسقام (١٨٧٩ - ١٩٠٠م)

+ ينفرد الدير بالآباء الأتية أسماؤهم :-

ا - أساقفة تنيحوا :-

○ القمص ميخائيل - الأنبا مرقس

- كرسى إسنا والأقصر وأسوان (١٨٧٩ - ١٩٣٤م)


الأنبا مرقس


الأنبا ثاؤفيلوس

○ القمص ميخائيل الأبوتيجى - الأنبا ثاؤفيلوس

- كرسى أبو تيج وطهطا (١٨٨٤ - ١٨٩٦ م)

○ القمص بطرس الشامى - الأنبا باخوميوس

- أسقف دير المحرق (١٨٩٦ - ١٩٢٨ م)

○ الأنبا ثاؤفيلوس

- كرسى منفلوط وأبنوب (١٩٠٥ - ١٩٢٩ م)


الأنبا بطرس

○ القمص بطرس - الأنبا بطرس

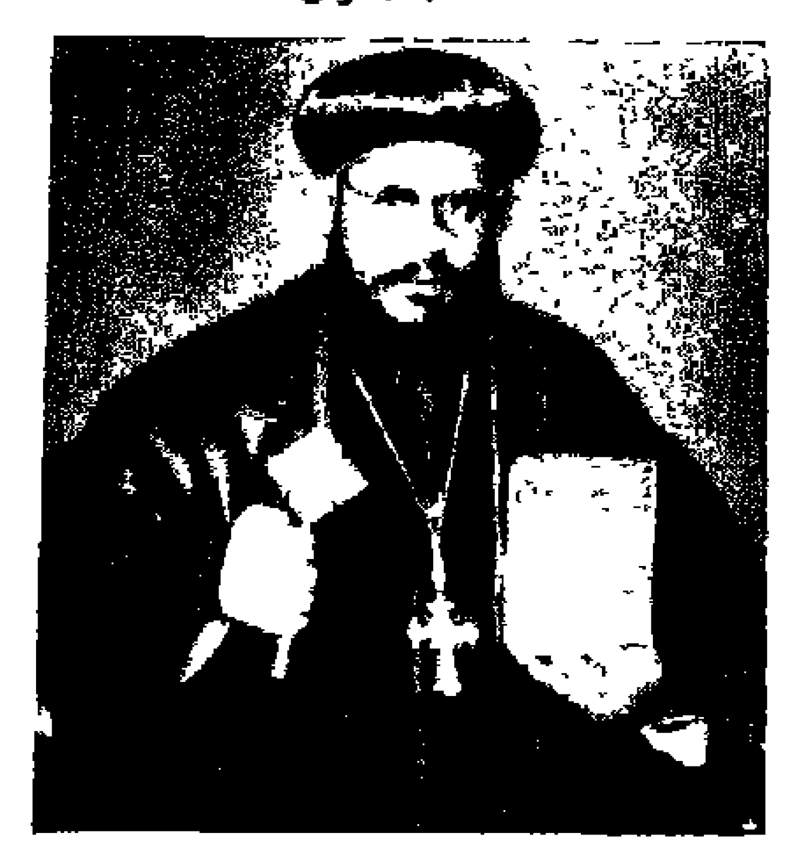
- كرسى أخميم وسوهاج (١٩٢٠ - ١٩٥١ م)

○ القمص عبدالنور - الأنبا أغابيوس

- كرسى ديروط وصنبو وقسقام (١٩٢٩ - ١٩٦٤ م)

○ القمص عبدالمسيح واصف - الأنبا لوكاس

- كرسى منفلوط وأبنوب (١٩٣٠ - ١٩٦٥ م)


الأنبا لوكاس

○ القمص أثناسيوس عوض - الأنبا باخوميوس

- كرسى النوبة وأم درمان وعطبرة.
(١٩٤٧ - ١٩٥٧ م)

○ القمص تاوضروس شحات - الأنبا باخوميوس الثانى

- أسقف دير المحرق (١٩٤٧ - ١٩٦٤ م)

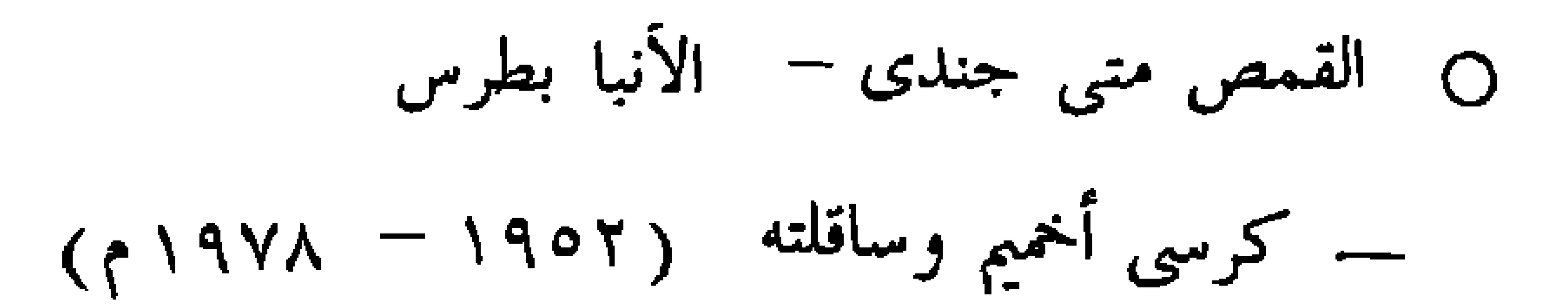

الأنبا أنطونيوس

○ القمص أنطونيوس - الأنبا أنطونيوس

- كرسى سوهاج (١٩٥٢ - ١٩٨٢ م)


الأنبا بطرس

○ القمص متى جندى – الأنبا بطرس


– كرسى أخميم وساقلته (١٩٥٢ – ١٩٧٨م)


الأنبا توماس

○ القمص دميان – الأنبا توماس

– كرسى النوبة وأم درمان وعطبرة

(١٩٥٩ – ١٩٦٣م)


الأنبا أغابيوس

○ القمص بولس – الأنبا أغابيوس

– كرسى ديروط وصنبو وقسقام

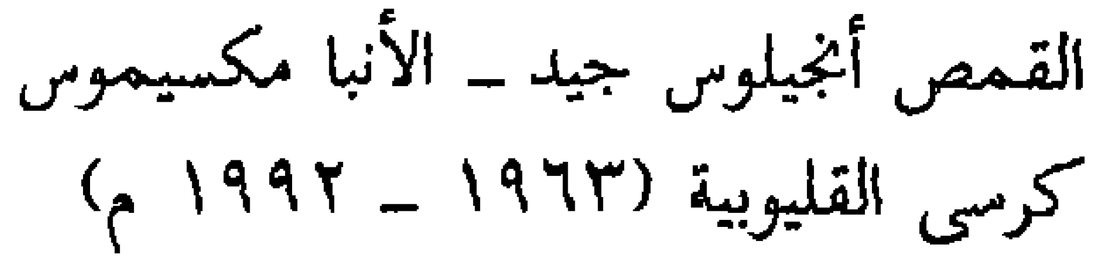
(١٩٦٥ – ١٩٨٤م)

○ القمص تيموثاوس – الأنبا يوساب – كرسى البلينا (١٩٧٠ – ١٩٧٢م)

○ القمص برسوم – الأنبا برسوم – أسقف عام – (١٩٧٧ – ١٩٨٦م)



الأنبا مكسيموس



القمص أنجيلوس جيد ـ الأنبا مكسيموس
كرسى القليوبية (١٩٦٣ ـ ١٩٩٢ م)

القمص أغابيوس فاكيوس ـ الأنبا اسطفانوس
كرسى النوبة وأم درمان وعطبرة
(١٩٦٣ ـ ١٩٩٢ م)

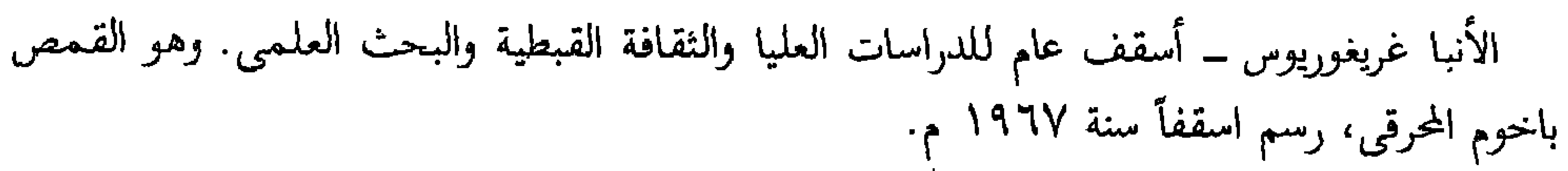


الأنبا اسطفانوس

ب ـ أساقفة اطال الرب حياتهم :



الأنبا غريغوريوس — الأنبا ساويرس — الأنبا بيمن



الأنبا غريغوريوس ـ أسقف عام للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى. وهو القمص باخوم المحرقى، رسم اسقفاً سنة ١٩٦٧ م.

الأنبا ساويرس ـ أسقف ورئيس دير المحرق ـ وهو القمص بيشوى المحرقى ـ سيم خورى إبسكوبوس سنة ١٩٧٧ م ثم أسقفاً على دير المحرق سنة ١٩٨٥ م.

الأنبا بيمن ـ أسقف نقادة وقوص، وهو القس رويس المحرقى، رسم اسقفاً سنة ١٩٩١ م.

زهرة مقتطفة من بستان الدير

حياة طيب الذكر القمص عبد المسيح المسعودى الكبير
أب رهبان دير السيدة العذراء برموس

هذا الأب الفاضل هو أحد ثلاثة آباء معروفين بهذا الاسم أولهم هذا الأب.

والثانى : القمص عبد المسيح بن عبد الملك المسعودى المحرقى.

والثالث : القمص عبد المسيح صليب المسعودى البرموسى الصغير (ابن أخ القمص عبد المسيح المسعودى الكبير).

ميلاده ونشأته :

ولد هذا الأب ما بين عامى ١٥٣٤ - ١٥٣٥ للشهداء (١٨١٨ م) فى قرية تدعى الشيخ مسعود غربى طهطا من أبوين تقيين وأسم أبيه جرجس واسم والدته سيدة. وكان أحد أربعة إخوة (ولدان وبنتان) مشهورين بالتقوى والاستقامة والتعقل إلا أن هذا الأب قد فاقهم كثيراً فى ذلك وكان منذ صغره ثابت القلب تبدو عليه أمارات الذكاء والنجابة. أما أخته الصغرى فقد ترهبت فى دير مارجرجس بحارة زويلة بالقاهرة.

رهبنته بدير المحرق :

ولما كملت له سبع عشرة سنة ترك بيته واختار السيرة الرهبانية وتوجه إلى دير السيدة العذراء بالمحرق أقرب الأديرة إلى بلده - ولبس فيه الشكل الملائكى فى السنة عينها وهى سنة ١٥٥١ للشهداء ١٨٣٥ ميلادية فى صوم الرسل. وأصبح حاراً فى رهبانيته حريصاً على اكتساب كل فضيلة واجتناب كل رذيلة، وسيم قساً ثم قمصاً فى فترة وجوده بالدير.

وكان قد أتاه صليب أخوه مرتين إلى الدير بقصد الرهبنة ولكن أباه وأخته الأخرى كانا يأتيان وراءه إلى الدير محتجين على أنه إن ترهب هو أيضاً فإن البيت (يُخرَبْ). فما كان هذا الأب إلا أن أخذ أخته وأراها القبور الواقعة غربى الدير وأشار إلى هذه القبور قائلاً : ها هى البيوت، معنياً بذلك أن أصحاب البيوت والذين عمروها زالوا هم أيضاً وسكنوا القبور.. وأن من اهتم بخلاص نفسه هو الفائز ولو ترك الأهل والبيوت. لأن هذا الأب كان يريد الرهبنة لأخيه ولكنه لم يرد أن يغضب أباه لحثه على الرهبنة.. فأخذوا صليب إلى البيت وزوّجوه وأنجب خمسة بنين وبنات (وكان القمص عبد المسيح الصغير هو ثالثهما فى الترتيب).

ودام الأب المذكور فى دير المحرق ثلاثة وعشرين سنة فى العبـادة ويجدر بنا أن نسـطر ما كتبـه عنه الأب القمص مرقس اليلوطى المحرقى الذى تتلمذ على يديه أثناء وجوده بدير المحرق موضحاً صفات أبيه الروحى وحياته الروحية ونسكه وزهده وتقشفه فيقول عنه : إن القمص عبد المسيح المسعودى كان يقضى الليل كله فى الصلاة والتسابيح والتضرعات بدموع غزيرة وتنهدات كثيرة وكان يقسو على نفسه مقدماً صلوات حارة طوال الليل.. وكان يقضى نهاره مطالعاً كتب الأباء القديسين مثل مار يعقوب السروجى ومار اسحق ومار إفرام السريانى والشـيخ الروحـانى والآباء الحاذقين فى العبادة مثل : مار اشعياء الأسقيطى ومار يوحنا التبايسـى والقديـس غريغوريوس ـ كذلك مطالعة الكتاب المقدس حتى الساعة التاسعة من النهار ثم يقوم للصلاة حتى الغروب وينام ساعتين أو ثلاثة على الأكثر ثم يستيقظ قاضياً بقية الليل فى الصلاة، وقد زهد فى متاع الدنيا فما اقتنى شيئاً لا أموال ولا ملابس غير ما يستر جسده فقط، وكان رحوماً.. محباً لاخوتـه أكثر من نفسه فلم يتميز عنهم بشئ من احتياجات الدنيا بل كان أقل منهم دائماً.. وكان وجهـه يضـئ بالنور كالملائكة.. مبتسم الشفتين ـ بشوش الوجه؛ حكيمـاً ذا فطنة ودراية مملوءاً من التعاليـم الروحية..

وكان ينسخ الكتب العربية الدينية بخط جميل.. وكان أعظم مساعد لمعلمه الأب الحكيم القمص عبد الملاك الهورى رئيس الدير وأنشاء الرسائل البليغة وكان يحثه على قراءة الكتب الروحية بحضرته فتقدم فى معرفة الكتب والحكمة وأتفق انه سافر إلى القاهرة حيث رشح للبطريركية فلما صار هناك توجه لزيارة برية شيهيت ونسخ هناك لنفسه ثلاثة كتب : لمار اسحق والأنبا باخوميوس والدرجى سنة ١٥٦٩ ش ثم عاد إلى دير المحرق.

وكان لهذا الأب دور كبير فى المناقشات اللاهوتية والعقائدية التى كانت تتم بينه وبين الذين تأثروا بالفكر الغير ارثوذوكسى ويشهد بذلك كتابه القيم (الايضاحات الجلية فى أمانة البيعة القبطية الأرثوذوكسية).

تركه لدير المحرق وذهابه إلى دير البرموس :

لحكمة إلهية انتقل إلى برية شيهيت وبصحبته بعض الأباء الرهبان من دير المحرق فسكنوا بدير البرموس سنة ١٥٧٣ ش ـ ١٨٥٧ م. فاجتمع وقتئذ بدير البرموس ثلاث أعمدة عظام ـ للقيام على أحوال الدير وتعليم الرهبان واجبات الديانة والرهبنة ـ هم الثلاثة الروحيين معلمى الفضيلة لأولادهم بالقول وقدوة الأفعال حتى كان رهبان الدير على أحسن حال فى النسك والفضيلة :

فالأول الأب الشيخ المبارك عوض البرهيمى الربيته أقدم الموجودين بالدير وقتئذ. وكان كفيف البصر مستنير البصيرة.

والثانى الأب الوديع المملوء رحمة ذو الصبر والاحتمال وطول الأناة وكثرة الجود القمص يوحنا الناسخ الذى كان قد ألبسه الشكل الملائكى الأب عوض البرهيمى المذكور سابقاً فى شهر توت سنة ١٥٦٧ ش وقدمه لدرجة الكهنوت ثم جعله شريكه ومساعده فى وظيفة الربيته، حيث كان ينسخ الكتب الكثيرة القبطية والعربية بخط جميل.

والثالث هو الأب عبد المسيح المذكور الذى لزيادة علمه وعمله وغزارة وقوة تعليمه جعلوه أب الاعتراف لكافة رهبان الدير. فازدادت ونمت حياة الرهبان الروحية تحت رعاية هؤلاء الأباء الأفاضل.

وفى ٢٣ بابة سنة ١٥٩١ ش (١٨٧٤ م) سيم الأب يوحنا بطريركاً وجلس على كرسى الكرازة المرقسية ودعى : الأنبا كيرلس الخامس (١١٢). وفى أواخر سنة ١٥٩٢ ش تنيح الأب عوض البرهيمى فأسف دير البرموس على غياب هذين النورين منه.. وبقى الأب عبد المسيح فى وظيفة الربيتة نحو خمس سنوات يقود الرهبان ويدبرهم أحسن تدبير بكل وداعة ولطف.

دعوته للأسقفية ورفضه لها :

وفى أثناء ذلك إنتخب ليكون أسقفاً لكرسى أسيوط فاعتذر لغبطة الأب البطريرك وقال أنا أريد أن أموت فى ديرى لا خارجاً عنه. كما أنى قائم بتدبير أحوال الدير ولا يليق أن أتركه فقبل عذره وأعفاه من وظيفة الأسقفية.. وفى أواخر سنة ١٥٩٣ ش انتخب مطراناً للحبشة. فلما علم ذلك أناب عنه القس عبد المسيح صليب إبن أخيه على الرهبان مؤقتاً وحضر إلى مصر متذللاً وضارعاً إلى البطريرك لإعفائه فسمع لقوله وتركه فعاد إلى الدير سريعاً.

تنحيه عن وظيفة ربيته :

وفى سنة ١٥٩٩ ش رغب أن يتنحى عن وظيفة الربيته فأجيب لطلبه وسلمت لغيره.. وقام من أولاده ثلاثة أباء فى وظيفة ربيته واحداً بعد الآخر خلال ١٢ سنة مساعداً لهم فآزرهم التوفيق.. وكانوا فى غاية الراحة والنجاح لمساعدته لهم فقد كان يقوم بأثقل الأعمال.

والحقيقة تقال أن فضائل هذا الأب لا تعد ولا تحصى فصار فريد عصره وكان له اعتبار عظيم وإكرام زائد عند الرهبان وخصوصاً عند الأب البطريرك كيرلس الخامس ـ صديقه الحميم ـ وأيضاً عند الأنبا يوأنس مطران البحيرة الذى ترهب على يد هذا الأب سنة ١٥٩٢ ش حيث كانت كلمته مسموعة عندهما وكان كلامه مملحاً بملح مؤيداً بأمثال وشواهد من الكتاب المقدس وذاعت فضائله وتقواه وعلمه.. ولم ير بيت أبيه منذ خروجه منه.

وأما تعاليمه للرهبان فلا يتسع المجال هنا لسردها بسبب كثرتها ـ ولاسيما تعاليمه لرهبان دير

البرموس الذين كانوا يعترفون على يديه، وبقى سنيناً عديدة ربيته للدير، وقد كان فضلاً عن همته مطالباً أيضاً بتعليم الرهبان.

وكان ينسخ الكتب العربية بخط جميل ويجلّدها وعمل المناطق والأساكيم، وكتابة الرسائل البليغة التى تسحر الألباب وتأتى بالمطلوب إن كان سلاماً أو بركة أو تعزية أو استعطاف، وترك نسخ الكتب من عام ١٥٩٥ ش فصاعداً بعد اختياره ربيته، وأصبح لا يكتب إلا الرسائل والمقالات وما شابه ذلك.. وما كان يقتنى ذهباً ولا فضة بل كان كل ما يأتيه من نسخ الكتب وغيرها يوزعه على الرهبان ويكتفى فقط بكسوته، (أى ملابسه الضرورية)..

ومن أهم رسائله رسـالة مطولة جـداً إلى غبطة البطريرك البابا كيرلس الخامس فى ١٢ برمودة سنة ١٦٠٣ للشهداء (سنة ١٨٨٧ ميلادية) ينصحه ويرشده ويوجهه بروح الأبوة، ولفرط اتضاعه ومحبته ذكر كلمة الله بالخطاب ٢٠٠ مرة لاحساسه أن هذا الارشاد ليس منه ولكنه من فم الله لرأس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (وقد طبع ونشر سنة ١٩٣١ م ـ بمعرفة فريد كامل، تحت عنوان : إلى كل راهب حقيقى يريد حياة نسكية صحيحة ـ لأنها وجدت جديرة أن تنشر).

ونقتطف بعضاً من اجزاء الخطاب الذى أرسله الأب القمص عبد المسيح المسعودى إلى البابا كيرلس الخامس (بتصرف) :

من عبد الله الداعى بأسم الله إلى محب الله...

وفى كل شئ وقبل كل شئ هذه هى وصيتى لك يا رجل الله. أن تلقى كل آمالك وكل اتكالك على يسوع ربك وحيد الله وحبيب الله ليصيب أملك وينجح عملك ويقيك الله. وتنجو من شر كل شيطان عنيد ومن كل أمر يغيظ الله. وأسألك يا حبيبى بالله أن تفوض كافة أمالك وأعمالك لتدبير الله. ليستريح قلبك وتستقيم طرقك بالله..

وعليك يا رجل الله. بستر عيوب خلق الله اكراماً لوجه المحبوب يسوع ربك وحيد الله..

وأوصيك يا حبيبى بالله مداومة ومثابرة الدعاء بالفم والقلب باسم يسوع كلمة الله وحكمة الله ومجد الله..

لا تترك أمراً ولا شيئاً يفصلك من الله. ليكون قلبك وعقلك بيتاً ومسكناً لحلول الله ويحبك الله. ويجب أن تصقل قلبك وتنظف ذهنك بجلاء ذكر الله. لتنظر فيك ربك يسوع نور مجد الله. وينكشف داخل قلبك معرفة أسرار الله وتجد يسوع ربك أقرب إليك من كل ما سوى الله وتتحد نفسك بيسوع حبيبها وحيد الله. وتلحق بالرجال الأبرار وتعدّ من خواص الله وتحظى بالسعادة الدهرية..

يا حبيبى يا عزيزى يا خليلى فى الله. اسألك بالله لا تشغل فكرك لحظة عن ذكر الله. ولا تحوى

داخل قلبك شيئاً سوى الله ولا تلتمس شيئاً غير الله. الأول الله والآخر الله. والباطن الله والظاهر الله. والحى الله والباقى الله والمجد لله والحمد لله، من عبد الله الداعى باسم الله إلى عزيزه محب الله رحمهما الله.

قدس قداسة السيد الافخم الآب البطريرك أنبا كيرلس كل عام وأنتم طيبين وبقيامة فادينا المخلص الوحيد مسرورين. (انتهى خطاب الأب القمص عبد المسيح المسعودى).

وفى أواخر حياته ألّف عدة كتب، منها :

١ ـ الايضاحات الجلية فى أمانة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وطبع سنة ١٦٠٦ للشهداء.

٢ ـ الأجوبة الجلية على ست مسائل بروتستانتية ومعه كشف الستور عن تمويهات تباع نسطور..

٣ ـ سيرة الأنبا باخوميوس أب الشركة سنة ١٨٩١ م وأضاف أيضاً صلوات كثيرة على كتاب صلوات الآباء الأبرار مار إفرام وغيره وتم طبعه سنة ١٦١٠ ش.

توحده فى أواخر حياته :

وفى أواخر حياته انقطع للوحدة مدة خمس عشرة سنة بدأها من الصوم الكبير سنة ١٦٠٧ ش فى قلالى أو مقابر أعدها بنفسه خارج الدير وأحياناً فى قصر الدير (الحصن) أو فى قلايته ومرة فى قلاية بقرب ديرىّ العذراء بالسريان والأنبا بيشوى.. وفى أوقات توحده خارج الدير أو داخله كان يثابر على أعمال العبادة والنسك والقداسة ومطالعة الكتب الروحية الحارة والسكوت المنقى لأفكار العبادة.

وكان يقيم منفرداً طوال الأسبوع. وفى ليالى الآحاد والأعياد الكبيرة يحضر للصلاة فى كنيسة الدير ويتناول أيضاً من الأسرار الإلهية ويعود إلى قلايته..

.. وبالطبع فإن ما ذكرناه عن هذا الأب الطوباوى خلال فترة بقائه بدير البرموس لا يعدو أن يكون القليل من الكثير مما يعرفه الآباء رهبان دير البرموس عن هذا الأب.

نياحتـــه:

وهكذا قضى حياته فى العبادة وجاهد جهاد الفضيلة الحسن [٧١ سنة فى الرهبنة].

وختم سعيه الصالح وتنيح بسلام فى السادس عشر من شهر توت المبارك سنة ١٦٢٢ للشهداء.
... جملة حياته ٨٨ سنة قضى منها ١٧ سنة فى بيت أبيه و٧١ سنة فى الرهبنة [٢٣ سنة فى د... رق، ٤٨ سنة فى برية شيهيت..].

وقد أوصى القمص عبد المسيح المسعودى ـ قبل نياحته ـ القمص مرقس البلوطى المحرقى وصية لكى يعيش بها إلى نهاية حياته سطرها هذا الأب بدوره فى أحدى مخطوطات دير المحرق قال فيها :

«يا ابنى لا تدور فى العالم، ولا تقتنى لك قنية زائلة، ولا تجعل توكلك على الحال ولا تهتم لبطنك ولا تطبخ لك شئ لذمة نفسك ولا تصاحب شاب أو إمرأة ولا تجعل لك دالة مع أحد، ولا تعطى سرك لمن ليس له قدرة على العمل مثلك ولا تكسل عن حضور الكنيسة، ولا تكسل عن الصلاة فهى ربح عظيم.. ولا تفوت يوماً واحداً من صلواتك وإتمام قانونك بدون عذر..

يا ابنى إحفظ عفة جسدك جيداً. حب إخوتك واهرب منهم كلما قدرت، كن هارباً. وحدك بسكوت.. صل دائماً بكل قوتك.. ضيّق على جوفك بعدم الأطعمة الشهية.. لا تشتهى أشياء قبل ما يتوجب له من الله (أى غير لازمة لك) البس الحب والتواضع كثوب وإشربه كالماء.. إحفظ هذه الوصية يا ابنى لكى تفيض عليك مراحم الرب.. وهو يكون معك إلى أبد الأبد له المجد.. آمين..

بركة صلوات أبينا القمص عبد المسيح المسعودى فلتكن معنا آمين.

رباط وصلة محبة

كان لخروج بعض الرهبان إلى دير البرموس أثر طيب، وعمّق أواصر المحبة بين الديرين التى أظهرها البرموس بفتح أحضانه للقادمين إليه.. من أشهر هؤلاء :

+ القمص عبد المسيح المسعودى الكبير الذى ذهب لدير البرموس سنة ١٨٥٧ م ومعه :

ـ القمص حنس : الذى رسم أسقفاً باسم الأنبا إيساك على كرسى بنى سويف والبهنسا سنة ١٨٨١ م.

ـ القمص ميساك : الذى رسم أسقفاً باسم الأنبا بطرس على كرسى منفلوط وأبنوب سنة ١٨٧٨ م.

ـ القمص ميخائيل أبو رافائيل من كوم شقاو ـ مركز طهطا ـ وكان أباً لراهبات أبى سيفين بمصر القديمة، تنيح سنة ١٩٠٢ م.

+ القمص بولس غبريال الدلجاوى الذى ذهب لدير البرموس سنة ١٨٧٠ م (الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة) وكان معه :

ـ القمص إقلاديوس الخالدى : الذى رسم أسقفاً على الحبشة سنة ١٨٨١ م باسم الأنبا متاؤس.

ـ القمص إقلاديوس الميرى : الذى رسم أسقفاً على الحبشة سنة ١٨٨١ م باسم الأنبا بطرس.

ـ القمص ميخائيل نخلة ـ (من دير تاسا ـ أسيوط) الذى رسم أسقفاً على كرسى صنبو وقسقام، سنة ١٨٧٩ م باسم الأنبا أثناسيوس.

ـ القمص سليمان الدلجاوى : بعدما ذهب لدير البرموس انتقل إلى دير الأنبا أنطونيوس ثم عاد إلى دير المحرق سنة ١٩١٦/١٥ م (تنيح سنة ١٩٣١/٣٠ م).

+ القمص جرجس الأسيوطى : ترهب سنة ١٨٧٠ م بدير المحرق وتوجه إلى دير البرموس سنة ١٨٧٥ م وذهب إلى أثيوبيا مع الأنبا متاؤس ثم رجع لدير البرموس سنة ١٩١٦/١٥ م ولم يبقى أكثر من سنة ثم ذهب إلى دير المحرق، ويقول عنه القمص أنطونيوس الدويرى البرموسى، إنه كان وديعاً مسالماً عاقلاً رزيناً.

+ القمص بشاى النعير : عاش ٢٠ سنة تقريباً بدير البرموس وتنيح سنة ١٨٩٧/٩٦ م.

+ القمص بطرس الضبع : ذهب لدير البرموس سنة ١٨٧٦ م وكان يتقن التسبحة والقداسات تنيح سنة ١٩٠٤/٠٣ م.

+ القمص ميخائيل الكدوانى : تنيح سنة ١٨٩٠ م (هذا خلاف القمص ميخائيل الكدوانى رئيس دير المحرق فى الفترة (١٨١٣ م ـ ١٨٣٨ م).

شموع أضاءت بالدير (فى القرنين ١٩، ٢٠)

✣ **القمص يوسف المحرقى** : شقيق البابا ديمتريوس الثانى (١٨٦٢ ـ ١٨٧٠ م) : عينه البابا رئيساً لدير أبى مقار بدلاً منه بعدما رسم بطريركاً.. وإن كان على غير العادة فى الأديرة عموماً أن يكون رئيسها ليس من رهبانها.. إلا أن هذا الأب ـ القمص يوسف ـ كان أباً تقياً وأحبه رهبان الدير ويشهدون له، حتى اليوم..

✣ ومن الآباء الذين اشتهروا بتقواهم :

القمص مرقس البلوطى : أحد تلاميذ القمص عبد المسيح المسعودى الكبير.

القمص إبراهيم البوقى : المعروف بالروحانى أحد تلاميذ القمص عبد الملاك الهورى.

القمص تاوضروس : أرشد القمص ميخائيل البحيرى (١٨٤٧ ـ ١٩٢٣ م) ـ قديس الدير ـ وهو شاباً فى بلدة أشنين النصارى (مركز مغاغة ـ المنيا) إلى الطريق الملائكى للرهبنة بدير المحرق.

✣ **القمص صليب العلونى** : اشتهر بالورع والتقوى وكان شيخاً فى أيام رئاسة القمص بولس الدلجاوى (الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة) ولحنكته ولمعرفته فى الحياة الإنجيلية الحقيقية، عهد إليه رئيس الدير بتلمذة الراهب ميخائيل البحيرى الذى اكتسب منه المدارك والدراية الروحية فى نشاط ومهارة عجيبة..

✥ **القمص صليب بيوحا الهورى** : كان لفضائله وتقواه أن حصل الدير على حامل ايقونات (أى حجاب الهيكل) لكنيسة مارجرجس بالدير وهو من الرخام الإيطالى النقى. وفى آخر أيامه سمح الرب بأن يجرّب بفقد بصره لكنه كان لديه رجاء عظيم بالرب فقد كان كل من يأتى إليه ليواسيه ويعزيه كان يسمع منه هذه الصلاة الجميلة التى قالها يونان قديماً «... **لكنى أعود أنظر هيكل قدسك**» (يونان ٢) وقبل نياحته بأيام طلب من رئيس الدير أن يصلى مع أحد الآباء القداس الإلهى. وبعد حلول الروح القدس فى سر الافخارستيا وبينما كان يصلى الأواشى أمسك أبونا القمص صليب بالجسد المقدس بكلتا يديه وهو يقول له (المرأة الخاطئة غسلت قدميك بدموعها أما أنا فأغسلك كلك بدموعى) وظل يبكى ودموعه تمتزج بالجسد الكريم وقد ملأ بهاً الجسد المقدس... وما هى إلا لحظات حتى أبصر.

لقد كان يلهج فى داخل قلبه مع داود النبى ويقول : «**انظر واستجب لى يارب وإلهى أنر عينى لئلا أنام نوم الموت**» (مز ١٣ : ٣) فسمع الرب له واستجاب لطلبته.

✥ **الأب الفاضل القمص حسب الله عبد الثالوث المحرقى** : تنبأ لوالدة الآب الورع القمص قسطنطين موسى (١٨٩٨ ـ ١٩٨٢ م) راعى كنيسة السيدة العذراء بالزيتون بولادتها لهذا الأب (حينما كانوا فى أسيوط). وقد اشتهر القمص قسطنطين بقداسته وتقواه وتشرف بنوال نعمة عظيمة ـ هيأتها السماء له ـ وهى ظهور السيدة العذراء فى كنيستها بالزيتون فى أيام خدمته بالكنيسة (والجدير بالذكر أن هذه الكنيسة هى أول كنيسة اهتم بها قداسة البابا شنودة الثالث وأصدر من أجلها القرارات رقم ٥، ١٠، ١١ فى الأسبوع الأول من تتويجه.. ومدحه البابا شنودة فى القرار البابوى الخامس ١٩٧١/١١/١٨ بقوله : .. تحية من أعماق قلبى لهذا الكاهن الجليل وهذا الشيخ الوقور الذى على يديه وبصلواته ظهرت العذراء فى تلك الكنيسة المقدسة، فغمرتها نعم إلهية كثيرة).

✥ **القمص يوحنا الإتليدمى** : على قدر ما وصل إلى علمنا أن القمص بشاى الأسيوطى نسخ ١٢ مخطوطة والقمص ميخائيل الجاولى نسخ ١١ مخطوطة عن تفسير المزامير وسير القديسين وكتب عقائدية هذا غير الكتب الطقسية مثل الخولاجيات والأجبية. والقمص يوحنا الإتليدمى الذى يعتبر أبو النساخة فى الدير والذى ولد فى بلدة إتليدم (مركز أبو قرقاص بالمنيا) وحضر إلى الدير سنة ١٨٤٢ م وترهب ثم صار قساً فى سنة ١٨٤٥ م فى رئاسة القمص عبد الملاك الهورى..

وكان هذا الأب فاضلاً وحكيماً لا يتدخل فى سياسة الدير وتنظيمه لذلك أحبه الرؤساء الذين عاصرهم واحترموه ويتضح ذلك من المخطوطات التى كتبها فى أيام رئاستهم.

والآباء رؤساء الدير الذين عاصرهم هم :

القمص عبد الملاك الهورى، القمص بولس غبريال الدلجاوى، القمص ميخائيل فام الأبوتيجى القمص صليب وهبة.

وقد نسخ عدداً ليس بقليل من المخطوطات فى أحجام مختلفة، ما وصل منها إلى أيدينا هو ٦٤ مخطوطة من قطمارسات وكتب طروحات وأسفار مقدسة وميامر وخولاجيات... إلخ وأحدثها كتب بتاريخ ١٦٠٢ ش (١٨٨٦ م).

✤ **القمص عبد المسيح عبد الملك المسعودى** : اشتهر بوضع المدائح وإبصاليات شهر كيهك، ويكفى هنا أن يشار إلى بعض من كلمات الخطاب المطول الذى أرسله عالم اللغة القبطية إقلاديوس لبيب بك بمناسبة تأليف القمص عبد المسيح لكتاب المدائح الكيهكية والإبصاليات الصومية والأعياد السيدية. (الطبعة الأولى سنة ١٩١٢ م) :

(... أحيطكم علماً بأن مؤلفكم النفيس طالعته بإمعان وافٍ فوجدته صادراً من روح وديعة طاهرة ونفس روحية شريفة... سهل المأخذ لدقة معانيه مرتباً الترتيب الكنائسى الأبوى القديم.. محافظاً على المعانى الكتابية مراعياً لمؤلفات معلمى البيعة السابقين الذى يجب عدكم واحداً منهم.. والذى به أكملتم فراغاً يحتاج إليه جميع المصلين فى كل مكان وفى كل وقت.. فلتهنأ بكم كنيستكم وطائفتكم المحبوبة وخصوصاً مجمعكم المقدس الذى كان ولا يزال له اليد الطولى فى كل شئ دينى ومدنى... وختاماً أطلب من العلى أن يكثر من أمثال أبويتكم حتى تعلو المعرفة على الدوام...).

✤ **القمص يوحنا الحبشى** : هو أحد الرهبان الأحباش الأفاضل الذين عشقوا دير المحرق وغاية أمنيتهم أن يعيشوا فى الدير متمتعين بحماية سيدة البشرية كلية الطهر العذراء أم النور.

وقد أطلق عليه أسم القمص يوحنا المتوحد أو الحبيس وقد عاش هذا الأب فى حجرة موجودة بالسور (وهى حجرة مساحتها ٥ × ٥ متر تبنى مع السور لتدعيمه وهى لا تصلح للسكن لعدم توافر الأسباب الصحية بها فى ذلك الوقت) مدة تزيد عن ٣٨ سنة حبيساً بها لا يخرج إلا للضرورة عاكفاً على صلواته وأصوامه وكان هذا الأب ناسكاً لدرجة عظيمة تستطيع من شدة نسكه أن تحصى عظامه. كما كان مثالاً يحتذى فى الاتضاع فإذا تقدمت لأخذ بركته وقبّلت يده. فهو لا يترك يدك إلا بعد أن يُقبّلها.

وقام هذا الأب الفاضل بتعريب سيرة القديس تكلا هيمانوت الحبشى. وتم طبعها فى ذلك الوقت بواسطة أحد الأحباء بأسيوط. نفعنا الله بصلواته عنا أمام رب المجد إلى الأبد آمين.

✥ **القمص يوحنا سلامة** : هذا الأب من جرجـا واسـمه العلمانى سيف سلامة والتحق سنة ١٨٩٢ م بالمدرسة الإكليريكية ومكث بها ٥ سنوات وكان من المجموعة الأولى التى التحقت بها مع الأستاذ حبيب جرجس.



وتزوج سنة ١٨٩٨ م ولكن بعد قليل انتقلت العروس إلى السماء ورفض أن يتزوج بعد ذلك، وكان فى أثناء ذلك - يهتم بالوعظ الدينى فى كنائس مدينتى أسيوط وجرجا. ولكن تاقت نفسه إلى الحياة الرهبانية فقصد دير البرموس إلا أن والده منعه من تنفيذ قصده وجاء به إلى القاهرة. فانتدبه الأنبا باخوميوس أسقف دير المحرق ناظراً لمدرسة الرهبان فيه.. فرحب بذلك ولم يقم إلا زمناً يسيراً حتى طلب الرهبنة فأجيب طلبه. وتولى رسامته راهباً أصحاب النيافة مطران إسنا وأسقف منفلوط وأسقف دير المحرق سنة ١٩٠٥ م وصار اسمه يوحنا.. وقد لبث فى الدير نحو ١٢ عاماً مجداً حتى نال ثناء أسقف الدير عليه ومحبة إخواته الرهبان له، فرُسم قساً فقمصاً، وكان يعكف على الدرس والاطلاع وتميز بالعلم الواسع وتتلمذ على يديه الكثيرين. وبعد ذلك عين وكيلاً لمطرانية الخرطوم.

وقام بتدبير أمور أبناء الكنيسة الروحية وشُهد له بالكفاءة التامة وبالحكمة والاخلاص والتفانى وأحب الشعب للغاية.

ولحنكته فى إدارة الكنيسة، طالب الشبان بإقامته أسقفاً مساعداً رغم معارضته الشديدة. فظل كما هو قمصاً وبذل كل جهده فى سبيل الخدمة بالسودان بمساعدة الغيورين من أبناء الكنيسة هناك فأنشأ عدة مدارس لرياض الأطفال والتعليم الابتدائى للبنين والبنات والتعليم الثانوى والتجارى.. وأثنى عليه كبار رجال الدولة من المصريين الذين زاروا السودان آنذاك.

كما رُشح القمص يوحنا سلامة للبطريركية بعد نياحة الأنبا كيرلس الخامس عام ١٩٢٨ م. وقد ألف كتاباً قيماً يقع فى جزئين وهو اللآلئ النفسية فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة سنة ١٩٠٩ م.



القمص ميخائيل البحيرى

نشـــأته:



ولد ببلدة أشنين النصارى مركز مغاغة محافظة المنيا سنة ١٨٤٧ م، من أبوين فاضلين، توفى والده غبريال وهو فى الثانية عشرة من عمره، ولما كان ضعيف الجسم أشفقت عليه أمه وأخفته على سطح المنزل لكى لا يسمع صوت الباكين، وإذا به يرى أباه صاعداً وحوله الملائكة فرحين فناداه يا أبى يا أبى، فقالت له الملائكة «اطلب لكى تكون أخرتك كآخرته».



ميله نحو النسك ـ ورهبنته :

وكان بحكم نشأته زاهداً العالم نامياً فى الفضيلة، فترك العالم بعد وفاة أمه وذهب إلى دير السيدة العذراء «بالمحرق» وتتلمذ هناك على يد القمص صليب العلونى فى عهد رئاسة القمص بولس (الأنبا آبرام أسقف الفيوم والجيزة الأسبق) وقد كان أباً روحياً له.

وما إن لبس إسكيم الرهبنة حتى أخذ يزداد فى النسك والتقشف، فأحبه الجميع وذاع صيته الحسن، وسيم قساً سنة ١٨٧٤ م، وفى أوقات فراغه كان يعمل فى تجليد الكتب. وما يصله من مال عن هذا الطريق، كان يقوم بتوزيعه على الفقراء.

أعمـــاله بالديـــر:

ولم ينس أعماله بالدير بل بناء على رغبته كان كل يوم يقوم بتنظيف الكنائس وتجهيزها للصلاة، وكان يوزع جميع النذور التى ترد لذمته خاصة على الفقراء والمساكين. ومع كل هذا كان رجلاً بسيطاً جداً متجرداً من القنايا العالمية ولعل ذلك هو سر عظمته، مما جعل الأنبا باخوميوس الأول أسقف الدير يسيمه قمصاً وجعله أباً روحياً له ولآباء الدير.

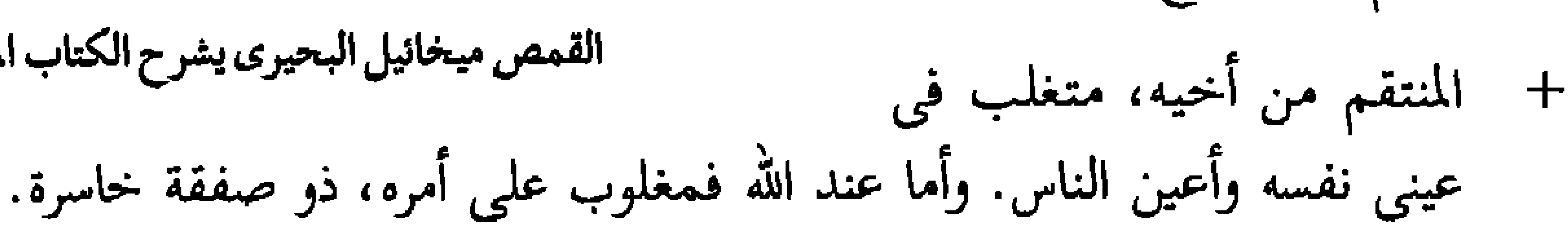
فضائلـــه ومواهبـــه :

كان رجل دموع فى صلواته، وقد منحه الرب مواهب الشفاء وإخراج الشياطين. لذا تمتع بمحبة كبيرة، ومهابة عظيمة لدى معاصريه، وكان رجلاً واسع الاطلاع، يصرف أوقاتاً طويلة، فى قراءة الكتب المقدسة والمؤلفات الدينية وقد سمح الرب بفقد بصره، فاحتمل ذلك بشكر، وبعد جهاد عظيم تنيح بسلام فى ١٦ أمشير سنة ١٦٣٩ ش الموافق ١٩٢٣/٢/٢٣ م بركة صلواته فلتكن معنا. آمين.

مقتطفات من أقواله :



القمص ميخائيل البحيرى يشرح الكتاب المقدس



+ القراءة فى الكتب الإلهية ضرب آخر للصلاة.

+ أنى منذ ترهبت للآن، إذا زاد المال عن كفافى، أحسبه لصاً فى قلايتى، فلا أنام بتاتاً.

+ الصوم للمؤمن فاتحة عهد سلام بين الروح والجسد.

+ المنتقم من أخيه، متغلب فى عينى نفسه وأعين الناس. وأما عند الله فمغلوب على أمره، ذو صفقة خاسرة.

+ أتريد راحة البال؟ أتبتغى هدوء البال : اذن حافظ على شروط محبة الله ومحبة القريب...

+ لا تطمع فى مراحم العلى إلا متى تُبْتَ توبة صادقة وعقدت النية بالعزم الأكيد على كره الخطية والا تعاود الشرور مرة أخرى....

+ لا تبك موتى الأجساد بمقدار ما يلزمك أن تبكى وتنوح على موتى الأرواح لأن موت الجسد انما هو فقد حياة زمنية أما موت الروح ففقد حياة أبدية أو هو عبارة عن هلاك أبدى...

+ كما أن الشهوة الجسدية إذا حَبلتْ ولدتْ الخطية والخطية إذا تمت أنتجت موتاً هكذا الشهوة الروحية إذا حبلت ولدت الفضيلَة والفضيلة إذا كملت أنتجت حياة أبدية...

+ من يعمل الفضيلة إبتغاء المجد الباطل كفاعل بلا أجر...

+ إذا كنا حاقدين فلا تقتصر صلاتنا على أنها تعود إلينا فارغة من الخيرات بل وتكون محملة باللعنات....

+ من ذا الذى يترك ميّته ملقى فِي البيت ويذهب ليبكى ميّتْ غيره؟ هوذا أنا نفسى ميتّة بالخطايا والذنوب فكيف أنصرف عن بكائها وندبها إلِى إدانة غيرى على خطاياه؟ أو منِ يترك حقله مملوءاً بالشوك ليذهب ويصلح حقل غيره «فأخرِجْ أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصرِ جيداً أن تخرِجْ القذى من عين أخيك» (مت ٧: ٥).

اعتراف المجمع المقدس بقداسته :

اعترف المجمع المقدس بقداسته سنة ١٩٦٣ م مع أبيه القديس الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة والقديس الأنبا صرابامون أبو طرحه أسقف المنوفية.

وأخيراً أراد الله أن تشرق شمس القديس القمص ميخائيل البحيرى بعد أن ظل جسده مدفوناً بمقبرة رؤساء الدير الكائنة أسفل معمودية كنيسة مارجرجس بالدير ما يقرب من سبعين عاماً لكى يشهد الله معه بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس (عب ٢ : ٣، ٤) لذلك سمحت العناية الإلهية والإرادة السماوية، وبموافقة قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث بأن يخرج جسد القديس. وفى احتفال مهيب حضره ثلاثة عشر اسقفاً من الآباء أصحاب النيافة الأحبار الأجلاء ـ أساقفة الكنيسة القبطية الارثوذكسية ـ ونيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس أسقف ورئيس دير المحرق العامر والآباء رهبان الدير. تم نقل رفات القديس من المقبرة إلى المقصورة الموجودة بصحن كنيسة مارجرجس وذلك فى تذكار نياحته يوم السبت ٢٣ فبراير سنة ١٩٩١ م الموافق ١٦ أمشير سنة ١٧٠٧ للشهداء الأبرار.

ومازال لهذه الرفات بركة عظيمة للرهبان وزوار الدير متمثلة فى الآيات والعجائب التى تجرى لهم منها ليظهر رب المجد كرامة هذا القديس ومدى دالته عنده ونرى ونتلّمس طرق أبائنا القديسين الروحية التى عاشوها ونهتدى بها، لكى ننظر إلى نهاية سيرتهم ونتمثل بايمانهم (عب ١٣ : ٧).

بركة صلوات أبينا القمص ميخائيل البحيرى فلتكن معنا آمين.

✥ **ويجدر هنا المقام بذكر الأب القمص عبد المسيح واصف الذى تتلمذ على يد القمص ميخائيل البحيرى، وكتب سيرة هذا القديس العطرة، ونشرها سنة ١٩٢٥ م فى كتاب قيم باسم :**

بلوغ المرام فى تاريخ حياة خليفة الأنبا أبرآم
المتنيح القمص ميخائيل البحيرى
كوكب برية جبل قسقام*

وهذا الأب الجليل القمص عبد المسيح ولد سنة ١٩٠٠ م وكان اسمه كامل واصف من عائلة متدينة ميسرة الحال حيث كان أبوه واصف (بك) جرجس يعمل رئيساً لحسابات حكومة السودان. وفى سنة ١٩١٦ م حصل على شهادة البكالوريا ثم توجه فى نفس السنة إلى دير المحرق وترهب، وبعد ذلك نال نعمة الكهنوت.

وسيرته الطاهرة يشهد لها كتابه الذى كتبه عن القمص ميخائيل البحيرى حيث وضع فيه أنفاسه الطاهرة وروحانياته السامية.

وفى ١٩٣٠/٦/٢٩ م رسم أسقفاً على كرسى منفلوط وأبنوب، باسم الأنبا لوكاس.

وكان يجيد اللغات القبطية واليونانية والانجليزية والفرنسية، ويعتبر باحثاً وخطيباً وكاتباً، ومتضلعاً فى

* وقد قام الدير بإعادة طبعه بصورة جديدة ومختصرة تحت عنوان «سيرة القديس القمص ميخائيل البحيرى» إعداد الراهب باخوميوس المحرقى.

الأدب العربى، وحجة فى العلوم الكنسية التى كتب فيها موضوعات قيمة فى مجلة مارجرجس التى يصدرها جناب القمص بولس باسيلى ثم جمعت فى كتاب سمى بالتحفة اللوكاسية.

وساس شعبه على أحسن وجه وترك آثاراً لا تمحى من قلوبهم، وتنيح فى سلام الرب فى ١٩٦٥/١/٧ م.

الأب الراهب جبر مريم الحبشى :

مكث فى دير القديس تكلا هيمانوت ببلدة شوا بالحبشة. ثم توجه للقدس وعاش فترة هناك. ثم جاء بعد ذلك إلى دير المحرق وكان قد بلغ من العمر وقتئذ ٥٠ سنة تقريباً.

وكان على جانب عظيم من التقوى والورع حسبما يشهد بذلك القمص عبد المسيح واصف المحرقى (الأنبا لوكاس مطران منفلوط وأبنوب، الآنف ذكره).

وقد سمع هذا الأب الحبشى أنغاماً وترانيم شجية تملأ الدير وقت نياحة القمص ميخائيل البحيرى، حيث كان مريضاً طريح الفراش فى ذلك الحين ثم تنيح بعد ذلك فى أوائل شهر مارس ١٩٢٣ م.

رزقـــة الديـــر (الزرابـــى)

(كلمة رزقة كلمة قديمة كانت تطلق على الأراضى التى كانت توهب للفقراء للاسترزاق منها لذلك وهبت للدير منذ القديم بموجب مراسيم وفرامانات سلطانية ليعيش عليها رهبان الدير).

حينما تزايد عدد رهبان الدير فى منتصف القرن التاسع عشر كان بعضهم من أسر فقيرة معدمة فآثرت أن تحضر وتأوى بجانب الدير سائلة الحماية من السيدة العذراء. وحينما كان الأنبا باخوميوس الأول وكيلاً للدير أحضر عمالاً وفلاحين لأعمال الدير فسكن المتزوجون منهم خارج الدير أيضاً.

وكانت تلك الأسر تسكن فى أكواخ بسيطة الحال من الجهة القبلية للدير (ويطلق على هذا الكوخ فى لهجة أهل المنطقة العامية اسم زربية وجمعها يكون زرابى).

واعتادت هذه الأسر على أداء صلوات العبادة فى أيام الآحاد والأعياد والقيام بالممارسات الكنسية فى كنيسة مارجرجس بالدير، وبالطبع كانوا يختلطون بالرهبان، الأمر الذى يؤدى إلى عدم توافر الهدوء الكامل واللازم لحياة الرهبان، ومنعاً أيضاً للشك والقيل والقال...، أقام لهم الأنبا باخوميوس كنيسة بجوار الدير باسم مارجرجس ويقوم بالخدمة بها كاهن من رهبان الدير.. ثم بنيت على الوضع الحالى على يد القمص تادرس أسعد.

ومع مروز الأيام وتحسن الحال... أصبحت هذه الأكواخ حالياً بلدة كبيرة. وقد أنجبت تلك الأسر الفقيرة شخصيات مباركة، منهم :

١ـ الأنبا توماس مطران المنيا والأشمونين :

وكان اسمه عبد الملك نصر الله ولد سنة ١٨٧٣ م وتوجه إلى دير البرموس وترهب فيه سنة ١٨٩٣ م ثم نال نعمة الكهنوت وأصبح وكيلاً لوقف دير البرموس فى طوخ النصارى (دلكة) ثم رسم أسقفاً على المنيا والأشمونين سنة ١٩٠٥ م ورقى مطراناً سنة ١٩٠٨ م وتنيح سنة ١٩٢٨ م.

٢ـ القمص ميخائيل الزرباوى :

الذى ترهب بدير البرموس سنة ١٨٩٧ م ونال نعمة الكهنوت وصار أميناً مراراً كثيرة على دير البرموس وعمر طويلاً، وتنيح سنة ١٩٥٥ م.

٣ـ الراهب يسطس الأنطونى :

الذى ولد سنة ١٩١٠ م وكان اسمه نجيب ثم عمل ترزياً مع والده المقدس شحات ثم ترهب بدير الأنبا أنطونيوس سنة ١٩٤١ م وتنيح سنة ١٩٧٦ م ويشهد له آباء الدير الذين عاصروه بفضائله وتقواه.

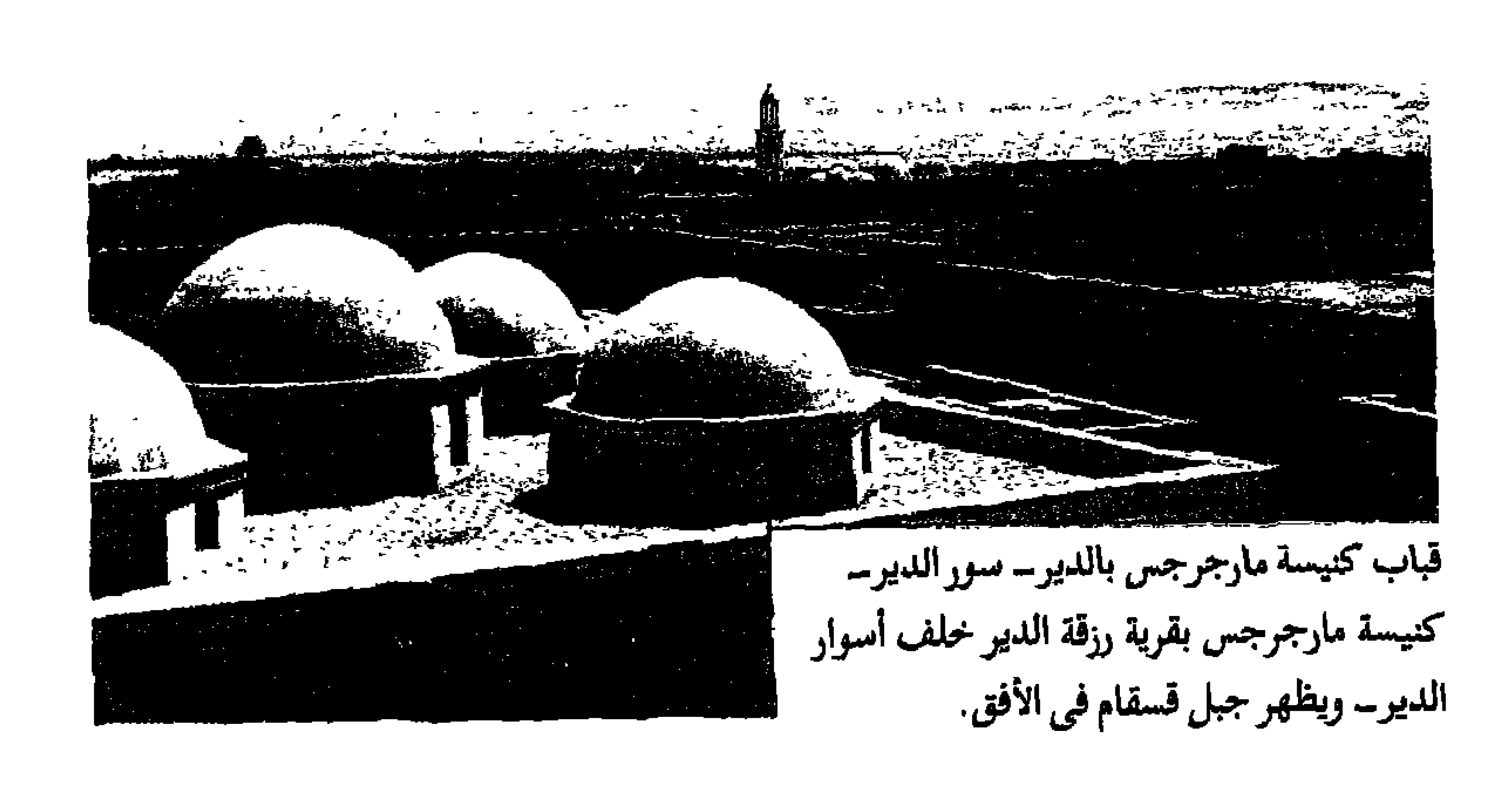
٤ـ القمص شنودة الصموئيلى :

شهد له بالفضيلة، وتنيح فى ١٩٧٧ م.

٥ـ ومن الذين ترهبوا فى دير المحرق **القمص اسحق والقمص ثاؤفيلس** فى أوائل القرن ٢٠، **والقمص جرجس الميرى** الذى كان أب•اعتراف لآباء الدير حتى الخمسينات من القرن الحالى.

عزبـــة تومـــا :

(تقع قبلى الدير وشرق الرزقة) أنجبت القمص تادرس أسعد الذى كان وكيلاً للدير ثم رئيساً له. ولا ينسى الرهبان فضائله وأعماله الجليلة التى أسداها للدير.



قباب كنيسة مارجرجس بالدير ـ سور الدير ـ كنيسة مارجرجس بقرية رزقة الدير خلف أسوار الدير ـ ويظهر جبل قسقام فى الأفق.

دير قسقام ـ أورشليم الثانية ـ عند الأحباش

الحبشة أمة عريقة، وكانت تسمى كوش وكان لها كيان لا يستهان به فى العالم القديم، ويروى التقليد الحبشى العريق أن ملكة سبأ (التى كانت تحكم اليمن والحبشة) عندما سمعت عن حكمة سليمان ذهبت لتراه واندهشت لحكمته الفائقة فاعتنقت الديانة اليهودية ونشرتها فى بلادها بعدما تزوجت الملك سليمان، وأنجبت منليك الذى لقب بابن الحكيم..

وأقدم خبر وصل حتى الآن عن اعتناق الأحباش المسيحية، ورد فى سفر أعمال الرسل الأصحاح الثامن عندما كلم ملاك الرب فيلبس ليذهب إلى الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة لكى يقابل رجل حبشى خصى وزير كنداكة ملكة الحبشة ليكلمه عن رسالة الملكوت ويعمده..

ويذكر تقليد الكنيسة فى الحبشة أن أول من بشرها بالمسيحية هو القديس متى الرسول ولكن المسيحية لم تنتشر انتشاراً واسعاً إلا بعد ما رسم القديس أثناسيوس البـابا الاسـكندرى العشـرون (٣٢٦ ـ ٣٧٣ م) فرمنتيوس أول أسقف على الحبشة وأطلق عليه الأحباش اسم الأنبا سـلامة، حيث أصبحت الحبشة بذلك إحدى إيبارشيات الكرسى الاسكندرى وأخذت المسيحية تنتشر بإقبال الأحباش إليها فى محبة وإيمان وعمق روحانى عجيب..

وأحب الأحباش وعشقوا الأماكن التى عاش فيها السيد المسيح له المجد فى فلسطين، كذلك فى قسقام فى مصر التى اعتبروها أورشليم الثانية.

فانجذب الكثير منهم إلى ترك بلادهم والتوجه إلى هذه الأماكن ليحيوا فيها حياة النسك والزهد الرهبانية.

وتوجد إشارة تاريخية تبين أنهم كانوا فى أواخر القرن الرابع فى دير قسقام. والدير عموماً وكنيسته الأثرية خصوصاً لهما شأن عظيم بالنسبة لهم، وهم يجلُّون الدير ويحترمونه ويقدسونه ويهابونه حتى أن ترابه يعتبرونه بركة لأن السيد المسيح له المجد داسه باقدامه المقدسة وهو طفل وتعجز هنا الكلمات عن وصف مقدار تبجيلهم للدير وتمتلئ مخطوطاتهم المحفوظة فى أديرتهم بالمعجزات العديدة التى صنعتها السيدة العذراء فى دير قسقام.

ويقول العالم كونتى روسينى C. Counti Rossini أحد العلماء المتخصصين فى دراسة المخطوطات الأثيوبية (فى أوائل القرن العشرين الميلادى) إن مجتمع الأحباش الرهبانى فى دير قسقام فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين كان نشيطاً.. وكان يتكون من حوالى ثلاثين بين راهب وقس وشماس، وكان هذا المجتمع الحبشى مشهوراً لدرجة أن الملك الحبشـى صايفا أراد Sayfa Arad كرّمه بإرسال نسخة من الأناجيل على سبيل الهدية. ويذكر التاريخ أن اسم الراهب الذى كان فى

دير قسقام واستشهد أيام البابا متاؤس الكبير (١٣٧٨ ـ ١٤٠٨) هو أرسانيوس الحبشى وفى مخطوطات أخرى أرشليدس.. (كما ذكر آنفاً فى صـ ١٠١).

ويقول الأحباش إن الملكة منتواب ـ معناها جميلة أو عجيبة ـ امبراطورة اثيوبيا التى تنازلت بالحكم لابنها إياسو الثانى Iyasu II معناها يسوع ـ (١٧٣٠ ـ ١٧٥٥ م) زارت دير قسقام فى القرن ١٨ الميلادى ونقلت تراباً منه مزجته فى مواد بناء كنيسة عظيمة فى مدينة قسقام التى تعتبر من المدن الأثيوبية الرئيسية (والتى لها مركز كنسى هام) بإقليم جوندار Gondar فى الحبشة ـ باسم كنيسة جبل قسقام. حيث بناها إياسو الثانى فى سنة ١٧٣٨ م ومن ذلك الوقت رتبت الكنيسة الحبشية الصوم المعروف بصوم قسقام مدته أربعون يوماً (يبدأ من ٢٦ توت وينتهى فى ٥ هاتور ليلة عيد تكريس كنيسة السيدة العذراء بدير المحرق).



الكأس الذهبى الخاص بكنيسة قسقام بالحبشة
(محفوظ حالياً فى المتحف البريطانى)

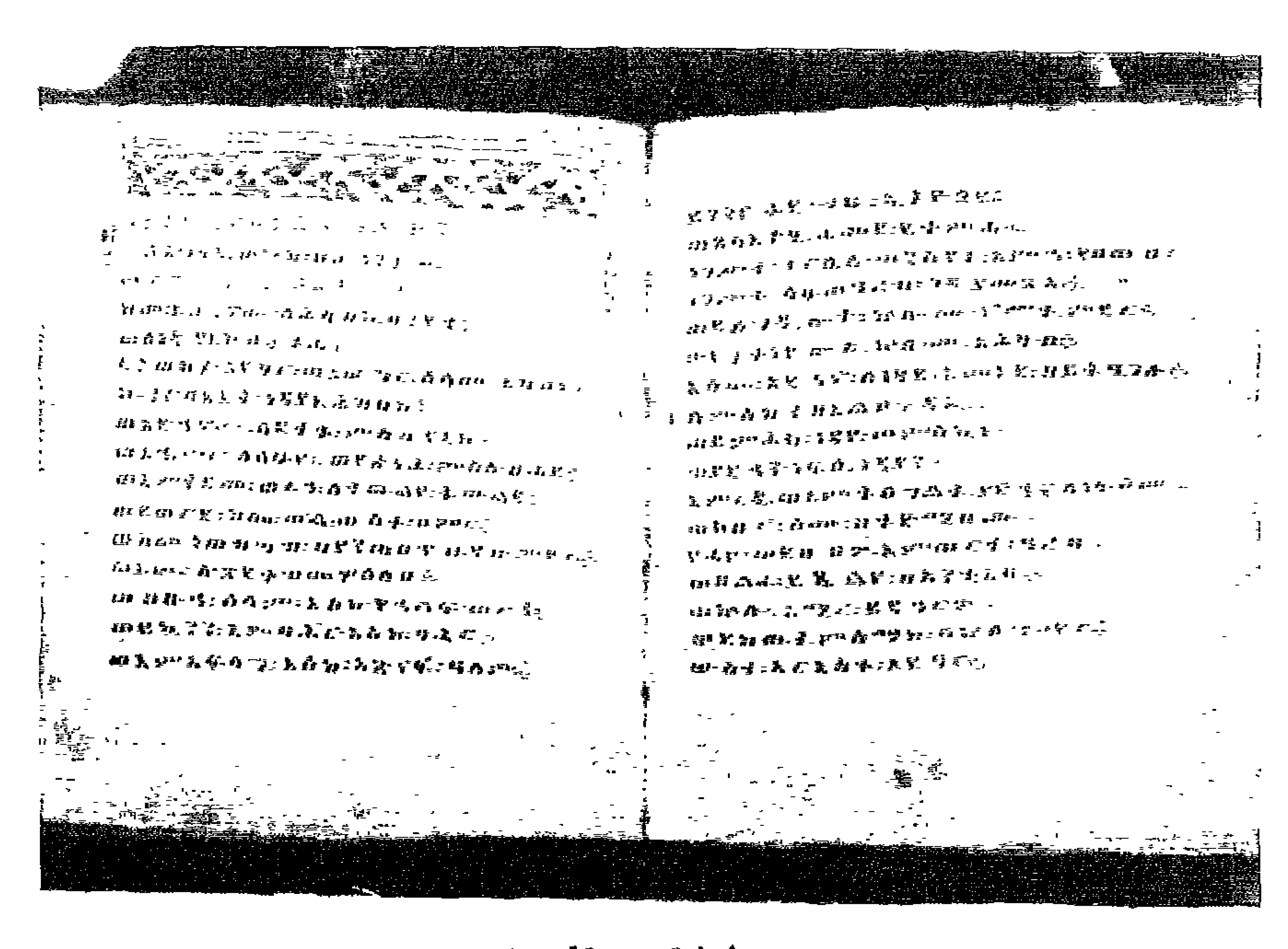
وكان الأحباش لكثرتهم لهم كنيستهم التى يقيمون فيها صلواتهم. وأقدم كنيسة عرفت هى كنيسة يوحنا المعمدان التى كانت مجاورة لكنيسة السيدة العذراء الأثرية.. ولما أزيلت كنيسة القديس يوحنا المعمدان، وتوسعت الكنيسة الأثرية وبنيت الصالة الخارجية تم بناء كنيسة للأحباش فوقها فى

القرن ١٩ الميلادى حيث قد بلغ عددهم حوالى ٤٠ راهباً إلا أنه فى الثلاثينات من القرن العشرين أزيلت الكنيسة الحبشية خوفاً على مبانى الكنيسة الأثرية..

ولقد قل الأحباش كثيراً بعد الحرب الإيطالية الحبشية (١٩٣٦ ـ ١٩٤٨ م) والاضطرابات المستمرة فى جنوب السودان لأنهم كانوا يأتون من الحبشة إلى دير قسقام سيراً على الأقدام.

ويذكر رجال الكنيسة الحبشية أن أغلب مطارنتهم الذين كانت توفدهم إليهم أمهم الكنيسة القبطية كانوا يختارون من دير قسقام.

وهكذا.. فإن دير قسقام لن يمحى من قلوبهم لأنهم أحبوه، ومازالوا حتى اليوم.. وإلى نهاية الأزمان..



مخطوطة حبشية قديمة



نبذة عن التاريخ الجغرافى لمنطقة دير المحرق

مقدمة :

مرت المنطقة المحيطة بالدير بتطورات مختلفة من قديم الزمان حتى اليوم لذا لزم التنويه عنها لمعرفة أبعادها ومدى تأثيرها والملابسات المحيطة بها خصوصاً بعد ما تبين أن هناك خلط بين أسماء بلاد ومواقعها أدى إلى تشويه بعض الحقائق التاريخية لأحداث هامة .



القوصية

مدينة القوصية الحالية حديثة النشأة ، أما القديمة فلم يتبق منها إلاَّ البربا (معبد) الذى يقع غرب المدينة الحالية .

وقد كانت هذه المدينة فى العصر الفرعونى (منذ الفترة التى سبقت ظهور سلالات الأسرة الحاكمة) عاصمة الولاية الرابعة عشرة من الولايات الـ ٢٢ التى كان مقسماً بها صعيد مصر (من جنوب ممفيس حتى أسوان) من مجموع إجمالى ٤٢ ولاية فى مصر . حيث تختص كل ولاية باسم خاص بها وإله تتميز به وتعبده بشعائر دينية بالاضافة إلى الآلهة الشهيرة عموماً .

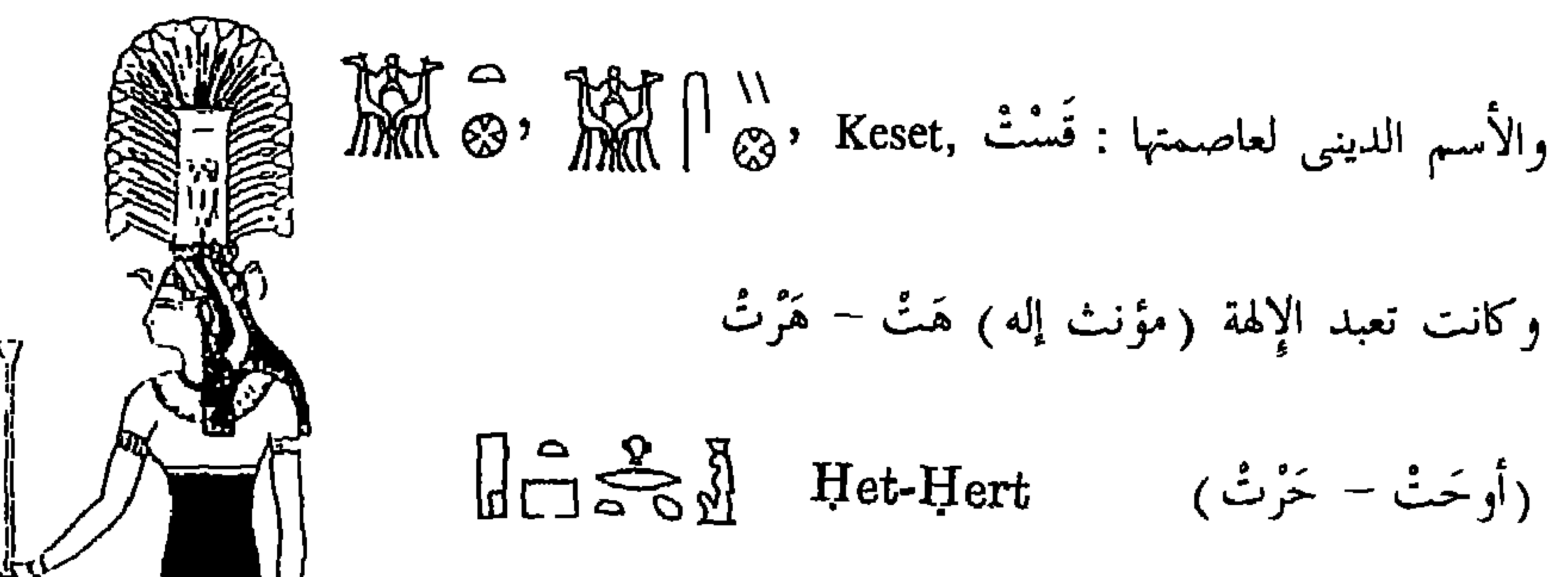
وقد تم الحصول على بعض المعلومات عن الولاية الرابعة عشرة موضوع الحديث هنا .

اسمها :

آتَفْ - بَهُو (بَحو) ÅTEF-PEHU

والاسم المدنى لعاصمتها : قَسَ Qesi

أو قَسْ Qes



والأسم الدينى لعاصمتها : قَسْتْ Keset,

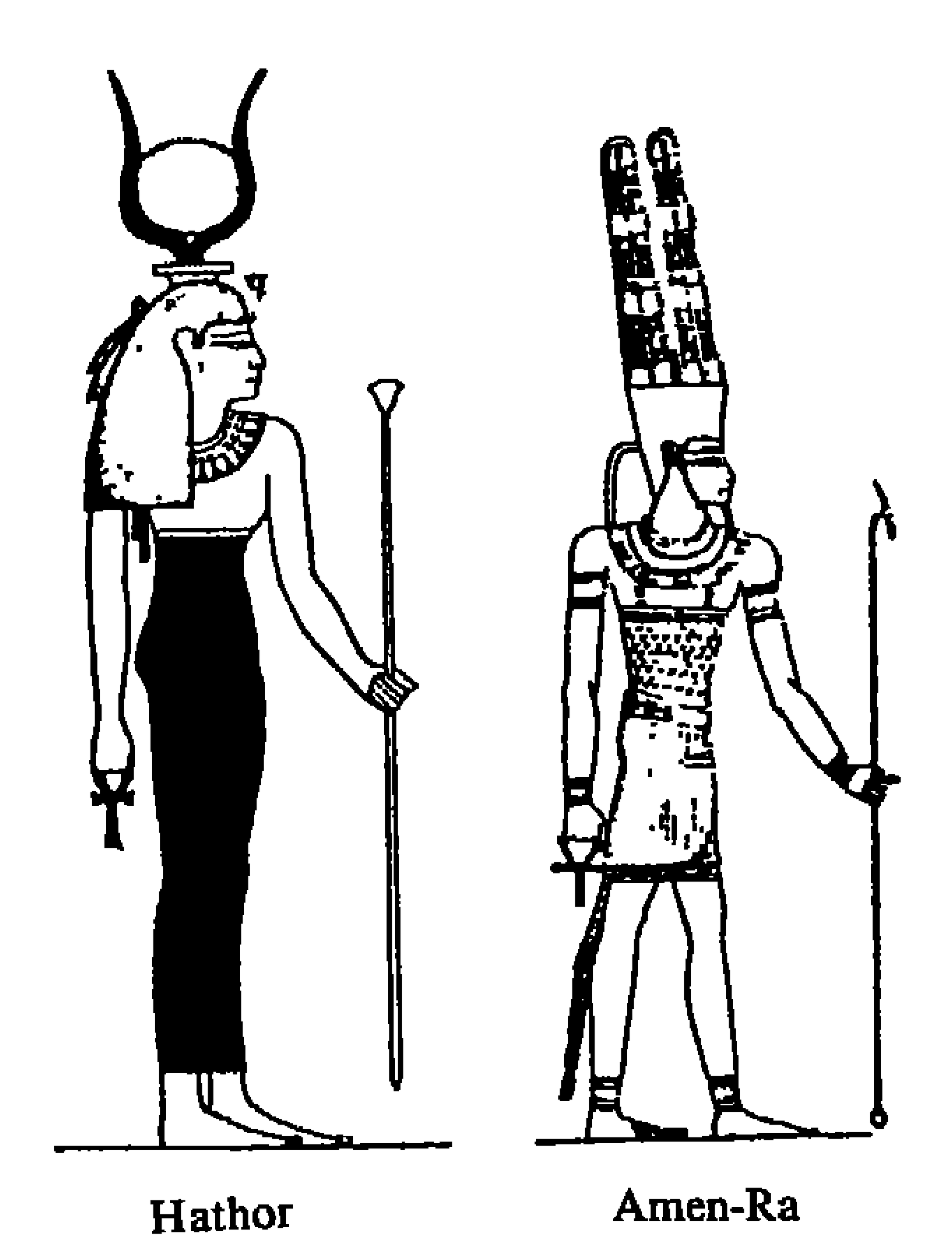
وكانت تعبد الإلهة (مؤنث إله) هَتْ - هَرْتْ

(أوحَتْ - حَرْتْ) Ḥet-Ḥert

ومعنى الاسم هو : المكان العلوى (أى منطقة االسماء) وبمعنى آخر أن هذه الإلهة هى الجزء الخاص الكائن فى السماء (SKY) الذى تشغله جوقة الإله .

Het-Hert

وهذه العبادة هى إحدى صور عبادة الإلهه هاتور (بالانجليزية Hathor ، وباليونانية Ἀθωρ) التى كانت منتشرة فى أغلب البلاد المصرية آنذاك ، حيث كان يعتبرها الفراعنة أنها الأم العظيمة للعالم ، وهى تشخيص القوة العظيمة للطبيعة ، والتى كانت دائماً تخلق .. وتكفل (تربى) ، وتحفظ كل الأشياء الصغيرة والكبيرة . وتعتبر أم أبيها وابنة ابنها ، السماء والأرض وتحت العالم كانوا تحت سلطانها وهى أم لكل إله وآلهه .



وكانت هذه الولاية أيضاً مركزاً من المراكز الهامة لعبادة الإله أمن - را Amen-Ra (وينطق أمن - رع) الذى كان يعتبر سيد عرش الأرضيين ، ومسكنه فى طيبة ... كما أنه هو الإله العظيم الذى يمثل أفق المرء العقلى ...، ملك الآلهه ،رب السماء .

وفى العصر اليونانى سميت :-
ألا بتسترون بوليس ΑΛΑΒΑΣΤΡΩΝ ΠΟΛΙΣ
والاسم الشائع كان كوساى ΚΟΥΣΑΙ
باللاتينى ;Cusae

أما فى العصر الرومانى وحتى الفتح العربى لمصر كان اسم الولاية باسم عاصمتها ، وسميت :
Kousis-Kouso- Cousos- Cousis

وكتبت فى اللغة القبطية : البحيرية ⲔⲞⲞⲤ ⲔⲰⲰⲤ ⲔⲞⲤ ⲔⲰⲤ

والصعيدية ⲔⲞⲞⲤ ⲔⲰⲰⲤ ⲔⲈⲤⲈ ⲔⲰⲰⲤⲈ

وكتبت فى بعض المخطوطات القبطية ϪⲞⲤϪⲀⲘ

وبعد الفتح العربى سميت باسم القوصية .

وعموماً اسم المدينة الفرعونى والقبطى يحمل معنى واحداً فى الترجمة وهو : تكفين أو تحنيط جثة الميت ولفها بالكتان لتحضيرها للدفن .

ولقد مرت مدينة القوصية العريقة فى القِدَم بظروف غير مستقرة ، وخربت فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادى ثم أعيد تعميرها ولكن ضعف مركزها كمدينة هامة بعد الفتح العربى (وهذا بالطبع شأن أغلب بلاد الأمم والممالك حيث تظهر فى زمان وتضمحل فى زمان آخر) .

وعندما زار الأب الدومينيكانى فانسليب مصر فى سنة ١٦٦٤م، توجه لزيارة دير المحرق ومرّ على مدينة القوصية القديمة فوجدها خربة، وحيث إن اسمها كان «قسقام» فقد كتب كذلك فى كتابه. وفى زمان الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر زارها العالم الفرنسى

أ .جومار ورأى أنقاض المدينة القديمة التى كانت جنوب البلدة الحديثة وقرر أن النار أحرقتها ودمرتها تماماً ، إلاّ أنه لم يذكر تاريخ أو زمن هذه الكارثة ..

وظلت القوصية الجديدة بلدة صغيرة إلى أن أصبحت مركزاً فى أواخر الأربعينيات من القرن العشرين الميلادى .

قسقام :

وهذا الاسم قديم منذ عصر الفراعنة وكانت تختص به المنطقة التى تقع غرب الولاية الرابعة عشرة (السابق ذكرها) والتى تتاخم الحدود الزراعية الصحراوية . وكانت تنبت فيها نباتات البردى والغاب وأنواع ضارة مثل الحلفاء وغيرها وبالتالى سميت الصحراء والجبل الكائنان غرب هذه المنطقة بنفس الاسم (قسقام) واشتهر باسم جبل قسقام .

وسميت بالهيروغليفية قُمْ ، qem — reed ; plur.

ولأنها متاخمة لعاصمة المقاطعة ، فسميت papyrus nilotica ;

قَسْ – قَمْ بمعنى read (or papyrus) of Cusae

وكتب فى القبطية : KOC KAM   KWC KAM

وأما فى العربية فقد ذكرت فى صور عديدة منها : قوس قام – قوص قام – قصقام – قزقام – قوصجام – قوصقم .

وقد وردت كلمة قَمْ بمعانى وصفية فى اللغة الهيروغليفية مثل :

- ليجتذب إلى نهاية
- لينهى
- ليكمل

وأحيانا بمعنى اللانهاية – إلى الأبد

يقول أبو المكارم إن معناها مكفن بالحلفاء للصعاليك والواضح أنه بعد ما كان يكفن الميت فى المدينة قَسْ (أى القوصية) يتم دفنه خارج المدينة وكانت منطقة قَمْ تختص بدفن الفقراء بعد لفهم بالحصير المصنّع من الحلفاء أو القش المزروع فى المنطقة .

التداخل التاريخى بين أسماء القوصية وقسقام وقوص

صار اسم كنيسة السيدة العذراء مريم الكائنة فى الصحراء القفرة يحمل اسم المنطقة وهو قسقام، وإشتهرت بهذا الاسم، حتى بعد أن انتظمت الحياة الرهبانية فى الدير فى القرن الرابع لم يتبدل الأسم بل بقى كما هو.

ولأنها تميزت عن باقى الكنائس فى المنطقة (كما وضح فى هذا الكتاب) لذلك سُمى كرسى الإيبارشية بكرسى القوصية وبيعة السيدة العذراء بقسقام. واختصر إلى اسم القوصية وقسقام. (أطلق عليه اسم المحرق فى فترة من القرون الوسطى) ثم سمى باسم صنبو وقسقام وأخيراً ديروط وصنبو وقسقام فى القرن الحالى.

وقد قام صاحب الغبطة البابا شنودة الثالث بتقسيم الايبارشية إلى ثلاث ايبارشيات : ديروط وصنبو ـ دير مواس ودلجا ـ القوصية ومير (كما ذكر صـ ١٩٦).

هذا الارتباط بين الأسمين (القوصية وقسقام) جعل العالم الفرنسى Quatremére (١٧٨٢ ـ ١٨٥٧ م) يعتقد أن القوصية وقسقام هما اسمان لمدينة واحدة اعتماداً على مخطوطة قبطية وجدها بالمكتبة الأهلية بباريس ـ حسب ما ذكر فى كتابه.

(Mémoires géographiques et historiques sur L'Egypte, t.l., p. 189 - 192).

وذهب العالم شمبليون Champollion فى كتابه (مصر فى عهد الفراعنة) إلى أن قسقام مدينة تقع جنوب أسيوط

(L'Egypte sous les Pharaons, t.I.,p. 273 - 274, 284 - 285)

وقد فند العالم أميلينو E. Amèlineau كلا الرأيين فاعتبر رأى شمبليون خطأ فادحاً وكذلك كاترمير ـ بالرغم من شهرته بالدقة ـ أخطأ أيضاً.

(La Géographie de L'Egypte À L'Epoque Copte, Paris, 1890, p. 397 - 398)

كما أخطأ العالم زوتنبرج H. Zotenberg ناشر كتاب المؤرخ يوحنا النقيوسى عندما كتب فى هامش رقم ١ ص ٤١٣ أن جبل قسقام يقع على مسافة قليلة من أخميم.

(Chronique de Jean, Èvêque de Nikiou, Paris, 1883, p. 413)

وقد دلت المخطوطات (التى وصلت إلى أيدينا) وكتب دراسات العصر الفرعونى الحديثة، دلالة واضحة ـ لا ريب فيها ـ على صحة تفنيد العالم أميلينو الذى كتبه منذ حوالى ١٠٧ سنة. وعندما مرّت مدينة القوصية بظروف غير مستقرة وضعف مركزها كمدينة هامة كان اسم (قوص قام) بديلاً عنها يعبر عن كل المنطقة المجاورة من القرى والكفور (والتى كانت داخل الولاية قديماً). وعلى رأسها دير المحرق : كما دلت على ذلك الكتب القديمة الخاصة بتقسيم الأقاليم فى مصر.. وجداول الأسقفيات فيها (وأيضاً كتب اللغة القبطية القديمة مثل السلم للسمنودى (الذى أورد اسم قسقام هكذا ⲭⲟⲥⲭⲁⲙ والمعروف أن أقدم نسخ لهذه الكتب محفوظة فى مكتبات المخطوطات بالخارج.

بالنسبة لمدينة قوص :

تقع حالياً جنوب مدينة قنا . وكانت قديماً تسمى أكسين – كيسون الكبرى ̀Ⲁⲕⲥⲉⲛⲕⲉⲩⲥⲟⲛ ϯⲛⲓϣϯ

وفى عصر ديوكلتيانوس سميت ديوكلتيانوبوليس وفى العصر الرومانى أصبحت تسمى أبولونوبوليس فيكوس Apollonopolis Vicus`

أما بعد الفتح العربى سميت باسم (قوص) وسميت فى عصر المماليك (ميسارة الثانية – قسقام) لتمييزها عن ميسارة الواقعة على شاطىء النيل مقابل القوصية وصنبو (فى شمال أسيوط) .

وقد عظم شأن هذه المدينة بعد الفتح العربى لمصر لأنها كانت مركزاً تجارياً هاماً، فقد كانت تجلب البضائع من الصين والهند واليمن وزنجبار (التى اتحدت فى القرن العشرين مع دولة تنجانيقا وسميتا باسم دولة تنزانيا) عن طريق البحر الأحمر حتى ميناء عيذاب ثم تحمل على الإبل فى الصحراء فى مسيرة عشرين يوماً حتى تصل إلى قوص ثم تنقل فى نهر النيل إلى البلاد المصرية ، وبالعكس وبنفس الطريقة كانت تصدر البضائع .

وفى العصر الفاطمى (٩٦٩ – ١١٧١ م) كانت قوص أول مدن الصعيد وثانية المدن المصرية . حيث كان والى قوص يحكم الوجه القبلى وتحت نفوذه حكام يحكمون الكور المختلفة وكان يلى الوزير فى الرتبة تقريباً . ومقره أسيوط .

وقد شهد بأهمية هذه المدينة مؤرخو تلك الحقبة ومنهم الإدريسى والقلقشندى وياقوت الحموى وابن مماتى ..

واعتبرت أيضاً قوص عاصمة الولاية المسماه بالقوصية حيث كان صعيد مصر فى ذلك الوقت ينقسم إلى الولايات الآتية :–

الجيزية .... وعاصمتها .... الجيـزة
الأطفيحية .... أطفيح
الفيومية .... الفيوم
البهنساوية .... البهنسا
الأشمونين .... الأشمونين
الأسيوطية .... أسيـوط
الأخميميـة .... أخميم
القوصية .... قـوص

وأصبح هذا التقسيم سارى حتى أواخر حكم المماليك . أما فى الحكم العثمانى (١٥١٧ - ١٨٠٥ م) استحدثت ولاية جديدة باسم ولاية جرجا حدودها تبدأ من شمال أسيوط إلى وادى حلفا جنوباً وأصبحت ولايات الصعيد هى :-
الجيزة - أطفيح - الفيوم - البهنسا - الأشمونين - المنفلوطية - جرجا .

واستمر هذا التقسيم حتى أواخر القرن الثامن عشر حيث طرأ عليه عدة تغيرات واستقر على الوجه الآتى :-

الجيزة - أطفيح - الفيوم - بنى سويف - المنيا - منفلوط - جرجا - قنا - إسنا وكان ذلك سنة ١٨٢٦ م حيث ضُمت مدينة قوص إلى مأمورية قنا . وفى سنة ١٨٩٠ م أصبحت قوص مركزاً ..

(من هذه العجالة يمكن التحدث عن موضوع التداخل التاريخى بعدما اتضحت بعض النقاط الهامة)

التداخل التاريخى :-

من المعروف عموماً - ومنذ القديم - أن الميل لدراسة علوم الجغرافيا وتواريخ الممالك والدول ، غير مستحبة عند الكثيرين ، والقليلون هم الذين تستهويهم الدراسة والبحث فى هذا المضمار .. وقد أدى عدم العلم بهذه العلوم إلى تفشى الخطأ غير المقصود وانتشاره بصورة ملحوظة بين البشر ويصل إلى حد تسجيله فى الكتب القديمة أو الحديثة على أنه مسلّم به ..

فعلى سبيل المثال : إن تشابه الأسماء بين بعض البلاد فى دولة واحدة أو بين دولة وأخرى دفع بعض مؤرخى الكتب القديمة أو نسَّاخها إلى الانز لاق فى الخطأ لعدم الفهم أو الدراية بالمواقع الجغرافية للأحداث التاريخية ونسب حادثة ما فى غير المكان الأصلى بسبب اختلاط الأسماء وتشابهها من جهة ، وعدم الدراية بقواعد اللغة التى نقل عنها أو ترجمها من جهة أخرى ، أو من عدم التدقيق فى نطق الاسم الصحيح (وخصوصاً عند اختلاف النطق بين اللهجات المختلفة فى اللغة القبطية) فمثلا :-

كانت الأشمونين فى صعيد مصر ودمنهور فى شمال مصر تحملان قديماً اسم هرموبوليس وللتفريق بينهما لقبت الأولى بالكبرى (أى ماجنا Magna) والثانية بالصغرى (أى بارفا Parva) ولكن هذا الفرق لم يدخل فى الاعتبار وحدث خلط فى بعض سير القديسين عندما أهمل ذكر : الكبرى أو الصغرى .

وكذلك الخلط بين أشمون التى فى الدلتا والأشمونين فى صعيد مصر لأنها كانت تُكتب أحياناً أشمون اثنين .

وأيضاً بين أدكو (فى شمال دمنهور) وقاو (فى جنوب أسيوط) فهما متقاربتان فى النطق فى اللغة القبطية بالرغم من اختلافهما فى الحروف الأبجدية .

ومثلاً فى الخلط بين أتريب (قرب بنها) وجبل أدريبة (فى سوهاج) .

وهكذا فإنه توجد أمثلة عديدة للخلط لا يتسع المجال هنا لذكرها وكذلك أمثلة للخلط بين اسم مدينة فى دولة ما واسم مدينة أخرى فى دولة اخرى (مثل الخلط بين نيقيوس – قرب منوف بالدلتا – ونيقية فى آسيا الصغرى) .

ويبقى أن يقال إن هذا الخلط بين القوصية وقوص حدث لعدم التدقيق فى المواقع الجغرافية ولاشتراك الأسماء فى مقطع واحد وهو قوص .

وذاد اللبس بين هذه الأسماء بعدما أطلق على قوص اسم ميسارة الثانية – قسقام فى القرون الوسطى – حيث ميسارة الأصلية القديمة هى شاطىء القوصية وصنبو شمال منفلوط وكذلك قسقام التى هى غرب مدينة القوصية .

فطفق الناس يتخبطون بين الأسماء القديمة والجديدة ، وذكرت قصص حدثت فى مكان ونسبت إلى آخر . وظهر فى ذلك فى بعض الكتابات . فاسم القوصية مثلاً عندما ذكر على أساس أنه مدينة القوصية القديمة اعتبره البعض أنه ولاية القوصية التى كانت عاصمتها قوص فى القرون الوسطى ، وكان لها شأن كبير كما ذُكر سابقاً ، أو بالعكس .. ومن ثم اختلطت الآراء بين الناس وأصبحوا يذكرون حوادث على أنها لواحدة بالرغم من أنها للأخرى وبالتالى سجلها بعض النسَّاخ فى كتبهم خطأً .

ويبدو أن هذا الخلط انزلق فيه المؤرخ أبو المكارم واضع كتاب الكنائس والأديرة نقلاً عن الأحاديث المتواترة فى زمانه عندما ذكر أن العائلة المقدسة وردت إلى عين ماء موجودة فى غرب دير الأنبا بسنتاؤس بمدينة قوص . (طبعة B. T.A.Evetts أكسفورد ١٨٩٥ ص ٢٣٤)

[لذلك ناشد إخوتنا وأحباءنا المؤلفين التأكد من المصادر التى يأخذون منها كتاباتهم وعدم وضع اسم مدينة أو قرية إلاّ بعد التحقق من صحتها]

اسم المحرق :–

كما سبق وذكر ، أن الجزء المتاخم للصحراء فى منطقة قسقام كان ينبت فيها – ضمن ما ينبت من غاب وغيره – نبات الحلفاء والحشائش الضارة ، لذا فقد كان من الطبيعى أن تحرق تلك النباتات الضارة لاستغلال أراضيها للزراعة ..

وكانت تسمى الأرض التى يتم فيها الحريق فى منطقة قسقام من عصر الفراعنة باسم رَ قَ هْ واستمرت بالطبع تلك الحرائق مع ظهور النباتات الضارة وعندما أنشىء دير العذراء فى قسقام بالقرب من منطقة الحرائق أصبح حاملاً لاسم هذه المنطقة (أى منطقة الحرائق) تمييز موقعه عن مواقع باقى الأديرة التى كانت فى القرنين الرابع والخامس فى قمة الأذدهار ولا يخلو مكان منها (كما

ذكر آنفا) وأيضاً لتمييز كنيسته الفريدة عن باقى كنائس المناطق المجاورة له، اشتهر الدير باسم الكنيسة وأطلق عليه : بيعة السيدة العذراء بجبل قسقام :-
المتاخمة لمنطقة الحرائق (أو الحريق)
أى : مَ هـَ رَ قَ

وتناقلت الألسن هذه الكلمة السهلة النطق فى اللهجة العامية والتى لم تتغير كثيراً فى اللغة القبطية (شأنها شأن أغلب الكلمات الفرعونية التى انتقلت إلى اللغة القبطية) واستمر الاسم إلى أن انتشرت اللغة العربية فى البلاد المصرية حيث تحوَّر قليلاً إلى المَحَرَّقة وتوجد فى حوزة الدير بشارة قديمة ترجع إلى ذلك الزمان مكتوب عليها اسم منية المَحَرَّقة . وذكر نص هذا الاسم كل من :-

ا - يوحنا بن صاعد بن يحيى بن مينا المعروف بابن القلزمى الكاتب أثناء حديثه عن الأماكن التى زارتها العائلة المقدسة وذلك فى سرده لسيرة البابا كيرلس الـ ٦٧ فى القرن الحادى عشر .
ب - المؤرخ أبو المكارم فى القرن الثانى عشر .

وبعد ذلك كتب المؤرخون الاسم بدون تاء التأنيث وسمى المَحَرَّق وأصبح الدير يسمى ببيعة السيدة العذراء بجبل قسقام أو دير المحرق [أما تسمية الدير المحرق غير دقيقة لأن «ال» التى سبقت كلمة «دير» غيرت المعنى وجعلته أن الدير هو المحرق وهذا خطأ لأن الدير متاخم كما ذُكر أنفاً لمنطقة الحرائق، وليس واقعاً فيها، إذاً النطق الصحيح هو «دير المحرق»]

وهذا هو أقدم ما وصل إلينا بخصوص هذا الاسم من المؤرخين : ياقوت الحموى فى القرن الثالث عشر، وابن عبدالحق فى القرن الرابع عشر، والمقريزى فى القرن الخامس عشر، ومن الفرمانات والمراسيم السلطانية الخاصة بأراضى وقف الدير التى ترجع إلى القرن السادس عشر . واستمر اسم المحرق حتى الآن . وقد كان من العوامل الدافعة لاستمرارية الاسم ليس فقط منطقة الحرائق المتاخمة له ولكن حدثت واقعة مروعة يذكرها المؤرخ أبوالمكارم، أنه كان يوجد رجل شرير للغاية يسمى خرتبا بن ماليك وكان يصنع شروراً كثيرة جداً ولا يخاف الله ولا يهابه فنزلت صاعقة من السماء واحرقته .

وفى أوائل القرن ١٤ اهتم الناصر محمد بن قلاوون بشق الترع وإنشاء الجسور واستصلاح الأراضى لتوسيع الرقعة الزراعية فى وادى النيل وبالتالى استصلحت أراضٍ كثيرة فى منطقة قسقام مما أدى إلى وصول مياه الفيضان إلى قرب الدير ومع الوقت وبعد إنشاء الترعة الإبراهيمية وصلت المياه إلى سور الدير فى القرن ١٩، وكان الآباء فى عيد الصليب ١٧ توت يخرجون لعمل صلاة على الماء (راجع ص٢١٢). حتى انقطعت مياه الفيضان بعد بناء السد العالى فى الستينات من القرن العشرين الميلادى... إلا أنه كان من طبيعة تلك الأراضى القريبة من الدير - والتى يمتكلها - أن مياه الفيضان كانت تنحسر عنها قبل باقى الأراضى المجاورة لها فتصبح بذلك الأراضى عطشى لم ترتو جميعها فسميت أرض تحاريق . وبعد ما أنشأ محمد على ديوان التأريع الذى قسَّم الأراضى

الزراعية لأول مرة إلى أحواض ، سميت أرض التحاريق هذه باسم حوض المحرق ، وسُمى كذلك ليس لأنه أرض تحاريق ولكن لقربه من الدير فكان يجب أن يسمى باسمه .

وقد اعتقد بعض الكتَّاب فى القرن العشرين أن تسمية المحرق جاءت من اسم هذا الحوض الذى كانت تحدث فيه التحاريق . ولكن هذا غير صحيح .

ونظراً لقوة هذا الاسم ومعناه الروحى فقد أحبه آباء الدير وتمسكوا به .

من جيل إلى جيل :

+ إذا كان الإنسان المتفانى فى خدمة السيد المسيح له المجد ، يكون محترقاً بلهيب نار الحب الإلهى ويقدم حياته دائماً ذبيحة حية مرضية أمام الرب .

+ وإذا كان مذبح المحرقة فى العهد القديم له دور جوهرى لأن سكنى الله فى وسط شعبه فى ذلك الزمان كان يقوم أساساً على الذبيحة التى كانت واسطة المصالحة ، وتشتعل النار فيها بطريقة إعجازية مدهشة بالرغم من أن كل هذا كان يتم خارج قدس الأقداس .

فكم يكون بالحرى مذبح العهد الجديد المقام فى وسط الهيكل – قدس الأقداس – إعلاناً لدخولنا إلى السماء بالمسيح يسوع المذبوح لأجل خطايانا ورمزاً غير محدود لنيران حب الله اللانهائى .

إن اللسان يعجز عن وصف مقدار عظمة البيت الذى سكنه الرب ، ومذبحه المقدس الذى باركته اليمين الإلهية ، والمقدم عليه سر الإفخارستيا من خلال العمل الليتورجى عبر العصور والأزمنة ، فإنه جدير بأن يسمى بالمذبح المحترق بنار المجد الإلهى ، وأن يطلق على المكان الحاوى للبيت والمذبح اسم : المحترق – المحروق – المحرَّق ..

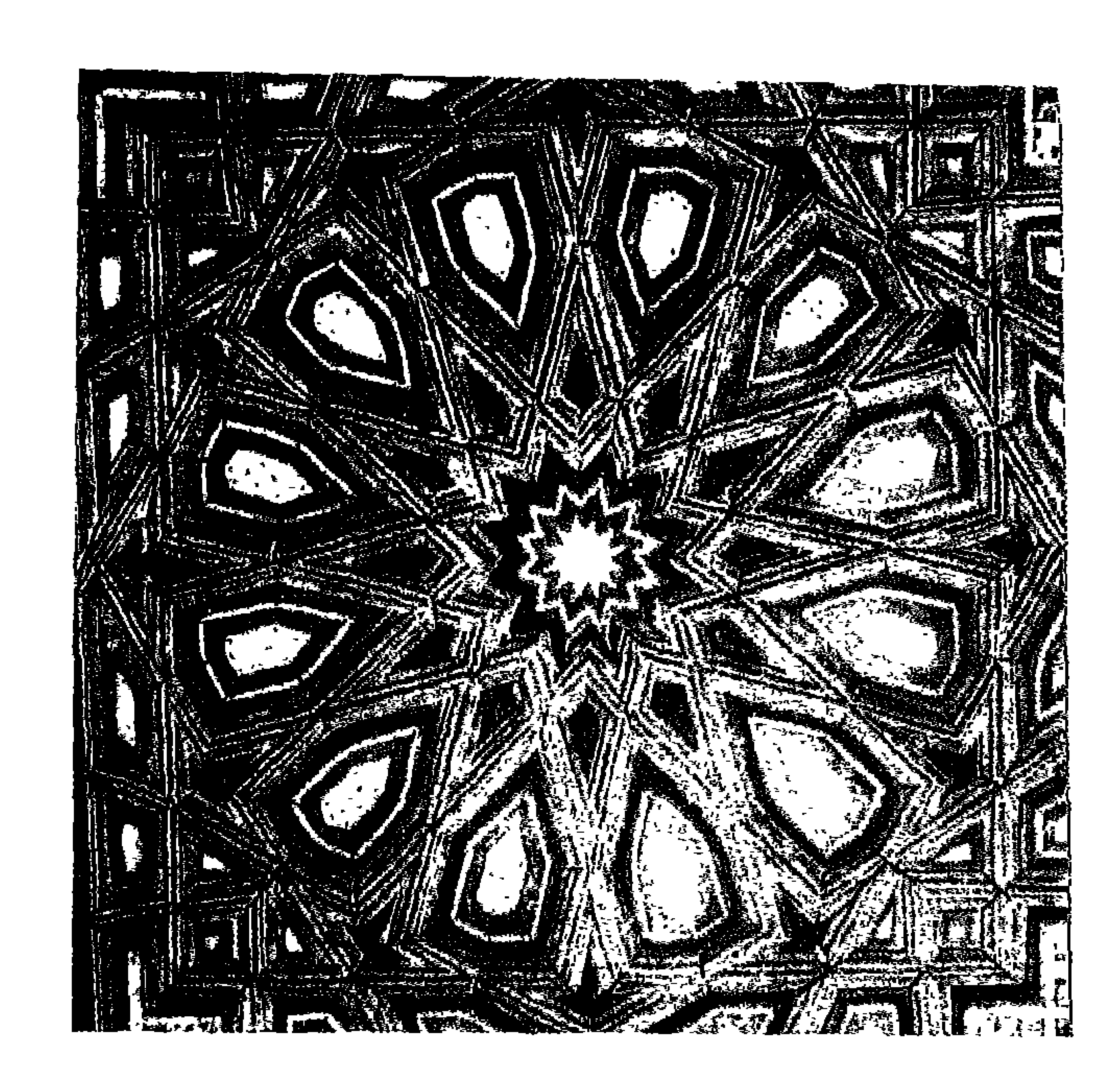
+ ومن العجيب .. بل والمدهش أن السيدة العذراء مرتمريم ، تُشَبِّهها الكنيسة المجيدة بالعليقة المشتعلة بالنار التى رآها موسى النبى ولم تحترق ، لأنه أتى وتجسد منها كلمة الآب ونار لاهوته لم يحرقها . فإنه لأمر جليل ذو شأن عظيم أن يطلق اسم السيدة العذراء مرتمريم (العليقة المشتعلة بالنار ...) على المكان المحترق بنار المجد الإلهى .

+ ولمحبة الآباء فى هذا الاسم فإنهم تفننوا فى أسلوب نسب الاسم إليهم .. فكان بعضهم يلقبون أنفسهم بالراهب المحروق ، أو المحرقاوى .. ولم يتخلُّوا عنه واعتبروه لقب شرف لهم وأخذوه معهم عبر البلاد حتى إلى إيرلندا عندما بشروا هناك باسم المسيح . وقد ذكر فى ليتورجية قديمة اسم رهبان دير المحرق .

من أهم مراجع اللغات التى استخدمت فى هذه الدراسة :-

1- W.E. Crum: ACoptic Dictionary, Oxford,ed. 1979
2- J.Cerny: Coptic Etymological Dictionary, Cambridge, 1976
3- R.Smith: AConcise Coptic-English lexicon,Michigan, 1983
4- E.A.W.Budge: An Egyptian Hieroglyphic Dictionary (2volumes),Newyork,ed.1985

١ - قاموس أقلاديوس بك لبيب ١٨٩٦ م .
٢ - مخطوطات السلم للسمنودى .



نقش خشبى بمقصورة السيدة العذراء فى كنيسة مارجرجس بالدير

كراسى الايبارشيات المتاخمة لدير المحرق

نظراً لأن تاريخ الدير كان له ارتباطاً بعض الشيء باساقفة الكراسى المتاخمة لدير المحرق وكان أهالى هذه المناطق لهم ارتباط عجيب بالدير مثبت بدعائم حبهم للسيدة العذراء . رؤى أنه من الواجب البحث عن أسماء الآباء الأساقفة فى المخطوطات والوثائق القديمة بالدير وفى المصادر ومخطوطات طبخ الميرون التى أوردت أسماء الأساقفة الذين اشتركوا فيه ، وأيضاً فى جداول الأسقفيات القديمة . وقد تم التوصل حتى الآن إلى أسماء الأساقفة الاتية أسماؤهم :

كرسى ايبارشية القوصية وقسقام

+ أقدم أسقف تم التوصل إلى اسمه هو الأنبا هيلياس أسقف القوصية وبيعة السيدة العذراء بقسقام ، واستشهد هذا القديس فى عهد ذيوكلتيانوس فى أوائل القرن الرابع .

+ الأنبا اشيلُّس وجد اسمه فى قائمة الأساقفة الذين انضموا إلى ميلتيوس أسقف أسيوط ضد البابا بطرس خاتم الشهداء (فهو يعتبر التالى مباشرة للأنبا هيلياس الشهيد – فى النصف الأول من القرن الرابع) .

+ الأنبا قسطنطين الكبير اسقف اسيوط: تبين أنه كانت إيبارشية القوصية وقسقام مضافة إليه فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادى وقت أن كانت القوصية خربة .

+ الأنبا مينا فى القرن الثامن الميلادى .

+ الأنبا ساويرس فى القرن التاسع الميلادى .

+ الأنبا مرقورة فى القرن ١١ الميلادى .

+ الأنبا مرقس فى القرن ١٤ الميلادى .

+ الأنبا أبرآم ذكر اسمه فى طبخ ميرون سنة ١٣٢٠ م .

وذكر نفس الاسم فى ميرون سنة ١٣٤٣ م (ولم يعرف إذا كان نفس الأسقف حضر الميرونين أو هذا الإسم لأسقف آخر) .

+ الأنبا ميخائيل ، القرن ١٥ الميلادى .

+ الأنبا ميخائيل
+ الأنبا غريغوريوس
} القرن ١٦ الميلادى

+ الأنبا ميخائيل الميرى
+ الأنبا غبريال
} القرن ١٨ الميلادى

+ الأنبا يوساب فى القرن ١٩ الميلادى .
+ الخورى أبسكوبوس ميخائيل وكيل كرسى الإيبارشية وورد اسمه بين أسماء الآباء الأساقفة ورؤساء الأديرة الذين وقعوا على التزكية الخاصة بترشيح البابا كيرلس الرابع فى ١٨٥٤م (وفى كتاب اخر ذكر اسمه غبريال) .
+ الأنبا ثاؤفيلس ، القرن ١٩ الميلادى (حضر رسامة البابا ديمتريوس الثانى ١٨٦٢ - ١٨٧٠م) .
+ الأنبا ساويرس رسم أسقفاً سنة ١٨٧٥م فى عهد البابا كيرلس الخامس .
+ الأنبا اثناسيوس ١٨٧٩ - ١٩٠٠م .
+ الأنبا ساويرس ١٩٠١ - ١٩٢٥م .
+ الأنبا اغابيوس ١٩٢٩ - ١٩٦٤م (اصبح الكرسى باسم ديروط وصنبو وقسقام)
+ الأنبا اغابيوس ١٩٦٥ - ١٩٨٤م .
+ وقد قام صاحب الغبطة البابا شنودة الثالث بتقسيم الإيبارشية إلى ثلاث إيبارشيات . برسامة الأنبا برسوم لكرسى ديروط وصنبو - والأنبا أغابيوس لكرسى دير مواس ودلجا - والأنبا توماس لكرسى القوصية ومير .

حفظهم الرب لسنين عديدة ولأزمنة سالمة مديدة ...

كرسى ايبارشية منفلوط

بالرغم من أن مدينة منفلوط مدينة قديمة (اسمها القبطى يعنى الحمر الوحشية حيث كان تقتنى بها قديماً) إلا أنه لم ينشأ بها كنيسة إلا فى القرن ١٨/ ١٩ الميلادى

وكانت المدينة وكفورها تابعة لأسقفية اسيوط الى أن أنشئت ولاية المنفلوطية فى القرون الوسطى ومنفلوط عاصمة لها . وانشىء كرسى الإيبارشية فى بلدة بوق بنى زيد لأن منفلوط لم يكن فيها كنيسة فى ذلك الوقت . ثم بعد ذلك انتقل الكرسى إلى كنيسة بنى كالب (تغير اسمها إلى بنى مجد سنة ١٩٣١م) ثم انتقل إلى مدينة منفلوط وسُمى الكرسى باسم منفلوط وأبنوب .

+ أقدم أسقف تم التوصل الى اسمه حتى الآن هو الأنبا يوأنس فى القرن ١٦ الميلادى .
+ الأنبا كيرلس فى القرن ١٦ الميلادى .
+ الأنبا مرقس فى القرن ١٧ الميلادى .

+ الأنبا بطرس فى القرن ١٨ الميلادى .

+ الأنبا أبرام رُسم فى سنة ١٨١٧م فى عهد البابا بطرس الجاولى .

+ الأنبا أثناسيوس : ذُكر اسمه فى أسماء الآباء الأساقفة ورؤساء الأديرة الذين وقّعوا على تزكية ترشيح الأنبا كيرلس الرابع بطريركاً .

+ الأنبا بطرس ١٨٧٨ – ١٩٠٣م .

+ الأنبا ثاؤفيلس ١٩٠٥ – ١٩٢٩م .

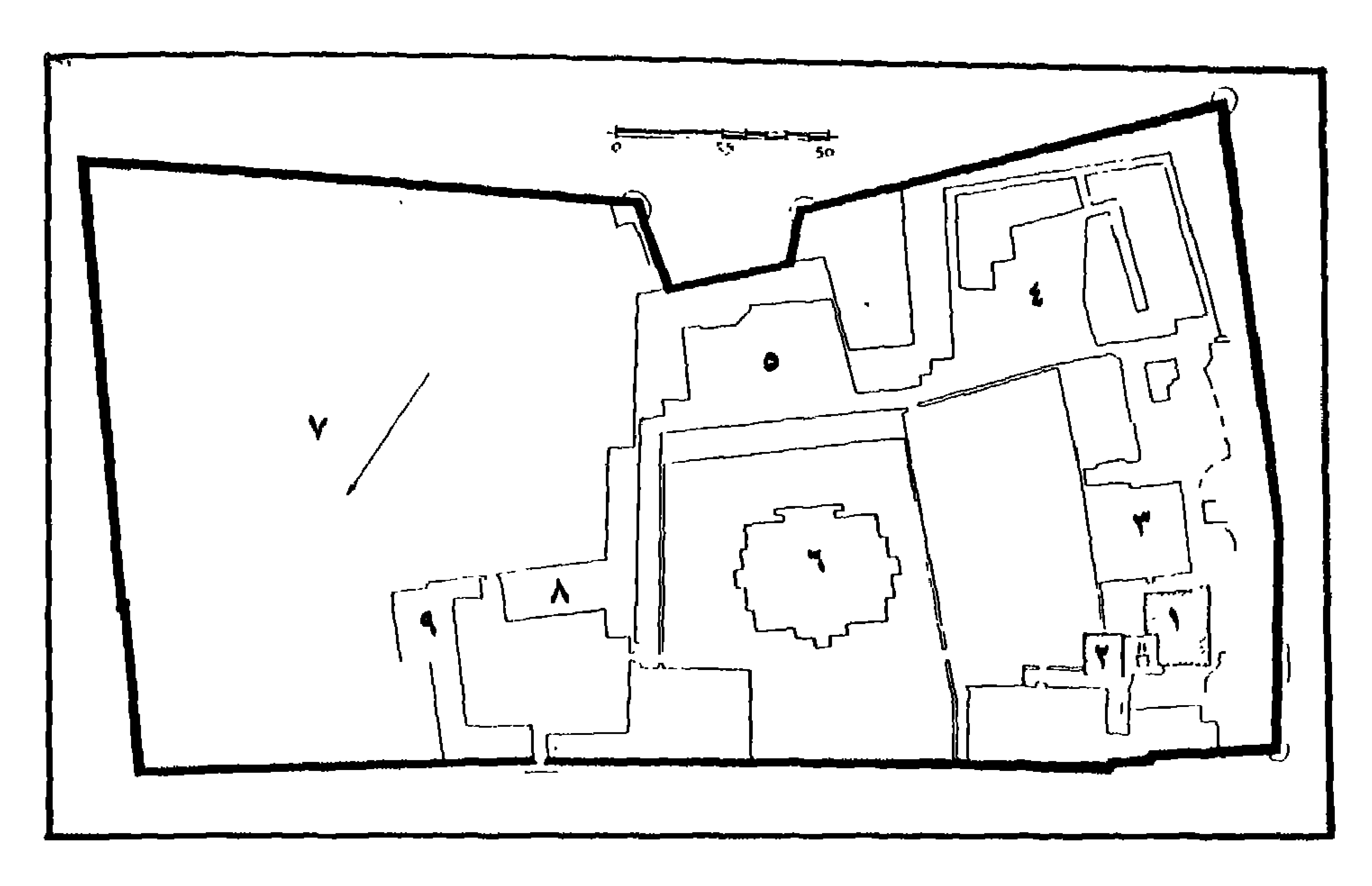
+ الأنبا لوكاس ١٩٣٠ – ١٩٦٥م .

+ الأنبا لوكاس ١٩٦٥ – ١٩٨٤م .

+ وقام صاحب الغبطة البابا شنودة الثالث بتقسيم الإيبارشية إلى إيبارشيتين : برسامة الأنبا أنطونيوس لكرسى منفلوط والأنبا لوكاس لكرسى أبنوب .

حفظهم الرب لسنين عديدة ولأزمنه سالمة مديدة .

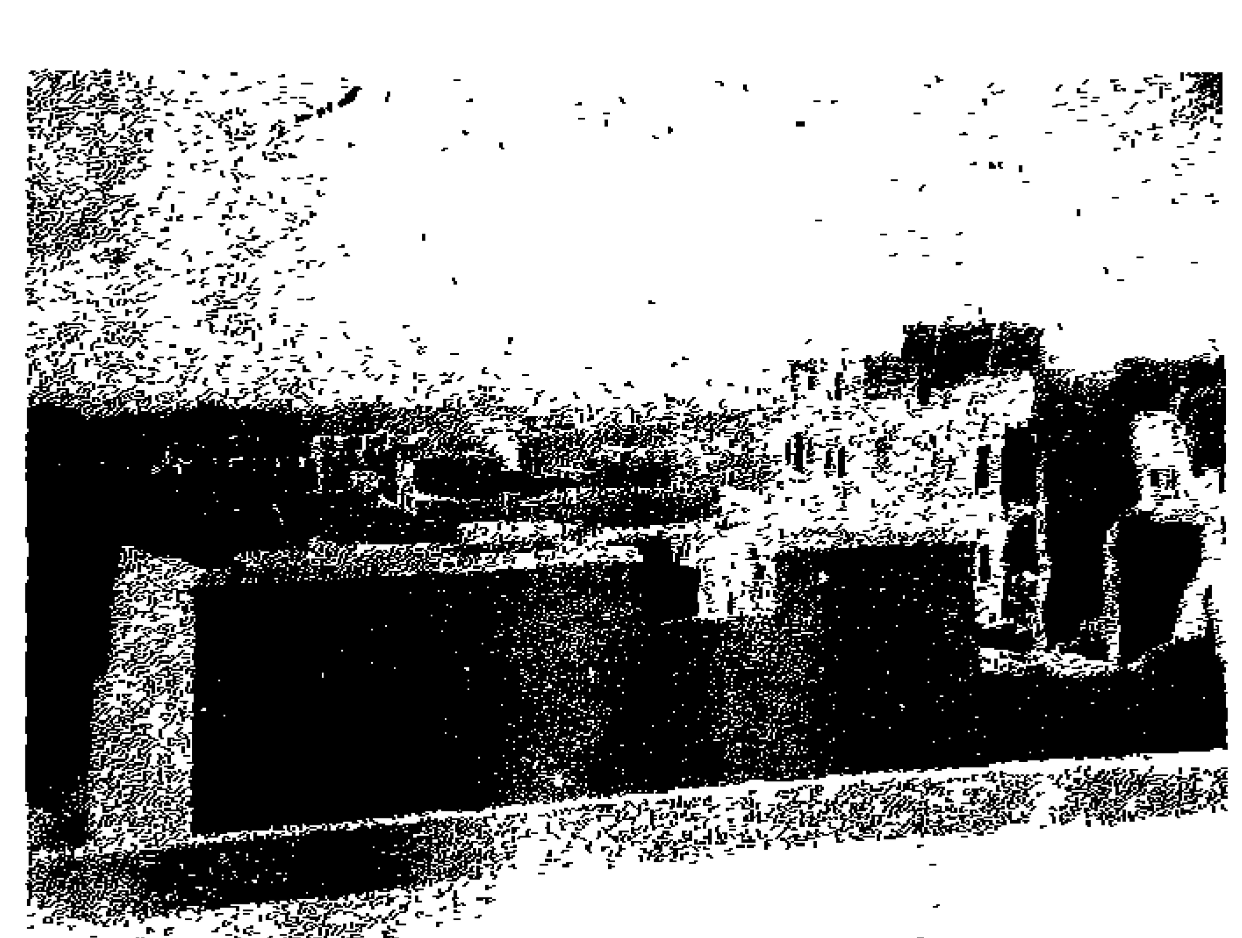


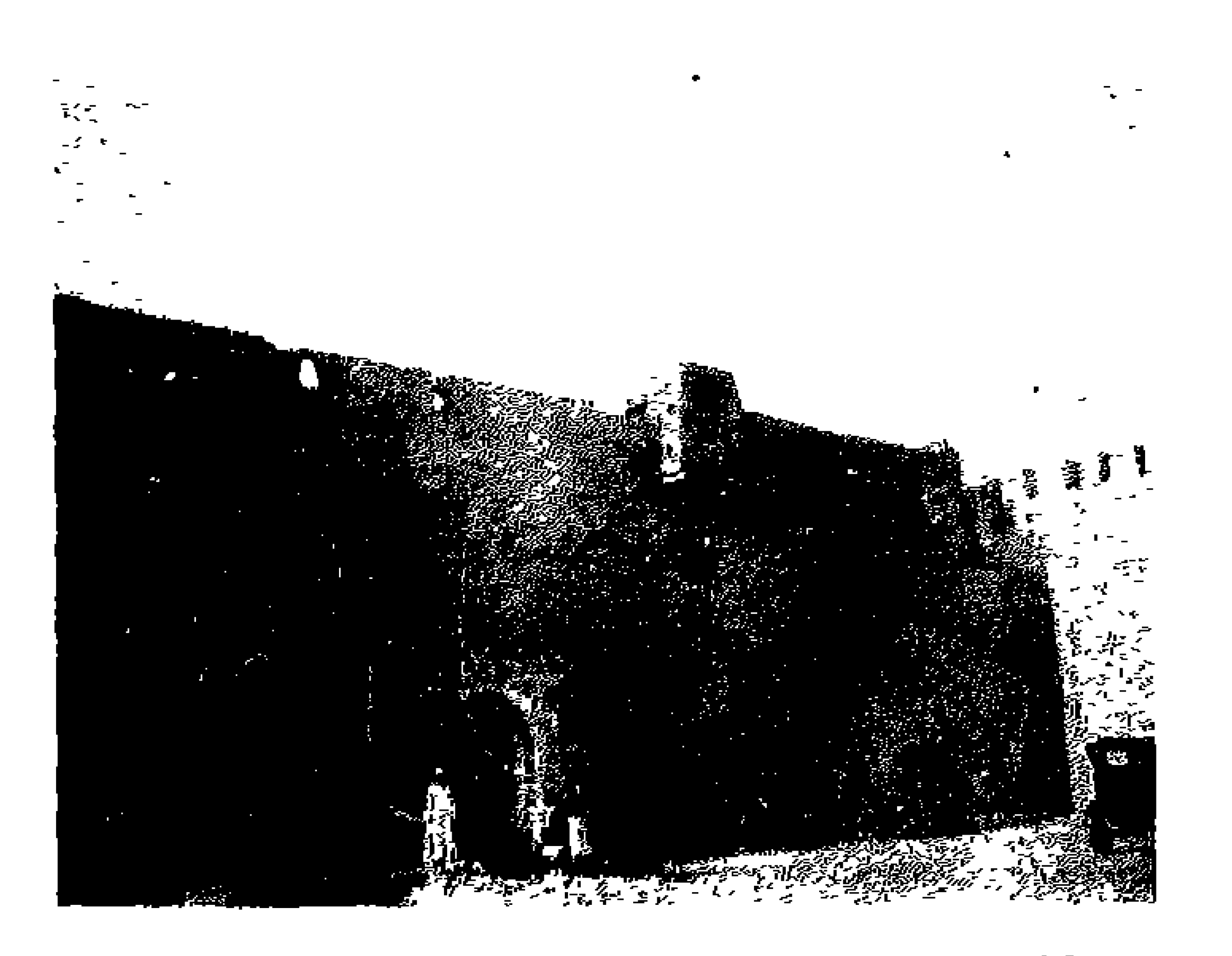


الدير فى الفترة ١٩١٠ - ١٩٢٠ م

١ - الكنيسة الأثرية
٢ - الحصن الأثرى
٣ - كنيسة مارجرجس
٤ ، ٥ - قلالى الرهبان ومخازن الغلال ..

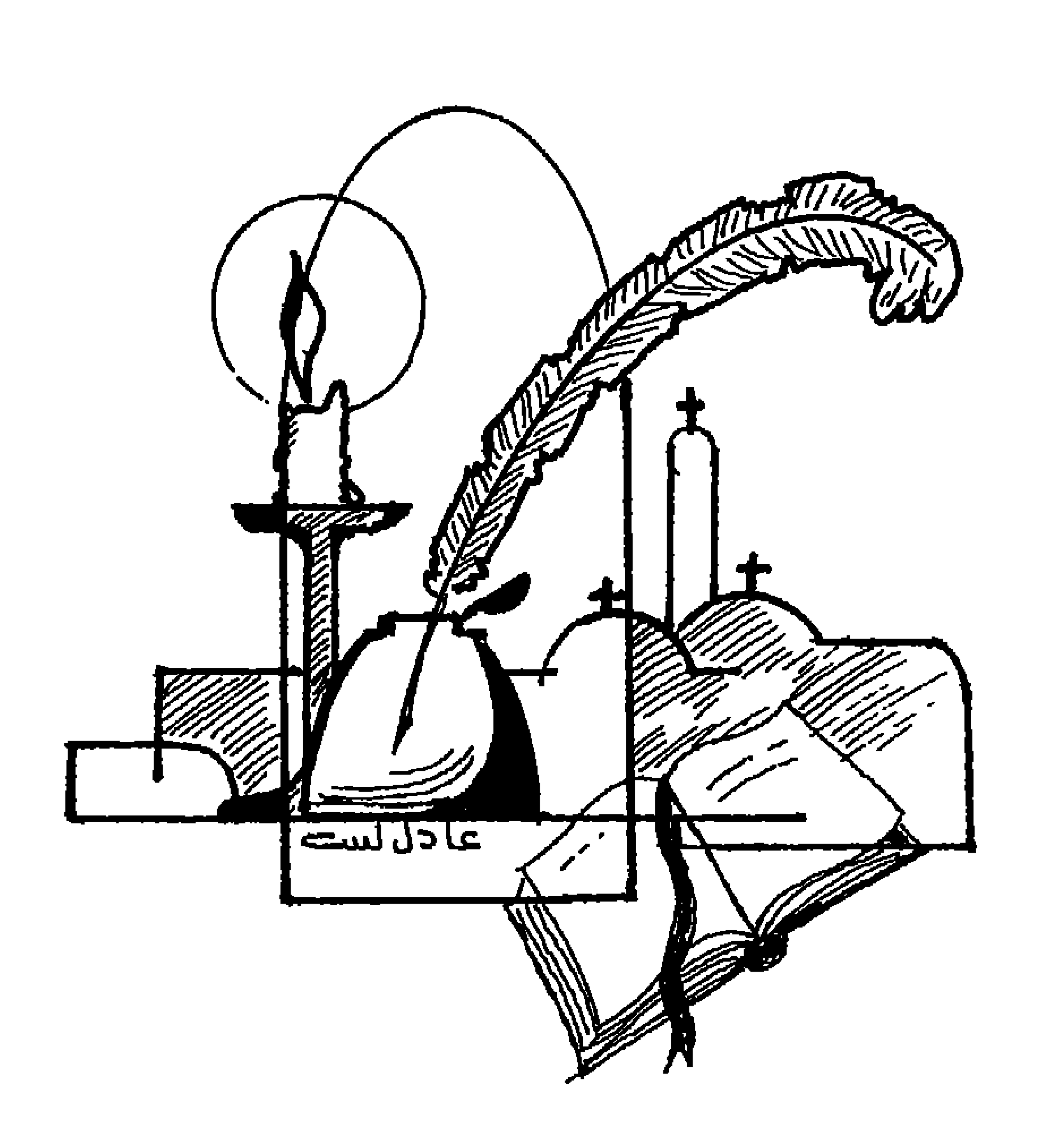
٦ - القصر (سكن رئيس الدير)
٧ - حديقة كبيرة
٨ - حظيرة للجمال
٩ - حظيرة للدواب





الدير فى عام ١٩٢٩ م

الدير والتراث



صفحة

مــن
التــراث الروحــى
الصــلاة الدائمــة

«إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفســك ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبــك وقصّــها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك وأكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك». (تثنية ٦ : ٤ ـ ٩) هذه الوصية قالها الرب فى العهد القديم فكم يكون المسيحى فى العهد الجديد الذى نال المواعيد وكشفت له طرق الخلاص والحياة الأبدية فى المسيح يسوع.

وبناءاً عليه كان التعليم الإنجيلى للصلاة بدون إنقطاع هو أحد سمات المسيحى الحقيقى لأنها وسيلة الإتصال الفريدة والمضمونة بينه وبين الهه القدوس.

لذلك سعى الآباء معلمى الكنيسة منذ بدء المسيحية فى الحث والتأكيد على أهمية الصلاة الدائمة بدون إنقطاع لأنها الوسيلة الفعلية للتعايش المستمر فى المسيح يسوع، ومؤكدين بأن هذا التعايش يضطرم لهيبه الروحانى من التفاعل المستمر للمحبة والإيمان والرجاء الناتج من عمل النعمة داخل الكيان المسيحى.

فإن كان هذا هو مبدأ الحياة الحقيقية لكل إنسان يعيش مع المسيح رب المجد فكم يكون عند الراهب المسيحى!!

لذلك قام الدير بعمل دراسة شاملة عن موضوع الصلاة الدائمة بدون إنقطاع فى مفهوم آباء الكنيسة عموماً وتطورها فى الرهبنة المسيحية فى الشرق خاصة.

لقد كان للآية الكتابية مفعولها المضطرم داخل المسيحى (كما ذُكر فى الدراسة الخاصة عن النسك المسيحى فى أول الكتاب)، يهذّ فيها على الدوام ليلاً ونهاراً بدون إنقطاع.

إلا أن الإنطلاق الروحانى الملتهب داخل كيان الراهب فى الحياة مع المسيح، جعل الآباء يزدادوا تمسكاً وتشبثاً بالآية ومصدر روحها من خلال ترديد اسم يسوع بصور مختلفة حتى لا تقف شفاههم وأفكارهم وقلوبهم عن الهذيذ والتأمل فى الاسم الإلهى للوصول إلى الإلتحام اللانهائى فى شخص المسيح يسوع ربنا.

إستخدم الآباء جملاً كثيرة فى صلواتهم حسب تباين بيئاتهم ومعيشتهم، فبينما كانت فى

مصر صور عديدة ـ استمرت حتى العصر الحديث ـ للهذيذ فى الكتاب المقدس وفى جمل إضافية مستوحاه بإلهام الروح القدس العامل فيهم.

إلا أن صلاة يسوع (يارب يسوع المسيح ابن الله الحى إرحمنى أنا الخاطئ) صارت هى الطابع المميز للهذيذ عند آباء الكنيسة اليونانية والكنيسة الروسية، منذ القرون الوسطى المتأخرة حتى العصر الحديث وأصبح لها تداريب وممارسات بأسلوب ومنهج روحانى.

ومن الدراسة إتضح أن الآباء الأبرار الذين عاشوا فى دير المحرق العامر إستقروا على الطابع الأقدم وهو الهذيذ الكتابى مع إضافة بعض الصيغ التى يراها كل واحد منهم نافعة لخلاص نفسه...

وقد وُجدت بعض الصيغ فى متون وحواشى المخطوطات المحفوظة بالدير..

فعلى سبيل المثال لا الحصر :

- حتى متى تنسانى يارب إلى التمام حتى متى تصرف وجهك عنى...
- الرب ربنا ما أعجب إسمك فى الأرض كلها.
- يارب يسوع المسيح أعنى.
- أشكرك ياربى يسوع المسيح.
- ياربى يسوع المسيح ساعدنى على ما يرضيك.
- ياربى يسوع المسيح ترآف على.
- ياربى يسوع المسيح تحنن على.
- ياربى يسوع المسيح إغفر لى خطاياى.
- ياربى يسوع المسيح أيدنى.
- يسوع المسيح الحى الدائم إلى الأبد.
- ياربى يسوع المسيح افتقدنى برأفاتك.
- ياربى يسوع المسيح إرحمنى.
- ياربى يسوع المسيح تعطف على.
- أسبحك ياربى يسوع المسيح.
- ياربى يسوع المسيح أعن مسكنتى.
- ياربى يسوع المسيح عضدنى بقوتك.
- ياربى يسوع المسيح انظر الى.
- ياربى يسوع المسيح باركنى.
- ياربى يسوع المسيح إرحمنى برحمتك.
- ياربى يسوع المسيح سامحنى بما سلف منى.
- ياربى يسوع المسيح أسترنى تحت ظلال كنفك.

- أنا أعترف لك ياربى يسوع المسيح وأحمدك وأرتل لك وأبارك إسمك وأخضع لك وأسجد لك وأمجدك ولك الاقتدار والقوة والمملكة والعزة والجلال والسلطان والعظمة والجبروت إلى الأبد آمين.

والبعض الآخر إستحسن كتابة قول أو أقوال من آباء البرية الأقدمين حتى يتأمل فيها دائماً.

فمثلاً فى مخطوطة محفوظة بالمتحف البريطانى عن تفسير سفر التكوين (من القرن ١٤ الميلادى) منسوخة بواسطة القس إقلودة المحرقى (أخو البطريرك الأنبا غبريال الرابع ٨٦)، وجد فيها أنه نسخ بعض من أقوال القديس فليمون عن الصلاة الدائمة. (الذى عاش فى برية شيهيت فى القرن السادس الميلادى)، ونصها الآتى :

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد.

من سيرة الأب فيلمنس

سأله بعضُ الإخوة قائلاً : «أيها الأبُ، ما أصنع فأخلص؟ لأنى أرى العقلَ منّى تائهاً هنا وهنا، فيما لا يجب ولا يُجدى نفعاً».

فصمت القدّيسُ قليلاً، ثمّ قال له : «هذا العارضُ يثبتُ عند البرّانيّين[1]، وهو من آلامهم. إذ كان ما قد صار فيك بَعْدُ شوق إلى الله تامّاً كاملاً، ولا تداخلُك حرارة الشغفِ به وتوقُّد معْرفته».

فقال له الأخُ : «فايش[2] أعمل، يا أبى؟».

فأجـابه ذلك الكـبيرُ : «امـضِ اسلك فى قَلْبـك هـذيذاً خفـيّاً، وفى ذهـنك أيضـاً. ليُمكنَك، بواسطة قلبك وذهنك، أن تنظّفَ قلبَك من هذه».

فكان الأخُ ما له[3] خبرة بما قاله الشيخ. فقال له : «أيها الأب، ما هو الهذيذ الخفىّ؟». فقال له الشيخُ : «إمضِ، اهذّ فى قلبكَ وفى فكركَ بتيقّظ وفزع، قائلاً «يا ربّنا يسوع المسيح، ارحمنى!». لأنّ ديادخس الطوبانىّ هكذا سلّم إلى المبتدئين».

فلمّا مضـى الأخُ، بمعونـة الله وصـلوات الشيخ، ولزمَ الصَّمْتَ، حلىَ له هذا الهذيذُ قليلاً قليلاً. فلمّا خلاّه[4] بغْتةً، [و] انفصلَ عنه وما أمكنَه أنْ يفْلَحه بتيَقُّظ، عادَ إلى الشيخ، وعرّفَه بما جرى له.

فقال له : «ها قد عَرَفْتَ أثَراً من اثار الصَمْت والعَمَلِ. وصارِ لكَ دُرْبةٌ[5] به وبالحلاوة الصائرة. فَلْيكُنْ فى قلبكَ دائماً : هل[6] كنتَ تأكُلُ أو تَشْرَبُ، أو تفاوضُ قوماً، أو كنتَ خارجَ قلأيتكَ، أو ماشياً فى الطريق. لا يَعبرُكَ أو يَفوتكَ أنْ تصلّىَ بهذه الصلاة، بقلبٍ مستيَقظٍ غيرِ تائهٍ، وأنَ تتلوَ مزامير وصلَواتٍ».

---

١ ــ البرانيين : أحدى الكلمات المذكورة فى المخطوطات وتعنى من هم غير الروحيين.

٢ ــ ايش : ماذا

٣ ــ ماله : ليس له

٤ ــ خلاّه بغتة : أى تركه فجأة.

٥ ــ دُرْبة به : أى خبرة أو دراية أو تدريب.

٦ ــ هل كنت تأكل : يعنى بها عندما تأكل أو تشرب...

نعم! وفي وقت حاجتكَ الضروريّة، لا يَسْكُنْ عقلُكَ من الهذيذ الخفيّ والصلاة. لأنّكَ على هذه الصفة يمكنكَ أنْ تفهَمَ أعماقَ الكتاب الإلهيّ، وتَعلَمَ قوّةَ ما فيه بالحقيقة، وتعطى عقلَكَ عمَلاً دائماً، حتّى يتمّ قولُ الرسول القائل : «صلّوا على الدّوام!».

«فتأمّلْ نفسَكَ تأمُّل شافياً، واحفَظْ قلبَكَ، لئلاّ يُصيِّرَ أفكاراً رديّةً بطّالةً لا تُجدى نَفْعاً. لكنّكَ على الدّوام، في حال نومكَ ويقْظتكَ، وأكْلكَ وشربكَ، ومحادثتكَ[٧]، ليكُنْ قلبُكَ خفياً، وفكرُكَ تارةً يتْلُوا مزامير وتارةً يُصلّي قائلاً : «ياسيدى يسوع المسيح، إرحمني!». وأيضاً تأمّلْ، إذا ما كنتَ تصلّى بلسانكَ، لا يكونُ فمكَ ينطق بشيء وفكركَ يدور فى أشياء أُخر!».

وسألَه الأخُ أيضاً كيف يَطرُدُ عن نفسه النومَ والأفكارَ الخبيثة.

فأجابه الشيخُ : «أنت هكذا ما يُمكنُكَ أنْ تتسلَّحَ، بل الأولى أن تتشبَّثَ بهذيذ الخفيّ. وواصِل الصلَوات الليليّة والنهاريّة، التى رَسَمَها الآباء القدّيسين، أعنى الثالثة والسادسة والتاسعة والعَشَى[٨].

«وجميع ما رسموه، احرصْ فى تتميمها وحفْظها، بكلِّ جَهْدكَ. من حيثُ لا تلتفتُ إلى ما يُرضى الناس، ولا تعادى أحداً من الخَلْق، حتّى لا تُبعِدَ نفسَكَ من اللّه».

(وقد اكتشف هذه الأقوال التى للقديس فليمون ـ بداخل المخطوطة ـ الآب سمير خليل اليسوعى. وقام بدراستها.. والقيت ضمن محاضرة فى اللقاء الدولى عن الفيلوكاليا المنظم بواسطة الزمالة اليونانية، وذلك فى روما عام ١٩٨٩ م.

وطبعت فى :

PROCHE - ORIENT CHRÉTIEN

t. 43 (1993) pp. 5-38

تحت عنوان :

Un texte de la Philocalie sur

la "prière à Jésus"

dans un manuscrit arabo - copte médiéval

SAMIR KHALIL SAMIR

٧ ـ محادثك : أحاديثك أو كلامك

٨ ـ العشى : أى الغروب أو صلاة العشية.

الطقس الكنسى والمناسبات الدينية فى الدير

مقدمـــة :

إن خدمة الرب وعبادته من خلال الخدمات الليتورجية المتنوعة فى الكنيسة المقدسة يومياً طوال السنة لهى بمثابة الصعود الدائم من الأرضيات إلى السمائيات وهى الواسطة لتربية الإنسان وإعداده إعداداً سليماً فى التزام نسكى وروحى. حسب قول الشيخ الروحانى : إن الذى لا يصلى إلا عندما يصلى فهو لا يصلى أبداً.

والطقس وسيلة مقدسة لاشتراك الجسد بأكمله مع الروح فى عبادة طاهرة متكاملة. كاستخدام النظر فى رؤية الأيقونات المقدسة والاستماع إلى الألحان الكنسية العذبة مع الاشتراك فى ترديدها، وحاسة الشم لرائحة البخور الذكية، والجسد كله يصنع مطانيات.

«لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا.» (يو ٤ : ٢٤).

والعبادة فى الكنيسة يجب أن تكون بنظام وترتيب لأن النظام هو طابع الكون بأسره «فليكن كل شئ بلياقة بحسب ترتيب» (١كو ١٤ : ٤٠)، «بالإيمـان نفهم أن العـالمين أتقنت بكلمة الله» (عب ١١ : ٢) وما من عمل ناجح إلاّ ويسوده النظام.....

فإذا كان النظام هو الطابع الأساسى لنجاح الأعمال فكم بالأحرى أن يعم النظام الكنيسة التى هى بيت الله فيجب أن تكون أكثر تنظيماً وتنسيقاً، وإن كان العقل لا يتقبل المعرفة إلاّ على أساس منطقى منظم، فهكذا حقائق الروح لا تنفذ إلى الأعماق إلا على أساس من النظام. وإن كان المجتمع الإنسانى بأكمله لا ينجح إلاّ إذا كان منظماً فكم يكون مجتمع المؤمنين الذى يجب أن يكون روحاً واحداً. لذلك سميت الترتيبات والتنظيمات للصلوات المختلفة فى الكنيسة بالطقوس.

والحقيقة تقال : إن الطقوس هى التى تخلّد الديانة الحقة وتبقيها وتحفظها. وهذا ما انتهى إليه الباحثون فى علم الاجتماع. فقد قرروا أن الشعوب التى تمارس طقوساً فى عبادتها، تتمسك بدينها وتثبت عليه ثباتاً عجيباً بمجهود عنيف متواصل.. فقد أسدل الستار على النظرية الخاطئة التى كان يعتقد فيها، وهى أن الناس هى عقول بحتة لا ينفذ إلى نفوسهم شئ ما لم يمر على العقل أولاً.. لأنه لم يخلق بعد الإنسان الذى يعيش فى الحياة بعقله بدون تأثير المؤثرات الخارجية التى تنقلها إليه حواسه.. لذا فالديانة الحقة التى تدوم طويلاً هى التى تشبع حاجات الإنسان الداخلية عن طريق ممارسات جسدية تؤثر على الحواس فتنقلها إلى الكيان الإنسانى فتشعل عواطفه وتلهب فؤاده..

إذاً فالعبادة الخالية من الطقوس تشبه تمثالاً بلا روح أو شجرة بلا ثمر لأنه كما أن الإيمان بدون أعمال ميت كذلك العبادة بدون طقوس ميتة.

ويقول نيافة الأنبا غريغوريوس إن الطقوس تعبر عن العقيدة وتصونها لأن روابطها تمنع جموح الفكر وتلاعب العقل، فهى أوثق ضمان للاحتفاظ بوحدة الديانة.

وأخيراً فإن الطقوس فى الكنيسة القبطية كانت خير دعامة لخلودها وسر احتفاظها بثباتها رغم الاضطرابات الزمنية التى مرت على تاريخها المجيد.

لذلك فإنه على الأديرة ـ التى هى أنسب مكان للعبادة ـ أن تحافظ على طقوس الكنيسة وعقائدها الأصيلة..

وللدير بعض من الطقوس والتقاليد الأصيلة توارثها الآباء الرهبان منذ القدم نوجزها فيما يلى :

الطقس الكنسى وعراقته بالدير

✣ القداس الإلهى اليومى منذ القدم (باستثناء أربعة أيام البصخة المقدسة).

ويروى نيافة الأنبا غريغوريوس عن بعض شيوخ الدير أن واحداً من قديسى الدير ـ وقد وصل إلى درجة السياحة فى الرهبنة ـ سأل الرب مرةً وهو يصلى مع السواح عن سر إقامة الذبيحة يومياً فى كنيسة العذراء الأثرية ـ فسمع صوتاً يقول «إن الذبيحة لا تنقطع من فوق مذبحى».

وهناك التزام قوى مدعَّم بالتقليد الثابت فى الدير بأن يصلى القداس باللغة القبطية (باستثناء القراءات التى أضيفت باللغة العربية).

وإلى وقت قريب كان الراهب الذى يُرْسم كاهناً يلتزم بحفظ القداس الإلهى كاملاً بالقبطية وكذلك الصلوات التى تتلى سراً به ـ عن ظهر قلب ثم يجتاز اختباراً شفهياً بدون استخدام الخولاجى، للتأكد من إتقانه وأدائه ثم يقوم بعمل القداس لمدة ثلاثة أيام تحت إشراف الأب المسئول عن الكنيسة وصلواتها (الكنايسى) وبعد ذلك يصرِّح له بالقيام بصلوات القداس.. .

وهذا أمر لابد منه لكى يليق بالمذبح الذى قدسته اليمين الإلهية فى وسط أرض مصر.

✣ كان إلى أوائل القرن العشرين يوجد آباء بالدير يصلُّون القداس الكيرلسى المعروف بألحانه الطويلة ويبدو أنه كان يسلِّم للذين يرغبون فى الصلاة به..

✣ لا تستغنى الكنيسة بالدير عن شمع النحل حسب الطقس الأصيل نظراً لنقاوته وخلوه من الدهون والشحوم. كما أن النحل يستخلصه من الزهور، وهذا يرمز إلى نعم الله المتنوعة التى يفيضها على المؤمنين.

✥ وللآن.. فإن العادة القديمة والخاصة باستخدام الحنوط والورد اليابس ـ المتبقى من الدفنه ـ قبل رش الماء فى نهاية القداس الإلهى، مازالت مستمرة حيث يأخذ الكاهن قليلاً منها قبل أن يصب الماء فى يده ويصرف الملاك. [لم يوجد أى مرجع طقسى من المراجع المعروفة، يذكر هذا الطقس الجميل، إلا أنه ورد فى مجلة الكرازة السنة الثانية والعدد الرابع ـ مايو ١٩٦٦ ص ٣٥].

✥ يوجد فى وسط الباب الملوكى لحامل الأيقونات (الأيقونستاسز)، حلقة تستخدم فى تعليق الشورية فى رفع بخور عشية وباكر لأنه من المعروف أن الكاهن لا يترك الشورية طوال صلاة رفع البخور لذلك فعند صلاة ⲫϯ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ (اللهمَّ ارحمنا) لابد أن يعلقها الكاهن بنفسه ولا يعطيها للشماس فلذلك ركبت الحلقة حتى يمكنه تعليق الشورية.

✥ توجد بالغرفة القبلية بهيكل الكنيسة الأثرية حفرة أسفل الحائط الشرقى كانت تستخدم لتصريف الشورية (أى لتفريغها فيها) بعد الانتهاء من الصلوات.

ومن الممارسات الهامة المتبقية حتى الآن بالدير والتى تزيد من مهابة المكان الذى قدسه الرب بنفسه.. هو خلع الحذاء خارج باب الكنيسة فلقد قال الرب لموسى قديماً «اخلع حذاءك لأن الأرض التى أنت واقف عليها مقدسة» (خر ٣: ٥).

مجمع التسبحة :

كان آباء الدير منذ القدم يسبحون بمجمع تسبحة مطوَّل عن المجمع المعروف حالياً فى الإبصلموديات المطبوعة ـ بأحد عشر ربعاً الآتى ذكرها ـ ولم يبق منها الآن إلا ربعان يذكران فى التسبحة اليومية فى نصف الليل. وهما ربع للقديس مقروفيوس وربع للقديس الأنبا هرمينا السائح.

ويبدو أنه بعدما ذاع صيت الأنبا هرمينا السائح (القرن الخامس) الذى ببلدة قاو (جنوب شرق أسيوط) والقديس مقروفيوس ابن ملك قاو (القرن السادس) الذى ترك ملكه وترهب وأنشأ أديرة كثيرة بين جنوب أسيوط وأبو تيج.. اهتم رهبان أديرة تلك المناطق بذكر هذين القديسين فى مجمع تسبحة نصف الليل وبالتالى رهبان دير المحرق بجبل قسقام.. الذين التزموا حتى اليوم بذكر أسمائهما رغم عدم ورودهما فى الإبصلمودية المطبوعة..

ⲁ̅. Ⲧⲱ̅: Ⲏⲥⲏⲇⲱⲣⲟⲥ ⲛⲉⲙ Ⲥⲁⲛⲁ ⲡⲉϥⲥⲟⲛ ⲛⲉⲙ ⲁ̀ⲡⲁ Ⲃⲱⲛϣ ⲛⲉⲙ ⲁ̀ⲡⲁ Ⲕⲩⲙⲁ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲃ̅. Ⲧⲱ̅: ⲁ̀ⲡⲁ Ⲕⲁⲥⲧⲱⲣ ⲛⲉⲙ ⲁ̀ⲡⲁ Ⲡⲓϣⲱⲧ ⲛⲉⲙ Ⲡⲁⲙⲟⲛⲓ ⲛⲉⲙ ⲁ̀ⲡⲁ Ⲙⲟⲩⲧ ⲛⲉⲙ Ⲇⲁⲩⲓⲇ ⲛⲉⲙ Ⲓⲱⲥⲏⲫ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲅ̅. Ⲧⲱ̅: ⲕⲩⲣⲓⲉ Ⲡⲓⲫⲁⲙⲱⲛ ⲛⲉⲙ Ⲟⲩⲗⲉⲙⲡⲓⲟⲥ ⲁ̀ⲡⲁ Ⲡⲁϫⲟⲥ ⲛⲉⲙ Ⲕⲁⲥⲓⲁ̀ ⲧⲉϥⲙⲁⲩ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲇ̅. Ⲧⲱ̅: ⲛⲓⲁ̀ⲑⲗⲟⲫⲟⲣⲟⲥ ⲙ̀ⲙⲏⲓ Ⲇⲓⲟⲥⲕⲟⲣⲟⲥ ⲛⲉⲙ Ⲥⲉⲕⲗⲁⲡⲓⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲉ̅. Ⲧⲱ̅: ⲛⲓⲁ̀ⲑⲗⲟⲫⲟⲣⲟⲥ ⲙ̀ⲙⲏⲓ ⲁⲃⲃⲁ Ⲡⲁϭⲱⲙ ⲛⲉⲙ Ⲇⲁⲗⲟϣⲁⲙ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲋ̅. Ⲧⲱ̅: ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲩ ⲁⲃⲃⲁ Ⲡⲁⲙⲃⲁ ⲛⲉⲙ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲁⲃⲃⲁ Ⲡⲓⲙⲁⲛ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲍ̅. Ⲧⲱ̅: Ⲏⲥⲏⲇⲱⲣⲟⲥ ⲡⲓⲡⲣⲉⲥⲃⲩⲧⲉⲣⲟⲥ ⲛⲉⲙ ⲁⲃⲃⲁ Ⲃⲁⲩⲣⲓ ⲡⲓⲇⲓⲁⲕⲟⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲏ̅. Ⲧⲱ̅: ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲩ Ⲙⲁⲕⲣⲟⲫⲓⲟⲥ ⲛⲉⲙ ⲛⲉϥϣⲏⲣⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲑ̅. Ⲧⲱ̅: ⲁⲃⲃⲁ Ϩⲁⲣⲙⲓⲛⲁ ⲡⲓⲁⲥⲕⲏⲧⲏⲥ ⲛⲉⲙ ⲁⲃⲃⲁ Ⲓⲱⲁ ⲡⲓⲁ̀ⲛⲁⲭⲱⲣⲓⲧⲏⲥ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲓ̅. Ⲧⲱ̅: Ⲁⲗⲗⲁⲣⲓⲁ̀ ⲛⲉⲙ Ⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲁ̀ ⲛⲉⲙ Ⲁⲛⲁⲥⲓⲙⲱⲛ ⲛⲉⲙ Ⲁⲣⲓⲯⲓⲙⲁ : ⲛ̀ⲧⲉϥ..

ⲓ̅ⲁ̅. Ⲧⲱ̅: ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲩ ⲛ̀ⲇⲓⲕⲉⲟⲥ ⲁⲃⲃⲁ (...) ⲡⲓⲉ̀ⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉϥ..

طبقاً للأبصلمودية الحديثة المطبوعة بمطبعة الأنبا رويس فإن :

- ✥ الأرباع رقم ———— ⲁ̅, ⲃ̅, ⲅ̅ موقعها يأتى بعد الربع رقم ٤١ بالابصلمودية.
- ✥ الأرباع رقم ———— ⲇ̅, ⲉ̅ موقعها يأتى بعد الربع رقم ٤٣ بالابصلمودية.
- ✥ الأرباع رقم ———— ⲋ̅, ⲍ̅ موقعها يأتى بعد الربع رقم ٥٣ بالابصلمودية.
- ✥ الأرباع رقم ———— ⲏ̅, ⲑ̅ موقعها يأتى بعد الربع رقم ٦٥ بالابصلمودية.
- ✥ الربع رقم ———— ⲓ̅ موقعه يأتى بعد الربع رقم ٦٨ بالابصلمودية.
- ✥ الربع رقم ———— ⲓ̅ⲁ̅ موقعه يأتى بعد الربع رقم ٧٢ بالابصلمودية.

ثيؤطوكيـــة الأحــــد :

كلمة ثيؤطوكوس هى اللقب الخاص بالقديسة مريم العذراء، أطلقه عليها المسيحيون منذ القدم وترجموه من اليونانية ومعناه «حاملة الأله» أى التى حملت الإله فى أحشائها. وهو يحمل تراثاً إيمانياً ذا قيمة لاهوتية عظيمة فى الكنيسة الجامعة الرسولية. لذلك عاش الآباء الرهبان هذا الاصطلاح الإيمانى مدى الأجيال وجعلوا له تسابيح خاصة تقال يومياً فى قطع مطّولة سميت بالثيؤطوكية شملت مضموناً لاهوتياً عميقاً بمعانٍ سهلة مكّنت الكثيرين من حفظها وتسليمها من جيل إلى جيل..

وثيؤطوكية الأحد عبارة عن ثمانى عشرة قطعة، منها القطع الست الأولى والتى تنتهى بقراءة فصل من إنجيل القديس لوقا (٢ : ٢٩ ـ ٣٢) تحمل معانى تأملية من العهد القديم. وتنقسم هذه القِطع إلى قسمين القسم الأول يحمل الرمز، والثانى يحمل التفسير اللاهوتى حسب إيمان الكنيسة، ووضعت لهذه القطع نغمتان متميزتان واحدة للقسم الأول، وأخرى للقسم الثانى حتى يجذب ذهن المسبِّح، الرمز وتفسيره.

والدير محتفظ بهاتين النغمتين حتى الآن فى تسبحة الأحد...

التماجيـــــــد:

كان الدير ينفرد بتمجيد خاص لشفيعته السيدة العذراء والدة الإله القديسة مريم حتى الستينيات من القرن العشرين الميلادى، وذلك عندما قام المعلم توفيق ـ أستاذ الألحان الكنسية بالكلية الإكليريكية بالدير ـ بتسجيله لمعهد الدراسات القبطية بالقاهرة، وقد تم طباعته بالدير لسهولة متابعة ألحانه الجميلة.

وبهذه المناسبة يدين أباء الدير بالفضل لأستاذهم الكبير المعلم توفيق بجهوداته المباركة فى تسليمهم ألحان الكنيسة بأكملها.. الرب يعوض تعب محبته فى ملكوت السموات.

✥ شـــهر كيهـــك :

هذا الشهر ـ الذى يختص بتمجيد السيدة العذراء يمتاز بسهراته الروحية فى ليالى الآحاد من كل أسبوع. فتبدأ الصلاة ظهر يوم السبت وتستمر إلى أن تنتهى بالقداس فى صباح يوم الأحد (باستثناء ساعة واحدة للراحة بعد انتهاء رفع بخور عشية).

ولأهمية هذا الشهر، قام الدير بإعادة طبع الإبصلمودية الكيهكية طبقاً للنظام العريق الذى يسير عليه فى طقس هذا الشهر المبارك.

✥ الصوم الكبير وأعياد القيامة والصعود والعنصرة :

طقس الصوم الكبير بالدير لا يمكن التعبير عنه بالألفاظ لأنه ينطبق عليه قول الكتاب «جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم» (نشيد ٤ : ١٢) فهو بالحق ترنيمة الصاعد إلى قمة الأيام الروحية بالكنيسة، وتحمل كل نفس مصابيحها (آنيتها المليئة بالزيت) حتى تستطيع أن تقترب من الجلجلة. ويختص الدير منذ القدم بالذكصولوجيات وألحان التوزيع ذات النغمات الروحية العميقة التى رتبت لتجذب النفس نحو المصلوب فى نسك وخشوع.

ومن المعروف أن فى أسبوع الآلام ترتب لنا الكنيسة المسترشدة بالروح القدس صلوات البصخة المقدسة بدلاً من صلوات السواعى. ويهتم الدير بقراءة النبوات فى بداية كل ساعة باللغة القبطية فهى بمثابة التمهيد الجميل للاعداد الجيد للصلاة، بالاضافة إلى قرائتها باللغة العربية. كما تقال عظتان فى كل يوم من أيام البصخة من أقوال أبائنا القديسين، تقرأ بلحن عميق الأثر فى النفس، أما مقدمة العظة وختامها فلا يستطيع القلم أن يعبر عنها، فهى بحق سيمفونية رائعة.

أمـا ليـلة الابوغالمسـيس التى تبـدأ بعد انتهـاء صـلوات الجمعـة العظيمـة ـ بحـوالى السـاعة ـ وتنتهـى بقـداس سـبت النـور. فلهـا طقـس فريـد من نوعـه على مـدار العـام، يبـدأ بلحـن ⲀⲚⲞⲔ ⲠⲈ ⲠⲒⲔⲞⲨϪⲒ (المزمور ١٥١). وأيضاً يقرأ سفر الرؤيا كاملاً بالقبطية مع ألحانه التى تحمل معنى الانتصار مع مسيحنا القدوس فبينما هو مسجّى فى قبره أعادنا إلى الفردوس، وها نحن ننظر إلى المدينة العتيدة.

ومن الطقوس القديمة الأصيلة فى الدير والتى وردت بالمخطوطات. صلاة أوشية الراقدين فى عشيات الخمسين المقدسة والأعياد السيدية الأخرى ـ لذلك لا وجود للرأى القائل بصلاة أوشية المرضى بدلاً من أوشية الراقدين، فى طقس دير المحرق العريق.

فمثلاً لقد تطرق المرحوم الأستاذ / يسى عبد المسيح لهذا الموضوع فى دراسته التى قام بها للمقارنة بين الطقوس بالكنيسة القبطية وبين الكنيسة اليونانية. عند كلامه عن دورة القيامة المقدسة، فقال : وتسير على هذه القاعدة الكنائس كلها وبصفة خاصة دير المحرق) وأيضاً عندما تحدث عن لحن التوزيع ذكر أنه رجع إلى مخطوطة بدير المحرق. وكان قد وجد أثناء دراسته أن كنائس القاهرة تصلِّى فى الدورة لحن القيامة حتى بعد الصعود بينما كنائس الأقاليم تكتفى بلحن الصعود مثل دير المحرق حيث يوجد لحن برلكس للصعود يقال قبل الدورة مطلعه ⲁϥⲣⲉⲕ ⲧ̀ⲫⲉ وهو يقال أيضاً أثناء التوزيع بعد المزمور...

وتأكيداً لكلامه فإنه لا يزال يُصلى بالدير حتى الآن وهو ترتيب قديم ذكرته المخطوطات ١٣ د / ١٧، ١٣ د / ١٨.

✥ دورة عيد الصليب :

فى ١٧ توت هى نفسها دورة عيد الصليب فى ١٠ برمهات، وكذلك دورة عيد الشعانين.

✥ الألحان الطويلة :

هناك ألحان جميلة وعريقة، تستحق أن يطلق عليها اسم السيمفونيات السمائية، يستغرق بعضها بين ثلاثين إلى خمسين دقيقة ومازال الدير يصلى بها وهى : مثل مقدمة الطرح ولحن «الليلويا الكبير» ولحن الهوس الكبير.... وغيرها.

✥ ألحان التوزيع :

لكل مناسبة كنسية ألحانها الخاصة بها ـ وزناً ونصاً ـ ومن أهم هذه الألحان ما يقال أثناء التوزيع (أى أثناء التناول من الأسرار المقدسة).

ومن الألحان التى يحتفظ بها الدير لحن التوزيع فى برمون الميلاد وهو ذو وزن خاص به ومن يسمعه ولو لأول مرة يجد نفسه مشدوداً ليصلى مع من يتلوه. وكذلك لحن برمون الغطاس..

كما ينفرد الدير بلحن توزيع الأيام فى شهر كيهك (ماعدا الأحد).

أما ألحان التوزيع الصيامى لا تحتاج إلى حديث... فكل من تذوقها يعجز عن التعبير عن مدى حلاوتها.

✥ ألحـــان التطقـــيس :

يوجد بمخطوطات الدير القديمة الحان لم تزل يُصلى بها حتى الآن وخصوصاً ما يقال بعد قراءة السنكسار فى تذكارات الأنبياء والشهداء وللآباء البطاركة والأساقفة.

طقس صلاة الماء فى ١٧ توت ـ عيد الصليب

كان يقام هذا الطقس بعد قداس عيد الصليب خارج الدير عند أقرب مكان وصلت إليه مياه الفيضان قبل بناء السد العالى. وترتيبه كالآتى :

يصلى الكاهن :

✥ صلاة الشكر ويرفع البخور خمس أيادى ويقول سر البولس.

✥ أثنـاء البخـورات يرتـلون أربـاع الناقـوس حسبما يتفق ثم يكملون بهذه الأرباع.

Ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲁⲕ ⲱ Ⲡⲓⲥ︦ⲧ︦ⲥ︦ : ⲡⲓⲙⲏⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲟⲩϫⲁⲓ : ⲉ̀ⲧⲁ Ⲕⲱⲥⲧⲁⲛⲧⲓⲛⲟⲥ ⲛⲁⲩⲉ̀ⲣⲟϥ: ⲉϥⲉⲣⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ϧⲉⲛ ⲑ̀ⲙⲏϯ ⲛ̀ⲧ̀ⲫⲉ

السلام لك أيها الصليب :

علامة الخلاص : التى رأها قسطنطين مضيئة فى وسط السماء.

✥ المجد للآب.. Ⲇⲟⲝⲁ Ⲡⲁⲧⲣⲓ ϣⲃⲁ

✥ الصلاة الربانية.. Ⲭⲉ Ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ϣⲃⲁ

✥ المزمور الخمسون..

Ⲛⲁⲓ ⲛⲏⲓ Ⲫϯ ϣⲃⲁ

✥ ثم لحن.. Ⲧⲁⲓ ϣⲟⲩⲣⲏ ϣⲃⲁ

✥ وكالعادة يرفع الكاهن يد بخور واحدة ويقبل الصليب وأيضاً كل الحاضرين.

✥ يقال البولس (١ كو ١ : ١٧ ـ ٣١).

✥ الثلاث تقديسات وأوشية الإنجيل.

✥ المزمور (٥٩: ٤، ٥)،

الإنجيل (يو ٧: ٣٧ ـ ٤٤) قبطياً ثم عربياً.

✥ يقال طرح ادام هذا نصه :

شجرة الحياة هى الصليب وهى رشم مخلص للذين يصورونه (يصنعون بمثاله عليهم ويرشمون أنفسهم باشارته) كرامة الصليب لا ينطق بها لأن المسيح مخلصنا صلب عليه ابكوا وانتحبوا أيها اليهود المنافقين لأنه قد ظهر آبائكم... قتلو ملك المجد وأرادوا أن يخفوا صليبه المقدس فأتت لعنة الناموس على أولادهم من أجل الذين صنعوه ربنا يسوع المسيح وأن الرب محب البشر أظهر لنا صليبه المقدس الذى صلب عليه.

السلام للصليب السلاح القوى علامة الخلاص الذى نجىٌ العالم.

السلام للصليب سلاح الظفر الذى صار أكليلاً على كل القديسين.

السلام للصليب السيف ذى الحدين قاطع ألسنة المجدفين عليه.

السلام للصليب ثبات الشهداء والأبرار والصديقين إلى أن يكملوا.

السلام للصليب الذى أبصره قسطنطين فى الحرب.

السلام للصليب صار مرشداً لجنس ادم إلى الفردوس.

السلام للصليب حجر المغنطيس الذى نصب فى الكنيسة.

السلام للصليب قضيب الملائكة معطى الحياة لكل أحد.

السلام للصليب العلامة المقدسة الذى يطرد بحق الأرواح الشريرة.

السلام للصليب حنطة الأمانة الذى أعطى لأولاد الكنيسة.

السلام للصليب عود عدم الموت الذى صلب عليه يسوع المسيح حتى خلص شعبه من خطاياهم.

✥ يقال مرد الإنجيل وهو

Ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉϥ̀ⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ: ⲛⲉⲙ ⲧⲉϥ̀ⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲥ ⲉ̅ⲑ̅ⲩ̅: ⲁϥⲧⲁⲥ-
ⲑⲟ ⲙ̀ⲡⲓⲣⲱⲙⲓ ⲛ̀ⲕⲉⲥⲟⲡ ⲉ̀ϧⲟⲩⲛ ⲉ̀-
ⲡⲓⲡⲁⲣⲁⲇⲓⲥⲟⲥ.

من قبل صليبه : وقيامته المقدسة :
رد الإنسان مرة أخرى :
إلى الفردوس.

✥ يصلى الكاهن الثلاث أواشى الكبار.

✥ ثم يصلى هذه الطلبة.

أيها السيد الرب الإله ضابط الكل أبا ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح نسأل ونطلب منك يا محب البشر من أجل هذا اليوم المملوء مجداً المكرم الذى لصليبك المقدس عيداً طاهراً روحانياً.

هذا هو صليبك المملوء مجداً ـ من جهة القيامة، هذه التى أنقذتنا وهو الذى حل مخالفة آدم ورد لنا الاتضاع من جهة تذوق حواء.

نفرح بدون حزن من تذوق حواء ومعصية آدم لكن عود الطاعة اتانا ونحن ساجدين له.

ولسنا لابسين الموت من قبل عود الوقوع فى الحكم لكن نلبس نور من قبل صبغة الصليب المقدس.

لسنا نخرج من الفردوس من أجل حواء لكن نوجد فى النور الطوبانى الذى للصليب المقدس المجيد ليس شجرة الموت لكن نحمل صليب النور.

لسنا نخاف من الحيه لكن نمجد الصليب المقدس.

والأخرى لسنا نطأها على الأرض اليابسه بل نرفعها إلى السموات من جهة الصليب المقدس.

والأخرى لسنا نطردها من الفردوس النعيم لكن كل حين نذوق فى مثالات الصليب.

لنذقهم فى أحضان آبائنا القديسين رؤساء الآباء إبراهيم واسحق ويعقوب فى ديار القديسين.

من أجل هذا اليوم العظيم الذى للصليب المحيى تفرح الملائكة والشاروبيم والسارافيم وكل الطغمات السمائية وكل جنسنا نحن البشر الضعفاء. نعم بالأكثر نفرح بالأكثر من أجل تحررنا من عبودية إبليس وشياطينه المرده (المتمردون) اللهم مجّد هذا اليوم لأننا نجد أن الصليب قد أخزى إبليس. وجماعة البرية القفرة

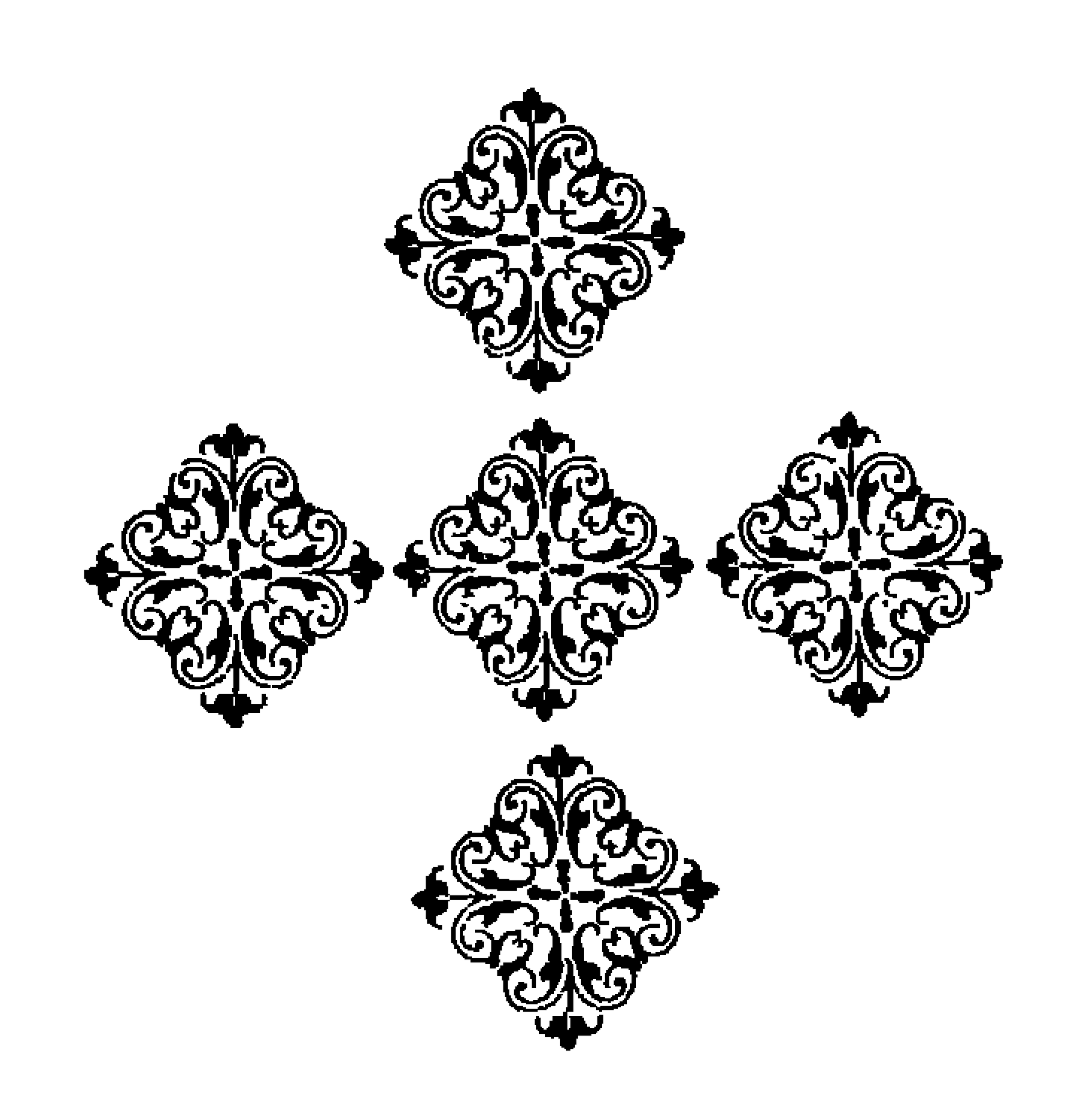
تنير فى الكنيسة المقدسة. نعم نعظم من قبل الضياء الذى لهذا اليوم ونجد الصليب يخرج الشياطين وختم الروح القدس قد أضاء فى قلب المؤمنين.

نسـأل ونطـلب منك يا محـب البشر الصالح اضطلع برأفتك الكثيرة على جميع عبيدك المسيحيين المؤمنين الرجال والنساء والشبان والأطفال والشعب كله المحب للمسيح ثبتهم فى الأمانة الأرثوذكسية إلى النفس الأخير.

بارك مياه الأنهار فى هذه السنة بنعمتك أصعدها كمقدارها وارسل الرخاء والشبع على وجه الأرض كلها وقرر لنا سلامك.

الذين اجتمعوا معنا والذين اشتركوا معنا فى الطلبة والقائمين الآن ها هنا ابائنا واخوتنا الأرثوذكسيين طهرهم احفظهم واغفر لهم خطاياهم من قبل النعمة والرأفة ومحبة البشر اللواتى لابنك الوحيد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى تباركت مع الروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور... آمين.

✥ يقولون $\overline{\text{Ke}}$ ٣ مرات ثم يصلى الكاهن طلبه على الماء وفى نهاية كل جملة منها يردون $\overline{\text{Ke}}$ (وقد وردت فى لقانى خميس العهد وأيضاً الرسل) وفى ختامها يقولون الصلاة الربانية ويصلى تحليل الابن ثم $\overline{\text{Ke}}$ ٤١ مرة وفى الختام البركه ويرشم الماء بالصليب ويرميه فيه وينصرفوا بسلام.



الأعياد والاحتفالات الدينية بالدير

بالإضـافة إلى الأعيـاد السيدية السبعة الكبار والأعياد السيدية السبعة الصغار وأعياد السيدة العذراء والرسل والشهداء والقديسين التى تحتفل بها الكنيسة القبطية عموماً، كان يحتفل الدير بأعياد ومناسبات خاصة به تختص بحوادث تاريخية هامة أو بمواسم زراعية ترتبط بعادات شعبية عريقة...

الفترة بين أحد الشعانين وأحد العنصرة (الخمسين):

كان أحد الشـعانين يُعرف قديماً بأحد الزيتونة، ويحـتفل به الأقـباط احتفالاً بهيجاً بحمل سعف النخيل وأغصان الزيتون ويأتون إلى الكنائس لحضـور قـداس العـيد.. وكان الديـر أيضـا يزدحم بهم لنوال البركة طلباً للشفاء من أمراضهم من ماء البئر أو للوفاء بالنـذور والتعبير عن محبتهم للسيدة العذراء صاحبة الدير.. ويستمر هذا الازدحام حتى عيد العنصرة.

- ومن الأعياد الهامة بالدير ـ المستمرة حتى اليوم ـ هو **السادس من هاتور** تذكار تكريس كنيسة السيدة العذراء (الأثرية)، حيث اجتمع الرب مع السيدة العذراء والتلاميذ فى ذلك البيت المهجور الذى سكن فيه وهو طفل فى برية جبل قسقام لأول مرة لكسر الخبز وتدشين البيت (كما ذكر انفا فى الباب الخاص بتاريخ الدير). ولكنه لم يكن احتفالاً شعبياً للأسباب الآتية:

من المعروف أن فيضان النيل ـ قبل بناء السد العالى ـ كانت تأتى تباشـيره فى أواخـر شـهر بؤونة (أوائل شهر يوليو)، ويزداد اندفاع الميـاه وارتفاعهـا تدريجياً حتى تفتح أحواض الأراضى الزراعية فى الصعيد للرى فى أواخر شهر أبيب وأوائل شهر مسـرى (أى أوائل شـــهر أغســطس) حتى يتكامل الفيضان فى أوائل شـهر تـوت (منتصـف شهر سـبتمبر تقريبـاً) ثم يتـوقف عند ١٧ توت (أواخر شـهر سـبتمبر) وهو تذكار عيـد الصـليب فى الكنيسـة القبطيـة (أما إذا كان الفيضان غير طبيعى فإنه يتزايد بعد عيد الصـليب، وتكون هذه هى بدايـة الكارثـة على البلاد..) ثم تستمر المياه فى الانحسار والرجوع تدريجياً وتجهز الأراضى لزراعة الفـول والبرسـيم البـدرى والبصـل البعلى فى أواخر شـهر تـوت (أوائـل شـهر اكتـوبر). وكان من أوائـل شـهر بابه حتى أوائل شهر هاتور تقريبـاً يتم جـنى القطـن. كما كانت الزراعة الشـتوية تبدأ فى شـهر بابه مثل زراعة القـمح والثوم والكمون و... ويتم حصـد الفـول السـودانى. وفى أواخر شـهر بابه تكون قد جفت أراضى الصـعيد تماماً. وفى شهر هاتور تقطع الذرة الشـامية ويـزرع العـدس والترمس والحلبة.

وبالطبع فإن فى هذه الفترة من كل سنة ـ أى من أوائل شهر أغسطس حتى أواخـر شـهر نوفمبر ـ يتفـرغ الفلاحـون للاهتمام بأراضـيهم ويدعونهـا بفتـرة الدمـيره، (وهى كلمـة قبطيـة

ϯⲙⲏⲣⲉ تعنى فيضان النيل)، كذلك أيضاً كان الرهبان ينشغلون فى أراضى الدير التى كانوا يفلحونها بأنفسهم.

لذلك رأى آباء الدير أن يقتصر الاحتفال بهذا العيد الهام (٦ هاتور) على الدورة الخاصة بالعيد التى يدور فيها الآباء داخل الدير بالألحان والمدائح حاملين الصلبان والشموع الموقدة، وينتهى بالقداس الإلهى. كما يتميز طقس هذا العيد بالإبصاليات والذكصولوجيات والطروحات والمردات الخاصة به، وقد تم تجميعها من المخطوطات القديمة فى كتيب مستخدم حالياً فى الكنيسة.

✥ وكان لعيد الصليب ١٧ توت:

الذى يعتبر الحد الأقصى الطبيعى لارتفاع منسوب مياه فيضان النيل ـ احتفال بهيج، فبالاضافة إلى الدورة التى تقام فى أنحاء الدير بالقراءات والمدائح المناسبة لها والطرح الخاص بها، وصلاة القداس الإلهى. كان الآباء الرهبان يجتمعون بعد القداس ويتوجهون نحو حدود الأراضى اليابسة ومياه الفيضان ـ التى غطت الأراضى الزارعية التى كانت فى القرون الوسطى بعيدة عن الدير قليلاً ولكن فى القرن ١٩ اقتربت إلى سور الدير ـ وهناك يقيمون صلاة على الماء ـ الآنف ذكرها ـ حتى يباركه الرب فى تلك السنة ويجعله خيراً على الناس. وكان الأهالى يأتون بمراكبهم من بلادهم للاشتراك فى هذه المناسبة المباركة.

الموسم الاحتفالى بالدير

لقد كانت تلك الفترة من السنة التى يحل فيها عيد ٦ هاتور غير ملائمة للاحتفال به احتفالاً شعبياً للأسباب التى ذكرت آنفاً. ولتشابهه مع عيد ٢١ بؤونه ـ ٢٨ يونيو وهو تذكار تكريس أول كنيسة للسيدة العذراء بمدينة فيلبى ـ جرى تقليد أهالى البلاد المجاورة للدير ـ منذ القدم ـ بالقيام بالاحتفال فى الفترة من ١٢ بؤونة تذكار عيد الملاك ميخائيل حتى ٢١ بؤونة، وهى فترة مناسبة لهم لأنها قبل بدء فيضان النيل ـ كما ذكر ـ فيجتمعون حول الدير وينصبون خيامهم على سبيل نوال البركة والتماس شفاعة السيدة العذراء، ولتقديم نذورهم وعطاياهم بالإضافة إلى زيارة موتاهم فى القبور الواقعة غرب الدير.

كلمة ـ لابد منها ـ عن المواسم والاحتفالات الدينية

منذ القدم والجموع الغفيرة من الناس تتوافد على الأماكن التى زارتها وباركتها العائلة المقدسة وذلك فى أعياد السيدة العذراء. وكذلك على الكنائس التى اشتهرت بقديس أو شهيد فى عيد تذكاره. وكانوا يقيمون حول الكنيسة لمدة سبعة أيام غالباً.. ولقد عرفت هذه الأعياد المزدحمة ـ فى العصر العربى ـ باسم المولد..

والحقيقة أنه اسم لا ينطبق على الواقع فكلمة مولد فى اللغة العربية تعنى: الموضع أو الوقت الذى يولد فيه الإنسان، والكنيسة لا تحتفل بميلاد القديسين والشهداء وإنما بذكرى نياحتهم أو استشهادهم، أو تكريس بيعتهم المقدسة أو نقل أعضاء أجسادهم الطاهرة من مكان لآخر (انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم) (عب ١٣: ٧) لذا فاستعمال كلمة مولد هو استعمال فى غير موضعه، ولا يؤدى المعنى المقصود.

وبدأت هذه الاحتفالات أصلاً على أساس تكريم القديس برفع الصلوات وإقامة القداسات وقراءة سيرته بالتفصيل للتشبه بقدوته الصالحة، وتقديم النذور من شموع وبخور وأدوات لازمة للكنيسة إلى جانب نحر الذبائح لإطعام الفقراء والمحتاجين ولكن لكثرة العدد وما تحتاجه هذه الألوف من أماكن للمبيت ونحر الذبائح ومن مأكولات، وبيع لاحتياجات الزوار والنذور وخلافه، انحرفت هذه الاحتفالات عن طبيعتها الدينية البسيطة إلى مظاهر مادية تجارية كانت سبباً فى تسرب كثير من الشرور الاجتماعية إلى تلك «الموالد» مما لا تقره الكنيسة لدرجة إن الأنبا شنودة رئيس المتوحدين (القرن الخامس) ألقى عظة قوية ندد فيها بتلك الشرور قائلاً «جميل جداً أن يذهب الإنسان إلى مقر الشهيد ليصلى ويقرأ وينشد المزامير ويطهر نفسه ويتناول من الأسرار المقدسة فى مخافة المسيح، أما من يذهب ليتكلم ويأكل ويشرب ويلهو، بل وربما يزنى، ويرتكب الجرائم نتيجة إفراطه فى الشراب والبغى والفساد والإثم فهذا هو الكافر بعينه، وبينما البعض فى الداخل يرتلون المزامير، ويقرأون ويتناولون من الأسرار المقدسة إذ بآخرين فى الخارج يملأون المكان بآلات الطبل والزمر **«بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»** (مت ٢١: ١٣) لقد جعلتموه سوقاً لبيع العسل والحلوى وما أشبه ذلك. لقد جعلتم الموالد مكاناً لتدريب بهائمكم ولسباق حميركم وخيلكم، وقد يسرقون ما يعرض فيها للبيع. فبائع العسل بعد جهد يحصل على بعض الزبائن المتشاحنين، أو يستخلص لنفسه شيئاً من الفائدة نظير أتعابه، حتى الأشياء التى لا يمكن أن تحدث للباعة فى الأسواق العامة تحدث لهم فى موالد الشهداء. ياللغباء! أهل تذهبون لمواطن الشهداء لتأكلوا وتشربوا وتبيعوا وتشتروا وتفعلوا كل ما يروق لكم؟ فاية فائدة تعود على بيوتكم التى فى مدنكم أو قراكم؟ يالعقولكم المغلقة! وإذا كانت بناتكم وأمهاتكم يعطرن رؤوسهن ويكحلن عيونهن ويتجملن لخداع الناس الذين ينظرون إليهن. وإذا كان أبناؤكم وإخوتكم وأصدقاؤكم وجيرانكم يفعلون هكذا عند ذهابهم إلى مواطن الشهداء، فلماذا جعلتم لكم بيوتاً؟

هناك كثيرون يذهبون إلى الموالد لإفساد هيكل الرب وليجعلوا من أعضاء المسيح أعضاء للإثم والفجور بدلاً من أن يحفظوا لها قداستها وطهارتها من كل رجس، سواء أكانوا رجالاً أم نساء..

[١ راجع كتاب، صفحة من تاريخ القبط ص ١٩ ـ وأيضا عظات القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ليوسف حبيب سنة ١٩٦٦ م، ص ١٣٦]

وفى الحقيقة أن الكنيسة الأرثوذكسية لا تبيح فى مثل هذه الاحتفالات أو فى غيرها ولا فى أي زمان ومكان نوعاً من النواهى المخالفة لروح الكتاب، وأن أعوجاج الأفراد لا يؤخذ منه عدم استقامة الكنيسة ولا يشين بجوهر العقيدة. كما أن مخالفة الأوامر الإلهية مثل قوله لا تقتل. لا تزنى لا تسرق. لا تكذب. لا تشهد بالزور، لا يؤخذ دليلاً على فساد الكتاب المقدس أو كماله.

إن خطايا الأفراد يعود وبالها على مرتكبيها ولا تحط من قدر الكنيسة ولا يؤاخذ العمـوم بها ـ فقد كان أولاد عالى الكاهن يفعلون الشـر فى بيت الله (١صم ٢:٢٢ ـ الخ). فهـل من أجـل هذه الشرور امتنع الرب عن إظهار مجده فى ذلك المكان المقدس؟ ومنع النار عن محرقة الذبائح؟ حاشا.. بل أنه ظهر فى تلك الأيام عينها لصموئيل النبى (١صم٣). وأيضاً.. لما خـالف ناداب وأبيهو ابنا هارون وقدما ناراً غريـبة على مذبـح الرب (لا ١٠)هل رفـض الرب بيـت هـارون؟ أو هل قام أحد من بنى إسرائيل وطعن فى الدين والعقيدة بسبب شرور أولئك الأفراد؟! فالنفس التى تخطى هى التى تهلك. وكما أن الرب لم يؤاخذ الكنيسة الأولى بجريمة الأفراد، كذلك فإنه لا يؤاخذ كنيسته المقدسة فى هذه الأيام بذنوب بعض الأفراد. ولذلك فإن تجاوزات البعض وأفعالهم الذميم فى أيام الاحتفالات المقدسة لا تمس المسيحية بشيء من الناحية اللاهوتية والعقائدية.

أما الناحية الأخلاقية والسلوكية فإنه يجب عدم الخوض فيها، لأنها تدخل تحت إدانة الآخرين حيث يقول الرب:**«لا تدينوا لكى لا تدانوا» (مت ٧:١) وأيضاً: «لا يمكن إلا أن تأتى العثرات. ولكن ويل للذى تأتى بواسطته» (لو ١٧:١).**

ولا يخفى أن هذه المواسم الاحتفالية وخصوصا موسم ١٢ بؤونة إلى ٢١ بؤونة بدير المحرق قد انحرفت كثيراً عن الهدف وتحور المفهوم الدينى له بصورة دفعت البعض أن يكتب عنه فى المجلات الدينية فى القرن العشرين إلى أن اهتم الحبران الجليلان الأنبا أغاثون والأنبا ساويرس فى السبعينيات من القرن الحالى بإزالة المظاهر القديمة للهو وخلافه وإعداد أماكن لمبيت الأعداد الضخمة من الزوار، هذا بالاضافة إلى الاهتمام بالزوار روحياً عن طريق إعداد البرامج الروحية المناسبة مثل الألحان والتراتيل والعظات وإذاعتها بالإذاعة المحلية وكذلك عرض الأفلام الدينية.

ولقد أشاد بهذا العمل صاحب القداسة البابا شنودة الثالث فى مقاله بمجلة مدارس الأحد سنة ٣٨ ـ عدد ٧، ٨، ٩ عام ١٩٨٤ م ص ١٧.



اللغـــة القبطيـــة

مقدمة: اللغة القبطية هى اللغة التى كان يتكلم بها العامة فى عهد الفراعنة فى وادى النيل منذ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وهى بمثابة اللغة الدارجة للغة المصرية القديمة المعروفة باسم القلم الهيروغليفى التى استعملت فى النقش على المسلات والمعابد [والتى اختصرت إلى الهيراطيقية Hieratic التى كتبت على البردى ثم تطورت إلى اللغة الديموطيقية Demotic].

وكانت هذه اللغة الدارجة هى اللغة السائدة فى البلاد. وبعد فتح الاسكندر ودخول اللغة اليونانية فى المصالح والمحاكم قامت محاولات فردية من المصريين لتدوين لغتهم بحروف يونانية (وتحفظ فى متحف اللوفر فى باريس ومتحف لندن بعض من النصوص مكتوبة بحروف يونانية وبها حروف ديموطيقية وكانت هذه المحاولات وليدة الحاجة إلى كتابة اللغة الدارجة بحروف اكثر سهولة عن الديموطيقية.

وفى العصر المسيحى يأتى لنا أقدم خبر ـ أمكن وصوله حتى الآن ـ وهو إن العلامة بنتينوس عندما ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة المصرية استخدم الأبجدية اليونانية وأضاف سبعة حروف من الديموطيقية... وأصبحت هذه القاعدة هى أساس كتابة اللغة المصرية الوطنية بعد ذلك، حيث سميت باللغة القبطية.. وأما اللهجة فكانت تختلف من مكان لآخر، فقد توصل علماء اللغات إلى أن اللغة القبطية كانت لها لهجات رئيسية عديدة: ففى مصر السفلى كانت البحيرية وفى مصر العليا كانت الصعيدية والفيومية والأخميمية.

ونشأ الأدب القبطى الذى كان أول من حمل لواءه الكهنة والرهبان. فالقديس الأنبا انطونيوس كان لا يعرف إلا لغته فقط فكتب رسائله التعليمية باللغة القبطية الصعيدية.

ويخبرنا كتاب فردوس الآباء القديسين عن بعض الآباء أمثال الأب ديوكليس الذى كان يعيش فى منطقة أنصنا (شرق مدينة ملوى حاليا) وكان ضليعاً فى اللغة وكذلك الأب ثيؤن الذى كان يعيش فى منطقة البهنسا. ولقد اكتشفت فى برية الفيوم سنة ١٩١٠ مجموعة مرجان الشهيرة التى تشمل ٥٦ مجلداً ضخماً كتبت باللغة القبطية الصعيدية وتحوى أقوالاً وعظات وسير قديسين مما يستدل منها أن رهبان هذه المنطقة كانوا متثقفين بالأدب القبطى.

أما الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ـ حسب ما يشهد الدكتور عزيز سوريال والدكتور مراد كامل وكواستن J. Quasten يعتبر أروع كاتب فى الأدب القبطى حيث ترك عدداً هائلاً من الرسائل والعظات وكان أسلوبه مصقولاً، خطابياً، بليغاً. وبالرغم من أنه كان يعرف اليونانية إلا إنه استخدم القبطية وأبدع فيها. ولقد ترك هذا القديس تراثاً أدبياً رائعاً ـ وهو موزع حالياً فى عديد من مكتبات ومتاحف العالم ـ وجميعه مدون باللهجة الصعيدية إذ كان القديس لا يكتب أو يخطب إلا بها. ولهذا السبب أصبحت هذه اللهجة بعد ذلك هى لغة الأدب القبطى فى أزهى عصوره وتدعمت مكانتها بتأثير الرهبنة الباخومية وأصبحت هى اللهجة الوحيدة من منف إلى أسوان.

أما اللهجة البحيرية فقد حفظت فى وادى النطرون، إلى أن انتقل الكرسى البطريركى إلى القاهرة فى القرن الحادى عشر الميلادى حتى أصبحت اللهجة البحيرية هى اللغة الرسمية للكنيسة القبطية ويصلّى بها القداسات إلا إنها اختفت من بين الناس كلغة تخاطب بعد انتشار العربية. أما اللهجة الصعيدية فقد بقيت فى قرى الصعيد.

وكان أول من عّرب الدواوين هو الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٧ هـ (٧٠٥/٤ م) ثم انتشرت اللغة العربية بين السكان وصارت لغة تعليم

[لما بدأ الأقباط فى تعلمهم اللغة العربية كتبوها أولاً بحروفهم القبطية] وأمر الأفضل سنة ١١٠٧ م باستعمال التقويم الهجرى بدلاً من القبطى فى سائر الدواوين الحكومية.

وفى القرن ١٣ الميلادى أصبح علماء القبط يؤلفون مؤلفاتهم اللاهوتية باللغة العربية، ووضعوا قواعد اللغة القبطية خوفاً عليها من الاندثار حيث كانت اللغة العربية لغة أغلب سكان الوجه البحرى. وظلت القبطية باقية لغة تخاطب فى الصعيد الأعلى حتى القرن ١٧ . ثم أضمحلت كثيراً حتى القرن ١٩ الميلادى [كما يشهد بذلك بعض العلماء]، وبقيت عائلات قليلة تتكلم القبطية فى بعض قرى الصعيد الأعلى.

وهناك قصة طريفة : كان أهالى منقباد [شمال مدينة أسيوط بحوالى ١٠كم] منذ ١٣٠ سنة يتكلمون بالقبطية. ويروى إنه فى يوم أتت سيدة قبطية وغطّست طفلها فى النيل وقالت بالقبطية ما معناه «هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت» فسمعها أحد الحكام وظنّ إنها تسبه فأستصدر أمراً بعدم استخدام هذه اللغة.

ولكن فى مقابل ذلك بقيت اللغة القبطية فى الكنيسة محتفظة بكيانها وتستخدم فى جميع صلواتها الطقسية ولا يتكلمون فى الهيكل إلا بالقبطية. ويقول الأستاذ الراحل يسى عبد المسيح الأمين السابق لمكتبة المتحف القبطى إنهم كانوا يعتبرون الصلاة داخل الهيكل بغير القبطية أمراً لا تقره القوانين الكنسية.

وفى القرن ١٩ نهضت اللغة القبطية فى عهد البابا كيرلس الرابع وكتبت بعد ذلك كتب فى تعليم اللغة القبطية هذا غير العلماء الغربيين والشرقيين الذين اهتموا بدراستها فى القرنين ١٩ ، ٢٠.

وأما فى دير المحرق فقد اهتم الآباء الرهبان باللغة القبطية وخصوصاً مع بدء اضمحلالها فى القرون الوسطى فى القرن الرابع عشر علماً بأنه كان هناك آباء. يجيدون اللغة العربى.

ففى الوقت الذى كانوا يهتمون فيه باجادة اللغة القبطية ـ كما يظهر من مخطوطاتهم التى نسخوها مثل كتب القطمارس لاستخدامها فى الليتورجية اليومية والكتب المقدسة التى كانوا يستخدمونها لقراءاتهم الخاصة ـ لم يهملوا اللغة العربية فى ذلك الوقت بل أدخلوها مع اللغة القبطية (على صورة نهرين) ونسخوا العديد من الكتب المقدسة بهذه الصورة بخط فى غاية الاتقان.

واستمر الاهتمام باللغة القبطية بالدير بدون كلل أو ملل كما تشهد بذلك مخطوطات القرون المتتالية. ويبدو أن الاهتمام بكتابة اللغة العربية كلغة منفصلة على حده، كان فى القرن الثامن عشر الميلادى حيث نسخت مخطوطات بعضها يشتمل على أعمال الرسل ورسائل بولس الرسول والجامعة والبعض الآخر يشمل القطمارس.

وهناك إشارة واضحة تبين أنه بدأ استعمال اللغة العربية فى القراءات الكنسية فى حوالى منتصف هذا القرن (القرن ١٨) وذلك فى قراءة البولس والكاثوليكون والابركسيس والإنجيل وفى البصخة المقدسة واللقان والسجدة.

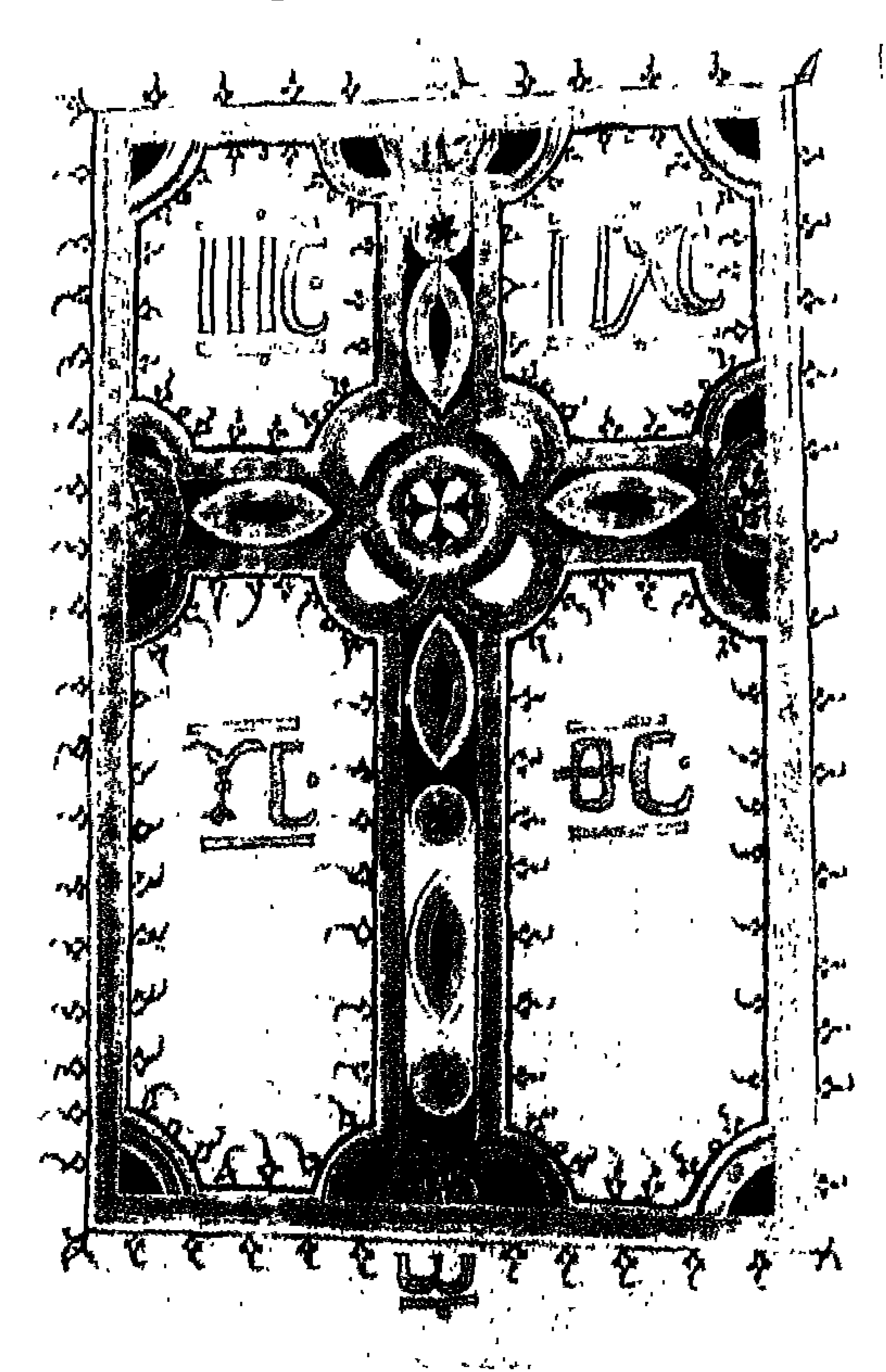
ويبدو أن شهرة الدير فى اللغة القبطية جذبت ميخائيل الصباغ لتعلم اللغة فى دير المحرق. فقد أقام ضيفاً فى الدير وتعلم القبطية وذلك فى أواخر القرن ١٨ وتعرف على المعلم إلياس بقطر بأسيوط الذى كان مترجماً لنابليون وسكرتيراً خاصاً له... وذهب ميخائيل إلى باريس سنة ١٨٠١ م وعمل هناك خبيراً مع المستشرقين، منهم بارون سلفستردى ساكيه وصار أميناً للمكتبة الأهلية بباريس.

راجع : [G.Graf: Geschichte Der Christ-lichen Arabischen Literatur, III, S.249]

والمتـتـبـع تـاريخ الـديـر بـإخـلاص ـ ويـدرس المخطوطـات ـ تتضـح له حقيقـة بينة إنه فى القرن ١٩ وخـاصـة فى عـهـد القـمـص عبـد المـلاك الهـورى وما بعـده، كـان كـثـيرون من الرهـبـان يجيدون اللغـة القبطيـة (بالاضـافة إلى العربيـة) فـإن عـشـرات المخطوطات من القـطـمـارس والإبصـلـموديـات والخـولاجـيـات المنسـوخة باللغـة القبطيـة فقط والتى نسـخت فى تـلك الفترة تشـهد بمـدى إزدهـار اللغـة القبطيـة فى الديـر فى تلك الآونـة. وعلى سـبيل المثـال المخطوطـة ١٩/٣ (٢٧ مقدسـة) وهى بشـارة لوقـا ويوحـنـا والمخطوطـة ١٣/١٨ (١٨٩ طقـس) وهى مـجـمـوع الربـع القـبـلى للإبصلمودية السـنوى مكتوبـة باللغـة القبطيـة فقط توضحان معرفة ناسخها القمص جرجس ودرايته باللغـة جيداً كتابـة وقراءة وفهـمـاً وكان يقرأ بها لنفسه مما يستدل من مخطوطـة بشـارة لوقا ويوحنا. كما يتضح هذا جلياً فى عشرات الخولاجيات والإبصلموديات وغيرها.

كـمـا كـانت كل الصـلوات الليـتورجيـة بالكنيسة تتلى باللغة القبطية فقط واستمر هذا الازدهـار حتى وصـل كـثير من رهبان الديـر فى أواخـر القـرن التاسع عشـر إلى درجـة أنهـم يقـرأون ويفـهـمون ويكتبـون اللغة القبطية بطلاقة.

وقد تبـقـى الكـثير من هذا التـراث، كـمـا سيذكر بعد.



صليب ملون فى أحد مخطوطات الدير

المخطوطات

المخطوطات هى عبارة عن كل ما يُكتب بخط اليد سواء كان هذا ما يكتب على أوراق البردى أو الرقوق المصنوعة من جلد الغزال، كما كانت الحال فى الأزمنة القديمة أو ما كتب علي الورق فيما بعد ذلك. ولا يدخل فى هذا المجال ما نقش على الحجر أو غيره من المواد الصلبة.

وقد ظل استعمال البردى فى صناعة الورق حتى القرن التاسع أو العاشر الميلادى تقريباً، ثم استبدل بعد ذلك بنوع آخر أقوى تحملاً للتأثيرات الجوية وهو الرق.

وقد كان للقبط دراية تامة بصنعه من جلود الغزلان حيث كانت تنتزع إلى شرائح رقيقة جداً ثم تملح وتجفف حتى تصلح للكتابة عليها. وقد استمر استخدامها حتى القرن الثالث عشر الميلادى. ثم تطورت بعد ذلك صناعة الورق فصنع من الكتان ودخل عليها التعديلات تدريجياً إلى أن وصلت للصورة الموجودة حالياً.

وكانت أداة الكتابة هى عيدان الغاب التى كانت تنمو فى أماكن عديدة فى مصر. كما أن صناعة المداد برع فيها عدد من الرهبان فى الأديرة حيث كان يتكون من مواد العفص والمرسين والجاز القبرصى والصمغ العربى.

وقد قلت الكتابة اليدوية بعد دخول آلة الطباعة فى مصر فأصبحت للكتابة اليدوية قيمة أثرية مما دفع العلماء إلى الاهتمام بها ودراستها وترجمتها إلى لغاتهم.

لم تكن كل كتابات الأقباط بالقبطية كما ذُكر وإنما كتب جزء وافر منها باليونانية، ولهذا كان للأقباط فضل على الأدب اليونانى إذ أضافوا إليه ذخيرة جديدة قبطية روحية وإن كانت تلبس ملابس يونانية. غير أن الأقباط وبخاصة الرهبان ـ عادوا فترجموا إلى القبطية كتابات آبائهم التى كتبت باليونانية ـ وبهذا أصبحت هذه الذخيرة الثقافية والأدبية من التراث القبطى موجودة باليونانية والقبطية معاً.

والمخطوطات شأنها شأن الكتب الحديثة أى فيها الصالح والطالح. لذلك تحتاج إلي مجهود فى دراستها وفحصها لئلا يكون قد دسّ فيها أفكار منحرفة أو روايات كاذبة... لذلك فإن قدم المخطوطة لا يعنى أن مادتها العلمية أو الدينية سليمة.

واهتم العالم اهتماماً كبيراً بالمخطوطات القبطية سواء منها المكتوبة أصلاً بالقبطية أو المترجمة إليها. وظهر هذا جلياً بعد الحركة الأوربية. فأخذ الرحالة والمبعوثون العلميون يجمعون المخطوطات القبطية من الأديرة والكنائس القديمة، وأخذوا ما يمكن أخذه إلى بلادهم منذ القرن السابع عشر الذى بدأ فيه أيضاً الاهتمام بدراسة اللغة القبطية فى أوروبا ـ حسبما يقرر مالون Mallon فى مقدمة كتابه الأجرومية القبطية.

ففى سنة ١٦٣٣ م زار بيرسيك أحد هواة الكتب بباريس ـ الأديرة. وجمع الكثير منها روبرت هنتنجتون R. Huntington فيما بين ١٦٨٢ ـ ١٦٨٣ م. ثم القس إلياس السمعانى اليسوعى أمين مكتبة الفاتيكان فى سنة ١٧٠٧ م وابن عمه المنسنيور يوسف السمعانى مطران صور سنة ١٧١٥ م. وأندريوسى Andréossy سنة ١٧٩٩ م ودروفتى B. Drovetti سنة ١٨١٨ م وروبرت كيرزون R. Curzon سنة ١٨٣٣ م. وهنرى تاتام H. Tattam سنة ١٨٣٨ م.

وتوالت زيارات علماء الآثار الأجانب وحصلوا على الكثير من المخطوطات فامتلأت بها مكتبات ومتاحف أوروبا الشهيرة. هذا غير الاكتشافات التى تم فيها العثور على برديات ومخطوطات قيّمة للغاية... مثل مجموعة دير الحامولى بالفيوم التى نسبت لمشتريها (بيربونت مورجان) Pierpont Morgan أحد الأثرياء فى أمريكا.

وقد قامت هيئات علمية بطبع فهارس لهذه المخطوطات القبطية، ونشر بعض منها مع دراستها والتعليق عليها. وقام علماء كثيرون من جهات متفرقة من العالم لدراسة هذه المخطوطات من بينهم كرم W.E. Crum واميلينو E. Amélineau وبدج E.A.W. Budge وايفتس B. Evetts تيشيندورف Tischendorf وورل W. H. Worrell وزويجا Zoëga وايفلين هوايت H. G. Evelyn White وغيرهم..

وأصبحت للدراسات القبطية أقسام خاصة لها أساتذة وعلماء متخصصون فى جامعات أوروبا وأمريكا.

وقد كان لدير المحرق نصيب فى ذلك الزمان من تلك البعثات التى نقلت المخطوطات إلى الخارج وخصوصاً كان الدير مفتوحاً دائماً لاستقبال الزوار.. هذا ما يفسر قلة المخطوطات القديمة ـ التى ترجع إلى أكثر من ٥٠٠ سنة مضت ـ والتى فى حوزة الدير حالياً.

ويذكر العلامة أميلينو E. Amélineau فى كتابه عن الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. أنه (أى أميلينو) كان يقوم برحلات إلى الأديرة القبطية عموماً لاهتمامه بجمع معلومات عن سيرة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. ووجد فى دير المحرق ترجمة عربية لسيرته ويقر بأنه وجد مؤلفات كثيرة بالقبطية والعربية وذلك فيما بين ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦ م. وقد كوّن علاقة طيبة مع الرهبان، فمكّنه ذلك من البحث فى خزائن كتبهم وفى الصناديق التى كانت بعض الكتب مخبأة فيها..

ولا يخفى أن المخطوطات القديمة التى أمكنها أن تفلت من أيدى الزوار الأجانب هى المخطوطات الطقسية المستخدمة فى الصلوات الليتورجية فى الكنيسة وخصوصاً القطمارسات التى تخدم الصلوات اليومية على مدار السنة.. وأقدمها يرجع إلى القرن ١٤ الميلادى وبعض من أسفار الكتاب المقدس. وقد كتب بعضها بحروف قبطية وأخرى عربية فى براعة وإتقان مع الزخارف والرسوم الجميلة، التى تشهد بالقدرة الفنية للآباء الرهبان الذين نسخوها. فاللون الأحمر يستعمل فى كتابة العناوين وبدء الفصول. واللون الأسود فى كتابة النصوص، أما الألوان الأخرى فكانت تستعمل لتزيين صفحات المخطوطات، إما برسم الصلبان أو صور الشهداء أو القديسين أو الرسل أو الملائكة، وأحياناً كانت تزخرف برسوم الطيور أو الحيوانات الوديعة أو بغيرها من الأشكال النباتية أو الهندسية.

ومن أسماء الرهبان النسّاخ الذين كانوا فى الدير ـ ووصلت إلينا أسماؤهم ـ فى القرن الرابع عشر الميلادى :

١ـ القس قزمان : الذى اهتم بكتابة بعض أسفار من الكتاب المقدس.

٢ـ القس اقلودة : أخو البابا غبريال الرابع بالجسد.. الذى اهتم بكتابة القطمارسات القبطية..

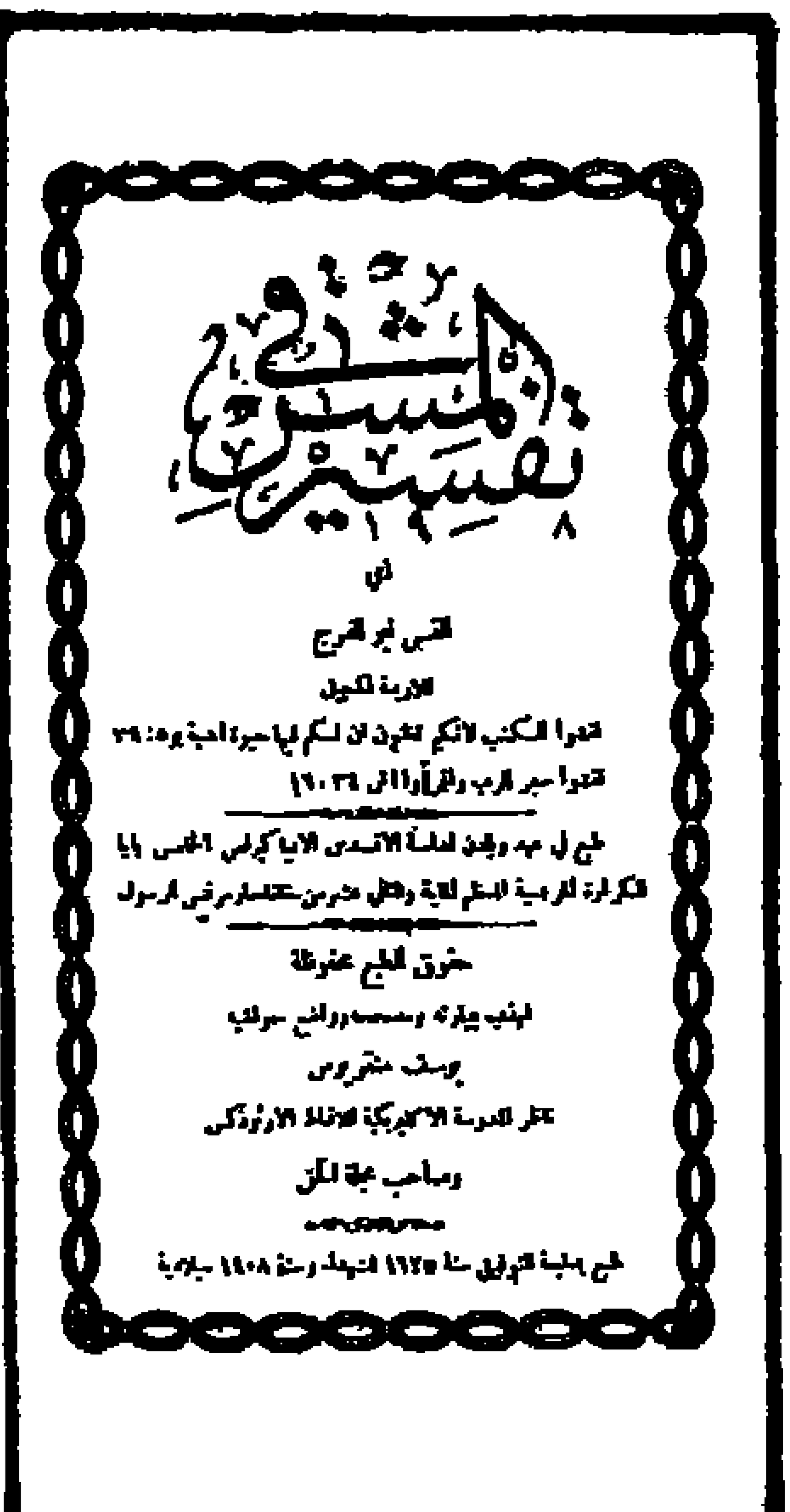
ومن النسّاخ المشهورين بالدير فى القرن ١٩ الميلادى القمص يوحنا الإتليدمى الذى نسخ ٦٤ مخطوطة فى مدة ٤٨ سنة والذى استحق أن يطلق عليه أبو النساخة.

وقد طُبعت ونُشرت بعض من المخطوطات الهامة الموجودة بالدير مثل :

١ـ تفسير المشرقى (جزئين).

٢ـ الشيخ الروحانى.

٣ـ تفسير المزامير (ثلاثة أجزاء).


تفسير المشرقي

في

القس ابو الفرج

الاربعة الاناجيل

فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية يو ٥: ٣٩

فتشوا سفر الرب واقرأوا اش ٣٤: ١٦

طبع في عهد وبإذن غبطة الاب الاقدس الانبا كيرلس الخامس بابا الكرازة المرقسية

حقوق الطبع محفوظة

يوسف منقريوس

ناظر المدرسة الاكليريكية

وصاحب مجلة الحق

طبع بمطبعة التوفيق سنة ١٦٢٤ للشهداء وسنة ١٩٠٨ ميلادية

تمهيد

حمداً لك يامن جعلت الانجيل نوراً وهدى للعالمين . وخبراً سارّاً مبهجاً للمؤمنين . وركناً قويماً للدين .

اما بعد فاقول اني طالما كنت لمشتاقاً لان أرى لكنيستنا القبطية . كتباً خاصة بها في التعاليم والمعتقدات . والطقوس والتعبدات . والتفاسير والشروحات . فيض الله لنشر الكتب الكنائسية مثل الخولاجي والدفنار والابصلمودية والابسخة والثطاوس وغيرها حضرتي الفاضلين والعالمين العاملين الاغومانس عبد المسيح صليب البرموسي والافندوس بك لبيب فقد اعتنيا بطبع الكتب المذكورة عناية لا مزيد عليها فاستحقا الثواب الجزيل من الله تعالى . والثناء والشكر لا من ذوي الفضل والكمال . فأردت انا ايضاً ان القي دلوي في الدلاء . فاصيب ولو قليل ماء . فوجهت اهتمامي نحو كتب التفسير فطبعت منها اولاً بمساعدة حضرة الاستاذ الاديب الشماس حبيب افندي جرجس جزءين من تفسير المزامير . ولما رأيت ان الظروف حالت دون اتمامه آثرت ان اصرف الفراغ من وقتي الثمين في طبع تفسير الاربعة اناجيل لابي الفرج المشرقي لانها من اجل الكتب قدراً . واولاها نظراً . واعظمها نفعاً . واسماها شرحاً . وقد تفضل قداسة الاقدس سيدنا البطريرك المعظم وصرح لي بذلك وهاك صورة العريضة المقدمة مني والتصريح الصادر من قداسته

لقداسة الاقدس السيد الجليل والحبر المفخم النبيل الانبا كيرلس الخامس بابا الكرازة المرقسية دامت علينا رياسته امين

٣

اتشرف بتقبيل يديكم الطاهرة وبعد فاعرض اني والحمد لله قد انجزت طبع الجزء الثاني من تفسير المزامير وحيث ان وقت فسحة المدارس قد اقترب رأيت من الاوفق ان اشتغل في خلالها في امر مفيد للامة فوجدت ان احسن عمل يجب ان يزدان به عصر قداستكم الزاهر هو طبع كتاب تفسير البشائر الاربع للمشرقي لانه افضل كتاب وضع في التفسير وقد تفضل قداسة الانبا باخوميوس اسقف دير المحرق ومنفلوط بان يعطي النسخة الموجودة بالدير المذكور لاستعين بها في المراجعة مع نسخة المكتبة البطريركية

بناء عليه التمس من مراحم قداستكم ارجو صدور التصريح لي بذلك واتمم اثر صلاة قداستكم وشمول بركاتكم سابرز في احسن طبع واجود وضع وافضل ورق وخاصة لاني سأطبعه في مطبعة التوفيق بمصر وهي المطبعة الشهيرة بالاتقان والنظافة وفي الختام اسأل الله ان يطيل في عمر قداستكم بكل صحة سيدي ؟

ولدكم الخاضع

١٠ بشنس سنة ١٦٢٤ ناظر المدرسة الاكليريكية

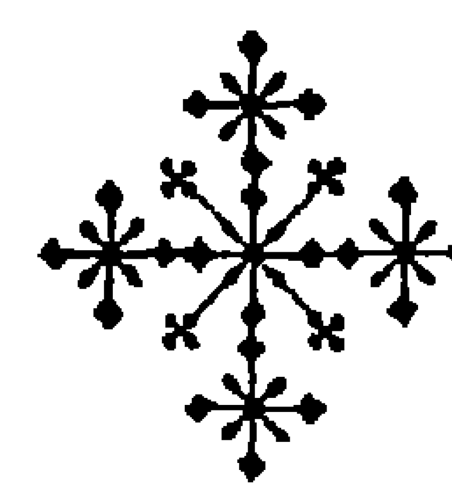
يوسف منقريوس

لامانع من طبع الكتاب المذكور مع الدقة في المقابلة والمراعاة المتبعة الارثوذكسية ؟

١٨ بشنس سنة ١٦٢٤ كيرلس

وقبل الاطلاع على هذا الكتاب كنت اسمع الكثيرين يمدحونه ويطرونه فلما فتحت عبابه . وعجمت عوده . وذقت لبابه . وجدته اعظم مما كنت اسمع . اذ الفيته غزير المادة . مفعماً بالفوائد . والتفاسير الفرائد . واقوال الاباء والعلماء الاماجد . يحوي من الافكار السديدة . والاراء الرشيدة . مما يعد آيات بينات . وعجائب باهرات . دالة على فضل مؤلفه النحرير . والعالم







كلمة الناشر

مطرانية ملوي وأنصنا والأشمونين

كتاب

الشيخ الروحاني

من ذخيرة مكتبة دير السيدة العذراء

دير المحرق

مواعظ . . حكم . . نصائح . . تفاسير . . ميامر . . روحانيات

المخطوط القديم العظيم

الطبعة الثانية

١٩٨٤

ملتزم الطبع والنشر « القمص بولس باسيلى »

سفر المزامير

+ إنه يشبه السلم السمائي المصعد إلى السماء وهو يتكون في ثلاث درجات كمثل الثلاث سموات التي رآها القديس بولس الرسول . كل خمسين مزمور يمثلوا درجة فيه :

+ فقد صدر الجزء الأول من ١ ـ ٥٠ وهو الدرجة الأولى من السلم الروحاني السمائي التي تطوب كل من لا يسلك في مشورة الأشرار أو يقف في طريق الخطاة أو يجلس في مجالس المستهزئين . ويلهج في ناموس الله نهاراً وليلاً .

+ وهذا الجزء الذي بين يديك هو الجزء الثاني من ٥١ ـ ١٠٠ الذي يشبه الدرجة الثانية من السلم السمائي ويبدأ بمزمور التوبة والغسل من الخطايا التي لصقت بنا أثناء سيرنا في الدرجة الأولى .

+ وبعد ذلك نصل إلى الدرجة الثالثة والأخيرة وهي الوصول إلى السماء حيث نرى الله وجهاً لوجه والتسبيح لرحمته العظيمة التي أوصلتنا إلى هذا .

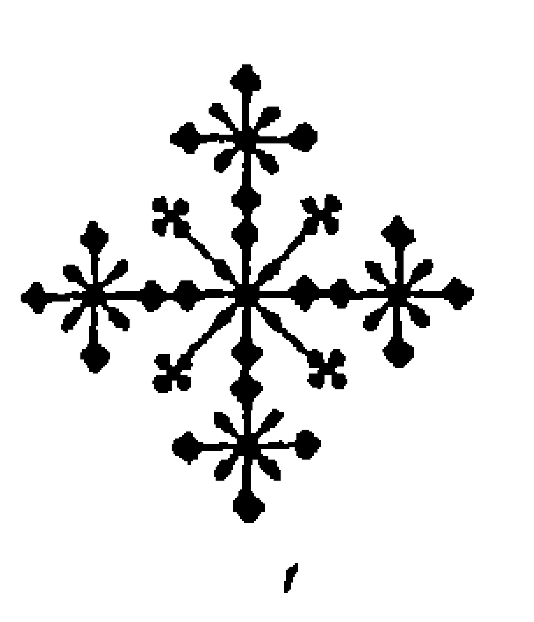
من مخطوطات دير المحرق :

تفسير سفر المزامير



تقديم
نيافة الأنبا ساويرس
أسقف ورئيس دير السيدة العذراء المحرق

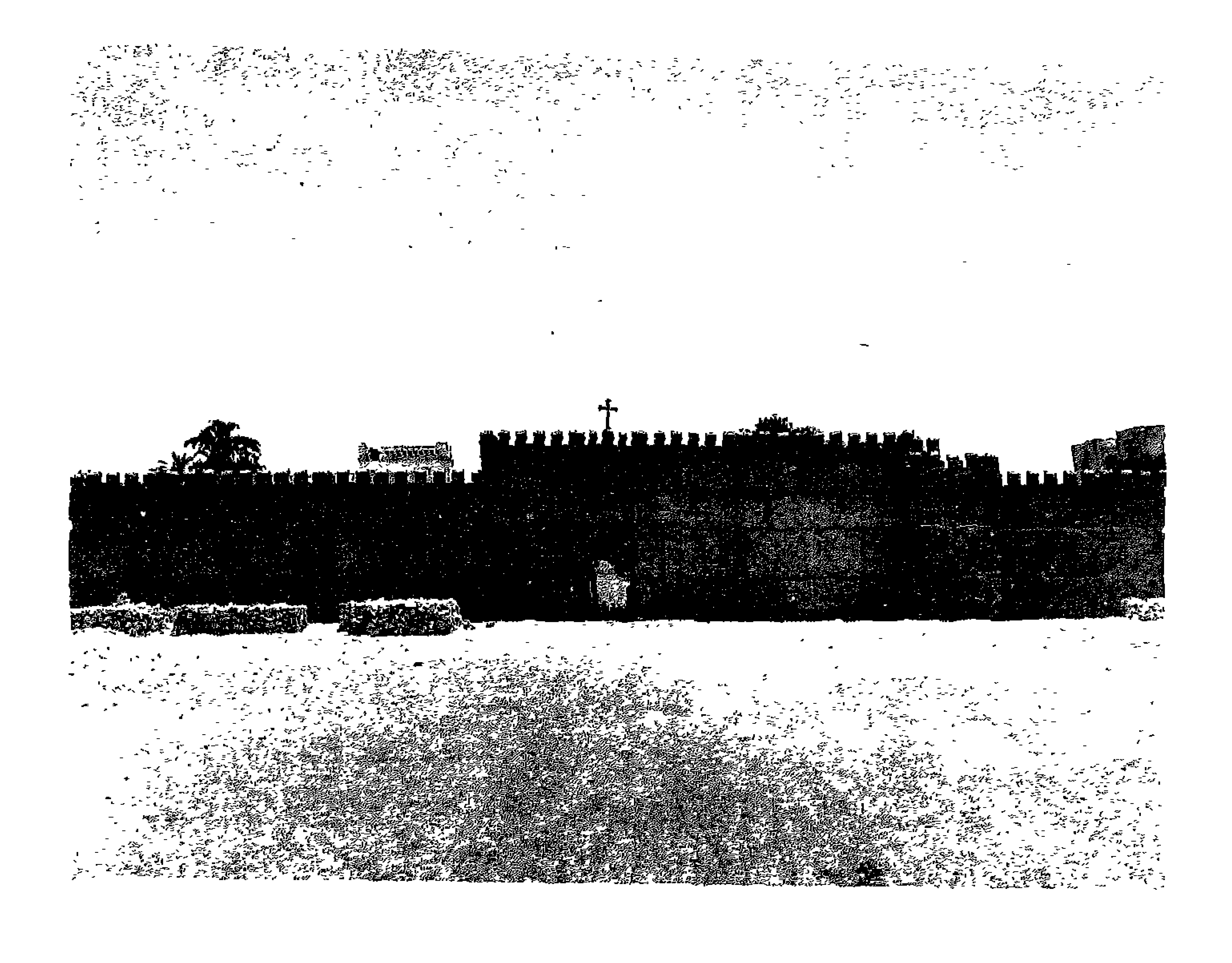
إعداد
راهب من دير المحرق

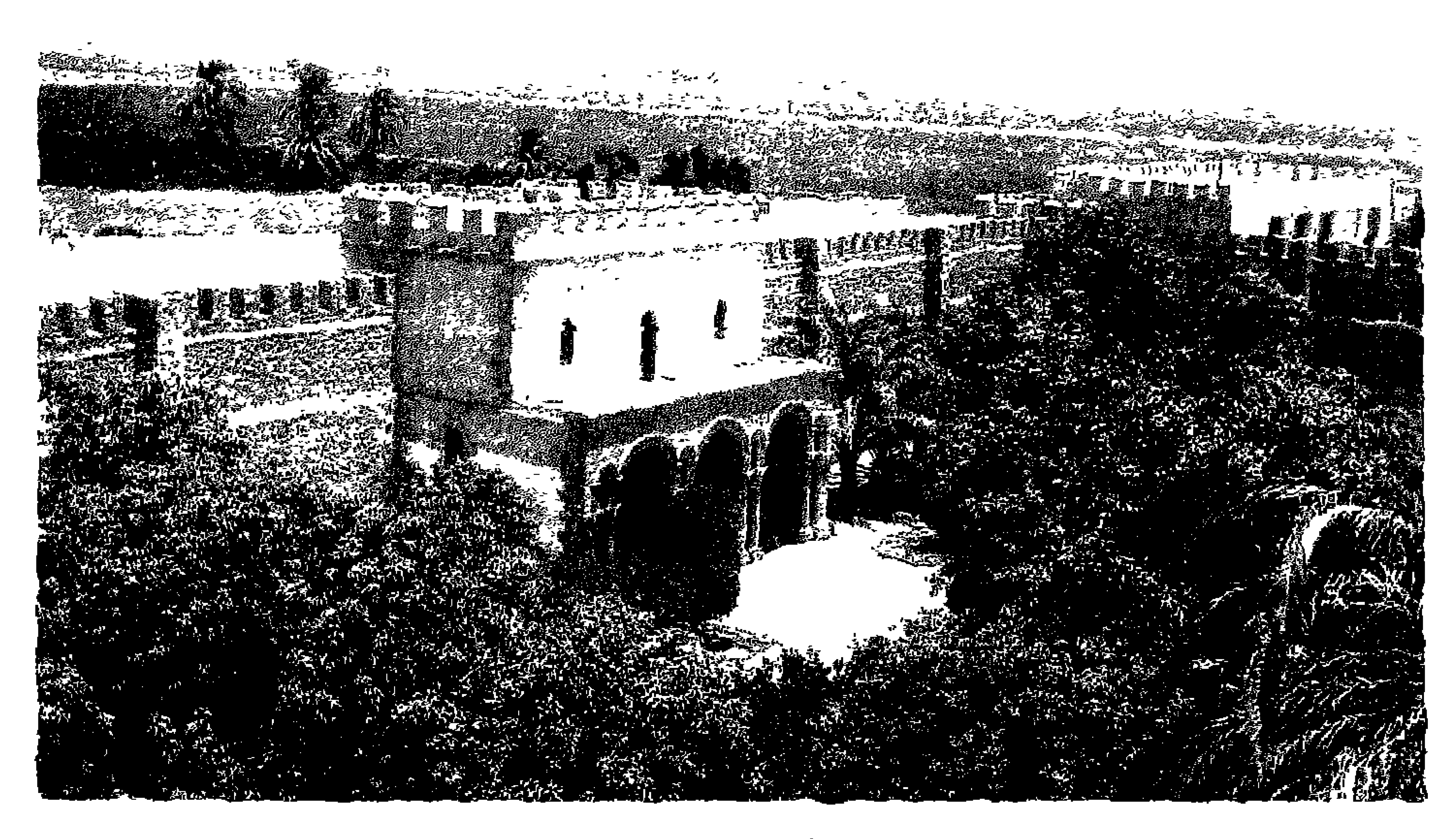


التسلسل التاريخى لزمن الأحداث والآثار الهامة فى دير السيدة العذراء المحرق بجبــل قســقام

التاريخ	الحدث	صفحة
٤ ق. م.	١ـ إقامة العائلة المقدسة فى قسقام.	٥٩
	٢ـ موت هيرودس الكبير.	٦٠
	٣ـ ظهور ملاك الرب ليوسف فى حلم (متى ٢ : ١٩ و ٢٠).	٦٠
	٤ـ عودة العائلة المقدسة إلى أرض إسرائيل.	٦٠
النصف الأول من القرن الأول الميلادى.	كسـر الخبز فى قسقام وتدشين الرب لكنيسة قسقام بيمينه الإلهية.	٦٢
بين أواخر القرن الأول الميلادى وأوائل القرن الثانى الميلادى.	إهتمام المسيحيين بالبيت المهجور القائم فى برية قسقام وتحويله إلى كنيسة وإنشاء بعض المساكن للفقراء والمعوزين ومحبى البتولية.	٦٣
أوائل القرن الرابع الميلادى.	شهادة القديس الأنبا هيلياس أسقف القوصية وبيعة السيدة العذراء بقسقام.	٦٧
النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى.	١ـ تأسيس حياة الشركة بالدير.	٧٢
	٢ـ زيارة البابا ثيؤفيلس الـ ٢٣ للدير وتعميره.	٧٤
	٣ـ زيارة مؤلف كتاب تاريخ الرهبان فى مصر لمجمع الرهبان الأحباش.	٧٦
بين أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادى.	زيارة الأنبا قسطنطين الكبير أسقف أسيوط لدير قسقام	٨٢
القـرن السـادس ـ السـابع الميلادى.	التقدير المحتمل لتاريخ بناء الحصن.	٧٩

١٩٥٥/٩/٢٤ ـ ١٩٥٦/٦/٢٤م	إقامة البابا يوساب الثانى ١١٥ بالدير.	١٤٧
١٩٦٢م	بدء رئاسة القمص قزمان بشاى.	١٥٣
١٩٧٢ م	رئاسة الحبر الجليل الأنبا أغاثون أسقف عام الكرازة أطال الرب حياته.	١٥٥
١٩٧٣م	بدء رئاسة القمص برسوم المحرقى تحت إشراف الحبر الجليل الأنبا أغاثون أسقف عام الكرازة.	١٥٤
١٩٧٧م (عيد العنصرة)	سيامة القمص بيشوى المحرقى خورى أبسكوبس بإسم الأنبا ساويرس.	١٥٦
١٩٨٥م (عيد العنصرة)	سيامة الحبر الجليل الأنبا ساويرس أسقف ورئيس لدير المحرق والقرى المجاورة	١٥٦
١٩٨٨/٦/٢١م	العناية الإلهية تحفظ الدير ـ بمعجزة ـ من الحريق المدمر.	ـــ
١٩٩١/٢/٢٣م	الإحتفال بإخراج رفات القديس القمص ميخائيل البحيرى لأول مرة ووضعه فى مقصورة بكنيسة مارجرجس بالدير.	١٧٨
١٩٩٣/١/١٦م	لقاء أباء الدير مع البابا شنودة الثالث بدير الأنبا بيشوى ببرية شيهيت.	١٥٧
١٩٩٤/٣/١١م	شهادة الأبوين الفاضلين القمص بنيامين المحرقى الراهب أغابيوس المحرقى.	ص ٣٥ . (الجزء الخاص بجولة فى رحاب الدير)

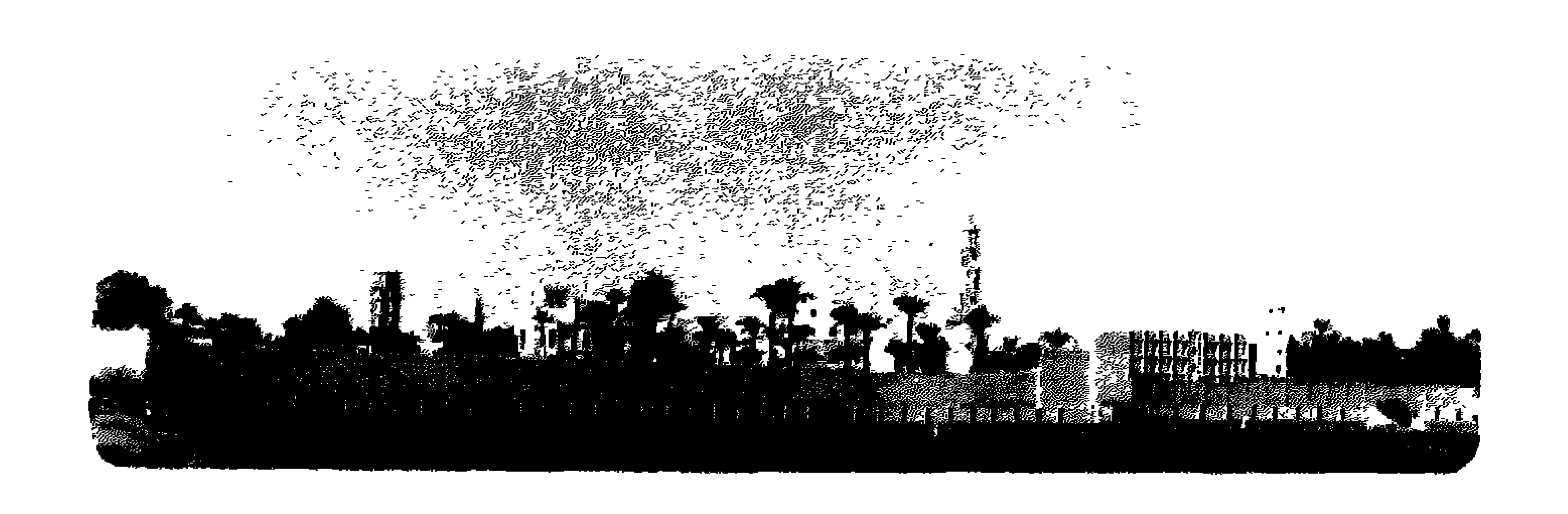




الدير في الخمسينات

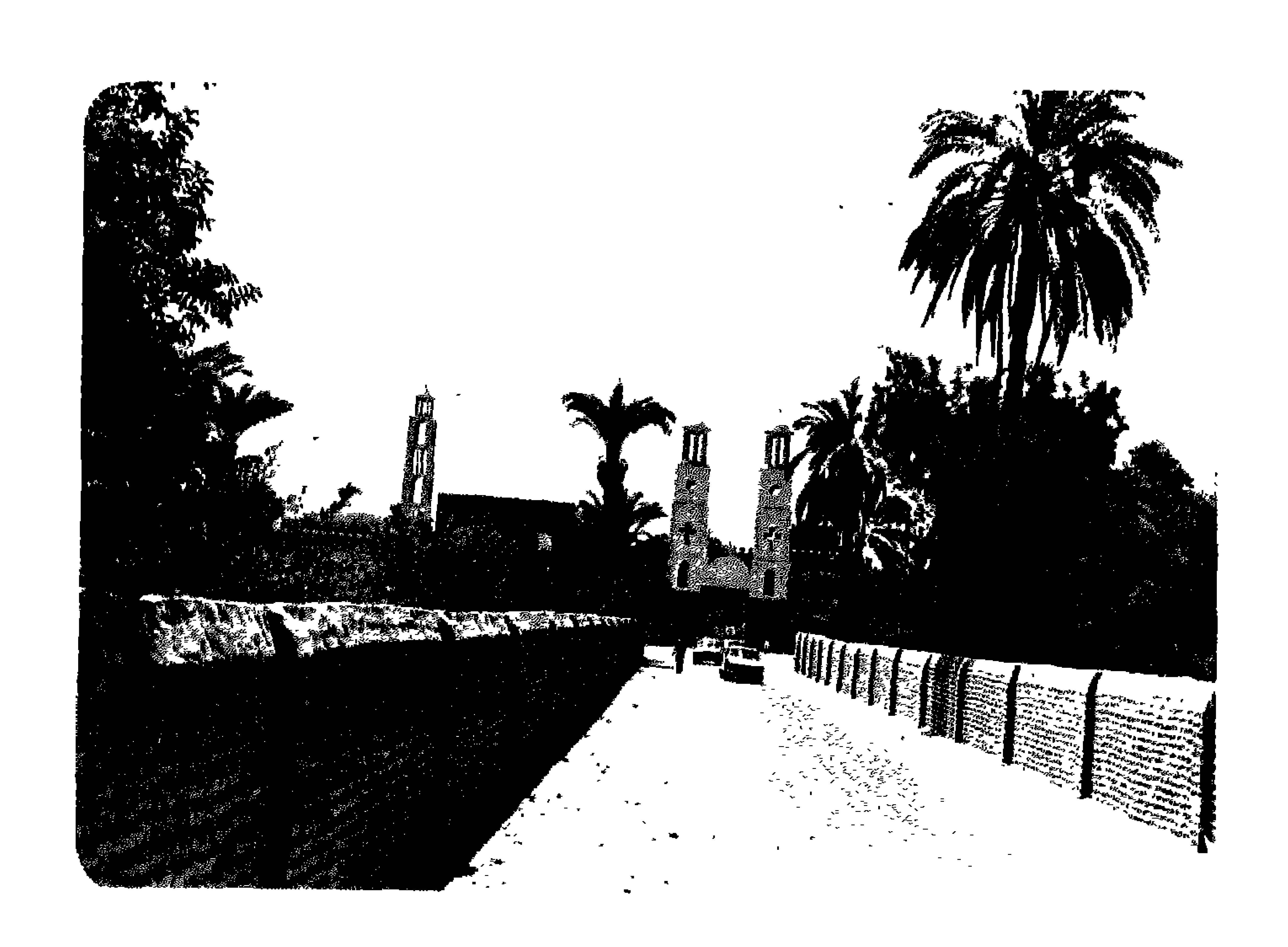


أيقونة للسيدة العذراء الملكة
من القرن ١٩ الميلادى



جولة فى رحاب دير المحرق

بين المعالم القديمة والحديثة



أهم المعالم الأثرية بالدير

مقدمة :

إن الشيء القديم – قيمته ليست في مادته المصنوع منها، ولكن قيمته في أنه يحيي التراث، وروح الآباء والأجداد، ويشع في النفس روح الافتخار والإعزاز بأمجاد الأقدمين الذين بذلوا وتعبوا في بنائها أو صنعها، كما يرينا أيضا طول أناتهم العجيب، وسمو أخلاقهم، ومبادئهم القويمة، وروحانيتهم العميقة ... في بساطة الفكر وقوة الإيمان.

فكم يكون بالحرى، لو هذه الآثار القديمة باركها السيد المسيح بنفسه، كالبيت المهجور الذي سكنه وهو طفل وأصبح كنيسة السيدة العذراء الأثرية بالدير.

في الحقيقة أنه ليس بالدير حالياً كمّ من الأثار القبطية إذا قورن بالأماكن القبطية الأثرية المنتشرة في مصر. وذلك لأنه حاز منذ القدم على شهرة واسعة جعلت منه مزاراً على مدي الأجيال. لأنه كلما كانت هناك فرصة متاحة، كان يحدث تجديد في المباني أو إضافة جديدة حتى يكون مناسباً لاستقبال الزوار وإيواء الغرباء والمترددين عليه.

لذا لا توجد حاليا أية آثار متبقية من المباني أو الأسوار القديمة جداً، إلا المنطقة الأثرية بالدير والجزء المتبقي من السور في الجانب الجنوبي الشرقي الدي يرجع تاريخه للقرن ١٩ الميلادي.

أما بالنسبة للأيقونات وخلافه من الفن القبطي، فقد خرج منها الكثير .. قديماً .. من الدير، حيث كانت تمنح هدايا على سبيل البركة، هذا غير ما تلف منها.

ولقد كانوا قديماً لا يفطنون إلى أهمية الأثريات والحفاظ على ما هو قديم. فإن الاهتمام بالآثار والتحف الأثرية القبطية في مصر لم يظهر بصورة واضحة إلا في أواخر القرن ١٩ ، عندما عين العلامة ماسبرو Maspéro مديراً لمصلحة الآثار المصرية سنة ١٨٨١م خصص قاعة في المتحف المصري جمع فيها شتاتاً من الآثار القبطية.

ومن الذين اهتموا بالآثار القبطية أيضاً العلاّمة الإنجليزي ألفريد بتلر A. Butler الذي ألف كتاباً من جزأين عن الكنائس القبطية القديمة بمصر (The Ancient Coptic Churches of Egypt, Oxford 1884)، عام ١٨٨٤م، متضمناً بحثاً علمياً قيمًا عن الآثار القبطية وأهميتها، وكتب فيه أن الكنيسة القبطية هي أعظم أثر للمسيحية الأصلية.

وبعد ذلك تحفزت همّة بعض المصريين وعلى رأسهم مرقس سميكة (باشا). الذي اهتم بإنشاء متحف متخصص بالآثار القبطية فقط (المتحف القبطي حالياً).

أما أول من طرق باب الحديث عن الفن القبطي وأصوله هو العالم الفرنسي جاييه Al-Gayet في كتابه

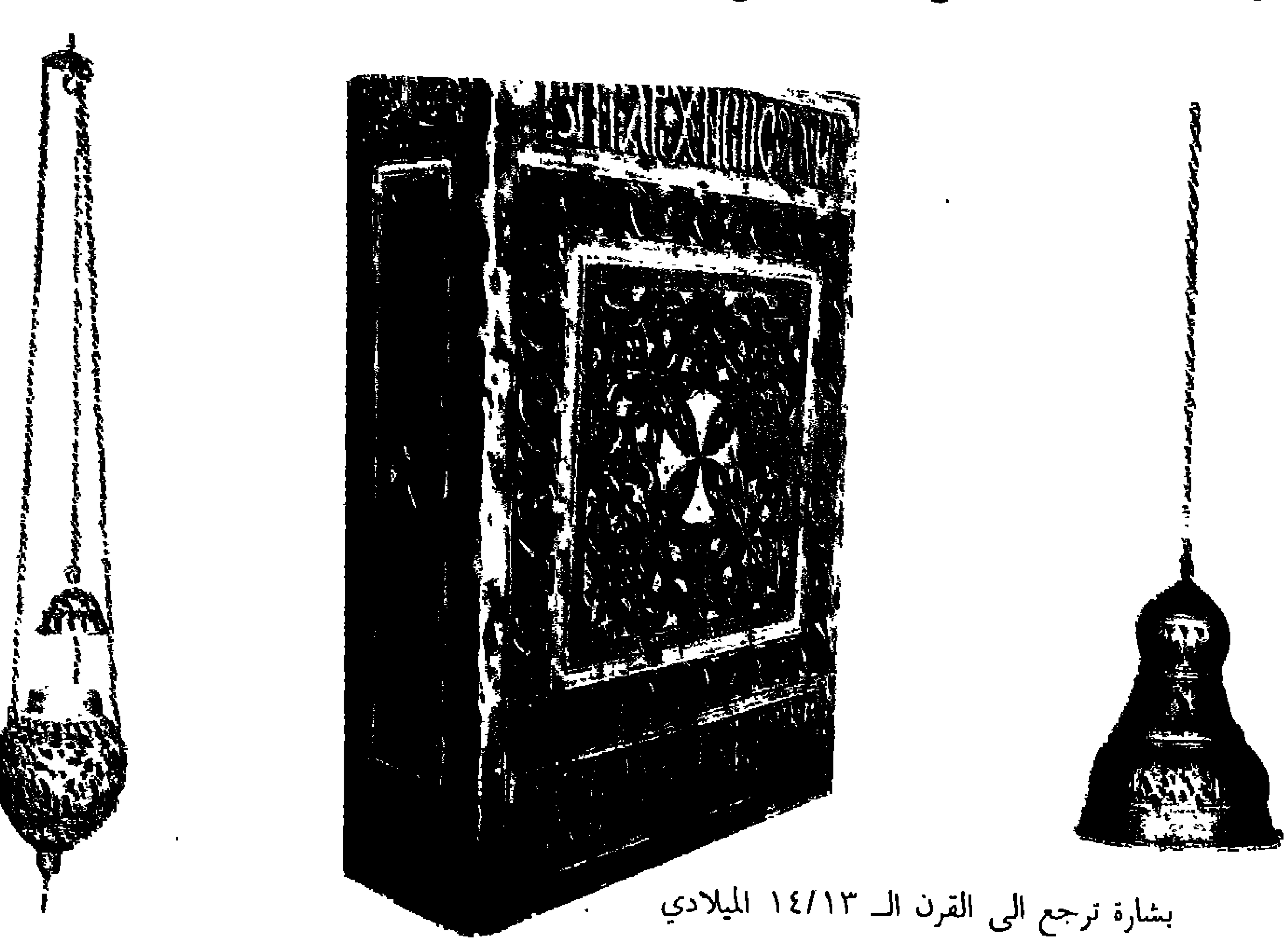
L'Art Copte المطبوع عام ١٩٠٢م ودافع عنه بعدما كان يعتبره بعض العلماء أنه نمط من أنماط الفن البيزنطي (اليوناني) والبعض الآخر كان يعتبره أنه بدائي وأولي...

ومن المسلم به أن عمل الأيدي المبدع، هو نتيجة تفاعل الفكر التصوّري مع الأرادة الممزوجة بالمشاعر الخلاّقة. لهذا فإن لكل بيئة فنها الخاص الذي يصور ويعبر عن أحاسيس أهلها ومشاعرهم وعن آلامهم وآمالهم...

كذلك فإن الفن القبطي ليس فناً دينياً فحسب - كما ظن البعض - بل هو فن شعبي أصيل، يعبر عن الأحاسيس الصادقة للشعب، فهو خارج منهم لخدمتهم لأنه وليد البيئة التي عاش فيها الفنان الذي يخضع للتقاليد التي ورثها من آبائه وأجداده، وقد يضيف إليها شيئاً من عنده، غير أنه لا يخرج عن سمة بيئته وعن كل ما توارثه وشاهده وألفه فيها..

ويقول مستر جايه إن الفن القبطي في كل فروعه المختلفة، هو صورة معبرة عن العمق الإيماني والتقليد الروحاني للفنان القبطي الذي يخرج من أصالته الشرقية ومسيحيته المتغلغلة في دمائه.. لهذا فإن الفن القبطي يختلف تماماً عن الفن البيزنطي (اليوناني) لأن الفن القبطي يحتوي على التأمل العميق والرمزية في التعبير التي تجعله مليئاً بالأسرار هذا بعكس ما في الفن البيزنطي (والغربي أيضاً) الذي يميل إلى تصوير بعض الأمور البيئية بصورة مستبيحة وفاضحة.

والعجيب أيضاً في أنه بالرغم من الاضطهادات المريعة التي مرت عليها الكنيسة القبطية فلا توجد أية أيقونة أو نقش يصوّر آلام القديسين أو عذابات الخطاة في الجحيم أو أية أشكال مرعبة مثل اتجاه الفن المسيحي الغربي عموماً، لذلك انفرد الفن القبطي وخصوصاً الأيقونات بسمات تميزه - على حد وصف الدارسين له - فهو يعبر عن الحياة المفرحة المملوءة بروح الغلبة وقوة الروح بالإضافة إلى سمة البراءة وروح الحب واللطف وطهارة الفكر.



بشارة ترجع الى القرن الـ ١٤/١٣ الميلادي



كنيسة السيدة العذراء الأثرية

تنفرد هذه الكنيسة ببساطة بنائها – بالرغم مما طرأ عليها من تعديلات وترميمات – فهي لا تدخل تحت المنهج العلمي للفن المعماري في الآثار القبطية، أو بمعنى آخر إنها انفردت في بنائها المعماري حيث إنه بسيط، غير متكلف – من الطوب اللبن – والحوائط غير المنتظمة، وعدم وجود أية نقوش زخرفية عتيقة أو رسومات قبطية مرسومة على حوائطها أو... إلخ.

وبلا شك هذا يدفع الشاهد المتأمل إلى التعجب ... ويحيّر عالم الآثار، لأن علم العمارة الأثري – وخصوصاً العمارة القبطية للكنائس الأثرية – له قواعده العلمية لتحديد زمن المباني من طريقة البناء وتقاسيمه الداخلية. أما بساطة مبني الكنيسة وعدم تعقيده، وعدم تجانسه أدى إلى صعوبة وضع منهج علمي يستنتج منه القيمة الفنية في البناء، كما هو حادث في الكنائس الأثرية عموماً.

وقد قام العالم الأثري الشهير فيلارد Monnert De Villard في أوائل القرن العشرين بعمل دراسة مستفيضة للكنيسة الأثرية بالدير لتحديد تاريخ المبني وعمل مقارنة بينها وبين كنائس الصعيد الأعلى القديمة وفي نهاية المقارنة استنتج ما يأتي قائلا: « إن الكنائس التي عند حافة الصحراء الغربية هي كثيرة الغموض ومظلمة لأن

الأبحاث والمقارنات ينقصها الكثير ... ثم استطرد وقال: فإن البحث عن مثل طراز كنيسة دير المحرق يبوء بالفشل .. ولنلجأ إذاً للتفكير في نظام آخر » .. فقام الأثري بعمل دراسة مقارنة بين الكنيسة الأثرية والجوامع الأثرية التي داخل مصر، ثم ذهب بالمقارنة إلى خارج مصر في كنائس وجوامع إيران والعراق ... ولم يصل إلى فائدة مرجوة، للاختلافات الكثيرة بين المباني، حتى إنه لم يتمكن من تحديد تاريخ إنشاء مبني الكنيسة علمياً ... فرجع إلى بعض المخطوطات القديمة واستنتج أن الكنيسة بنيت في القرن الثاني عشر الميلادي !!

إن هذا الآنفراد العجيب في عدم إمكان تطبيق القواعد العلمية بصورة صحيحة على هذه الكنيسة الفقيرة في بنائها لشاهد عظيم على قدمها وأصالتها. وإنه بالرغم – مما مرّ عليها من تعديلات – يؤكد ويشهد على أنه كان هناك تقليد قوي وروح مؤثرة عبر العصور على الذين عاشوا في هذا المكان، جعلهم يتركون الكنيسة على بساطتها حتى لو رمّموها. ألم يكن في مقدورهم بناء كاتدرائية عظيمة مكانها لتكون مناسبة ومشرّفة لمكانة المكان الذي جاءت إليه العائلة المقدسة وباركته ؟!

إن الباحث في معمار الكنائس القديمة في مصر، يجد أن بعض الكنائس بعدما أعيد ترميمها أصبحت تحفة فنية من الفن القبطي البديع، إلا أنه لم يحدث مثل هذا في كنيسة العذراء الأثرية أثناء ترميماتها المختلفة حتى القرن ١٩ الميلادي (ما عدا القباب الثلاث – أعلى الهيكل – التي أنشئت في القرن ١٦ الميلادي).

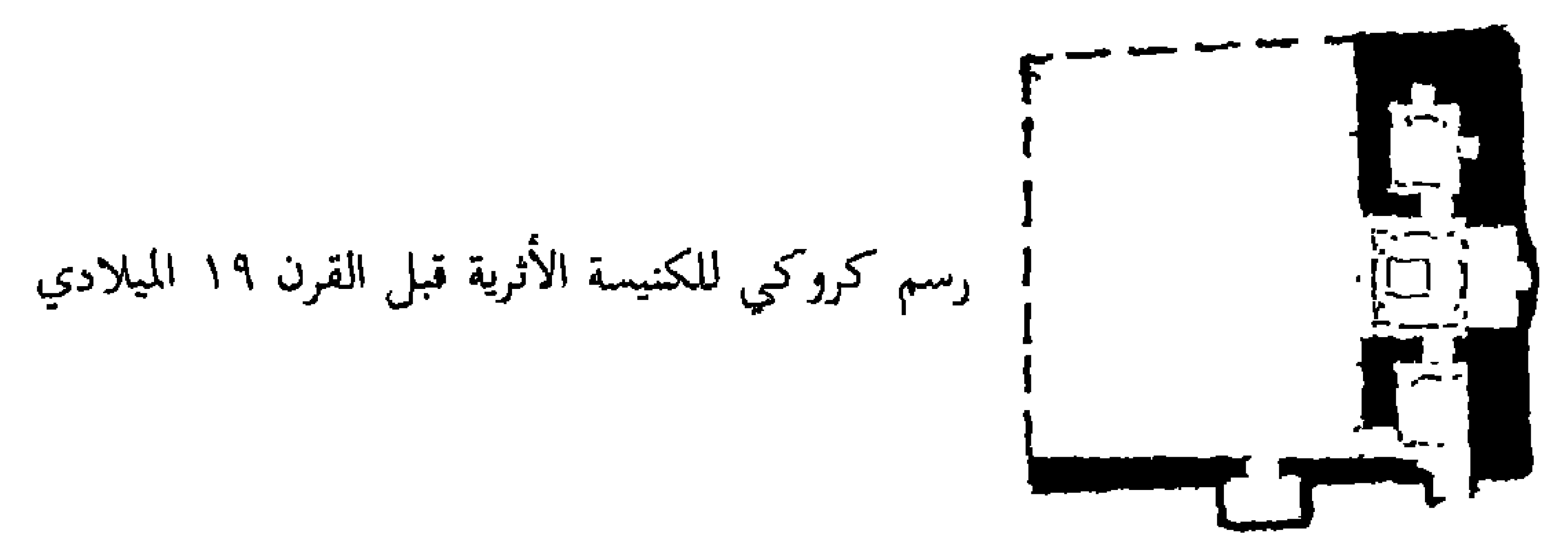
إذاً لهو تقليد ثابت قديم ، راسخ في أعماق آباء هذا الدير. وهو عدم تغيير الكنيسة ... بناءً على أمر إلهي مؤدّاه أن تبقى الكنيسة على ما هي عليه شاهدة عبر العصور على اتضاع الابن الوحيد الذي أخذ شكل العبد ليخلّص شعبه ... (على حسب ما أوضحته السيدة العذراء للبابا تيؤفيلس ٢٣).

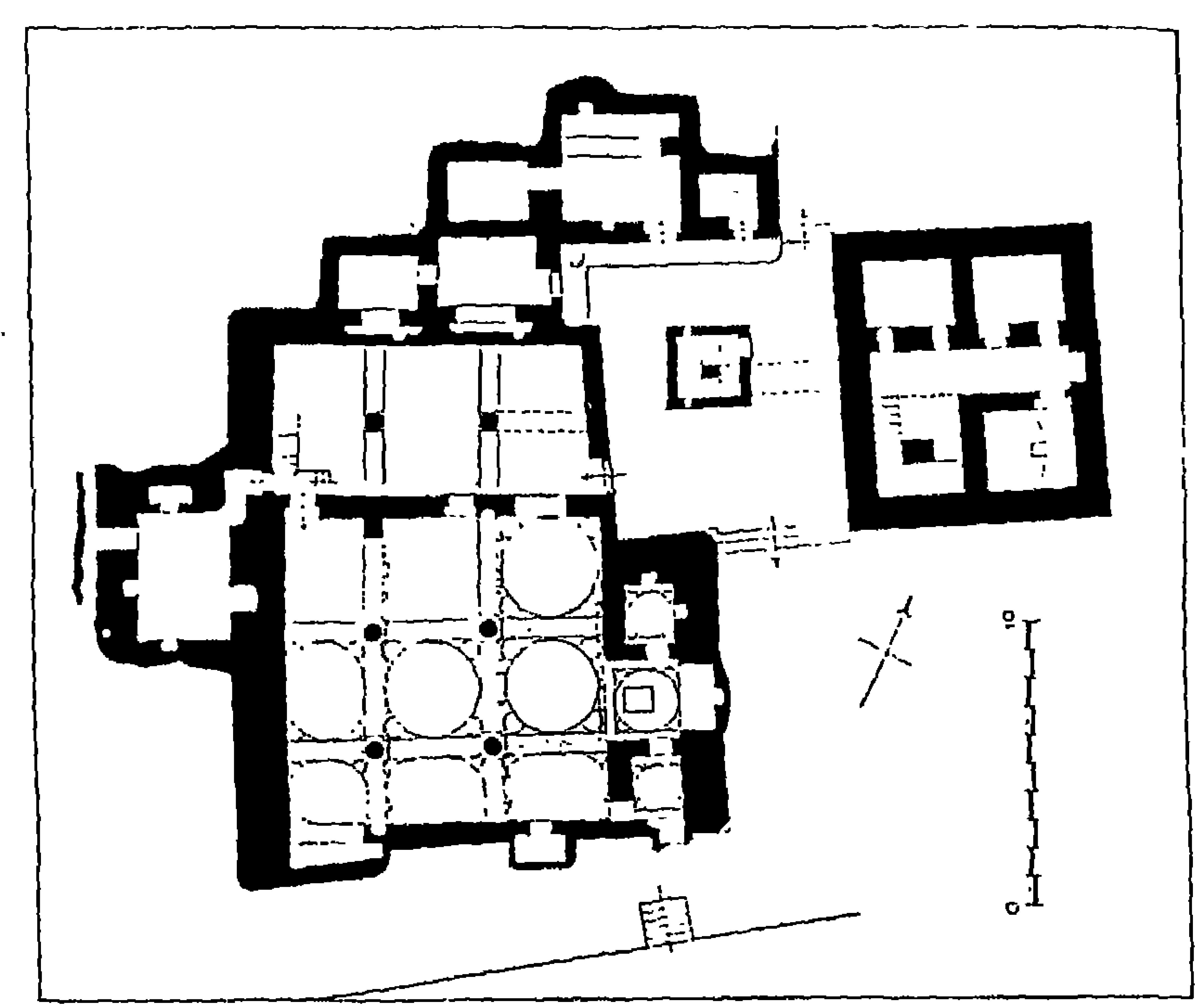
فالكنيسة كما يشهد التقليد و التاريخ هي البيت المهجور الذي عاشت فيه العائلة المقدسة وبقى على مساحته كما هو حتى القرن ١٩ [كما هو موضح بالشكل رقم ١]. وعندما تحول البيت في العصر المسيحي المبكر إلى كنيسة تم عمل التقاسيم والحواجز المناسبة لطقس الكنيسة، فتم عمل حضن الآب في شرقية الهيكل – الذي يرمز لاشتياق الله إلى كنيسته وهي تنتظر مجيئه – كما أنشئت حجرتان على جانبي الهيكل. يتضح فيهما البساطة البعيدة عن أي علم أو فن معماري إلا أنهما متطبعتان بالطقس الكنسي الأصيل العريق في القدم. فقد استخدمت الحجرة اليسرى لملابس الكهنة، وهي لذلك بدون باب يفتح على صحن الكنيسة. والحجرة اليمنى فهي لخدمة الشمامسة وبها حفرة في الأرض أسفل الحائط الشرقي مباشرة لتفريغ الشورية بعد انتهاء الصلاة.



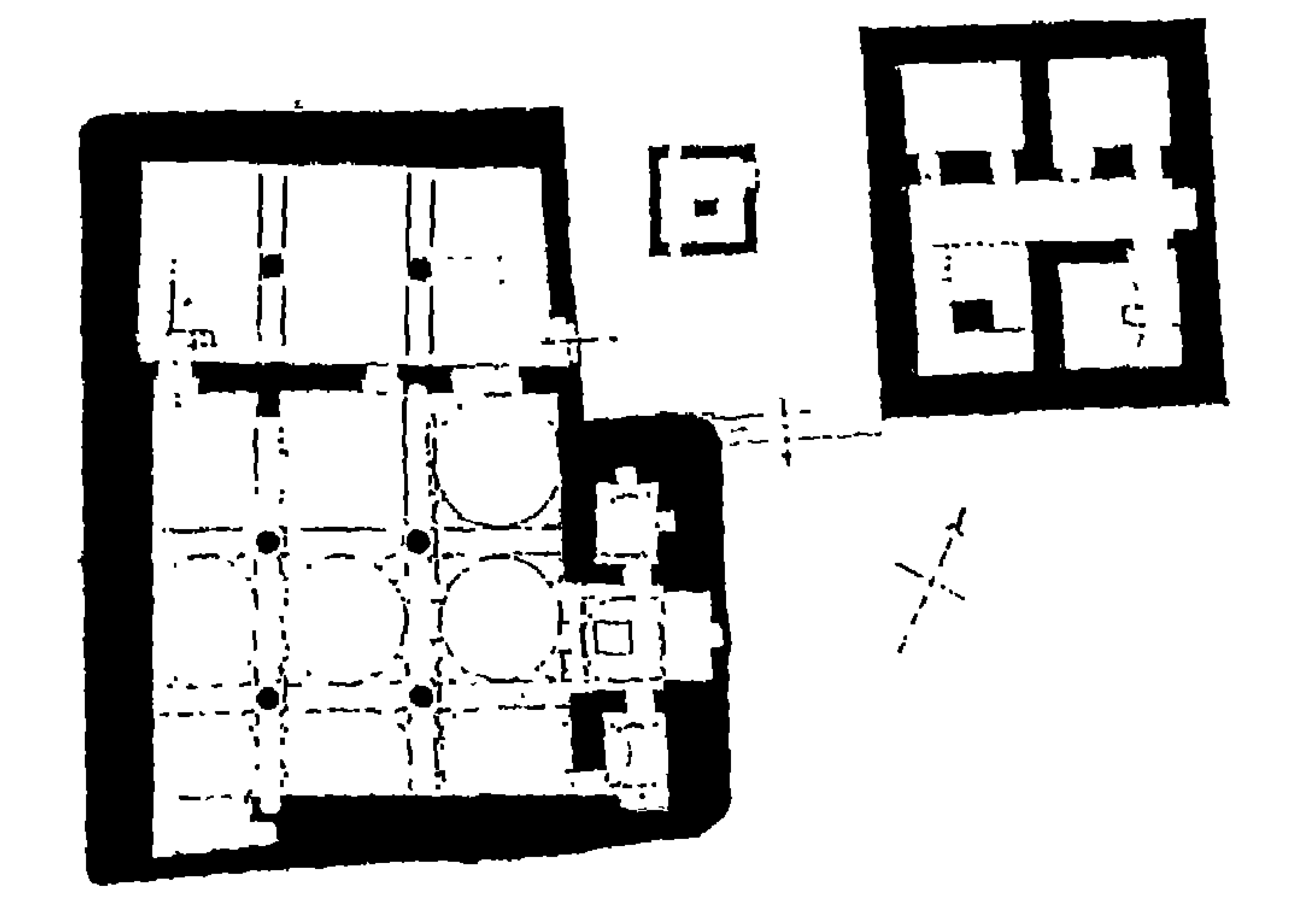
وحينما أراد عامل البناء القبطي تحويل البيت إلى كنيسة – في ذلك الزمان – وبناء الأعمدة الأربعة التي تحيط بالمذبح رمزاً للإنجيليين الأربعة طبقاً للنظام الكنسي – فلضيق المساحة، ولأسلوبه الريفي غير المتكلف شكّلها على الحائط الأيمن والأيسر للهيكل وعمل لها تيجاناً على شكل (بصلة)

رسم كروكي للكنيسة الأثرية قبل القرن ١٩ الميلادي





الكنيسة الأثرية في أوائل القرن ٢٠ الميلادي

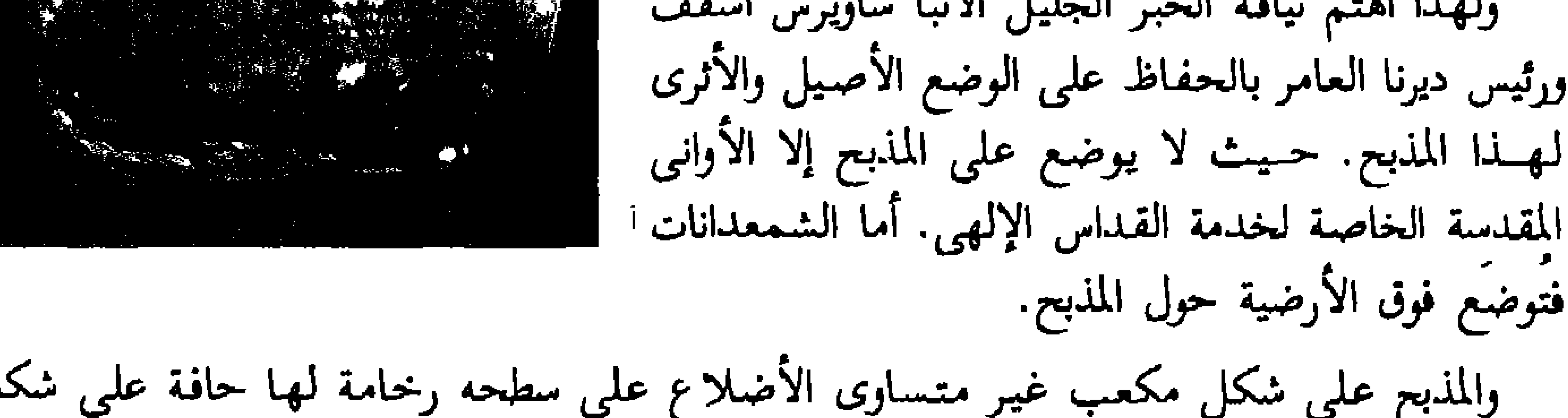


الكنيسة الأثرية حاليـــاً

(واحداها حالياً طُمست معالمه).

وأهم ما فى الهيكل المذبح الحجرى، فالمذابح الحجرية عموماً معروفة لدى علماء الآثار بأنها استخدمت منذ عصر مبكر جداً. والتقليد أيضاً يؤكد على قدم هذا المذبح حيث أنه هو الحجر الذى جلس عليه السيد المسيح له المجد وهو طفل، وباركه بيمينه الإلهية ليدوم مدى الأزمان والأجيال...

ولهذا المذبح قصة عجيبة ذكرها نيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس نقلاً عن بعض الشيوخ من رهبان الدير (فى الستينيات من القرن العشرين) : ان أحد رؤساء الدير فى القرن العشرين رأى أن المذبح صغير ولا يتسع للذبيحة المقدسة وأوانيها، فرغب فى إزالة المذبح ليقيم مذبحاً آخر أكبر حجماً، فالراهب الذى تناول الفأس إطاعة لأمر الرئيس، شُلّتْ يده عندما ضرب أول ضربة. فصرخ وإمتنع عن مواصلة العمل ولم تعد يده إلى الحركة إلا بعد إسترحام وصلوات ودهنها بالزيت المقدس. فكانت هذه المعجزة عبرة وعظة....



ولهذا اهتم نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس أسقف ورئيس ديرنا العامر بالحفاظ على الوضع الأصيل والأثرى لهـذا المذبح. حـيث لا يوضع على المذبح إلا الأوانى المقدسة الخاصة لخدمة القداس الإلهى. أما الشمعدانات فتوضَع فوق الأرضية حول المذبح.

والمذبح على شكل مكعب غير متساوى الأضلاع على سطحه رخامة لها حافة على شكل نصف دائرة ومنقوش عليها كتابة باللغة اليونانية نصها : نيح يارب الطوباوى كلتوس، وتاريخها ١٥ كيهك سنة ٤٦٣ ش الموافق ١١ ديسمبر سنة ٧٤٦م (حسب التقويم السائد فى ذلك الزمان).

وتُعتَبر هذه الرخامة النصف دائرية من الأشكال النادرة التى تنفرد بها المذابح القبطية الأثرية فى مصر. وفكرة النصف دائرة هى تقليد قبطى قديم ظهر فى الأيقونات التى تمثل العشاء الربانى وفيها المائدة على شكل النصف دائرة.

ويلاحظ أيضاً أن أبواب الهيكل الداخلية والخارجية وحتى أبواب الكنيسة نفسها كلها منخفضة الإرتفاع مما يجعل المؤمن المار خلالها، يحنى هامته خشوعاً واحتراماً لبيت الرب..

ويعتبر الهيكل بحجرتيه والمذبح أقدم ما يوجد حالياً فى الكنيسة الأثرية، ومع تعدد الترميمات أصبحت حوائطه سميكة...

أما صحن الكنيسة... فكما يتضح من الرسم أنه تغيّر فى القرن ١٩ الميلادى عما كان عليه، ولم يتبق من القديم ـ الذى قبل القرن ١٩ ـ إلا الحائط القبلى الممتد فى الخورسين الأول والثانى فقط. أما بقية الحوائط ـ (بقية الجزء القبلى فى الخورس الثالث والحائط الغربى والحائط البحرى) ـ تم إنشاؤها فى القرن ١٩ الميلادى.

ومن الصعب الجزم بأنه كانت هناك قباب قديمة أعلى صحن الكنيسة من عدمه.

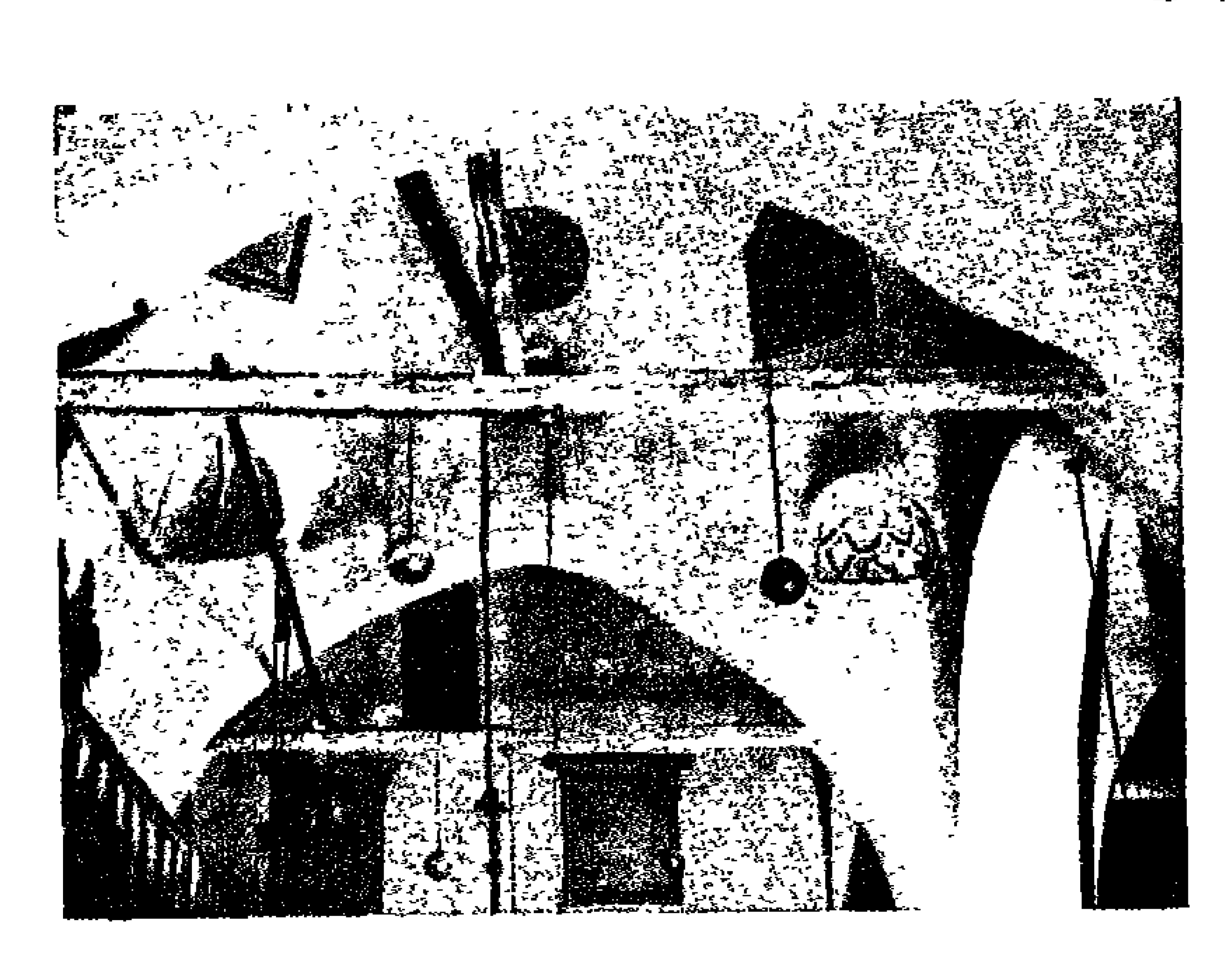
كما يلاحظ أيضاً أن أبواب الكنيسة ومعاليقها - وخصوصاً الباب الأوسط - قديمة جداً ويستدل على ذلك من صناعتها.

ويشهد التاريخ - طبقاً للمعلومات التي تم جمعها حتى الآن - على أن الكنيسة لم تخرّب، ولكن بالطبع يجب أن ترمم من حين لآخر، لأن مبانيها من الطوب الأخضر (اللبن).

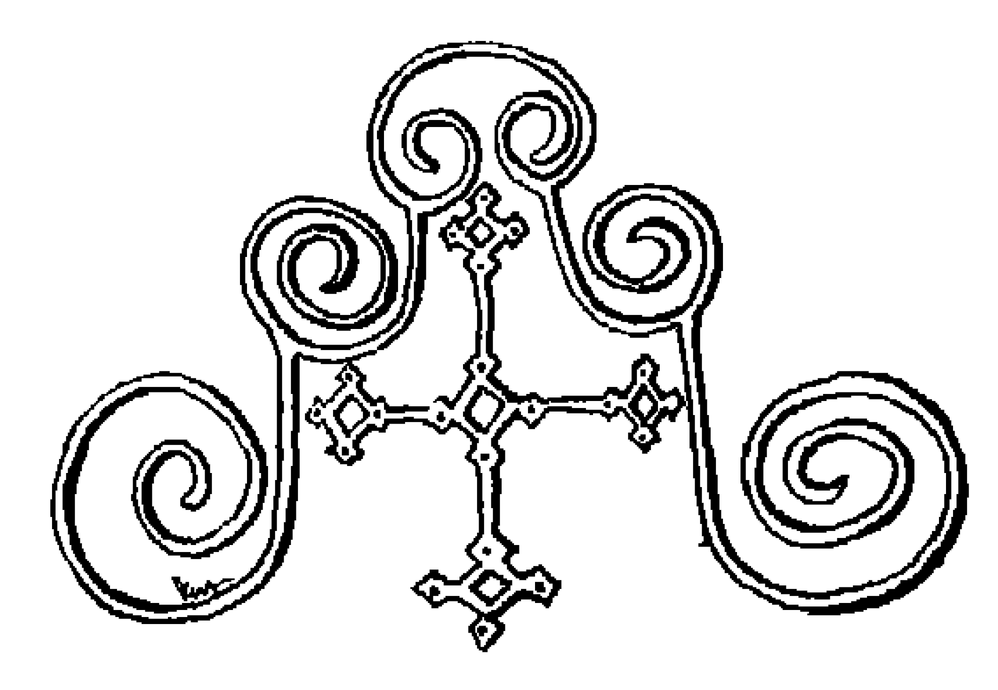
والترميمات التي تم التوصل إليها هي :

+ في القرن ١٦ الميلادي .. تم الترميم مع بناء القباب الثلاث أعلى الهيكل.

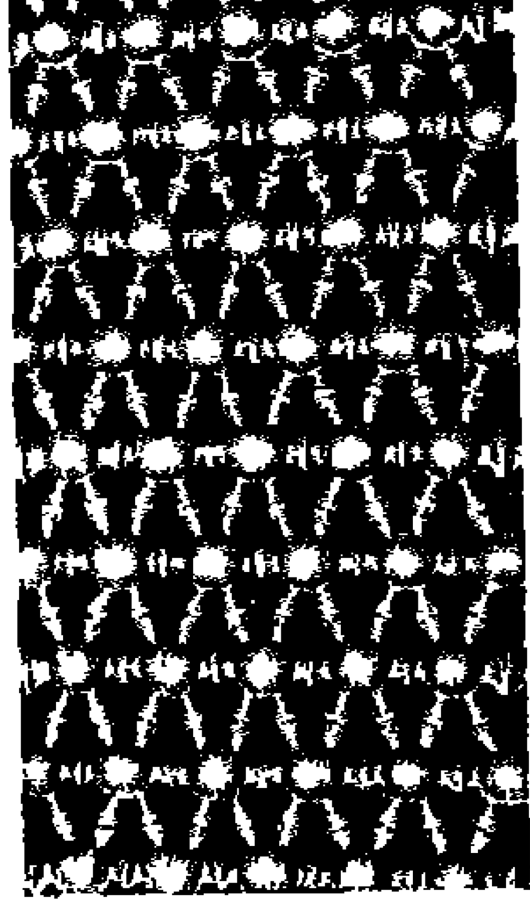
+ في القرن ١٩ الميلادي .. تم توسيع صحن الكنيسة قليلاً، وبناء القباب السبع أعلى صحن الكنيسة محمولة على حنيات ركنية Squinches وأصبح لصحن الكنيسة ثلاثة خوارس ، وهذا هو نفس التقسيم العريق للكنائس في القرون الأولى : وهو خورس السامعين (أي الموعوطين قبل العماد) وخورس الباكين (أو التائبين) وخورس المؤمنين (المشتركين في سر الإفخارستيا). كما أنشئت الصالة الخارجية يتوسطها عمودان ومغطاة بسقف خشبي. (أنشئت على سطحها الكنيسة الحبشية كما يأتي شرحه بعد).



قبة الخورس الأول من الداخل ويظهر نقش لحمامة تحمل سنبلة على الحائط القبلي للكنيسة

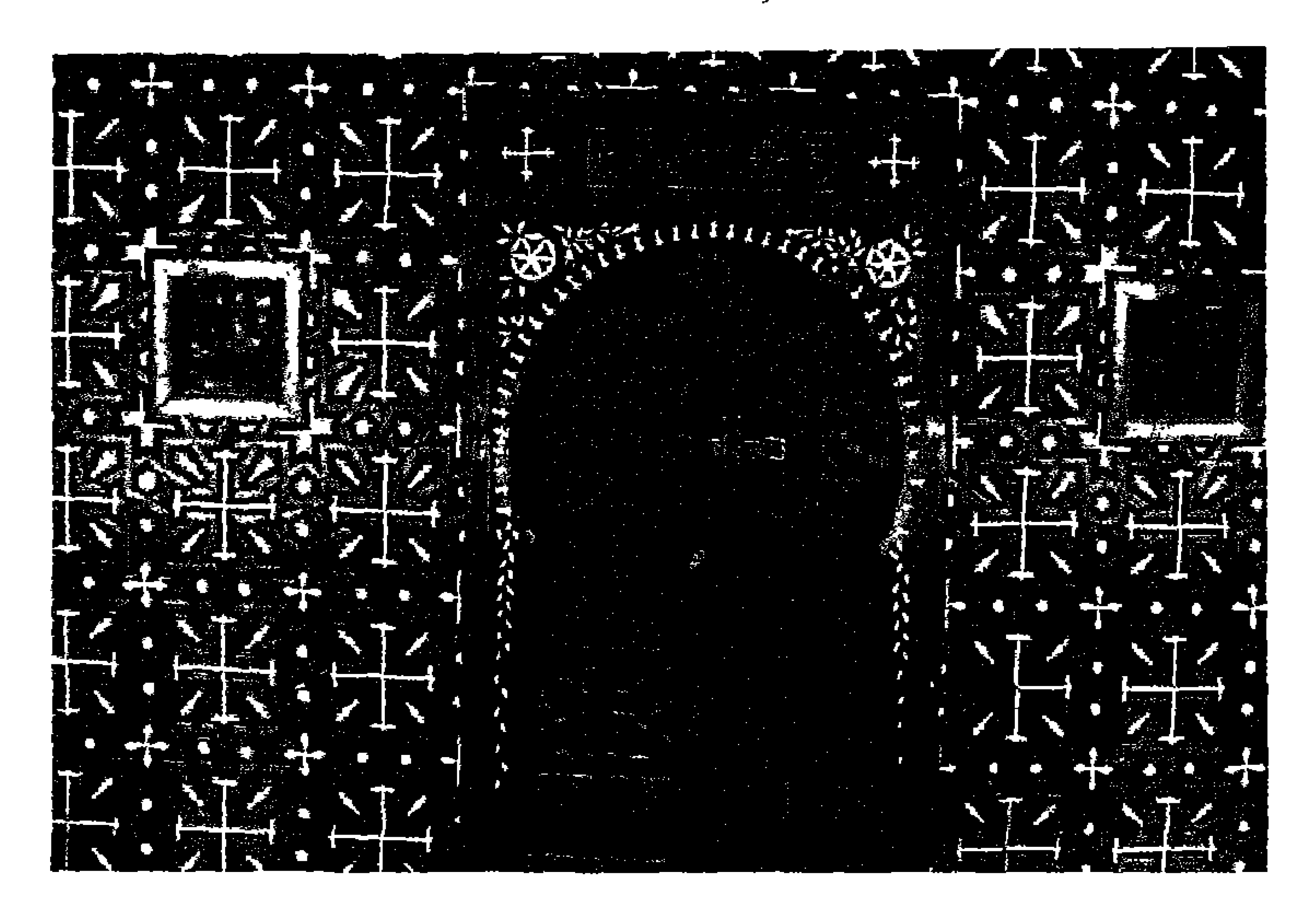


نقش على باب الكنيسة الأوسط





وفي الثلاثينيات من القرن ٢٠ الميلادي تم وضع سقف [illegible]
الكنيسة (داخلها وخارجها) ووضع [illegible]
الأحمال الزائدة عليه (حسب ما ذكر)



حامل الأيقونات (الأيقونستاسز) [الذي يطلق عليه اسم حجاب الهيكل]

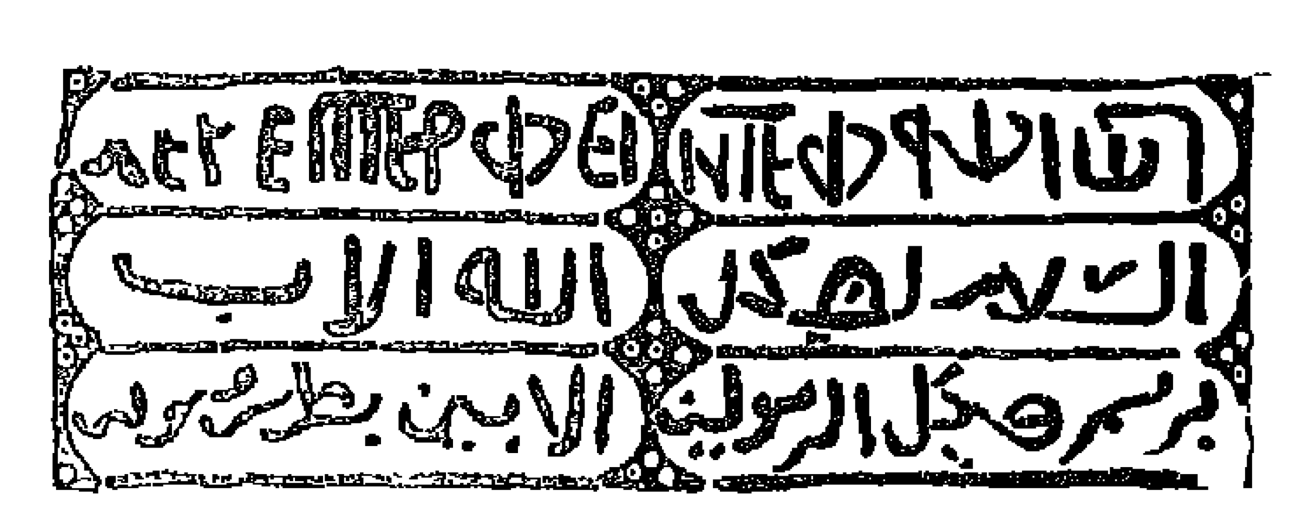
يوجد حاليا في الكنيسة حاملان ·

الأول وهو أمام الهيكل مباشرة ، يحجز بينه وبين صحن الكنيسة، ويرجع إلى القرن ١٧/١٦ الميلادي

وعموماً وعلى حسب قول المؤرخ الكنسي الأنبا يوساب أسقف فوه – في تاريخ البطاركة – إن البابا غبريال بن تريك ٧٠ (١١٣١ – ١١٤٥م) هو أول من أوجد فكرة المقاطع الخشبية على الهياكل لأنه لم يكن ثمة مقطع إلا على كنيسة أبي سرجة لا غير

أما الثاني فبجوار الأول وهو حامل الأيقونات المنقول من كنيسة الأحباش – التي سنذكر فيما بعد – وعلى بابه قطعه خشب مكتوب عليها بالفضة ما يأتي.







والأيقونستاسز الأول مكون من قطع صغيرة من الخشب هندسية الشكل ومجمعة بدقة – بطريقة التعشيق – في شكل وحدات متكررة على هيئة صليب محفور ومطعم بالعاج. وفي زوايا الصليب الأربع يوجد شكل مطعم بالعاج يشبه السمكة وهى في أول أطوار نموها – الخارج للحياة الجديدة – ترمز للبشائر الأربع التي للحياة الجديدة المرتكزة على صليب السيد المسيح مركز الحياة ونبعها الأصيل في حياة المؤمن وعلامة المجئ الثاني المنتظر «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء (متى ٢٤ : ٣٠)، أما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح» (غلا ٦ : ١٤).

وهنا تتضح المعاني الجميلة التي هيأتها الكنيسة في ارتباط الفن القبطي بالطقس الليتورجي. فلقد استخدمت الرموز في الكنيسة الأولى لما تحمله من معانٍ روحية عميقة تعجز لغة الكلمات أن تعبر عنها.

فإن حامل الأيقونات بوضعه ساتراً على الهيكل مواجهاً للمؤمنين وما عليه من أيقونات جميلة وصلبان منقوشة في الخشب بصورة بديعة – لهو كتاب كنسي مكتوب بلغة بسيطة وسهلة، يعلن لجميع الأجيال عن محبة الله للبشر. وتوجد على الباب الرئيسي للهيكل كتابة بالفضة نصها كالآتي:

ϪⲈⲢⲈ ⲠⲈⲢⲪⲈⲒ : السلام لهيكل
ⲚⲦⲈ Ⲫϯ ϪⲈⲢⲈ ⲦⲐⲈ... الله السلام
ⲞⲀⲞⲬⲞⲤⲈⲐⲨⲂⲢⲒⲔ ... مريم

ويبدو أن دوران هذا الباب صنع من خشب أقدم من باقي خشب حامل الأيقونات حيث محفور عليه – من الخلف – بعض النقوش التي تثبت قدم الخشب. وفي وسط هذا الدوران علقت حلقة معدنية لتعليق الشورية عليها أثناء بعض الصلوات كما ذكر عند الحديث عن طقوس الكنيسة.

ومن المعروف أنه كان للهيكل قدسيته الفائقة فلا يجوز للعلمانيين أن يشتركوا في الأسرار المقدسة داخل الهيكل نهائياً لذلك توجد طاقتان على جانبي باب الهيكل الرئيسي لهذا الغرض وهو اشتراك المتناولين من الأسرار المقدسة من خارج الهيكل.

[وفي هذه الفرصة : يقدم الدير جزيل الشكر لهيئة الآثار المصرية التي قامت بترميم حجابي الهيكل والأيقونات].

القناديل وبيض النعام :

إذا كانت الكنيسة رمزاً للسماء، فالقناديل والشموع رمز للنجوم، لأنه إن كانت السماء المادية محلاّة بالأنوار – النجوم – فكم بالأولى يجب أن تحلّى السماء الروحية بها.

والأنوار في الكنيسة هي تسليم رسولي – حيث كانت العلية تضاء بمصابيح كثيرة (راجع أع ٢٠ : ٨) – وليست رمزاً مثل الذبائح التي أبطلت بذبيحة السيد المسيح الكفارية.

فالقناديل الموقدة من زيت الزيتون النقي تعبر عن نور السيد المسيح الذي يشرق خلال قديسيه.

وتوقد القناديل أمام الأيقونات في الكنيسة أثناء الصلاة والقداس الإلهي ، أما قنديل الشرق فهو يضاء

دائماً حتى لا تدخل نار غريبة للكنيسة ورمزاً لما قاله الرب لموسى عن أن السرج تكون موقدة على الدوام في قبة الشهادة (راجع خر ٢٧ : ٢٠ - ٢١) وهو يشير أيضا للنجم الذي ظهر للمجوس في المشرق.

وكذلك القنديل الذي أمام باب الهيكل (ولكنه ألغى حالياً بسبب عبث البعض به ...) يجب أن يضاء أيضا باستمرار ...

وكانت الكنيسة تزيّن بالقناديل المعلق بينها بيض النعام الذي يرمز إلى عناية الرب الدائمة لأن النعام لا يترك بيضه بل يحرسه دائماً بالتناوب بين الذكر والأنثى حتى يفقس ، وقيل إنه إذا أغفل طائر النعام عن بيضه فسد. فهكذا عيني الرب لا تغفل عن رعيته التي اقتناها بدمه الكريم.

الأيقـونـــات



تعتبر الأيقونات من خلال ألوانها البسيطة والجميلة رسالة إنجيلية تعليمية صامتة للطفل والشيخ وللمتعلم وعظة بلغة سهلة للمؤمن الأمي فهي بذلك مفتوحة للجميع وجديرة أن تسمى بالكتاب الشعبي.

.. وتُثبّتْ الأيقونات فوق الحامل الخشبي (الأيقونستاسز) لكي تسحب النفس إلى السماء حيث تجد السيدة العذراء والآباء الرسل والقديسين ولتلهبها، لتشتاق إلى المجد الأسنى.

ومادمنا نعيش في الجسد فالحواس في حاجة إلى الملموس والمنظور لنقله إلى داخل القلب ثم إلى التأمل في عيد المنظور وتكون بذلك وسيلة وأداة للصلاة ولذا فإن لها علاقة روحية بحياة المسيحي.

ولقد مزج بعض من غير الروحيين والمنتهجين بالمذهب العقلاني بين تكريم الأيقونات وعبادتها واعتبروها باطلة بافتراضه أنها عبادة وثنية. وهذا كان المبدأ الذي قامت عليه حرب تحطيم الأيقونات في كنائس الإمبراطورية الرومانية في القرن الثامن الميلادي. ولكنها انتهت بظهور المخلصين الذين دافعوا بشدة عن الحق الأصيل وكان من أبرزهم الأب يوحنا الدمشقي الذي أفرد رداً مطوّلاً يبين فيه أهمية الأيقونات ووجوب تكريمها لا عبادتها وتتلخص فيما يلي:

إن الله قد وضع لليهود هذه الشريعة وهذه الوصية الثانية من الوصايا العشر القائلة «لا تصنع لك صنماً أو تمثالاً منحوتاً ... إلخ» لأنهم كانوا سريعي السقوط في عبادة الأصنام أما نحن الذين أُعطيت لنا نعمة الإيمان ونعمة الاتصال بالله - على حد اصطلاح اللاهوتيين - بعد أن هجرنا البدع الخرافية وعرفنا الحقيقة فيختلف الأمر معنا عن اليهود وذلك لأنه قد أعطى لنا أن نعبد الله الواحد ... وأن نغرف من مَعَينْ كمال المعرفة الإلهية ونصبح أناساً كاملين وخصوصاً أننا قطعنا مرحلة الطفولة ولسنا بحاجة بعد إلى مُؤدبْ. وفوق هذا فنحن قد حصلنا من الله على مقدرة تحكُم العقل وأصبحنا نعرف ما هو الذي يمكن تصويره وما هو ذاك الذي لا يمكن التعبير عنه بالصورة والرسم.

نعم إن «الله لم يره أحد قط» وإنه ليس بالإمكان التعبير عن غير المنظور بالأيقونة ولا الوصول إلى إدراك غير المدرك ولا رسم الذي لا يعرف طوله ولا عرضه ولا حجمه لأنه غير محدود. ولا تخطيط من هو بلا شكل ولا مادة. كما أنه ليس بمقدورنا تمثيل من لا حجم له بالألوان إنما هناك أمور أخرى تظهر وتعلن لنا بصورة سرية.



فمن البديهي مثلاً إنك عندما تشاهد من لا جسم له قد اتخذ جسداً لأجلك أن تصور شكله البشري، وعندما ترى غير المنظور صار منظوراً بالجسد فلك أن ترسم بالأيقونة صورة من أصبح موضوعاً للنظر واللمس والسمع، وعندما ترى « الله آخذاً صورة عبد وصائراً على شبه الناس » لا تتأخر بالطبع في أن ترسم على الألواح صورته ليشاهد الناس الآتون بعدك ذاك الذي تنازل وقبل أن يراه الناس. أجل ارسمْ تنازله الذي لا يُعبَر عنه بالكلام وحده. صَوْر ولادته من عذراء في مغارة، ومعموديته في الأردن وآلامه وصلبه الخلاصي، ودفنه وقيامته وصعوده إلى السموات. ولا تبخل أن تنقل هذه الأمور إلى إخوانك بني الإنسان. إما بالكلام وإما بالرسم، ليحيّوا من رُسم عليها ويسجدوا لشخص الممثل فوقها. اعمل ولا تخش في عملك أحداً لأني أعرف الفرق بين سجود وسجود، أعرف أن السجود العبادي لله هو غير السجود الإكرامي للقديسين وأيقوناتهم (مجموعة الشرع الكنسي ص ٧٧١ ، ٧٧٢) والسجود للتوقير والإكرام مثل:

١ – السجود للملائكة مثلما سجد يشوع لرئيس جند الله (يشوع ٥ : ١٤) وكما فعل لوط ودانيال.

٢ – والسجود في الأماكن المقدسة (مز ٥ : ٧)، (مز ٩٩ : ٥).

٣ – وسجود الناس لبعضهم لأجل أن بعضهم نال كرامة أو لأجل التعبير عن مشاعر عميقة (تك ٢٣ : ٧، ١٢) (تك ٤٢ : ٦).

وهكذا إن أصناف التوقير والتكريم كثيرة جداً في الكتاب المقدس ... إذاً السجود للرب الإله خالق السماء والأرض شئ والسجود للتوقير والتكريم شئ آخر. وسجودنا للصليب والأيقونات لا يعني أنها آلهة نعبدها لأنه حينما نسجد ونوقر للصليب فإنما نسجد للمصلوب لا للخشب وإلا كنا نسجد لجميع الأشجار. كما أننا نكرم ونوقر قديسي الرب، الذي نسجد له ونعبده من كل قلوبنا، ولذلك يجب أن نقدم لهم الإكرام في سجودنا أمام أيقوناتهم (وليس السجود لمادة الأيقونة ... حاشا ...).

كما أن الخدمات الليتورجية في الكنيسة مملؤة بصنوف الآداب السامية في التكريم والتوقير لكل المواد المستخدمة لأنها تكرست (أي خصصت) للرب وحده وأصبحت وسيلة مادية مقدسة لها معانيها الرمزية العميقة تقدم بها عادتنا الروحية لتملأ حياة المؤمن بالخشوع والرهبة.

أقدم الأيقونات بالدير :

التي تم التعرف عليها ترجع إلى القرن ١٨ الميلادي وهي

١ - **أيقونة هروب العائلة المقدسة** والمرسومة على المسيح وبالدراسة تبين أنها رسمت بيد يوحنا الأرمني الذي كان مشهورا في ذلك الوقت برسم الأيقونات الجميلة [ويلاحظ في الأيقونة لمساته الواضحة، منها أنه استخدم ملابس فلاحي الأرمن ومناطق شمال الشام]





٢ - **أيقونة الشهيد مارجرجس الفلسطيني** [١٥١٠ ش - ١٧٩٤م]

أيقونـــات الكنيســـة الأثريـــة :

١ - **الأيقونات المركبة على الأيقونستاسز** (حجاب الهيكل) وهي

+ **أيقونة للسيدة العذراء الملكة وأيقونات التلاميذ** ، ترجع للقرن ١٩ الميلادي

+ **أيقونة لعماد السيد المسيح** ، يرجع تاريخها إلى [١٥٦٥ ش ١٨٤٩م]








٢ – **أيقـونة السـيدة العـذراء الملكـة :**

(المعلقة على الحائط القبلي – بالخورس الأول).



يذكر المؤرخ الشهير الأنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين أن القديس لوقا الإنجيلي رسم ثلاث صور مختلفة للسيدة العذراء [بكتاب ترتيب الكهنوت] وقد تواتر على الألسن أن هذه الصورة مأخوذة من إحدي الصور الثلاث الأصلية للقديس لوقا الطبيب وقيل إنها ترجع إلى ٦٥٠ عام تقريباً.

وهناك رأي آخر – يؤيده بعض المتخصصين في الأيقونات الأثرية – أن الأيقونة ترجع إلى القرن ١٩ الميلادي لأن راسمها هو الرسام المعروف أنسطاسي الرومي القدسي.

وهذا الرسام قد جاء من أورشليم – وهو من طائفة الأروام وعاش في مصر ورسم صوراً كثيرة في كنائس قبطية عديدة وذكر في بعض الأيقونات باسم [أسطاسي أو أسطاسيوس]

* راجع. Collectanea, No. 14, pp. 377 - 397,Studia Orientalia Christiana Aegyptica,Cairo 1970 - 1971.

وقيل إنه أخذ ملامح أيقوناته من احدى الأيقونات التي رسمها القديس لوقا الطبيب.

والكتابة التي أسفل الصورة هي :

وقف مؤبد، وحبس مخلد، على بيعة الست السيدة بالدير المعروف بجبل قزقام. عوض يارب من له تعب في ملكوت السموات وأذكر يارب عبدتك مريه ونيح نفسها في فردوس النعيم، ويجعل لها حظ ونصيب مع قديسيه بشفاعت العدرى وطلبات أبابنا القديسين في كل حين آمين.

والمصور هذه القونة المقدسة الحاج انسطاس الرومي القدسي طالب غفران خطاياه بشفاعة العدرى. أذكر يارب عبدك القمص جرجس الجرجاوي خادم العدرى.

٣ – **أيقونة الصعـود :**

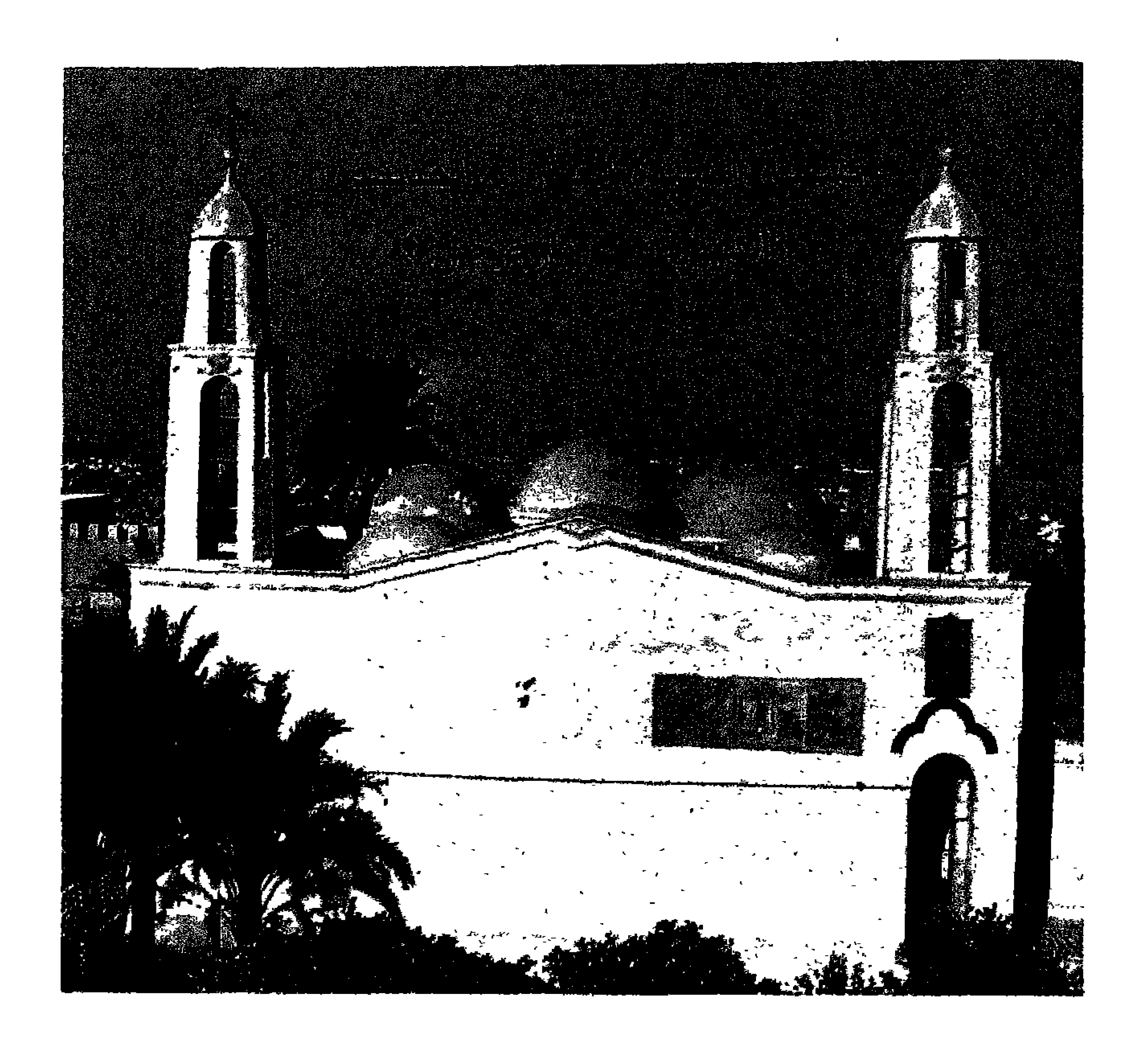
من القرن ١٩ الميلادي .

٤ – **أيقونة السيدة العذراء [القروية] :**



(قديمة) وتظهر فيها السيدة العذراء مع ابنها الحبيب بملابسها القروية البسيطة، وأسفلهما بالترتيب من اليمين إلى اليسار الأنبا أنطونيوس وأبو سيفين ومارجرجس والأنبا بولا.

٥ – **أيقونة للقمص ميخائيل البحيري المتنيح في ١٩٢٣/٢/٢٣** رسمها القس عبد النور المحرقي سنة ١٦٤٩ ش [١٩٣٢م] في فترة رئاسة القمص تادرس أسعد.



أنشأ هذه الكنيسة القمص عبد الملاك الأسيوطي رئيس الدير في أواخر القرن ١٨ الميلادي بإمكانيات بسيطة. وفي سنة ١٨٧٨م – أمشير ١٥٩٤ش – بدأ القمص ميخائيل الأبوتيجي رئيس الدير في إنشاء كنيسة جديدة باسم السيدة العذراء، على أنقاض كنيسة مارجرجس، وانتهى منها في سنة ١٨٨٠م. وأطلق على المذبح البحري اسم يوحنا المعمدان وعلى المذبح القبلي مارجرجس، على أساس أن المذبح الأوسط هو بالاسم الجديد للكنيسة وهو اسم السيدة العذراء.

ولقد كتب أعلى المدخل البحري للكنيسة – من الخارج – الآتي :

[افتحوا أيها الملوك أبوابكم ، ارتفعي أيتها الأبواب الدهرية ، ليدخل ملك المجد. من هو ملك المجد ، الرب العزيز القوي ، الجبار القاهر في الحروب هو ملك المجد.

هذا هو باب الرب ، وفيه يدخل الأبرار . أذكر يارب عبدك القمص ميخائيل الأبوتيجي ريس دير المحرق المهتم بتجديد هذا الموضع المقدس سنة ١٥٩٦ للشهداء].

ولكن لأن اسم مارجرجس هو الذي كان سائداً على الألسن والدير كله باسم السيدة العذراء والكنيسة الأثرية باسم السيدة العذراء أيضا لذلك ساد اسم مارجرجس على الألسن حتى الآن ...





ولحامل أيقونات هذه الكنيسة قصة عجيبة ، كانت معروفة عند رهبان الدير ، ويذكرها نيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس ، مؤداها :

أن بعض الحكام الأتراك جاءوا إلى الدير فأكرمهم الرهبان إكراماً أذهلهم ، وكتعبير عن امتنانهم وعدوا الرهبان باستصدار فرمان بموجبه تصير للدير ملكية ٢٨٥ فداناً من الأرض المجاورة. وذهب الحكام ، وخشي الرهبان أن يهمل أمر الفرمان ، فتحركت الحماسة والغيرة في قلب أحدهم ويدعى الراهب القس صليب يوحنا النهوري ، فذهب إلى استنبول ماشياً أو راجلاً للحصول على الفرمان ، وقد نجح فعلاً في الحصول على الفرمان. وفي طريقه مرّ ببلاد الشام. وكان يجمع تبرعات لبناء الكنيسة فقابله هناك رجل ، فلما سأله الراهب أن يتبرع له بشيء للكنيسة أشاح بيده في وجهه فيبست كل ذراعه ، فصرخ مستغيثاً بالراهب أن يصلي من أجله ، ففعل ، فعادت ذراع الرجل سليمة كما كانت فذهل وتبرع بحجاب للكنيسة. والناظر إلى الحجاب يجد في الجانب الأيسر من باب الهيكل الأوسط صورة القديس باسيليوس الكبير ، وفوقها كتبت هذه العبارة «أنشا (أنشئ) هذا المحل في رياسة القمص ميخائيل الأبوتيجي . اذكر يارب المهتم بهذا الحجاب القسيس صليب النهوري الراهب».



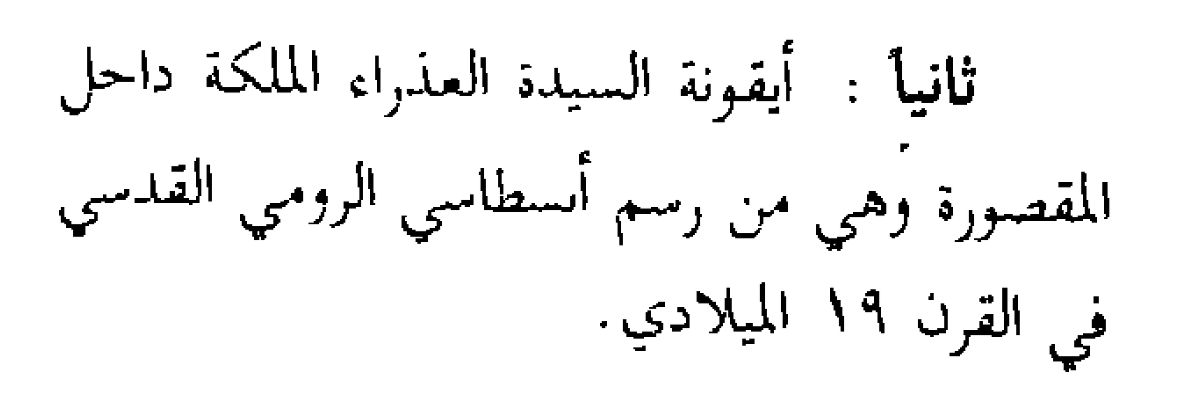




أيقونـات الكنيسـة

أولاً : الأيقونات المثبتة على الأيقوستاسز (حامل الأيقونات) ، وهي من الفن البيزنطي الأصيل ورسمها فنانان مشهوران في مدينة أورشليـم فـي أواخـر القـرن ١٩ الميلادي ، وهمـا :

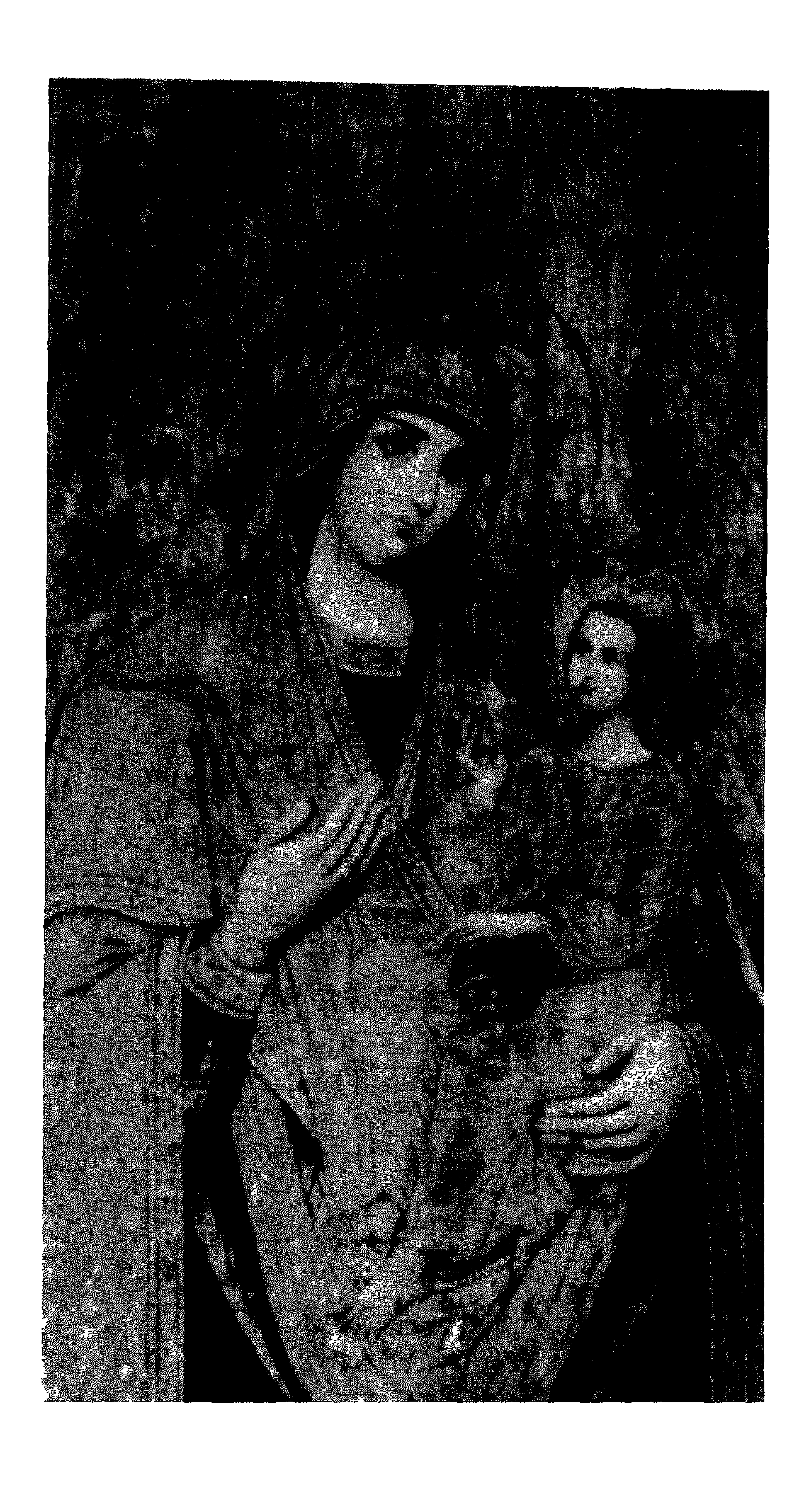
١ - نقولا تاودوري الأورشليمي
٢ - دمتري جرجس الأورشليمي



ثانياً : أيقونة السيدة العذراء الملكة داخل المقصورة وهي من رسم أسطاسي الرومي القدسي في القرن ١٩ الميلادي.







صحن الكنيسة : وهو مصمم على نمط القرون الوسطى حيث أن النساء لهم مكان مخصص فى الدور الثانى بالكنيسة يطل على صحن الكنيسة.

وفى الناحية الشرقية القبلية، خارج الكنيسة توجد المعمودية التى كانت مستخدمة لتعميد الأطفال إلى أن أنشئت كنيسة السيدة العذراء الجديدة سنة ١٩٦٤م.

وقد قام نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس رئيس ديرنا العامر ـ أدام الله حياته ـ بتجديد هذه الكنيسة فى أواخر عام ١٩٩٠م بهمة ونشاط، وافتتحت بعد التجديد فى تذكار نياحة أبينا القديس القمص ميخائيل البحيرى، حيث تم وضع رفاته فى مقصورة خاصة فى صحن الكنيسة بحضور ثلاثة عشر أسقفاً من أحبار الكنيسة الأجلاء وذلك فى ١٦ أمشير ١٧٠٧ ش الموافق ٢٣ فبراير ١٩٩١م.

وبأسفل حجرة المعمودية يوجد مدفن الرؤساء. دُفن فيه :

١ـ القمص صليب وهبه رئيس الدير عام ١٩٠٥م.

٢ـ القمص ميخائيل البحيرى عام ١٩٢٣م وقد تم إخراج رفاته (كما ذكر عاليه).

٣ـ الأنبا ساويرس أسقف صنبو وقسقام عام ١٩٢٥م.

٤ـ الأنبا باخوميوس أسقف الدير عام ١٩٢٨م.

٥ـ الأنبا باخوميوس الثانى أسقف الدير عام ١٩٦٤م.

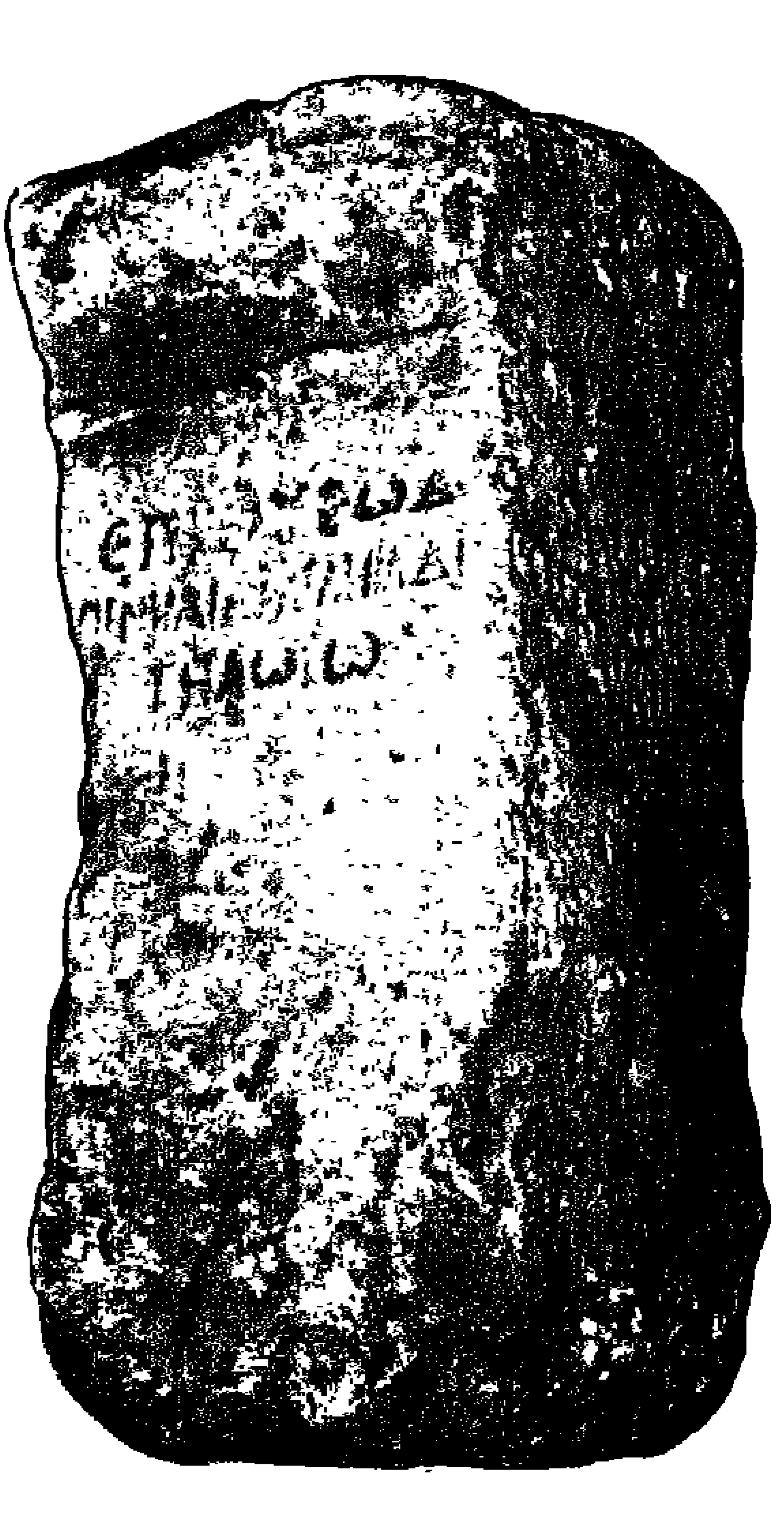
٦ـ القمص بنيامين المحرقى عام ١٩٩٤م.

٧ـ الراهب اغابيوس المحرقى عام ١٩٩٤م.

كنـــائس قديمـــة أخـــرى

من تاريخ الدير ووثائقه تم التعرف على كنيستين كانتا بالدير، ليستا بموجودتين الآن :

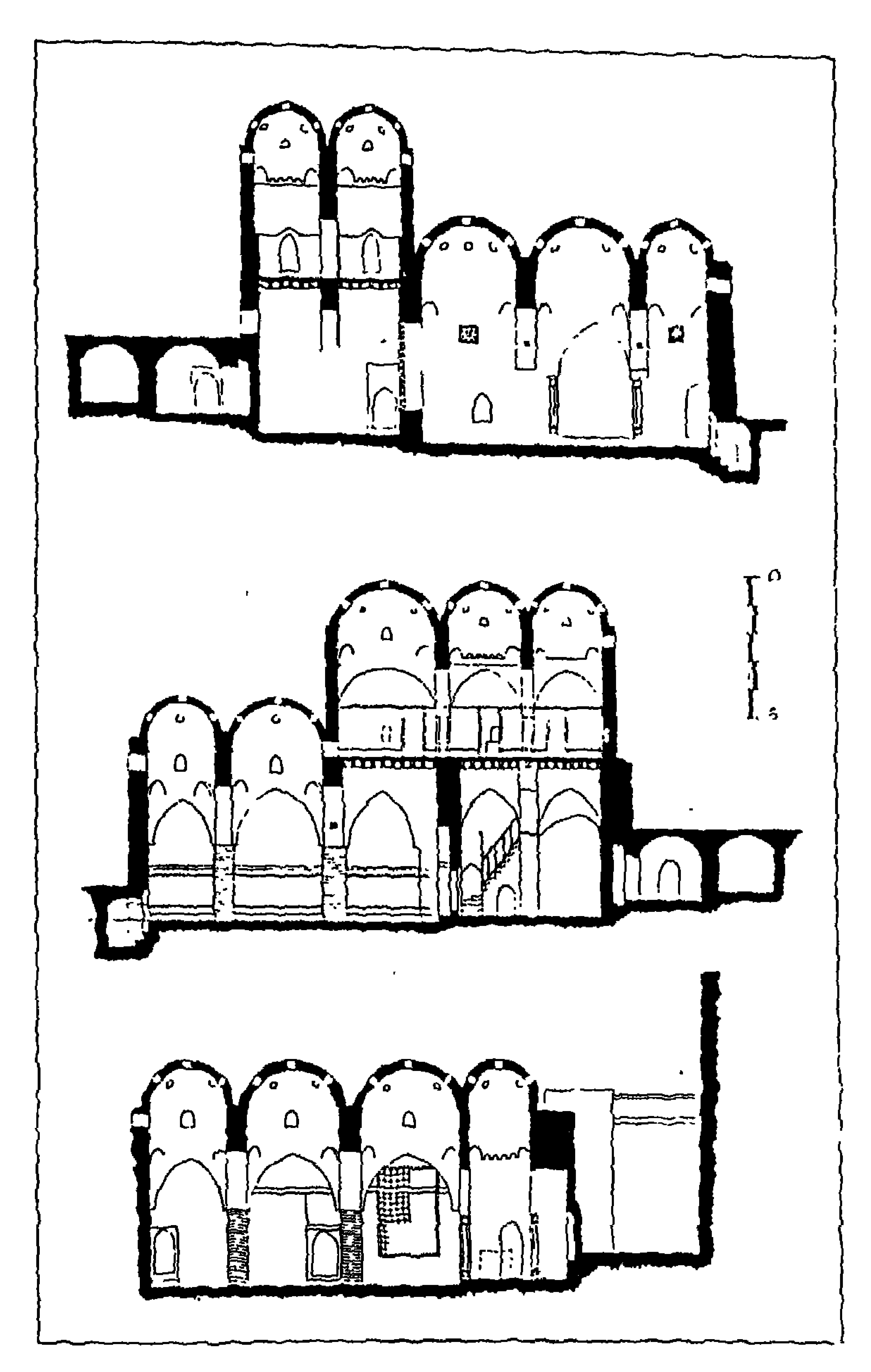
١ـ كنيسة القديس يوحنا المعمدان : وكانت مخصصة للرهبان الأحباش إلا أنه غير معروف تاريخ إنشائها، وأقدم خبر عنها ـ تم التوصل إليه حتى الآن ـ يرجع إلى منتصف القرن ١٧ الميلادى.



وكانت الكنيسة بجوار الكنيسة الأثرية من الجهة البحرية ثم أزيلت فى القرن ١٩ الميلادى وأنشئ مكانها الصالة الخارجية للكنيسة الأثرية والغرف الملحقة كما فى الشكل المبين. ولم يبق منها إلى اليوم إلا المذبح الحجرى وبعض الأيقونات...

٢ـ كنيسة القديس تكلا هيمانوت : وكانت للرهبان الأحباش وقد أنشئت على سطح الصالة الخارجية للكنيسة الأثرية فى القرن التاسع عشر ولكنها أزيلت فى الثلاثينيات من القرن ٢٠ الميلادى. لتأثر المبنى الأثرى للكنيسة الأثرية (كما قيل).

ومبين بالصفحة التالية المساقط والمقاطع المعمارية الخاصة بها والتى قام برسمها العالِم ڤيلارد (المذكور آنفاً).



القطاعات الرأسية للكنيسة الأثرية وكنيسة القديس تكلا هيمانوت (الحبشية)

[أوائل القرن ٢٠ الميلادي]

الحصــن الأثــرى القديــم

يرجع تاريخ الحصن إلى القرنين السادس أو السابع الميلاديين .. وهو من أصغر الحصون الموجودة في الأديرة العامرة حالياً.

والحصون عموماً ، بنيت لحماية الرهبان من غارات البربر الوحشية. وأولها كان في دير أبيْ مَقار ، وهو أكبرها حجماً. والذي بني في أواخر القرن الخامس الميلادي في عهد الملك زينو (زينون) - توفى سنة ٤٩١م.

ومن المعروف أن ابنة هذا الملك - القديسة إيلارية - هربت من القصر الإمبراطوري متخفية - في زي رجل - وذهبت إلى برية شيهيت وصارت من (القديسين المتوحدين) هذا الأمر الذي عندما اكتشفه الملك زينو بعد ذلك بزمن طويل جعله يغدق على دير أبي مقار - بعطف متزايد - مع بقية الأديرة الهبات ، وحينما علم بغارات البربر المتكررة على برية شيهيت ، بنى الحصون وأولها كان في دير أبي مقار ... (راجع كتاب الرهبنة القبطية - دير أبي مقار ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، ص ٥٩١ - ٦٢٠).

ولما كانت فكرة بناء الحصون ليست مصرية فبالتالي يكُون التصميم الهندسي مأخوذاً من بلاد آسيا وسوريا (كما يذكر فيلارد Villard).

ولقد صمم الحصن عموماً على أن يحفظ الرهبان من هجوم البربر ، فهو قوي البناء له مدخل واحد يؤدي إليه عن طريق قنطرة خشبية متحركة. وفتحاته (أي النوافذ) مقاطعها الأفقية مخروطية الشكل (فالناظر من الخارج لا يرى ما بالداخل أما من بالداخل فيرى ما بالخارج). وبالطبع يجب أن يكون الحصن مجهزاً لإيواء الرهبان إذا طال بهم الحصار ، ومهيأ لخدمتهم روحياً ومعيشياً على قدر متطلبات الجسد الأساسية التي تكفل استمرارية الحياة فكان يحتوي على :

١ - وسيلة للحصول على ماء للشرب (وبالنسبة لحصن الدير فهو لا يوجد به بئر ويبدو أنه كان هناك وصلة بين بئر الماء الذي كان يقع خارج الكنيسة الأثرية (قبل توسيعها) وبين حوض الترمس الموجود حالياً في أرضية احدى غرف الدور الأرضي للحصن - وهناك رأي آخر أنه كان هناك بئر قديم شرق الحصن متصل بحوض الترمس - وكان عند الحاجة إلى الماء تفتح فتحة الحوض ، فيتدفق فيه الماء.

٢ - كمية كافية من الطعام. وبالطبع لا يوجد طعام مفيد يمكن تخزينه لفترة طويلة دون أن يتلف غير الترمس - فهو مع التخزين لا يسوّس ، ويعتبر غذاءً كافياً للرهبان. [والعجيب أن العلم حالياً اكتشف فوائد

الترمس العديدة لاحتوائه على دهون نباتية وكربوهيدرات وكالسيوم وفسفور وكمية لا بأس بها من فيتامين ب المركب].

٣ – غرف لإيواء الرهبان.

٤ – كنيسة أو أكثر للصلاة (في حصن الدير كنيسة واحدة فقط باسم الملاك ميخائيل .. ومن المناسب إطلاق اسمه على المكان الذي يلجأ إليه الرهبان فيتشفع لأجلهم للحفاظ عليهم من أي سوء ...).

٥ – غرفة صغيرة أو أكثر لدفن المنتقلين (إذا ما حدث وانتقل أحد الرهبان أثناء الحصار ...). وهي موجودة بين سقف الكنيسة وسطح الحصن ...

٦ – مخابئ للطوارئ في حالة إذا ما حدث ونجح البربر في اقتحام الحصن ودخلوا لقتل الرهبان ...

وأهم مخبأ هو الموجود أسفل مذبح الكنيسة بالحصن .. فإذا ما إقتحم الحصن أثناء صلاة القداس ، يهرب الكاهن (ومن يخدم معه إن أمكن) إلى هذا المخبأ ويحفظ الذخيرة المقدسة وإن لم يتمكن .. فيجب أن ينهي التقدمة سريعاً قبل أن تصل إليها يد المهاجم ...

٧ – مرحاض ويكون عادة في أعلى سطح الحصن ويخرج ببروز قليل عن الحائط.

وصف الحصن :



مساحة قاعدته ١٠.٥٣ متر × ١٠.١٠ متر تقريباً
المساحة العلوية ٩.٦٠ متر × ٨.٨٠ متر تقريباً
ارتفاعه ١٦.٥٧ متر

أما حيز السلم المؤدي إليه مساحته ٣.٠٥ متر مربع وارتفاعه ٦.٥٠ متر وهو متصل بالحصن بواسطة سقالة من الخشب متحركة على ارتفاع ٥.٥٦ متر ويتم تحريكها من داخل الحصن على أساس أنها تُغلق الباب الوحيد للحصن ، لذلك للدخول إلى الحصن كان يجب صعود السلم ثم عبور السقالة المتحركة ..

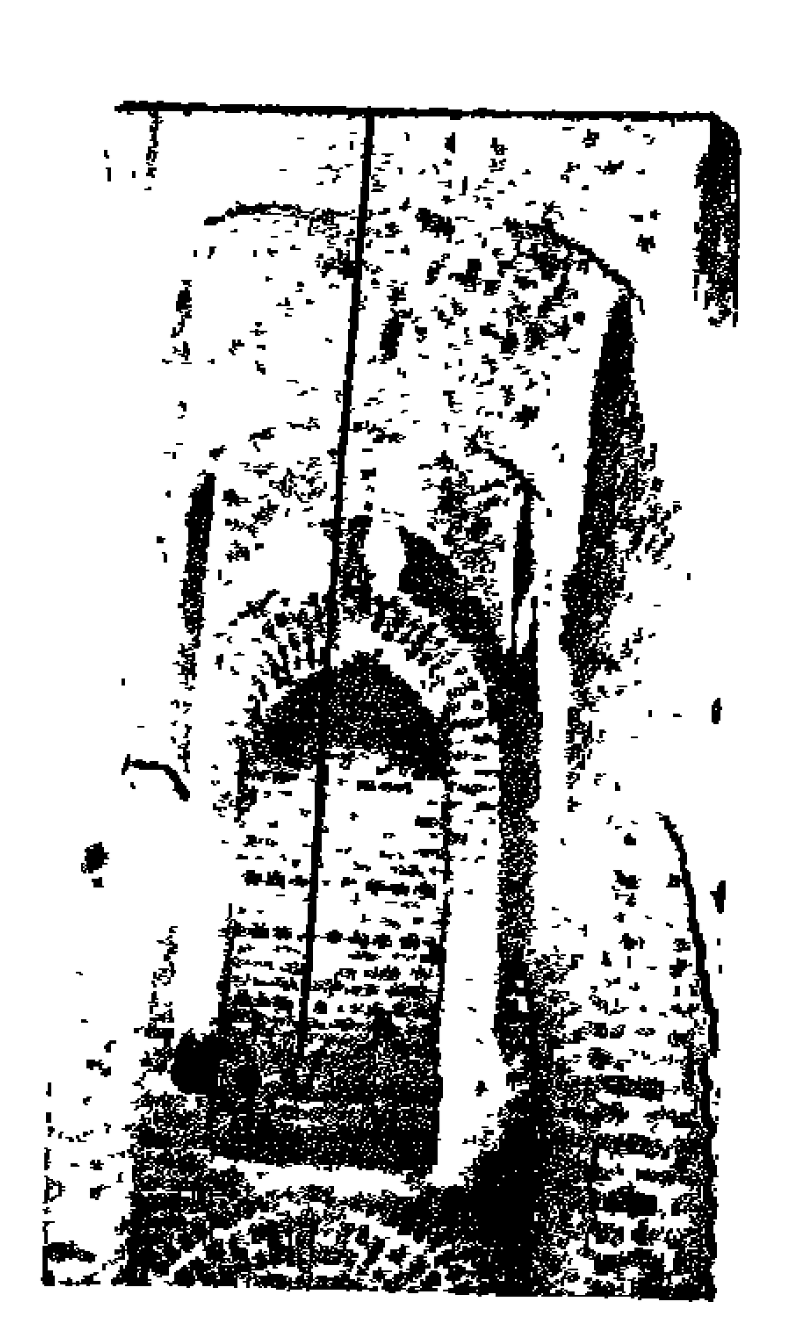
الدور الأول : وهو على مستوى ٥.٤٣ متر ويحتوي على ممر موضوع تقريباً على المحور ، ومغطى بنظام أقواس متصالبة (مستعرضة) وله في النهاية فجوة وضع بها الإسطوانة الخشبية التي تستعمل في إدارة السقالة المتحركة مواجهة للباب ، وهذا الممر يفتح عليه أربعة أبواب :

الأول على الشمال يؤدي إلى غرفة.

والثاني على الشمال يؤدي إلى غرفة بداخلها غرفة أخرى صغيرة.

والأول على اليمين يؤدي إلى السلم الذي يربط أدوار الحصن.

والثاني على اليمين يؤدي إلى غرفة بأرضيتها فتحة مستطيلة تؤدي إلى غرفة بالدور السفلي مؤدية إلى المياه الواردة من البئر ...



وإذا نزلنا من سلم الحصن نصل إلى الدور السفلي الذي له ممر رئيسي يشغل الجزء الأوسط ويفتح عليه ثلاثة أبواب:

الأول على حوض الترمس (الموصل للبئر) أما الثاني والثالث كل على غرفة فارغة.

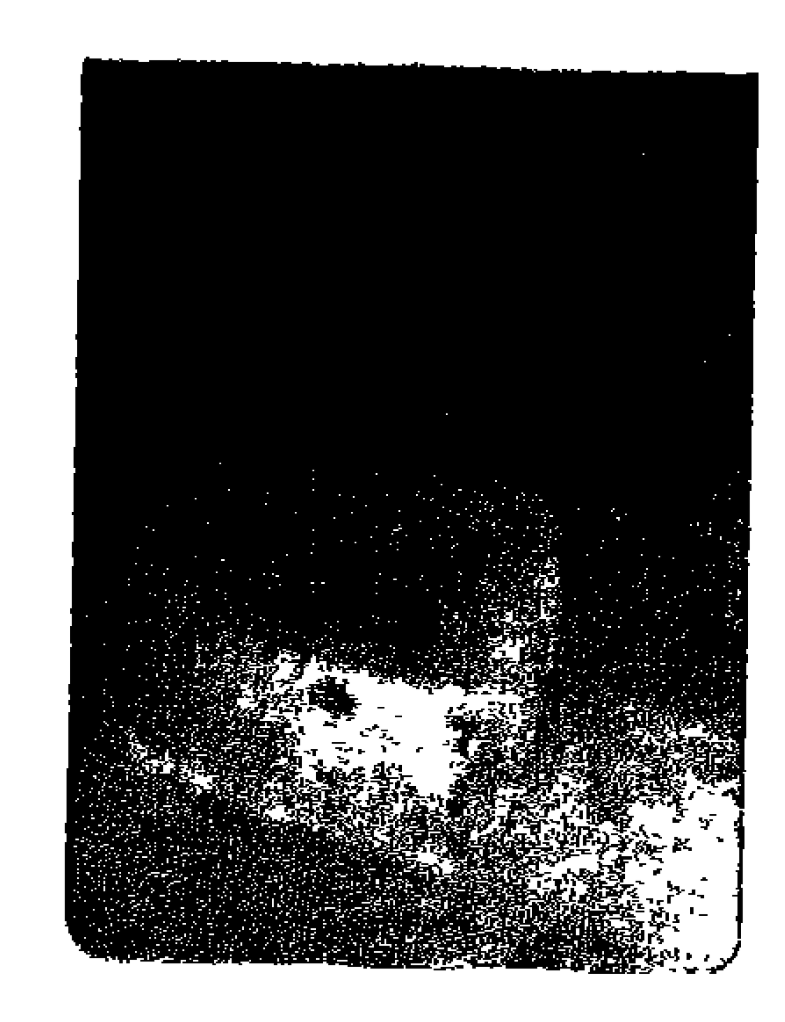


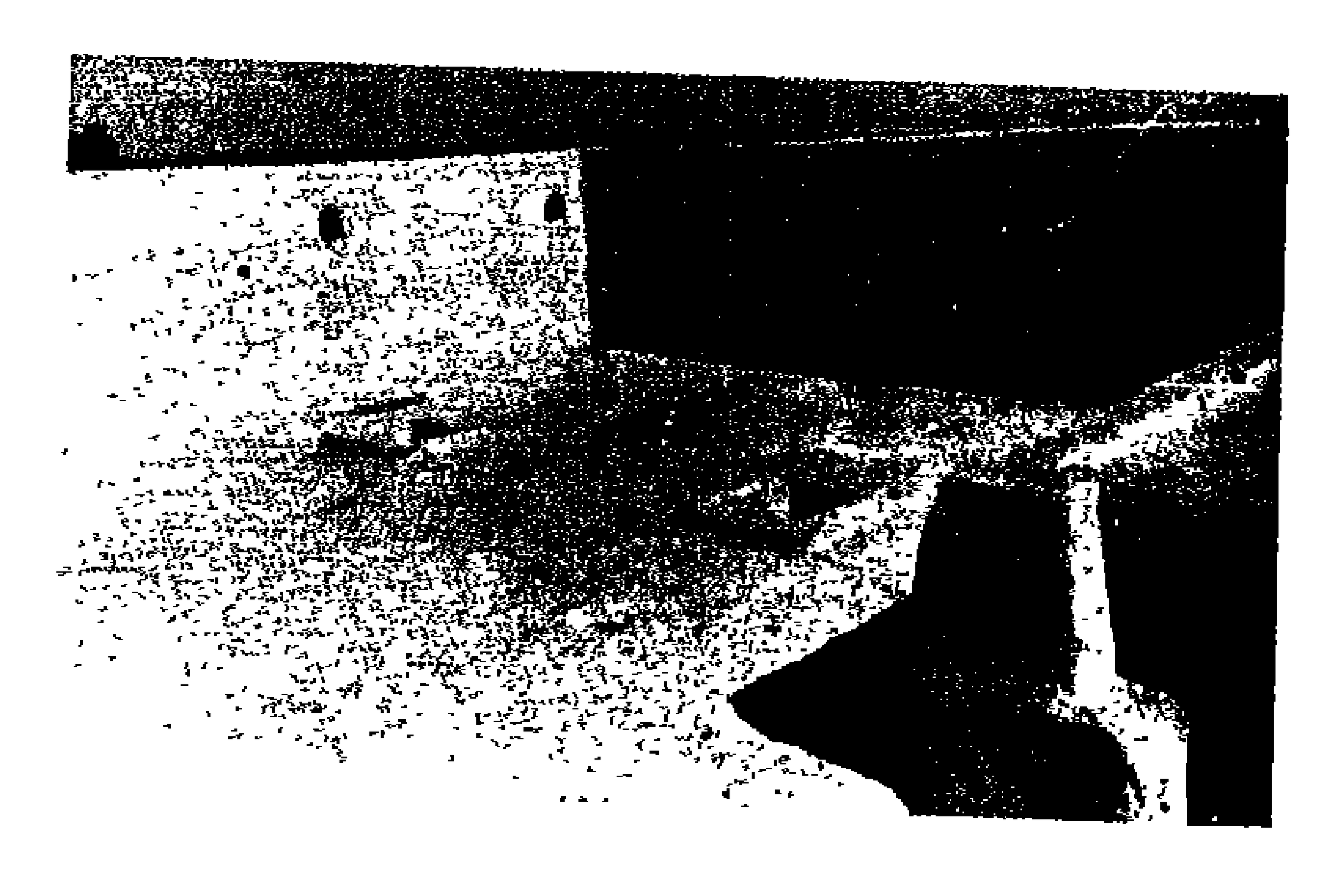
أما إذا صعدنا إلى الدور العلوي من الحصن فهناك الكنيسة وغرفة أخرى جانبية بها فتحة أرضية تؤدي إلى غرفة صغيرة تعتبر أسفل مذبح الكنيسة كما ذكر عنها سابقاً وأمام باب الكنيسة يستمر السلم إلى نهاية سطح الحصن - حيث توجد غرفة وسطى - وتوجد غرفة أخرى صغيرة - بدون باب - أسفل هذا السلم وأمام الكنيسة.

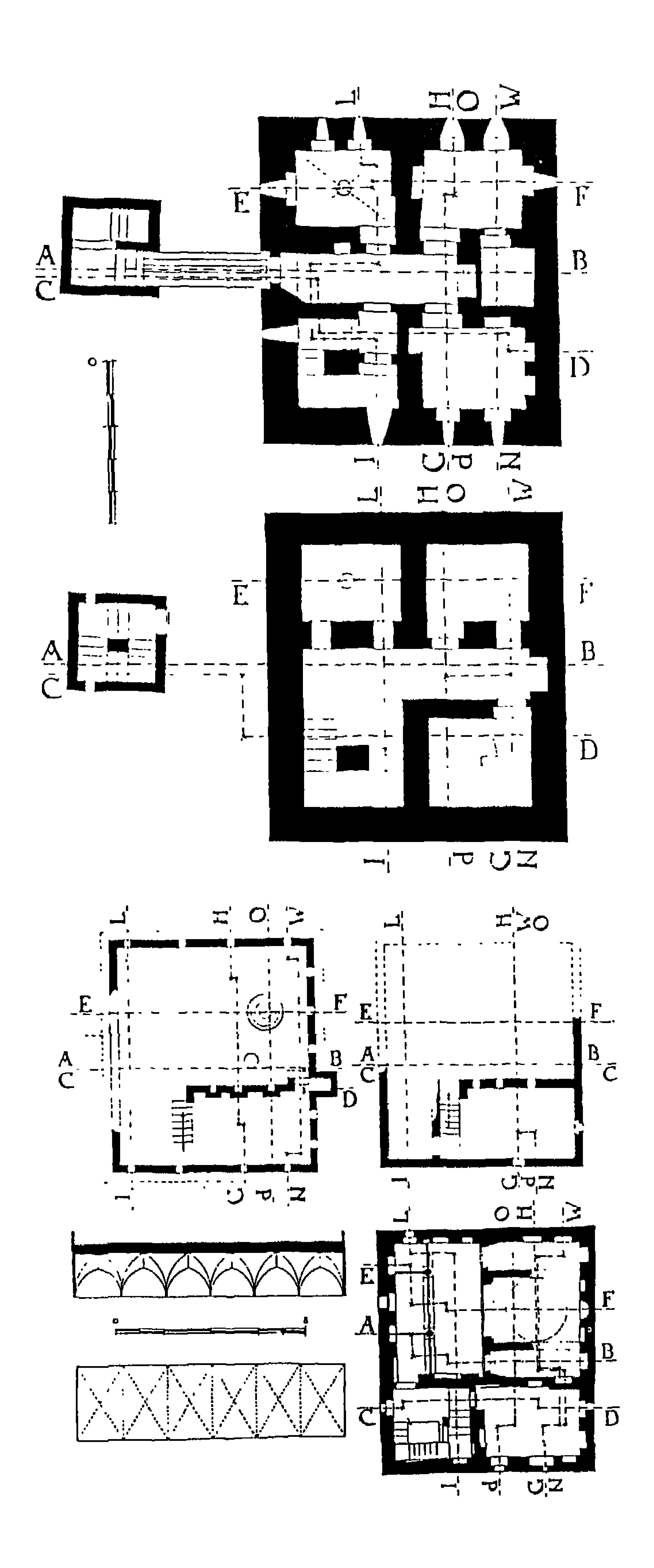


وهناك في أرضية سطح الحصن توجد فتحتان تؤديان إلى المدفن والذي يعتبر محصور بين سقف الكنيسة وسطح الحصن.

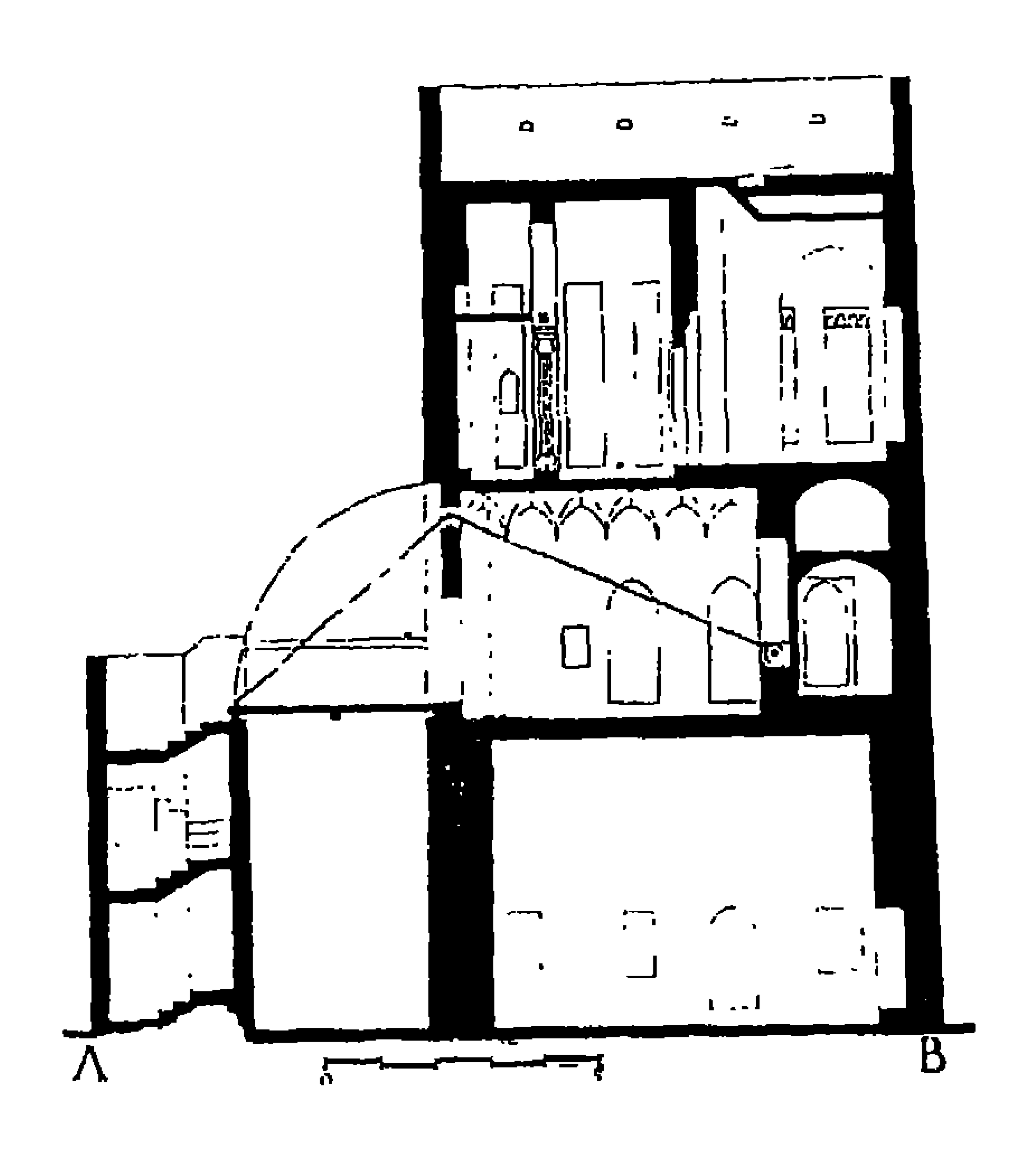
وفي الجهة الشرقية من سطح الحصن يوجد امتداد صغير كان يستخدم كمرحاض.

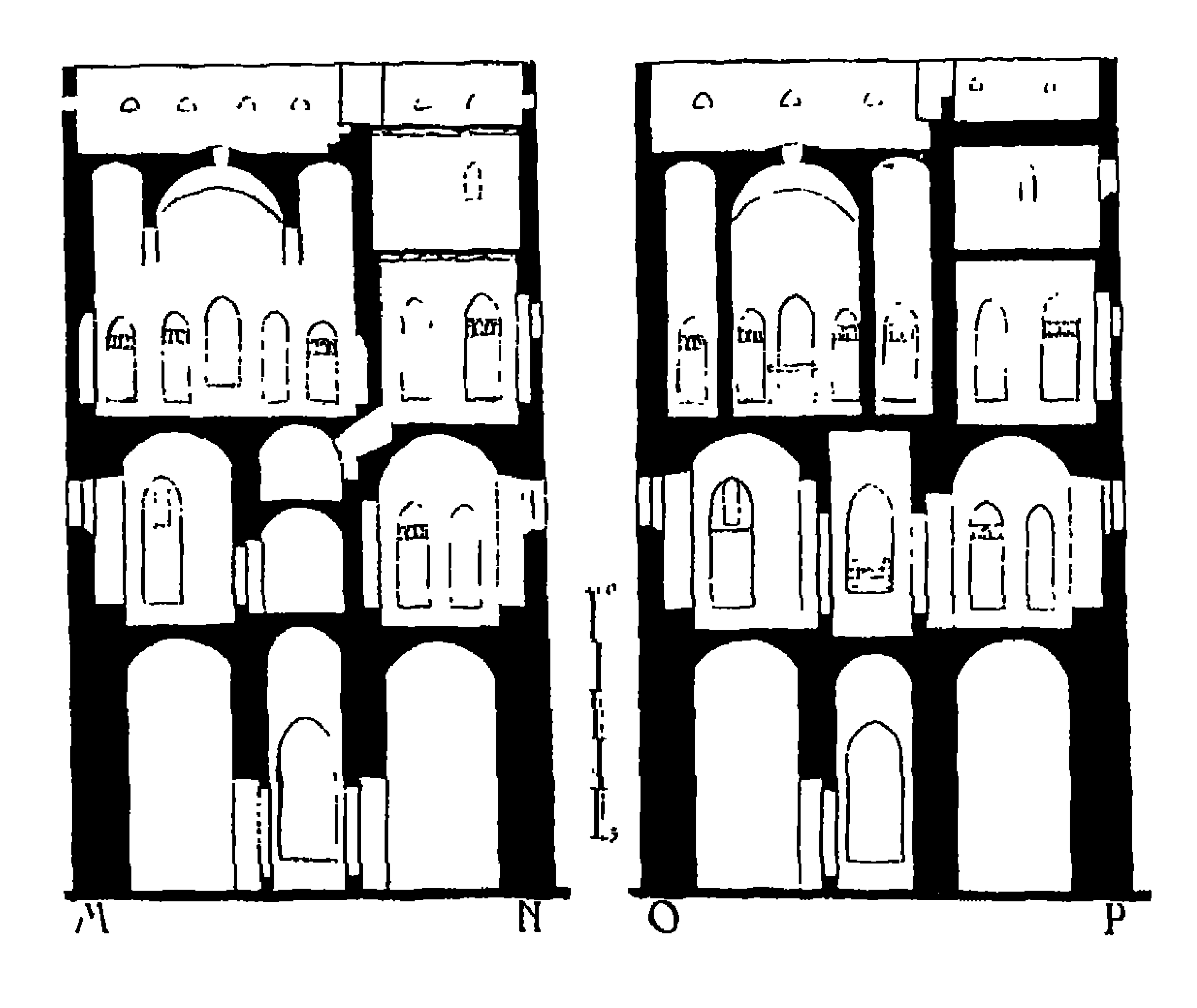


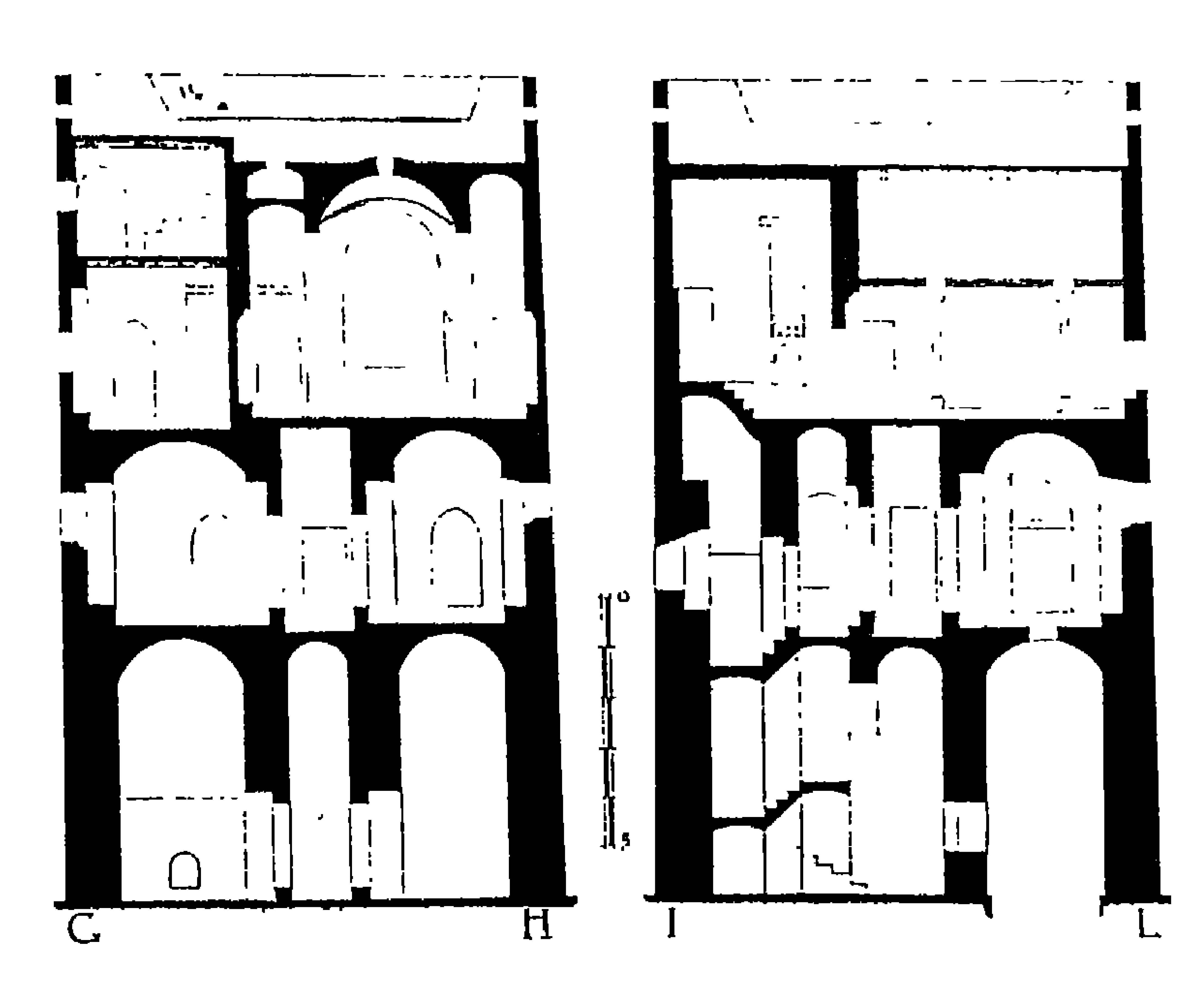


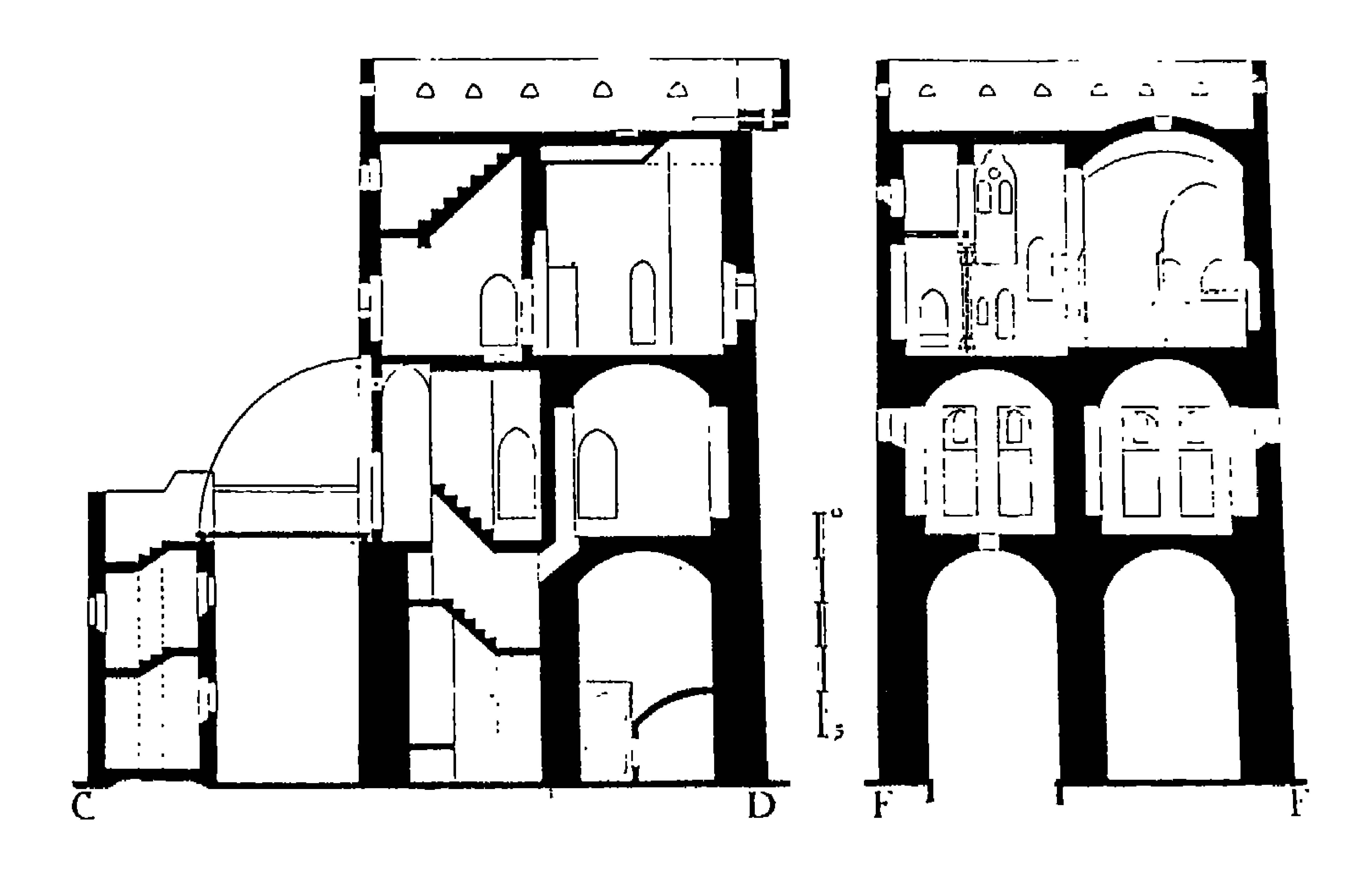


A
B
C
D
E
F
L
H
O
M
I
G
P
N

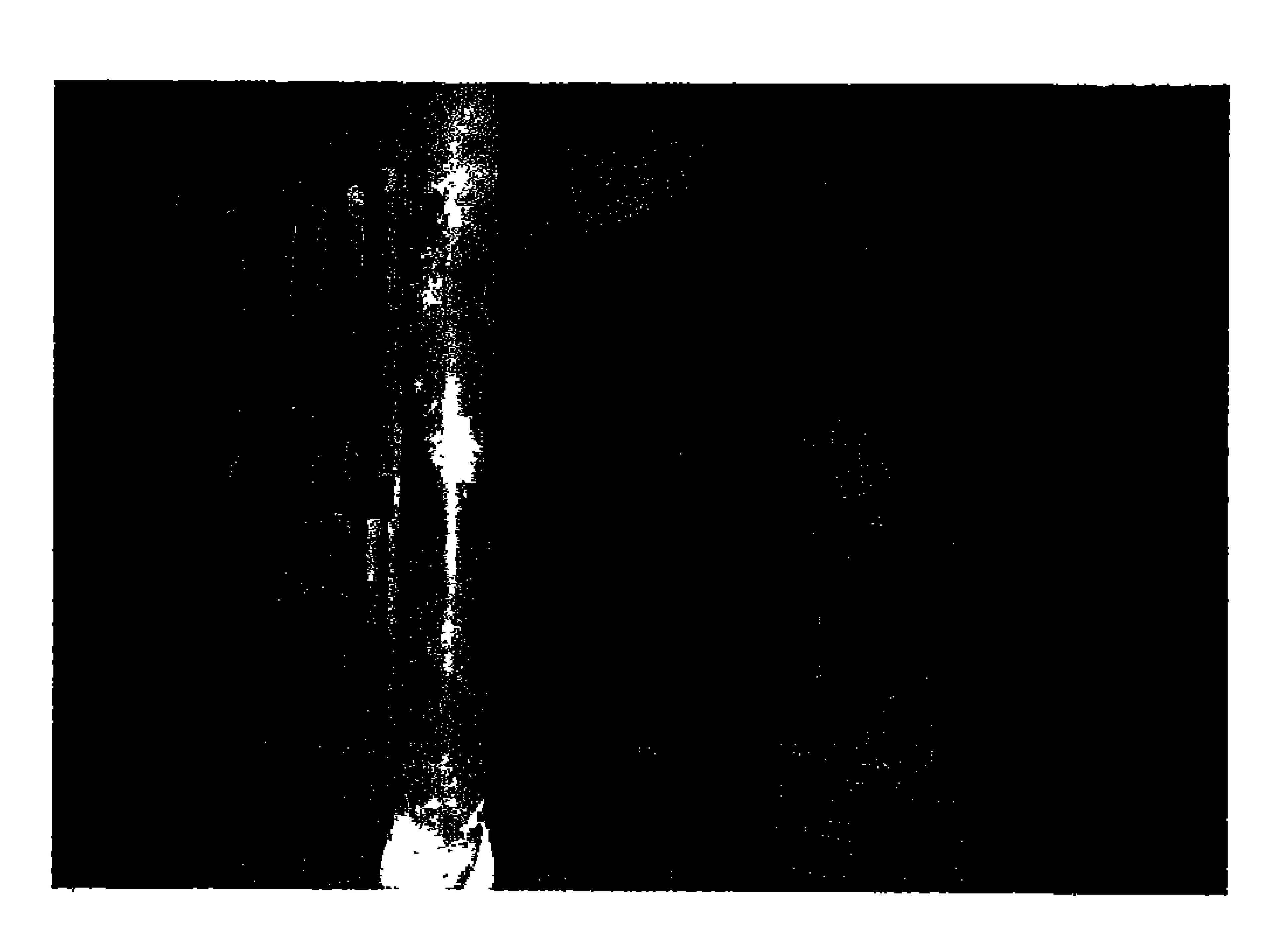

A
B


M
N
O
P


G
H
I
L


C
D
F
F

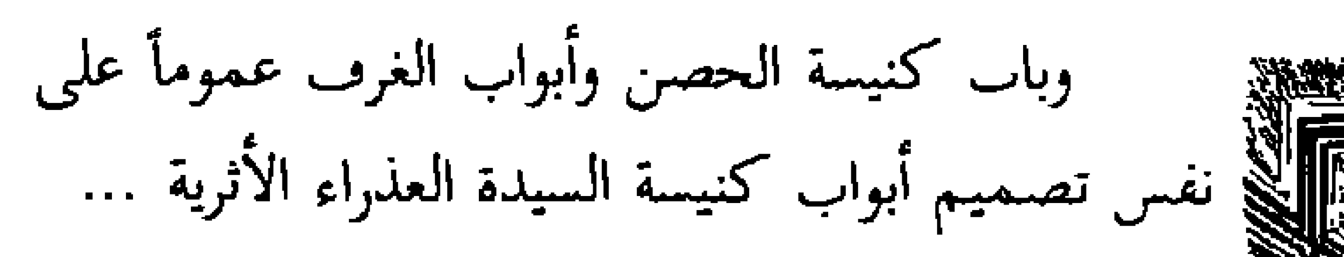
كنيسة الحصن :



لها مذبح واحد والصحن منقسم إلى قسمين صغيرين بواسطة عمودين يتوسطهما حاجز خشبي.

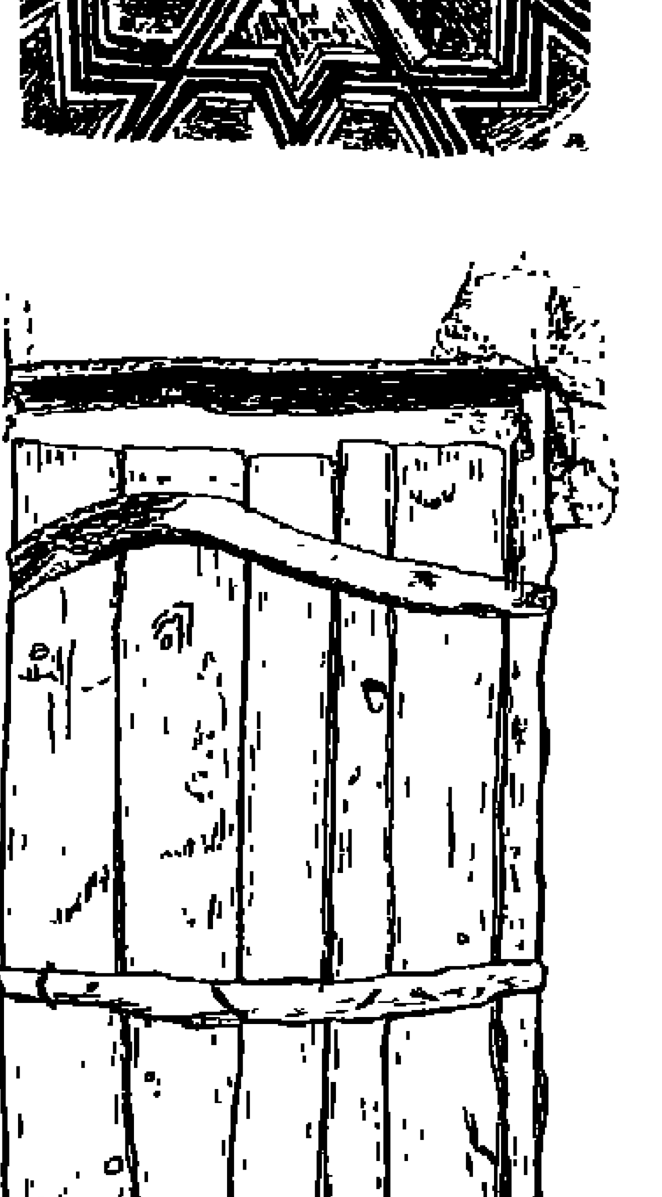
ويبدو أن العمودين من عهد قديم ومنقولين من المعابد الوثنية القريبة التي كانت موجودة في القرون المسيحية الأولى ويظهر ذلك من تاج أحدهما (المكسور جزء منه).

وبالكنيسة منجلية (أي حامل خشبي يوضع عليه كتاب القطمارس الخاص بالقراءات الكنسية). وقد قدر زمنها بزمان ترميم الحصن في القرن ١٢ الميلادي.



وباب كنيسة الحصن وأبواب الغرف عموماً على نفس تصميم أبواب كنيسة السيدة العذراء الأثرية ...





ولم نتوصل إلى أية معلومات حتى الآن تفيد أن الحصن قد استُخدم.

وأما بالنسبة لوصفه المعماري ، فقد قامت لجنة الآثار وعلى رأسها الأثري فيلارد (الذي يعتبر أول من درس الحصون في مصر) بعمل الرسومات المعمارية المبينة ، في العشرينات من القرن الحالي .

وقد قام بترميم الحصن – في أزمنة مختلفة – كل من :



١ – الشيخ أبو ذكري بن بو نصر عامل الأشمونين (أي الوالي) في عهد الخليفة الحافظ (١١٣٠ – ١١٤٩م)

٢ – البابا غبريال السابع (١٥٢٥ – ١٥٦٨م).

٣ - المعلم إبراهيم الجوهري في أواخر القرن ١٨ الميلادي.

٤ - القمص عبد الملاك الهورى رئيس الدير في منتصف القرن ١٩ الميلادي.

٥ - وفي القرن العشرين تم عمل بعض الترميمات القليلة.

الأحجـــار الأثريـــة

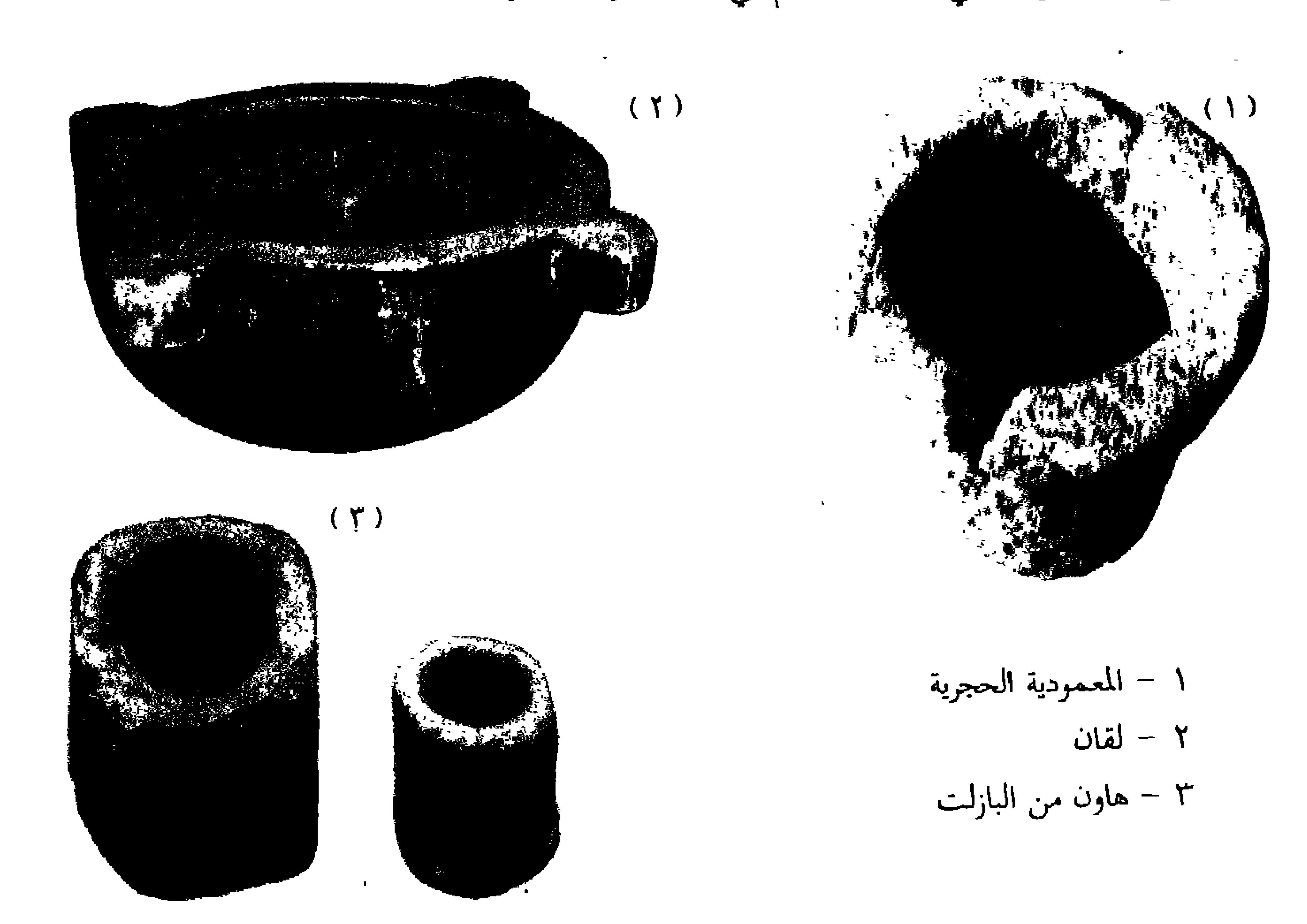
من المعروف أن الأحجار هي أقدم وسيلة استخدمت في الحياة العامة وكذلك في الكنيسة ...

وأقدم الكنائس مذابحها من الحجر ... وكذلك جرن المعمودية وأحواض اللقان ...

وبالدير حالياً بعض من الأعمال الحجرية ، فعلى حسب ما ذكر قبلاً فإن مذبح كنيسة السيدة العذراء الأثرية من الحجر - وهو الذي جلس عليه السيد المسيح له المجد وهو طفل أثناء إقامته في هذا المكان . وكذلك المذبح الحجري لكنيسة يوحنا المعمدان ...

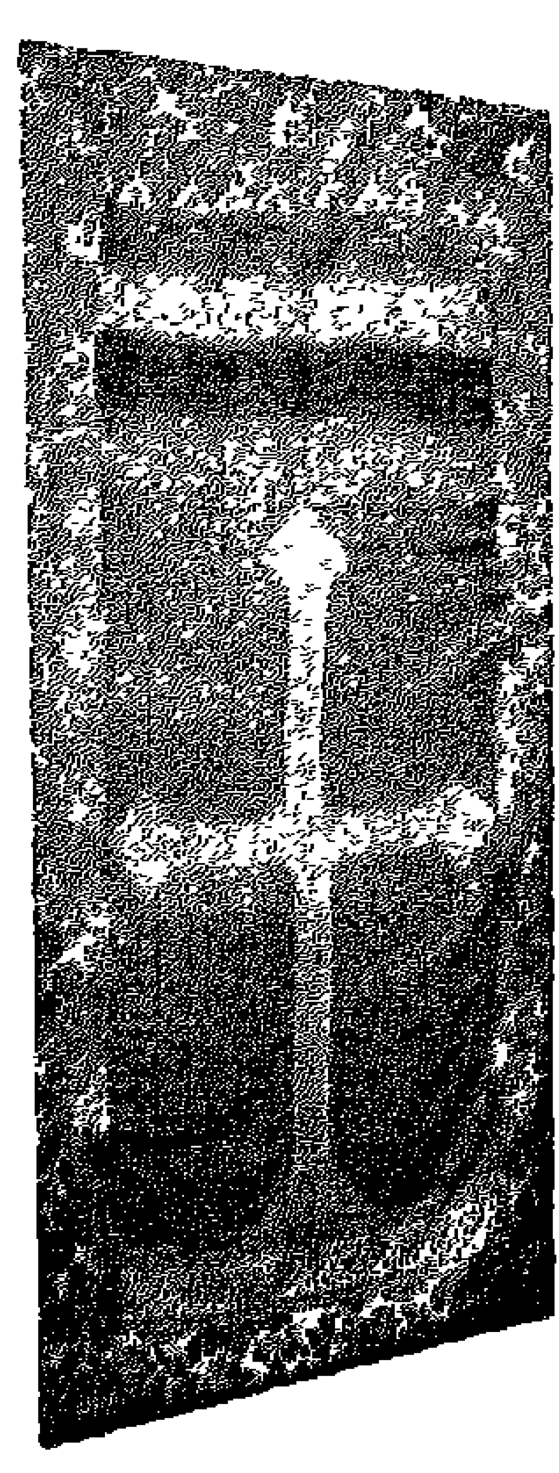
كما يحتفظ الدير بأحواض اللقان الحجرية القديمة وحوض للماء (نعتقد أنه المعمودية القديمة التي كانت بالدير).

وكذلك شاهد قبر حجري ، تاريخ النقش عليه يرجع لسنة ٨٠٧ ش - ١٠٩١م ، وطبق حجري كان يوضع فيه زيت للصلوات الكنسية مثل صلاة القنديل أو الأبوغلمسيس (ليلة سبت النور). هذا بخلاف الهواوين المشكلة من حجر البازلت التي كانت تستخدم في الحياة اليومية بالدير قديماً ...



١ - المعمودية الحجرية
٢ - لقان
٣ - هاون من البازلت

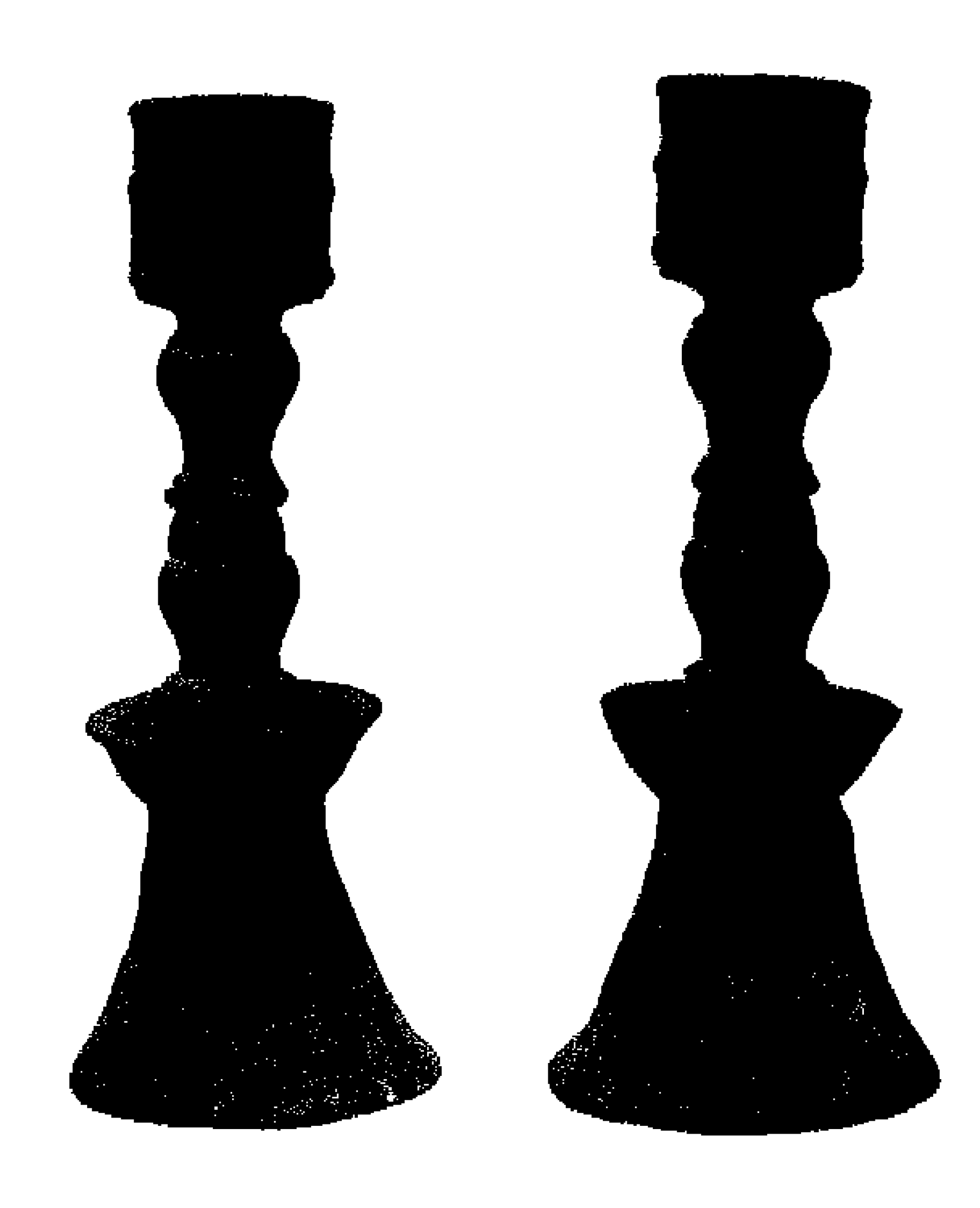




ستر مطرز من القرن الـ ١٩ الميلادي
محفوظ الآن بالمتحف القبطي

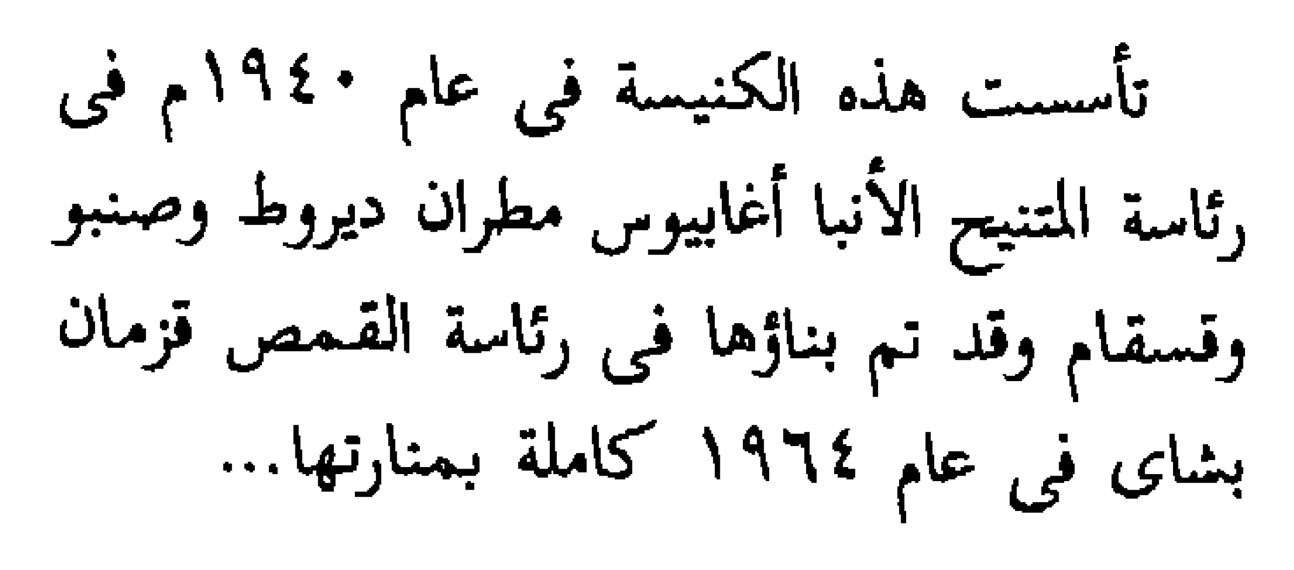


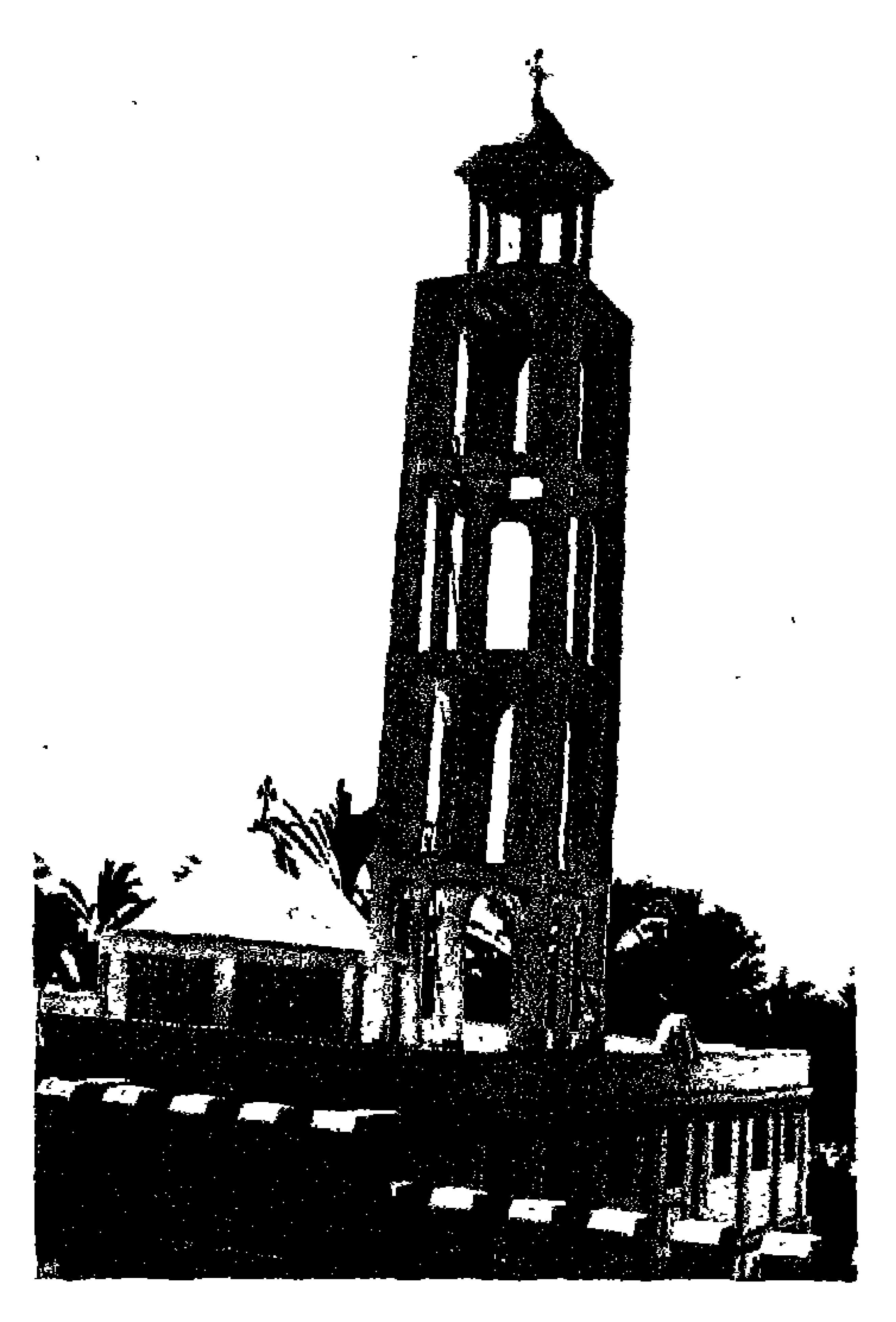
توبية كهنوتية من القرن الـ ١٩ الميلادي
محفوظة الآن بالمتحف القبطي



حامل للشمع الكبير

كنيسة السيدة العذراء الجديدة


تأسست هذه الكنيسة فى عام ١٩٤٠م فى رئاسة المتنيح الأنبا أغابيوس مطران ديروط وصنبو وقسقام وقد تم بناؤها فى رئاسة القمص قزمان بشاى فى عام ١٩٦٤ كاملة بمنارتها...



وقد أنشئ فيها معمودية بعدما كانوا يعمدون فى كنيسة مارجرجس مما يضطر لدخول النساء والزوار الكثيرين الذين يردون إلى الدير لعماد أطفالهم إلى كنيسة مارجرجس مما كان يسبب قلقاً وإزعاجاً للرهبان...

لذلك أصبحت هذه الكنيسة مخصصة للزوار. ولهيكل الكنيسة ثلاثة مذابح، الرئيسى الأوسط على اسم السيدة العذراء والقبلى مارجرجس (ولكن أطلق عليه بعد ذلك أسم القديس الأنبا ابرآم) والبحرى القديس تكلا هيمانوت الحبشى وقد رسم أيقوناتها الجميلة الفنان يعقوب فانوس.

وقد قام بتجديد هذه الكنيسة نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس رئيس ديرنا العامر ـ آدام الله حياته وذلك فى سنة ١٩٩٣م.



أهم المعالم والمنشآت الحالية بالدير

الكلية الإكليريكية ومعهد ديديموس للمرتلين

(تم ذكرهما بالتفصيل فى الجزء الخاص بتاريخ الدير صـ ١٥٨)

قصر الضيافة:

وهو مكان إقامة رئيس الدير وكبار الزوار من البطاركة والمطارنة والأساقفة، وفيه مكتبة للمخطوطات الثمينة. وقد أنشئ فى سنة ١٩١٠م فى رئاسة الأنبا باخوميوس الأول أسقف الدير.



أماكن الضيافة:

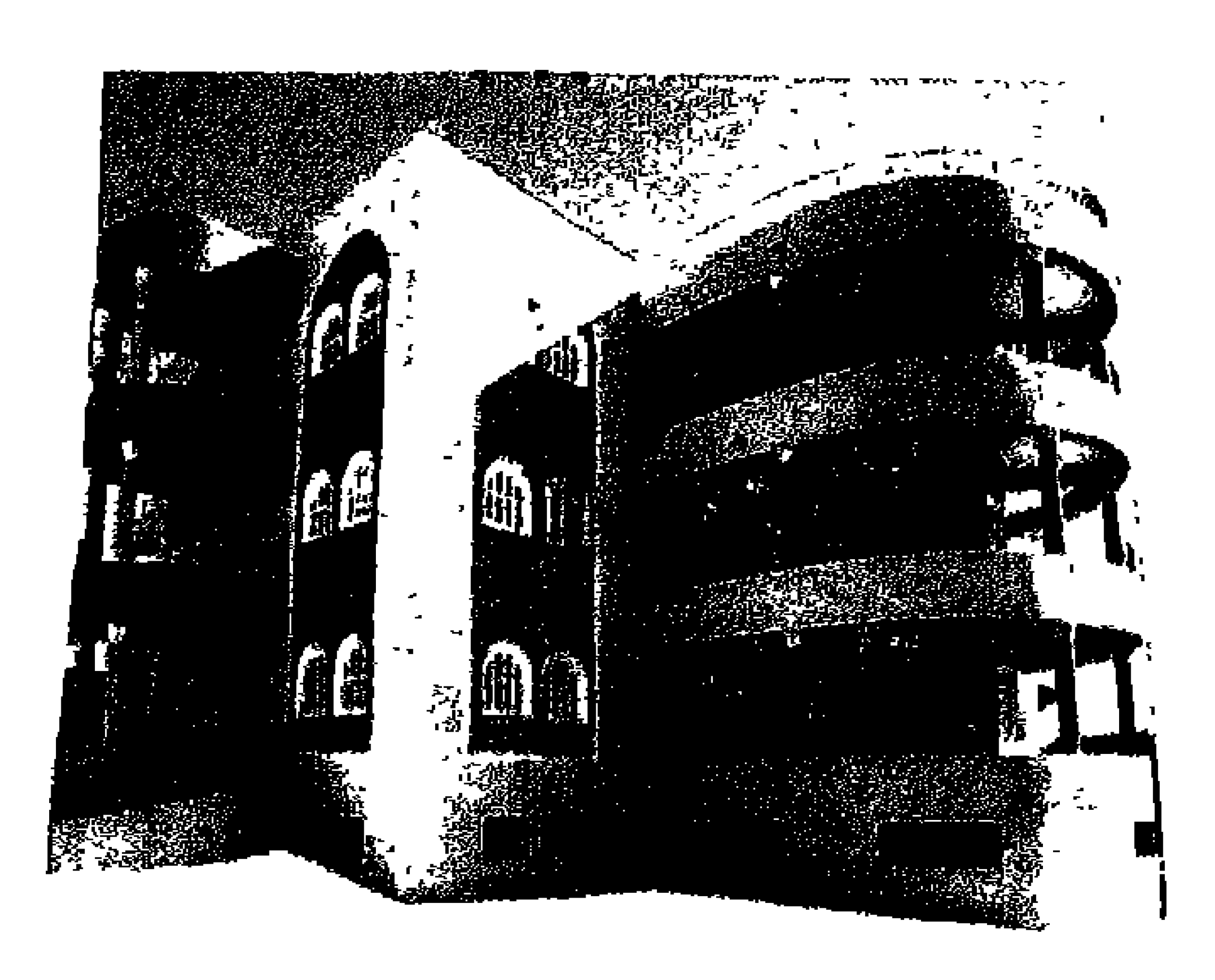
يوجد أربعة مبانى بالدير مخصصة لإضافة الزوار محبى الدير :

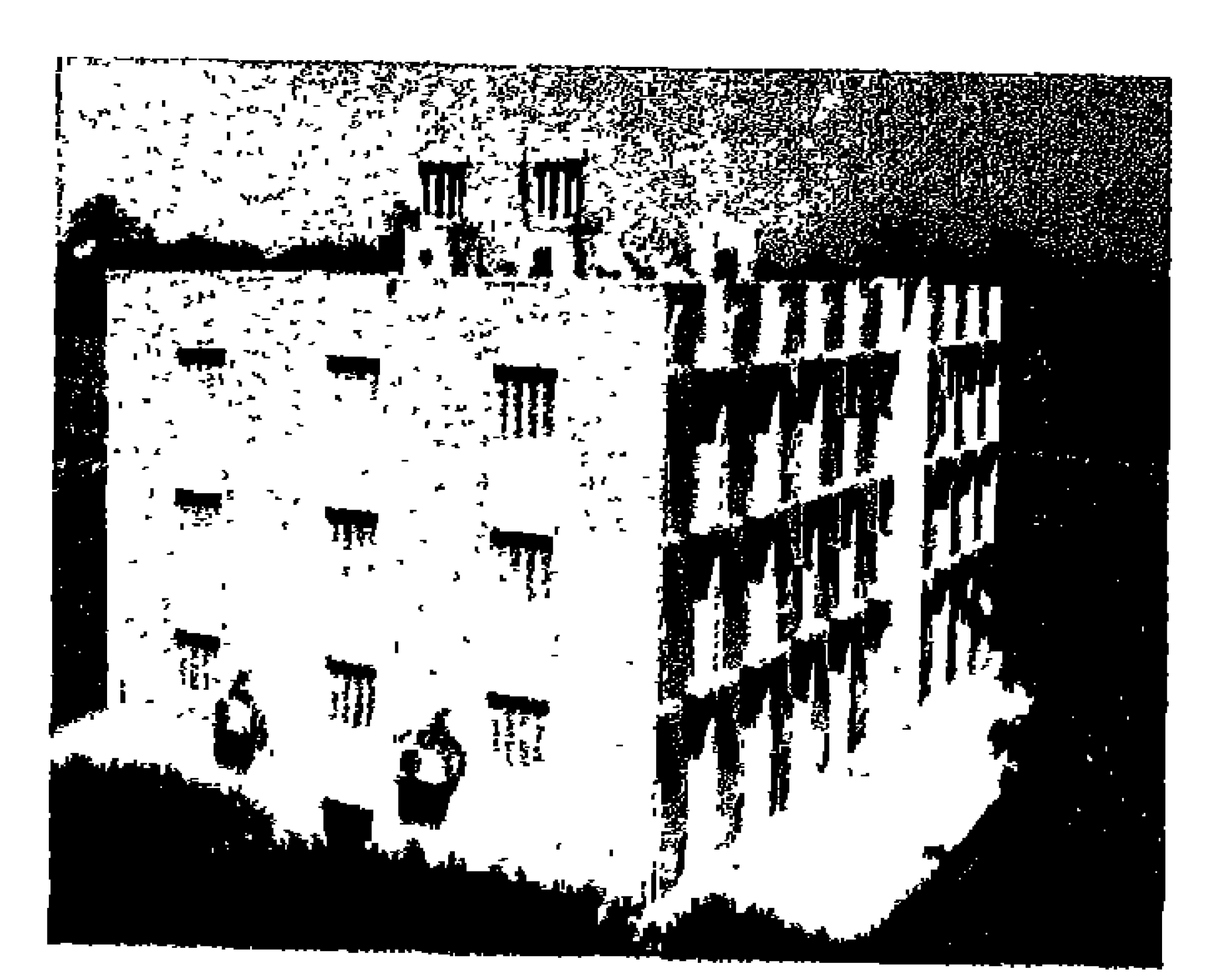
أ ـ مبنى الديوان : وهذا الاسم أطلق أصلاً على هذا المبنى لأنه كان فيه قسم مخصص لإدارة شئون الدير التى كانت تحت إشراف وكيل الدير. [وقد أنشئ فى رئاسة القمص تادرس أسعد (١٩٣٠م ـ ١٩٣٦م)].

ب ـ المبنى الملاصق لبوابة الدير الثانية.

ج ـ عمارتان جديدتان : بعدما رأى الدير وعلى رأسه نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس ـ أدام الرب حياته ـ بأن أعمال الدير الإدارية وجودها فى مبنى الزوار (الديوان) غير مناسب على الإطلاق، وأنه لا توجد استراحة جيدة لإستقبال كبار الزوار من رجال الدولة، وأن المبنيين القديمين غير كافيين لاستيعاب ضيوف الدير. لذلك رؤى بأن تقام عمارتان جديدتان لسد هذه المتطلبات. الأولى أنشئت عام ١٩٨٥م والأخرى عام ١٩٩٣م.

الرب يبارك هذا العمل ويجعله ثمرة أعمال مستمرة لمجد اسمه القدوس.





مدافـــن الرهبـــان :

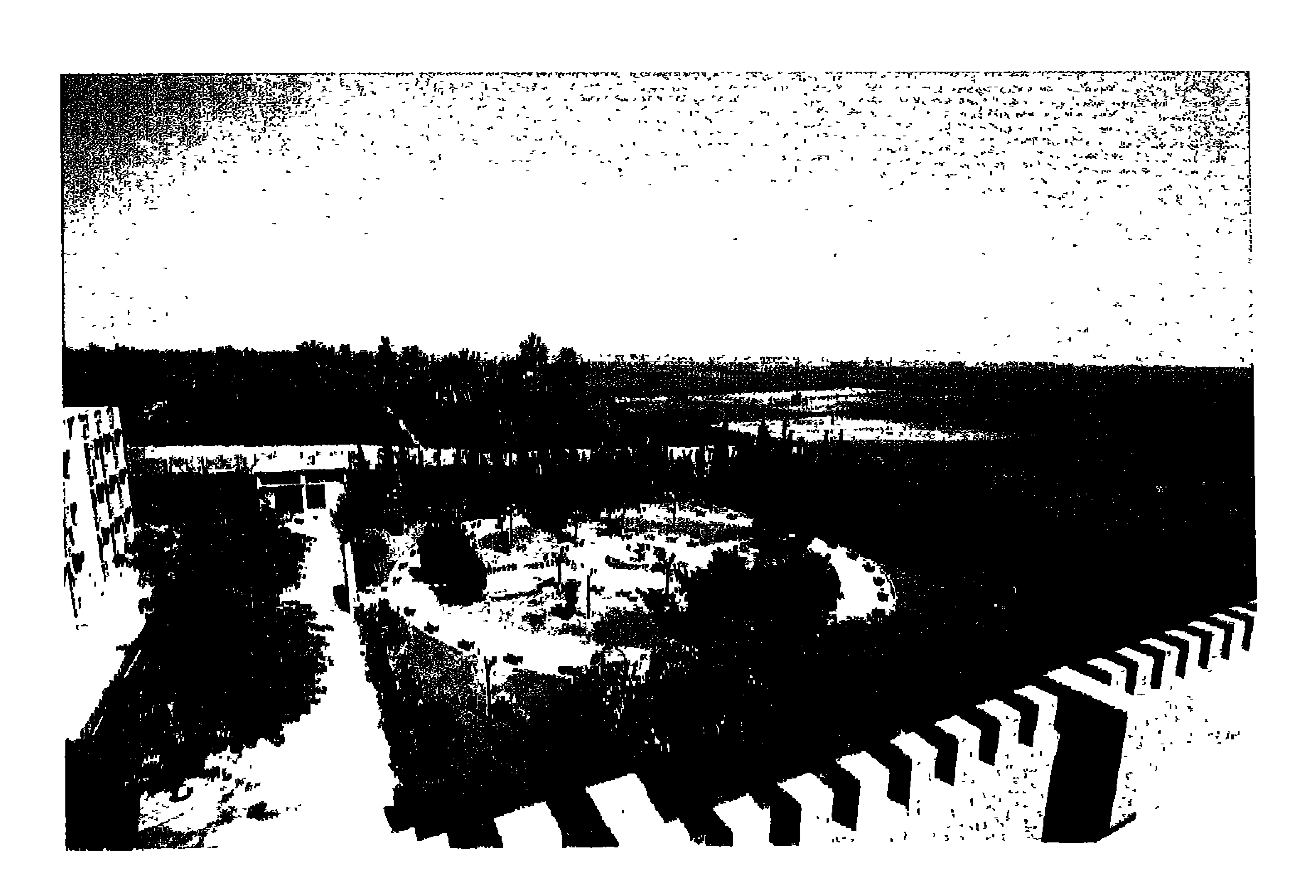
كان الرهبان الذين يتنيّحون بالدير يدفنون بالجبل ـ شمال وغرب الدير ـ إلى القرن العشرين حتى أنشأ القمص تادرس أسعد مدفناً للرهبان، ثم صار دفْن الرهبان المتنيّحين بعد ذلك فى المدفن الذى يقع خلف كنيسة السيدة العذراء الجديدة.

معـــالم أخـــرى :

بالطبع، يجب أن يوجد بالدير وسائل خدمات كثيرة للقاطنين فيه من الرهبان والزوار مثل صهريج للمياه العذبة وماكينة لرفع المياه الخاصة به، وماكينة لتوليد الكهرباء لتغذية الدير بالتيار الكهربائى (وهذا قبل توصيل الدير بشبكة الكهرباء العمومية فى أواخر السبعينيات) وأيضاً فرن للخبز، ومخزن للغلال، وحظيرة للبهائم، ومخزن للوقود الخاص بتشغيل ماكينات الرى، وورش للنجارة والحدادة واللحام... بالإضافة إلى مكتبة لإستعارة الكتب لفائدة الرهبان، ومكتبة لبيع الكتب والأيقونات والصور للضيوف محبى الدير...

وحديقة جميلة يُزْرع بها بعض النباتات العطرية والنادرة الجميلة التى تسبح اسم الله فى عظمة قدرته وخلقته...

وهى معدّة تحت إشراف علمى متخصص ـ الرب يعوض من له تعب فى ملكوت السموات.





ساحة الإحتفالات الدينية :

بعد الحريق المروع فى يونيو سنة ١٩٨٨م رحّبت الدولة رسمياً بتخطيط ساحة الإحتفالات بالدير والتى يزدحم فيها الزوار فى أعياد السيدة العذراء، وذلك بإنشاء مبانى لإستقبال الزوار، والرحلات، والخدمات الطبية، وقاعة للفيديو، ومكتبة، ومظلات، ونقطة حراسة، مع بعض الخدمات اللازمة الأخرى...

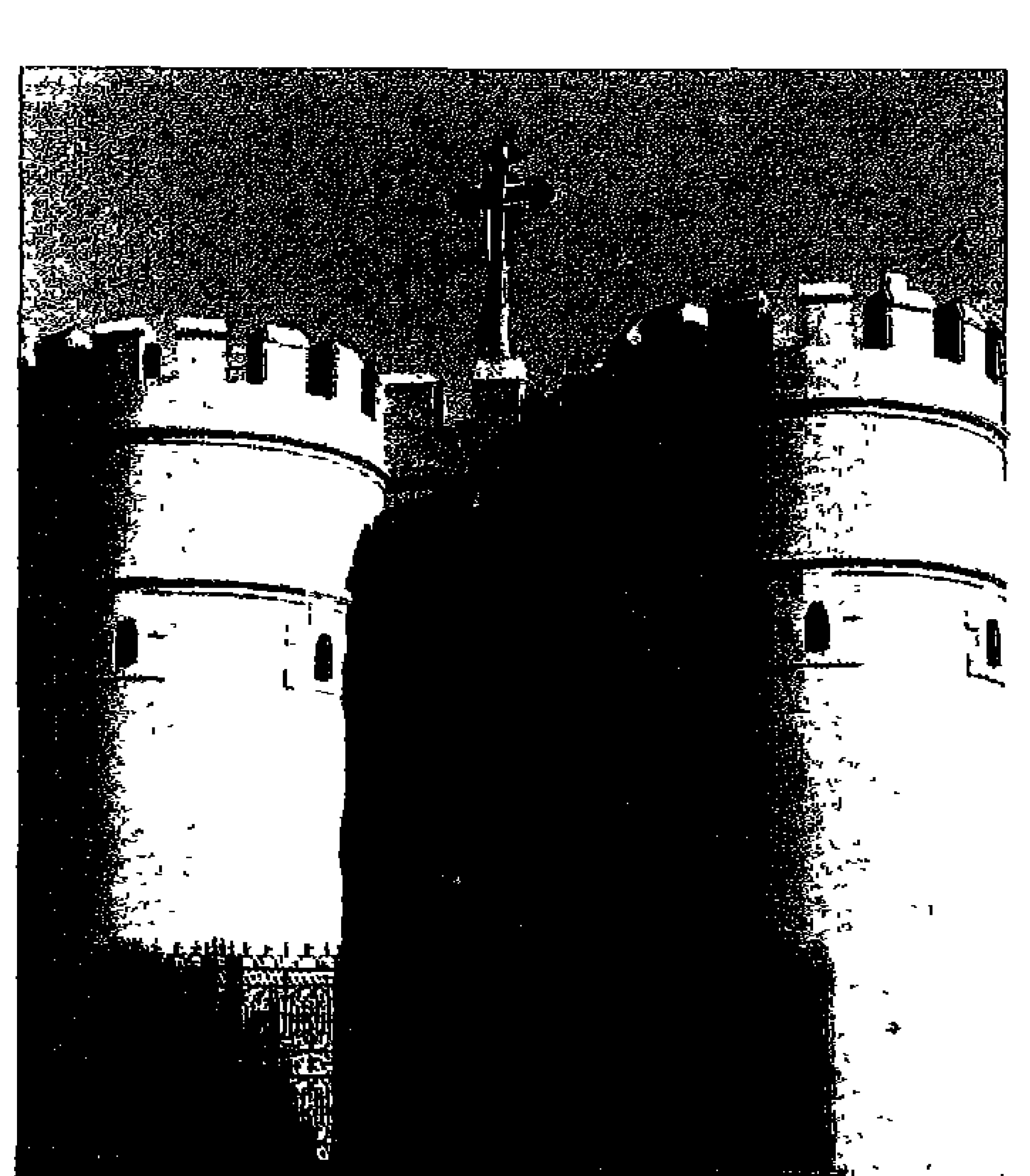
الأســـــوار:

وهى ثلاثة :

أ ـ أسوار قديمة من القرن ١٩م.

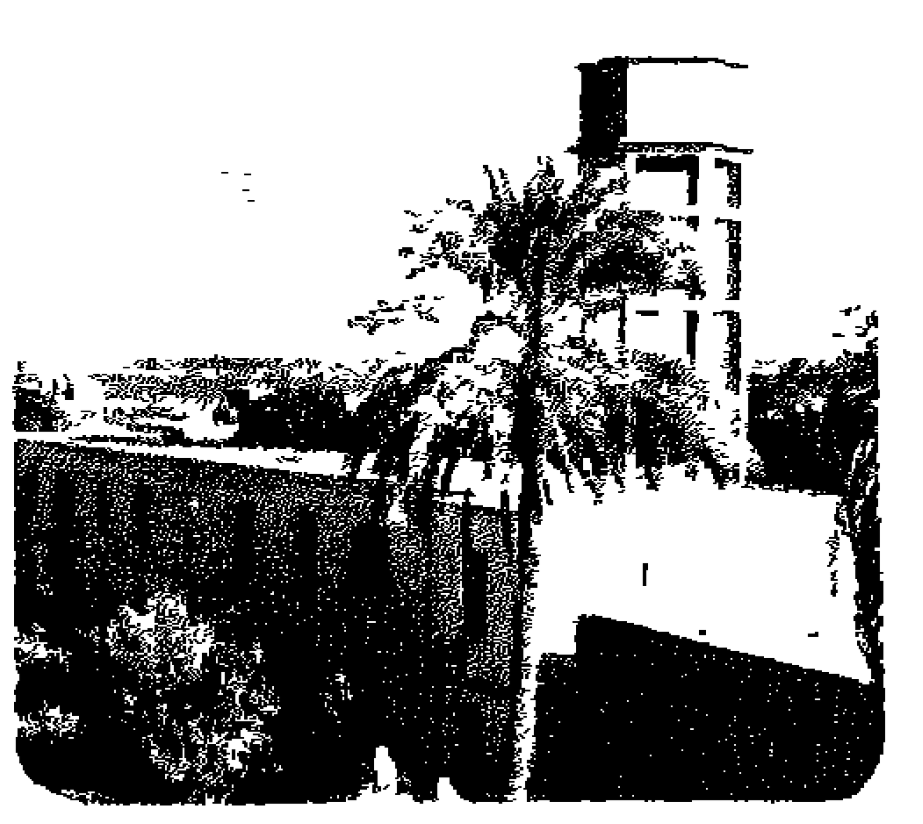
ب ـ أسوار حجرية أقدمها يرجع إلى العشرينيات من القرن ٢٠م وقد تم إنشاؤها بلجنة فنية وصممت على شكل أسوار أورشليم.

جـ ـ أسوار من الطوب الأحمر والخرسانة المسلحة أنشأها نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس فى سنة ١٩٧٨م بدلاً من السور الذى كان من الطوب الأخضر (اللبن) ـ الذى بناه القمص فليمون وكيل الدير فى الخمسينيات.



بوابة الدير الرئيسية الكبرى

جولة
مصورة







تذكار المحبة والوفاء

القمص
بنيامين المحرقى

الراهب
أغابيوس المحرقى

زهرتان يانعتان فاحت رائحتهما فى **بستان ديرنا العامر**، فإقتطفهما الرب إلى السماء مع ثلاثة من زوار الدير فى مساء ١١ مارس عام ١٩٩٤، لكى يضيف أريج عطرهم إلى خليط عطر الشهداء فى **فردوس النعيم**.

Joseph, le pieux restaura la petite maison, avec des palmes et des briques cuites au soleil.

L'eau du puits adjacent à cette maison fut bénie par Jésus.

La fin de la visitation de Qousqam :

Plus tard (selon l'Evangile de Matthieu, chapitre 2), l'Ange du Seigneur apparaîtra en songe à Joseph, et lui dira : "Lève - toi, prends l'enfant et sa mère, et reviens au pays d'Israël; car ils sont morts, ceux qui en voulaient à la vie de l'enfant."

Avant leur départ, la Vièrge Marie demanda à son fils de bénir la petite maison qui était pour eux le refuge en sûreté le long de six mois et quelques jours.

Par conséquent, ce lieu reçut l'honneur et la réputation, juste comme : Nazareth, Jérusalem, Bethléem et tous les lieux saints.

Plusieurs miracles avaient été faits pour une grande multitude d'habitants de toutes les terres avoisinantes, qui venaient pour être guéris de leurs maladies; et ceux qui étaient hantés par des esprits impurs.

Le Seigneur vint en Egypte et eut pitié de ce pays qui était plongé dans le paganisme plus que le monde entier, et qui était assis dans les ténèbres et l'ombre de la mort.

Il illumina ce pays par la lumière de sa divinité et sa gloire exaltée.

Comme c'était dit par le Seigneur dans la prophétie d'Isaïe :

"Bénis soient mon peuple d'Egypte..." [19: 25].



4 Avant J. - C. - 1997 A. D.

La commémoration de 2000 ans pour la résidence de la Sainte Famille à Qousqam.

Le monastère :

La plus ancienne église dans le monastère, qui était la résidence de la Sainte Famille, remonte au 1er siècle A. D., tandis que le monastère est bâti au 4 ème siècle A. D.

Le donjon du monastère (et sa chapelle de l'Archange Saint Michel) remonte au 6 ème - 7 ème siècle A. D.

Les autres églises dans le monastère sont récemment fondées.

Le monastère est renommé pour "Al-Muharraq" car il est situé près de "l'aire de la brûlure" des herbes et des plantes nuisibles au Mont Qousqam.

Nota Bene :

Pour la première fois, beaucoup de faits récemment découverts, qui n'ont pas été connus par plusieurs étudiants, sont patents dans ce livre.

La Sainte Famille à Qousqam

Aux jours du roi Hérode, il y a 20 siècles environ, (selon l'Evangile de Matthieu, chapitre 2), Jésus est né dans la ville de Bethléem, en Judée.

Vers ce temps, des mages venus d'Orient se présentèrent à Jérusalem et demandèrent : "Où est le roi des Juifs qui vient de naître? Nous avons vu, en effet, son astre se lever, et sommes venus lui rendre hommage." Informé, le roi Hérode s'émut, et tout Jérusalem avec lui. Il assembla tous les grands prêtres avec les scribes du peuple, et s'ensuit auprès d'eux du lieu où devait naître le Christ. "A Bethléem de Judée, lui répondirent - ils; car c'est ce qui est écrit par le prophète : "Et toi Bethléem, terre de Juda, tu n'es nullement le moindre des clans de Juda; car de toi sortira un chef qui sera pasteur de mon peuple Israël."

Alors Hérode manda secrètement les mages, se fit préciser par eux la date de l'apparition de l'astre, et les dirigea sur Bethléem en disant : "Allez - vous renseigner exactement sur l'enfant; et quand vous l'aurez trouvé, avisez - moi, afin que j'aille, moi aussi, lui rendre hommage."

Sur ces paroles du roi, ils se mirent en route; et voici que l'astre, qu'ils avaient vu à son lever, les devançait jusqu' à ce qu'il vint s'arrêter au - dessus de l'endroit, où était l'enfant. La vue de l'astre les remplit d'une très grande joie. Entrant alors dans le logis, ils virent l'enfant avec Marie sa mère, et, tombant à genoux, se prosternèrent devant lui; puis, ouvrant leurs cassettes, ils lui offrirent en présent de l'or, de l'encens et de la myrrhe. Après quoi, un songe les ayant avertis de ne point retourner chez Hérode, ils prirent une autre route pour rentrer dans leur pays.

Après leur départ, l'Ange du Seigneur apparaît en songe à Joseph et lui dit : "Lève - toi, prends l'enfant et sa mère, et fuis en Egypte; et restes-y jusqu'à ce que je t'avertisse. Car Hérode va rechercher l'enfant pour le faire périr." Joseph se leva, prit de nuit l'enfant et sa mère, et se retira en Egypte. C'était pour accomplir ce que le Seigneur avait dit par le prophète Osée : "D'Egypte j'ai appelé mon fils." [11: 1].

Le départ pour l'Egypte :

La Sainte Famille partit pour l'Egypte à travers une longue route dangereuse. Elle évita de suivre les chemins usuels et réguliers, pour être loin des soldats qui dépendaient d'Hérode. Plusieurs difficultés redoutables avaient eu lieu à cause de la religion païenne, des voleurs de grand chemin surtout des ruses et du peuple au cœur dur, ainsi que le manque de la nourriture et de l'eau.

En dépit de ces dangers; des signes, des prodiges étaient faits. Les idoles et les statues se fendirent en présence du Seigneur. Tremblés, les démons s'échappèrent devant sa puissance de divinité. Alors s'était accompli ce qui avait été dit par le prophète Isaïe : "Voici que Yahvé, monté sur un léger nuage, viens en Egypte. Les idoles de l'Egypte tremblent devant lui, et les Egyptiens sentent leur cœur défaillir." [Is. 19: 1].

Les détails du Voyage saint en Egypte sont mentionnés dans la tradition authentique de l'église copte.

La Sainte Famille à Qousqam :

La Sainte Famille arriva au pied du Mont Qousqam en Haute - Egypte. Là, elle trouva une petite vieille maison, où s'élève aujourd'hui l'Eglise de la Bienheureuse Vièrge Sainte Marie du Monastère Al-Muharraq.

stands to day.

Joseph the pious restored the small house, from the palm and adobe.

The water well adjacent to that house was blessed by Jesus.

The Qousqam's Visitation End :

Afterwards, (according to the Gospel of Matthew, chapter 2), an angel of the Lord appeared in a dream to Joseph, saying, "Rise take the child and his mother, and go to the land of Israel, for those who sought the child's life are dead".

Before their departure, Virgin Mary asked her son to bless the small house which was the safe refuge for them along six months and some days.

Therefore, this place received the honour and fame, just like, Nazareth, Jerusalem, Bethlehem and all the holy places.

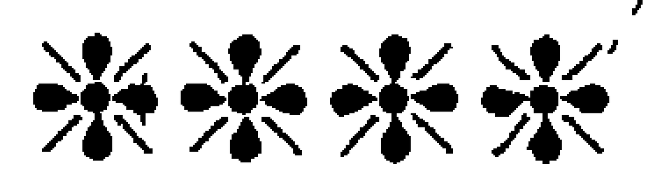
Several miracles had been done for a great multitude of people from all neighbouring lands, who came to be healed of their diseases; and those who were haunted with unclean spirits.

The Lord came to Egypt and had mercy upon it, which was immersed in paganism more than all the world and were sitting in darkness and in shadow of death.

He illuminated this country with the light of his divinity and his exalted glory.

As was said by the Lord in the prophecy of Isaiah,

"Blessed be Egypt My People.." [19: 25]



4 B. C. - 1997 A. D.

The commemoration of 2000 years for the residence of the Holy Family in Qousqam.

The Monastery :

The oldest church in the monastery which was the residence of the Holy Family dates back to the 1st. century A. D., while the monastery is built in the 4th century A. D.

The Monastery Keep and its archangel Micheal chapel dates back to 6th / 7th century A. D.

The other churches in the monastery are recently founded.

It is famed as "Al - Muharraq" monastery, as it lies close to "the burning area" of weeds and herbs at Mount Qousqam.

N. B.

For the first time, many recently discovered facts which haven't been known by many schoolers, are obvioused in this book.

THE HOLY FAMILY IN QOUSQAM

In the days of King Herod about 20 centuries ago, (according to the Gospel of Matthew, chapter 2), Jesus was born in the town of Bethlehem, in Judea.

About that time, some wise men from eastern lands arrived in Jerusalem, saying, "Where is the newborn King of the Jews? for we have seen his star in far-off eastern lands, and have come to worship him". King Herod was deeply disturbed by their question, and as well as the people of Jerusalem. He Held a meeting of the Jewish religious leaders, inquired of them where the Christ had been born. They said to him, "In Bethlehem of Judea; as it was written by the prophet :

"And you, O Bethlehem, in the land of Judah, are by no means least among the rulers of Judah; for from you shall come a ruler.who will govern my people Israel".

Then Herod sent a private message to the wise men, asking them to come and see him. At that meeting he found out from them the exact time when they first saw the star. Then he said to them, "Go to Bethlehem and search for the child. And when you find him, come back and tell me so that I can go and worship him too!".

After that interview, the wise men started out again. And look! The star appeared to them again, fixed over Bethlehem and moved before them, till it came to rest over the place where the child had been. When they saw the star, they rejoiced exceedingly with great joy; and going in to the house, they saw the child with Mary his mother, then they fell down and worshipped him. Then, opening their treasures, they offered him gifts; gold, frankincense and myrrh. But on their way back to their own land, they didn't go through Jerusalem to report to Herod, for God had warned them in a dream to go home another way.

After they had gone, the angel of the Lord appeared to Joseph in a dream and said, "Rise, take the child and his mother, and flee to Egypt, and remain there till I tell you; for Herod is about to search for the child to destroy him". And he rose and took the child and his mother by night and departed to Egypt. This was to fulfill what the Lord had spoken by the prophet Hosea, "Out of Egypt have I called my son" [11: 1].

The Departure to Egypt

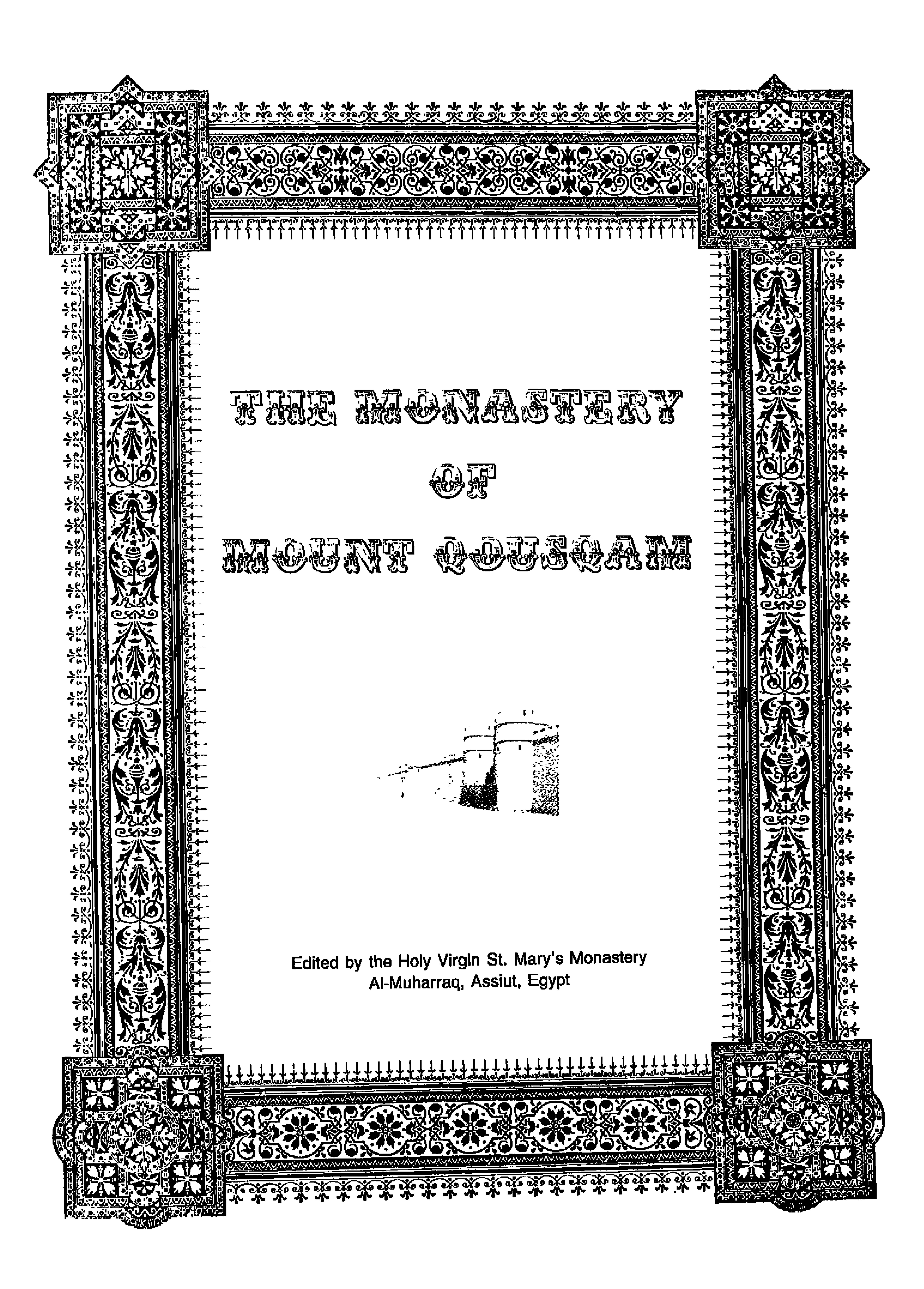
The Holy Family departed to Egypt through long risky route. They avoided to follow the usual regular roads, to be far from Herod's attendant soldiers. Several awful difficulties had taken place because of the pagan religion, the footpads specially wiles and the hard hearted people, as well as the lack of food and water.

In spite of those dangers; signs, wonders were done. The idols and statues cracked-up at the Lord's presence. Trembly, the devils escaped before his power of divinity. Then was fulfilled what had been spoken by prophet Isaiah, "The Lord rideth upon a swift cloud, and shall come into Egypt : and the idols of Egypt shall be moved at his presence, and the heart of Egypt shall melt in the midst of it". [Is. 19: 1].

The details of the holy journey into Egypt, recorded in the surefire tradition of the coptic church.

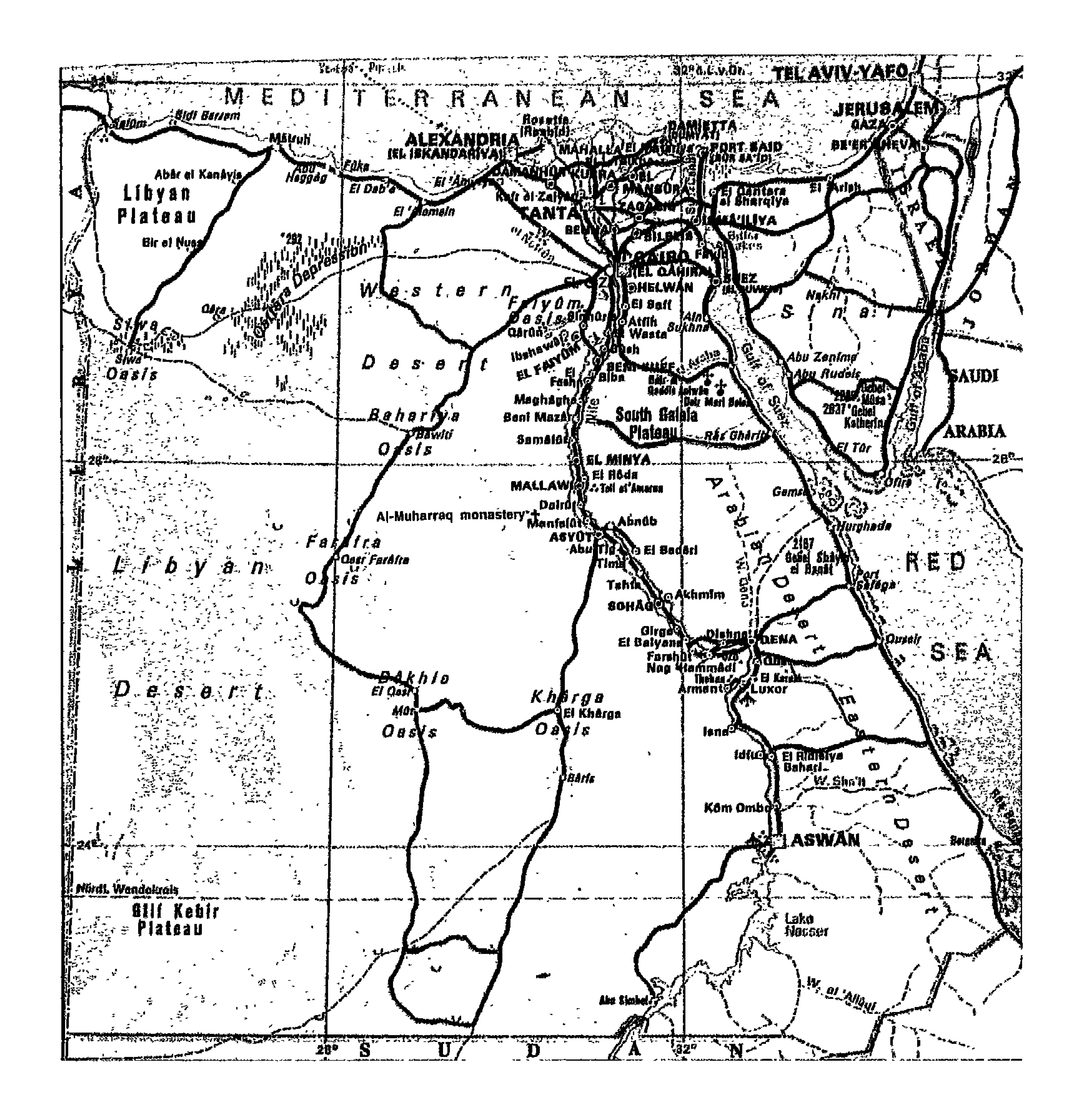
The Holy Family in Qousqam :

The Holy Family arrived at the foot of Qousqam Mountain in upper Egypt. They found a small old house there, where the Holy Virgin St. Mary Church of Al-Muharraq Monastery



THE MONASTERY OF MOUNT QOUSQAM

Edited by the Holy Virgin St. Mary's Monastery
Al-Muharraq, Assiut, Egypt



Front Cover: General view of the monastery

Back Cover :

- Old Ms.
- The main gate from inside

حقيقة تاريخية

نبوءة كل الأجيال

فـي ذلك اليوم يكـون مذبح للـرب في وسـط أرض مصر..

[أش ١٩:١٩]

ليس عجيباً، أن المذبح الذى باركته يمين الرب الإلهية - والقائم فى كنيسته المقدسة التى كانت ملجأه الطاهر وهو طفل وأسماها باسم والدته العذراء مريم وأقامه فى منطقة فى وسط أرض مصر أطلق عليها منذ القديم فى لغة الفراعنة اسم قسقام الذى استخدم فى كتاباتهم الدينية بمعنى اللانهاية أو إلى الأبد - هو المذبح الذى قصده أشعياء النبى.

وبالرغم من محاولة بعض علماء الكتاب المقدس فى تفسير هذه النبوءة تفسيراً تأملياً وآخرين تفسيراً رمزياً.. إلا أن تقليد الدير المسلَّم من جيل إلى جيل منذ القدم يفسر هذه الآية حرفياً: إن المذبح المقصود هو مذبح كنيسة السيدة العذراء الأثرية بالدير. وهكذا ... يبقى مذبح المحرق فى قسقام تقدم عليه الأسرار المقدسة - بلا انقطاع للمحترقة قلوبهم بنار الحب الإلهى

عـبر العصـور والأزمـان

